

مُؤَسَّعَةٌ
أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِ



مَوْسُوعَةٌ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى

الأستاذ الدكتور
محمد راتب النابلسي

الجزء الثالث

دار الكتب

الطبعة الخامسة 2009 – 1430

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المکتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص ب 31426 هاتف 2248433 فاكس 2248432

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المکتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

الباعث

من أسماء الله الحُسنى الباعث.. وقد ورد هذا الاسم في أحاديث رسول الله ﷺ التي ذكر فيها أسماء الله الحُسنى .

البعث في اللُّغة.. الإثارةُ والإنهاض.. يقال : بعث بعيره فانبعث أي استنهضه فنهض.. أنهضه ، وبعثه : أرسله ، وانبعث فلانٌ لشأنه أي سار لشأنه ، بعث الناقة : أثارها ، بعث فلاناً من نومه : أيقظه ، البعث : بعث الجنود إلى الغزو ، البعث هو الجيش ، البعث : الإحياء من الله عزَّ وجلَّ ، البعث : النشر . هذا ما ورد في معاجم اللغة حول معنى كلمة البعث كمصدر في اللغة .

وأما الباعث في حقِّ الله تعالى.. فلهذا الاسم معانٍ كثيرة ، ومن هذه المعاني أنَّ الله سبحانه وتعالى باعث الخلق يوم القيامة كما يقول في سورة الحج ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٧] . أي أنَّ الله سبحانه وتعالى يُنْهض الموتى من قبورهم ليحاسبهم ، وقد قال تعالى في سورة الزلزلة :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۚ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۚ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ (٣) يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الزلزلة : ٦١] .

هذا هو البعث . . فالمؤمن يؤمن بيوم البعث .

المعنى الآخر لاسم الباعث أن الله جلّ جلاله باعث الرسل إلى الخلق ، يقول تعالى في سورة النحل :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ [النحل : ٣٦] .

إنهاض الناس من قبورهم باعث ، وإرسال الرسل إلى الناس كافة باعث .

والمعنى الثالث أنه تعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة أي أن الله عزّ وجلّ يُلهم الإنسان في حركاته وسكناته . . وذلك بالطبع لصالحه مكافأة أو تأديباً . . قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [يونس : ٢٢] .

ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ » [رواه مسلم] .

هذا التقليل لصالح العباد ، فالإنسان أحياناً يُلهم أن يتحرك ، يُلهم أن يسير في هذا الطريق ، يُلهم أن يشتري ، يُلهم أن يبيع ، وقد يستجيب أحياناً لوسوسة الشيطان . والله سبحانه وتعالى لا يسمح لفعلٍ إلا إذا كان فيه صالحٌ للعبد نفسه ، الله تعالى يُقَلِّبُ قلوب العباد بين أصبعيه .

فمثلاً لو أنَّ الإنسان اختار طريق الحق أو اختار طاعة الله عزّ وجلّ ، أو اختار التوبة النصوح ، ربُّنا سبحانه وتعالى يشرح له صدره ، شَرِّحُ صدره إعانةً لهذا العبد على طاعة ربِّه ، فقد قال

تعالى : ﴿ تَحْنُ نَفْصٌ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] .

فالإنسان مثلاً إذا تحرّك نحو الله قليلاً فالله سبحانه وتعالى يبارك حركته ويشجّعه ويشرح له صدره ويُعينه على طاعته ، ألم يُجمَع القرآن كُلُّهُ في الفاتحة ؟ ألا تُجمَع الفاتحة في آية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

ولو أنّ الإنسان اختار طريق الباطل ، أو طريق الشهوة ، أو طريق المكاسب الماديّة ، أو طريق الأذى ، فالله سبحانه وتعالى كيف يُعينه على أن يتعد عن هذا القرار ؟ يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كما ورد في قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

فهنا وقفة دقيقة .. إن اتخذت قراراً صحيحاً شرح الله لك صدرك وهو بهذا أعانك على متابعة هذا القرار ، وإن اتخذت قراراً خاطئاً ضيق الله عليك نفسك ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ لعلك ترتدع عن متابعة هذا القرار .

فالله سبحانه وتعالى حينما جعل قلوب العباد بين أوصييه ما جعلها كذلك إلا ليعين عباده على الخير ، وليبعدهم عن الشرّ ، فالباعث أحياناً يبعث هذا الانسراح ، والمثبط يبعث له هذا الضيق ، فالله سبحانه وتعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة .

هناك معنى آخر : إنّ الله سبحانه وتعالى أمر ونهى وكلف ،

وأعطى الإنسان حرية الاختيار ، ولو أن الإنسان اتخذ قراراً خاطئاً وتابع خطاه إلى ما لا نهاية حتى جاءه الموت وهو متلبسٌ بالمعصية والكفر ، لاستحقَّ جهنم إلى أبد الآبدين ، هذا محض العدل ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى رحيمٌ يرَبِّي هذا العبد ، فلو أنَّه اتخذ قراراً خاطئاً وأراد أن يُؤدِّبه بعثه إلى عملٍ يستحقُّ عليه عقاباً شديداً . فإذا أراد ربُّك إنفاذ أمرٍ أخذ من كلِّ ذي لبِّ لُبَّهُ .

فمثلاً : إذا اتخذ إنسانٌ قراراً في أن يؤذي الناس ، كأن يَعْشَهُم في بضاعته ، وأن يغتصب بعض أموالهم ، وحاز هذا المال ؛ فلو أنَّ الله تركه إلى نهاية المطاف لاستحقَّ النار ، لكنه يتحرَّك حركةً خاطئة فيبعثه إلى عملٍ يستحقُّ عليه العقوبة كي يؤدَّب ، فقد قال تعالى :

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٧] .

إذا إنَّ الله تعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة إما تحقيقاً لاختيارهم ، أو تأديباً لهم ، أو مكافأةً لهم ، فلو أنَّ إنساناً أذى زكاة ماله يبعثه لشراء صفقة رابحة ، يُعوِّض عليه كلَّ ما دفع ، بينما إنسان آخر بخل أن يُزكِّي ماله يبعثه إلى صفقة خاسرة .

فالله عزَّ وجلَّ يبعث .. بالمعنى الأول يُحقق لك اختيارك ، وبالمعنى الثاني يُكافئك على حسن اختيارك أو يؤدِّبك على سوء اختيارك ، هذا التسيير الأول .. لتحقيق الاختيار .. أما الثاني فهو لدفع ثمن الاختيار .

التسيير الأول هو أن تحقق اختيارك .. أما التسيير الثاني فهو تسيير

تربوي ، فإما أن يشجع وإما أن يعاقب ، وهذا هو معنى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة .

يبعث من في القبور . . ينهضهم .

يبعث الأنبياء والمرسلين . . يرسلهم .

يبعث عباده على الأفعال المخصوصة . . أي يخلق الإرادات والدواعي في قلوبهم .

والمعنى الرابع . . أن الله سبحانه وتعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونة والإغاثة .

فالإنسان بين حالين لا ثالث لهما ، حال الاعتداد بالنفس كما حدث للصحابة الكرام يوم حنين فقد قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْيَجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ [التوبة : ٢٥] .
وحال الافتقار إلى الله مثلما حدث للصحابة الكرام في بدر ، فقد قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

أنت بين حال الاعتداد بالنفس أن تقول : أنا ، وبين حال الافتقار إلى الله أن تقول : الله ، إن قلت : أنا ، تخلى عنك ، ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ .

والحالة الثانية حال أن تقول : الله ، وعندها يتولأك الله بالرعاية والتوفيق . في حياة كل منا كل يوم عشرات الدروس ، إن قلت : أنا تخلى الله عنك ، وإن قلت : الله ، تولأك ورعاك وأيدك ونصرك وأعانك وألهمك وحفظك ودافع عنك ، شتان بين أن تقول : الله ،

وأن تقول : أنا ، ولا يخفى عليكم أن .. أنا ، ونحن ، ولي ،
وعندي أربع كلمات مهلكات ، فقد قال إبليس : أنا ، فأهلكه الله ،
في سورة ص مخاطباً ربه :

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] .

وقال قوم سبأ : « نحن » فأهلكهم الله تعالى :

﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٢٣] .

وقال فرعون : « لي » فأهلكه الله :

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] .

وقال قارون : « عندي » فأهلكه الله :

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨] .

فالمعنى الرابع .. أن الله سبحانه وتعالى يبعث عباده عند العجز
بالمعونة والإغاثة ، وعند الذنب بقبول التوبة .

هذا مجمل المعاني التي وردت في الكتاب والسنة عن اسم
الباعث ، وقيل : الباعث .. الذي يبعث مَنْ في القبور ، باعثُ
السَّاكِنِ ، ساكنُ يبعثه الله فيتحرك ، كلُّ شيء ساكن يبعثه الله
فيتحرك ، فالنبات في الشتاء ساكن يكون حطباً ، ويأتي الربيع
فيعثه الله فيزهر ويورق ويثمر ، بعض الحيوانات تنام في الشتاء فإذا
جاء فصل الربيع بعثها الله .

البذرة .. فيها رُشيم ، فيها جُذير ، فيها سُويق ، فيها حياة يمكن
أن تُخزنها آلاف السنوات ، القمح الذي وجد في الأهرامات زُرِعَ
فأنبت وقد مضى عليه ستة آلاف عام ، فلما وضعت هذه البذرة في
الأرض بعثها الله ، نبتت .

وهذا معنى اسم الباعث مطلقاً.. باعث الشيء الساكن، شيء ساكن فيتحرك.

باعث الهمم.. فالإنسان أحياناً تضعف نفسه، فإذا استعان بالله عز وجل أعطاه همّة، وأعطاه قوةً وأعطاه اندفاعاً، لذلك فالمؤمن الصادق يدعو ويقول:

« اللهم! تبرأت من حولي وقوّتي، والتجأت إلى حولك وقوّتك يا ذا القوّة المتين ».

يقول أحد العلماء: « الباعث ».. هو الذي يحيي الخلق يوم النشور، ويبعث من في القبور، ويحصّل ما في الصدور.

كلُّ أعمالك مسجّلةٌ عليك، سوف تُبعث ونراها أمامنا واحدةً واحدة فقد قال تعالى:

﴿ أَقْرَأْ كُتُبَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤].

والبعث هو النشأة الآخرة، فالنشأة الأولى في الدنيا، والنشأة الآخرة يوم القيامة.

قال بعض العلماء: « الإنسان أحياناً يتوهم أنّ الموت عدم، وأنّ البعث إيجاد ابتداء »، والحقيقة غير ذلك، الإنسان يموت ولكنه في القبر إما أن يكون من أهل النعيم، وإما أن يكون من أهل الجحيم، إما أن يكون القبر روضةً من رياض الجنة، وإما أن يكون القبر حفرةً من حفر النيران، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

الموت ليس فناءً ونهايةً ومن ثم يوم القيامة فيه بدءٌ جديدٌ، لا،

بل هناك حياة برزخية ، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ في فرعون وقومه يصفهم في قبورهم :

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦] .

مضى على عذابهم أكثر من ستَّة آلاف عام وإلى يوم القيامة غُدُوًّا وعشيًّا ، هذه الآية أصلٌ في عذاب القبر أو عذاب البرزخ مطلقاً .

الموتى إما أن يكونوا أشقياء ، وإما أن يكونوا سعداء ، إن كانت أعمالهم سيئة كانوا أشقياء في القبور وإلى يوم القيامة ، وإن كانت أعمالهم صالحة كانوا سعداء في القبور وإلى يوم القيامة ، لذلك فإن القبر روضةٌ من رياض الجنَّة ، أو حفرةٌ من حفر النيران .

ورد في بعض الآثار : « أَنَّ رُوحَ المَيِّتِ ترفرف فوق النعش تقول : يا أهلي ويا ولدي لا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حِلِّه ومن غير حِلِّه ، ثم خلفته لغيري فالمهناة له والتبعة عليّ فاحذروا ما حلَّ بي » .

عن أبي طلحة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ » . وعن أبي طلحة قال : « لما كان يومُ بدر ، وظهرَ عليهم نبيُّ الله - ﷺ - ، أَمَرَ ببضعةٍ وعشرين رجلاً - وفي رواية ؛ بأربعةٍ وعشرين رجلاً - من صناديد قُريش ، فألقوا في طَوِيِّ من أطواء خبيث مُخْبِث ، وكان إذا ظَهَرَ على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ ، فلما كان يبدو اليوم الثالث أَمَرَ بإراحته فشدَّ عليها رحلها ، ثم مَسَى ، وأتبعه أصحابه ، قالوا : ما نرى يَنطَلِقُ إلَّا لبعض حاجته ، حتَّى قام على شفة الركي ، فجعل يُناديهم بأسمائهم ،

وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسرُكم أنكم أظعنتم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال النبي - ﷺ - : والذي نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخاً ، وتصغيراً ، ونقمة ، وحسرة ، وندماً . [أخرجه البخاري ، ومسلم] .

قالت عائشة لما أمر النبي ﷺ يوم بدر بأولئك الرهط فألقوا في الطوى عبثه وأبو جهل وأصحابه وقف عليهم فقال : « جزاكم الله شراً من قوم نبي ما كان أسوأ الطرد وأشد التكدب » قالوا يا رسول الله : كيف تكلم قوماً جيئوا فقال : « ما أنتم بأنهم لقولي منهم أو لهم أفهم لقولي منكم » [مسند الإمام أحمد] .

إذا الإنسان يحيا والموت عملية انفصال نفسه عن جسده عن روحه . . روح الإنسان هي القوة المحركة ، وجسده وعاءه ، ونفسه ذاته . النفس خالدة إلى أبد الآبدين ، إما في جنات النعيم وإما في أعماق الجحيم ، فقد قال تعالى :

﴿ وَنَادَا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

فأنت خلقت لتبقى ، إما في نعيم مقيم وهذا ما نرجوه إن شاء الله تعالى ، وإما في جحيم لا تطاق ولا تحتمل ، فلذلك عندما يؤثر الإنسان الدنيا على الآخرة يكون أحمق وغيباً .

من آثر دنياه على آخرته خسرها معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحها معاً .

إني وجدت ما وعدني ربِّي حقاً ، فهل وجدْتُم ما وعد ربُّكم حقاً ؟
 خاطبهم.. رايـموند ماودي أَلَفَ كتاباً عنوانه الحياة بعد الموت ..
 وكان الباعث على تأليف هذا الكتاب أن مريضاً توقَّف قلبه أمداً طويلاً
 ثم عاد ونبض ، فذكر هذا الإنسان كيف أنه تصوَّر أعماله كُلِّها ،
 وكيف أنَّ نفسه ابتعدت عن جسده ، وكيف أنه ندم على أعماله
 السيئة ، هذا الوصف جعل مؤلَّف الكتاب يتحرَّك إلى أكثر المشافي ،
 وأراد أن يأخذ تقارير مشابهة عن هذه الحالات ، وقام بجمع هذه
 التقارير وألَّفها في كتاب .

والمُلخَص.. أنَّ الإنسان حينما يموت تبتعد نفسه عن جسده ،
 المؤمن يستعرض أعماله كُلِّها طوال حياته ، ويُقيِّم أعماله كُلِّها وفق
 مقياسٍ واحد هو مدى ما ينتفع بها عباد الله ، ويرى أن أعماله ولو
 عظمت إن لم ينتفع بها أحد فلا قيمة لها فإن خير عباد الله أنفعهم
 للناس .

فالإنسان حينما يُدقق ، أو حينما يعلمُ علم اليقين أنه سوف يدخل
 في القبر ، وأنَّ هذا القبر حياةٌ برزخيَّة تسبق الحياة الأُخرويَّة ، وأنَّ
 هذه الحياة في القبر نعيمٌ أو جحيم ، ينبغي أن يعدَّ ألف مرَّة قبل أن
 يقترب المعصية .

أحد الأئمة يقول : « الباعث.. هو الذي يبعث الخواطر الخفيَّة في
 الأسرار ، فمن دواعٍ ما يبعثها إلى الحسنات ، ومن دواعٍ ما يبعثها إلى
 السيئات » .

كما قلت قبل قليل.. العمل أساسه إرادة ، الإرادة تتحرَّك
 بالباعث ، والباعث هو الله سبحانه وتعالى يبعثنا إلى أعمالٍ اخترناها

صالحة ، أو إلى أعمالٍ اخترناها سيئة ، فلذلك قال الله عز وجل :

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ما هو الكسب ؟ أنت حينما تقول : أنا سأصلي ، هذا هو الباعث ، هذا هو الكسب . الله سبحانه وتعالى يُمدُّك بقوةٍ منه ، فالله جلّ جلاله حينما يراك تريد أن تُصلي يعينك على أداء الصلاة ، هو الذي يحقق أفعال العباد ، الأفعال بيد الله ، والإنسان يملك الانبعاث ، يملك الإرادة ، يملك الاختيار ، يملك الكسب ، وما سوى ذلك من خلق الله عز وجل ، وهذه هي العقيدة الصحيحة .

وقيل : « الباعث... هو الذي يبعث الهمم إلى الترقّي في ساحات التوحيد » .

فالإنسان أحياناً إذا وصل إلى مستوى معيّن ولم يتجاوزه إلى مستوى أعلى قد يصاب بالسأم والضجر والملل... من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، فقرار الهدى قرارٌ مستمرٌّ فكُلّما ازدادت علماً ارتقيت عند الله ، وكلّما ارتقيت عند الله ارتفع مستوى عملك ، وكلّما ارتفع مستوى عملك زاد إقبالك ، فهي سلسلة متتابعة ، فالذي يبقى في مرتبة واحدة هذا معرّض لأن يقول : مللت ، والله سبحانه وتعالى لا يملّ حتى تملّوا ، فإذا لم يكن هناك ازدياد علمي وازدياد عملي فلن يكون رقي حقيقي ، ولن يكون هناك عمل صالح ترقى به . وربّما انعكس هذا سلباً على مكانة الإنسان عند الله عز وجل .

وقيل : « الباعث... هو الذي يبعثك على عليّات الأمور » ، أي إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك .

الحقيقة أن هناك في الدين حقيقة خطيرة جداً ، أنت لا شيء ،

أنت ضعيف ، أنت فقير ، أنت جاهل ، ولكنك إذا أقبلت على الله أصبحت عالماً ، وإن أقبلت على الله عز وجل أمدك بقوة من عنده ، إن أقبلت على الله علمك مالم تكن تعلم .

فالإنسان بذاته ضعيف ، أما بالله فهو قوي ، بذاته جاهل ، أما بالله فهو عالم ، بذاته فقير ، أما بالله فهو غني .

وبعد فملخص التوحيد ألا ترى مع الله أحداً ، وألا ترى لنفسك شيئاً ، حينما تفتقر ذاك إلى الله ، تستحق كل مكربة . . . لذلك قالوا : الأبواب إلى الله كثيرة ، وباب الانكسار : هو أعظم هذه الأبواب ، فكلما ازدادت افتقاراً إلى الله ، رفعك الله إلى أعلى المراتب ، والأمر هو أمر متعلق بالتوحيد . كلما رأيت أن الله هو الإله العظيم الذي لا يند له وهو الواحد ، وهو المعطي ، هو المانع ، هو المغني ، هو الممد ، هو القابض ، هو الباسط ، هو المعز ، هو المذل ، تتوحد وجهتك .

وبعد . . . من أين يأتي الإخلاص ؟ من التوحيد ، هناك علاقة بين التوحيد والإخلاص ، كلما ازدادت توحيداً ازدادت إخلاصاً ، لأنه مادام هناك جهات أخرى تعطي وتمنع ، ترفع وتخفض ، تعز وتذل ، فأنت موزع بين ما تعتقده في هذه الجهات من أنها تعطي وتمنع ، أما إذا أيقنت قطعياً أن كل الجهات عاجزة وهي لا تعطي ولا تمنع ، لا ترفع ولا تخفض ، لا تعز ولا تذل ، وأيقنت أن الله هو وحده لا شريك له ، ويده كل شيء ، إليه يرجع الأمر كله ، فعندئذ تعبده وتتوكل عليه .

إذا . . . ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، قال الله عز وجل :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

أحد أكبر أسباب عذابات النفس ، أن تدعو مع الله إلهاً آخر ،
وأحد أكبر أسباب الخوف أن تشرك بالله مالم ينزل به سلطاناً ، فمثلاً
قال الله تعالى : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب : ٢٦] .

الرعب متعلق بالشرك ، فهذا قانون إلهي ، أنت تخاف بقدر
ما تبتعد عن التوحيد فإذا وحدت الله عز وجل نزع من قلبك الخوف ،
لأن أمرك كله بيد الله ، والله وليك ، فلا خوف ، ولا حزن . . ولذلك
فالإنسان إذا وحد أخلص ، وإذا أخلص ارتقت همته .

ورد : أن اصنع المعروف مع أهله ، ومع غير أهله ، فإن أصبت
أهلك أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله .

الموحد لا يعلّق أهمية على ردود فعل الناس ، أما غير الموحد
فإن أسدى إليهم معروفاً ولم يتلق منهم استحساناً أو ثناء يتألم ، أما
الموحد فإن أسدى إلى الناس معروفاً فهو يدرك أنه مافعل ذلك إلا
ابتغاء وجه الله . . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا
ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [الليل : ١٩-٢١] .

وبعد ، فليعلم المؤمن أن التوحيد طريق مختصر ، والإخلاص
مسرّع ، إلا أن التوحيد كلمة واحدة ، وتلخص الإيمان كله ،
وتلخص العمل كله ، وتلخص مجاهدة النفس والهوى كلها ،
والتوحيد ملخص معرفتك كلها بالله ، وهو الهدف الكبير لهذا الدين ،
والآية الكريمة تقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

إذاً : الباعث أيضاً هو الذي يبعثك على عليّات الأمور ، ويرفع عن قلبك وساوس الصدور ، وهذا من تعريفات اسم الباعث .

وقيل : « الباعث الذي يصفّي الأسرار عن الهوس ، ويسمو بالأفعال عن الدنس » ، أي أنّ الله عزّ وجلّ إن أقبلت عليه طهر قلبك من الأدران .

وإني لأذكر هذه الآية : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ ، فَأَجِدْ فِيهَا مَعْنًى دَقِيقاً شِفَاوَةً . . . ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِينَمَا قَالَ :

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ ﴾ الباء باء السبب أي بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد ، من خلال اتصالك بالله لنت لهم ، فلما لنت لهم التفوا حولك ، وأحبّوك وأقبلوا عليك .

لو أن الإنسان انقطع عن الله خلا قلبه من الرحمة ، فكان فظاً غليظاً ، فلما كان فظاً غليظاً انفصّ الناس من حوله ، فهل بالإمكان أن نستنبط قانوناً ؟ القانون : هو اتصال .. رحمة .. لين .. يعني التفاف من حولك ، انقطاع .. قسوة .. غلظة .. يعني انفصاضاً عنك ، هذا هو القانون .

إن اتصلت بالله عزّ وجلّ تستقر الرحمة في قلبك ، مُنْعَكِسُ هذا الرحمة لين ، وتواضع وإيناس وذوق ، عندئذٍ يجتمع الناس حولك ، فلو أن القلب أقفر من الاتصال بالله عزّ وجلّ ، أصبح قاسياً وعندئذٍ يصبح فظاً غليظاً ، وينفص الناس من حوله .

هناك حقيقة : هي أن الدعوة إلى الله ليست المعلومات وحدها ، بل هي الشرط اللازم لها ، إن المعلومات شرط لازم وغير كافٍ ، لكنّ القلب الكبير الذي يسع الخلق ، القلب الكبير الذي يرحم

الخلق ، والقلب الكبير الذي يتواضع للخلق ، القلب الكبير الذي يعطف على الخلق ، هذا القلب هو أساس الدعوة إلى الله ، لأن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أحبه حباً لا يوصف .

سيدنا ربيعة بن كعب الأسلمي حينما كان يخدم النبي ﷺ ، وانتهت خدمته ذات ليلة وأمره أن ينصرف ، بقي على عتبة داره حتى الفجر من شدة التعلق به ، مامعنى ذلك ؟ التعلق له علاقة بالكمال ، كلما كنت أكثر كمالاً تعلق الناس بك ، وكلما ابتعدت عن الله عز وجلّ انخفض مستوى الكمال ، وعندئذٍ ينفض الناس من حولك .

قيل : « الباعث هو الذي يبعثك على عليّات الأمور ويرفع عن قلبك وساوس الصدور ، والباعث هو الذي يصفّي الأسرار عن الهوس وينقي الأفعال من الدنس » .

وقيل « الباعث .. باعث الرسل بالأحكام ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وباعث الموتى بالقيام » .
قال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٦] .

وباعث النيام بيقظة الأجسام .. الإنسان ينام ، ماهو النوم ؟ موت مؤقت ، قال الله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] .

النوم موت مؤقت ، لهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه ، يقول :

« إِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنِيَّ وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، فَإِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ

الصَّالِحِينَ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي
وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ » . [سنن الترمذي] .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ يقول :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » [متفق عليه] .

وفي الآخر : « مامن يومٍ إلا وينادي يا ابن آدم ! أنا خلقٌ جديد ،
وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة » .

ولقد ورد في بعض الأدعية : أن لا بورك لي في طلوع شمس يومٍ
لم أزد فيه من الله علماً ، ولا بورك لي في طلوع شمس يومٍ ، لم
أزد فيه من الله قرباً ، والإنسان بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى
بضعٌ منه .

فالله هو الذي يبعثك من نومك ، فإذا استيقظ الإنسان ينبغي أن
يعلم أن الله سمح له أن يعيش يوماً جديداً . . إذا فهو يبعث الموتى ،
ويبعث الرسل ، ويبعث النيام ، ويبعث كل ساكن .

عند بعض العلماء تجد أن حقيقة البعث . . هي إحياء الموتى
بإنشائهم نشأة أخرى .

والحقيقة - كما أقول دائماً - أن أسماء الله سبحانه وتعالى محققة
كلها في الحياة الدنيا ، كلُّ الأسماء الحُسنى الكون مظهرٌ لها ، إلا أن
اسم العدل لا يتحقق كاملاً إلا في الدار الآخرة ؛ لأن الله سبحانه
وتعالى يبدأ الخلق ثم يعيده لتُجزى كل نفس بما كسبت .

في الدنيا قد يعاقب الله بعض المسيئين عقاباً تربوياً تأديبياً لبقية
المسيئين ، وقد يكافئ الله بعض المحسنين مكافأة تشجيعية لبقية
المحسنين ، ولكن قد تجد مسيئاً لا يعاقب ، ومحسناً لا يكافأ ، لأن الحياة

الدنيا دار عمل ، ودار ابتلاء ، ودار تكليف ، أما الجزاء الأوفى ،
والحساب الكامل ، والرصيد فهو في الآخرة .. قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

أي فأنت في دار عمل ، ثم هناك دار جزاء ، هنا عمل ولا جزاء ،
وفي الآخرة جزاء ولا عمل ، أنت في دار تكليف ، والآخرة دار
تشريف ، فإذا اختلطت عندك الأمور ، وإذا ظننت أن الدنيا دار
تشريف ، وأن القوي مكرم ، والغني مكرم ، وقعت في وهم كبير .
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرِ
ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْرَةِ مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ » .

[سنن الترمذي]

أنت في دار ابتلاء ، لا دار قرار ، الآخرة هي دار القرار ،
والآخرة هي دار الجزاء ، الآخرة هي دار النعيم ، الآخرة هي الدار
التي تُؤْتَى فيها ما تشتهي دون عمل .. قال تعالى :
﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] .

أما الدنيا فهي دار سعي ، لا بدّ من أن تسعى حتى تصل ،
لذلك الله عزّ وجلّ قال :

﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ ﴾ [النجم : ٣٩-٤٠] .

فحقيقة البعث عند بعض العلماء : هو أن الله سبحانه وتعالى يحيي
الموتى بإنشائهم نشأة أخرى .

وقد قيل : « الجهل هو الموت الأكبر » ، أي الجاهل يفعل في
نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، والعلم هو الحياة العليا ، أي
أعلى درجات الحياة أن تعرف الله ، وأدنى درجات الموت أن تجهله

فلا تعرفه ، وقد ذكر الله تعالى العلم والجهل في القرآن وسماهما ،
حياةً وموتاً : قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا
دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أي كنتم موتى بالجهل ثم أحياكم
بالعلم ، وكنتم موتى بالبعد وأحياكم بالقرب ، كنتم موتى بالضياع
فأحياكم بالوجدان ، كنتم موتى بالإدبار فأحياكم بالإقبال ، كنتم موتى
بالتفُّلُت فأحياكم بالانضباط .

لذلك فإن العلماء يقولون في تفسير هذه الآية : « إن أعلى درجات
الحياة أن تعرف الله وأن تتصل به » ، فقد قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

ليس مَنْ مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميتُ الأحياء
سيدنا علي يقول : « العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت
تحرس المال العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ، العلم
حاكم والمال محكوم عليه ، وصناعة المال تزول بزواله ومحبة العالم
دين يدان بها ، العلم يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدثة بعد
مماته ، مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ،
أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة » .

يقول أحد العلماء : « الجهل هو الموت الأكبر ، والعلم هو الحياة
العليا ، وقد ذكر الله تعالى الجهل والعلم في القرآن فسماهما حياةً
وموتاً » .

هناك معنى يضيفه أحد العلماء : « أنه مَنْ رَفَى إنساناً من الجهل
إلى العلم ، ومن البعد إلى القرب ، ومن الإدبار إلى الإقبال ، فقد

أنشأه نشأة أخرى ، هناك نشأة حيوانية : جسم ، قلب رثان معدة أمعاء فم سمع بصر يتحرك يأكل ينام يتزوج ، هذه حياة لا تليق بالإنسان ، إلا أن هناك حياة أرقى ، أن تفكر وأن تعرف الله وأن تعرف منهجه وأن تعرف من أين .. وإلى أين .. ولماذا ؟ هذا أكبر سؤال ، فعندما يعرف الإنسان سرَّ وجوده وغاية وجوده ويعرف ربّه ويعرف منهج ربّه ، وأن هذه الحياة حياة دنيا ، إعدادية لحياة عليا أبدية عندئذ يصبح في أعلى درجات الحياة .. قال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ .

قالوا : هذا هو التعليم الحق .. نقل الناس من الموت إلى الحياة ، من الجهل إلى العلم ، من الإدبار إلى الإقبال ، من الضياع إلى الوجدان ، فهذه رتبة الأنبياء والمرسلين ، ومن ينوب منابهم من العلماء الصادقين ؛ لذلك قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

اسم الباعث لم يرد في القرآن الكريم بصيغة الباعث ، ولكن ورد بصيغة الفعل .. قال الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٠] .

هذا الاسم ورد ﴿ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي أن تبعث من النوم إلى اليقظة ، وهو المعنى الأول ، وفي سورة النحل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ .

المعنى الثاني : إرسال الأنبياء .

وفي سورة الإسراء قال تعالى :

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ٧٨ ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿ [الإسراء : ٧٩-٧٨] .

وفي سورة الكهف قال تعالى عن أهل الكهف :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لِسُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف : ١٢] .

وفي الحج :

﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٧] .

المعاني كلها التي وردت عن اسم الباعث وردت في هذه الآيات . . وفي سورة التغابن قال تعالى :

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] .

ثم إن هناك نقطة دقيقة الدلالة ، فالله عز وجل عندما قال :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] .

من منا رأى هذه الحادثة ؟ لا أحد . لعل أحدهم يقول : لو أن الله عز وجل قال : ألم تصدق ، ألم تسمع ، بدل قوله : ألم تر .

العلماء قالوا : « إِنَّ إخبار الله عز وجل - لمصاديقته المطلقة - ينبغي أن يقع منك موقع الرؤية ، إن مصداقية الله عز وجل في أخباره ينبغي أن توقع هذه الأخبار منك موقع الرؤية ، بل إن الفعل الماضي الذي يستخدم في القرآن الكريم في التعبير عن المستقبل كقوله

تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة : ١١٦] .

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ .. هذا لم يقع بعد ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ﴾ ، استخدام الفعل الماضي من أجل أن يقع هذا الخبر في نفسك موقع الوقوع الحتمي اليقيني ، أتى أمر الله فعل ماض فلا تستعجلوه إذا : لم يأت . أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، الفعل الماضي حينما يعبر به عن المستقبل وحينما يقول الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ، أي يجب أن تقع أخبار الله التي أخبرك بها في كتابه موقع اليقين الشهودي .

بقي من البحث فقرة أخيرة وهي ما حَظُّ العبد من هذا الاسم الباعث ؟ كيف أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى ؟ والإنسان قبل أن يعرف الله ، ميتٌ ، فإذا أحيا قلبه بالمعرفة ، وباطاعة فكأنه تخلق بكمالات الله هذا أول معنى .. ففي الآية الكريمة قال تعالى : ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَمْ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

وفي سورة النحل قال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل : ٢] .

فالعبد إذا سعى لمعرفة الله ، وطاعته والإقبال عليه ، والاستنارة بنوره ، فقد بعث نفسه من الموت إلى الحياة ، هذا من تخلق أخلاق العبد باسم الباعث .

التخلق الثاني : المتخلق باسم الباعث ينبغي أن يبعث نفسه دائماً كما يريد مولاه فعلاً وقولاً ؛ أي أن تأتي أفعاله مطابقة لكتاب الله .

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ . [مسند الإمام أحمد] .

قالوا : الكون قرآنٌ صامت ، والقرآن كونٌ ناطق ، والنبي ﷺ قرآن يمشي .

فمن تطبيقات اسم الباعث على العباد أنه من تأدب العبد باسم الباعث أن يبعث نفسه بما يُرضي ربّه ، وأن يجعل أعماله متوافقة مع منهج ربّه .

الأدب الثالث : من أدب المؤمن مع اسم الباعث أنه إذا تحقق وأيقن ، أن الله سبحانه وتعالى يبعث الناس بعد الموت ثم يجزيهم بالثواب والعقاب ، فعندئذ يشغل وقته كله بطاعته ، والتزود للدار الآخرة وتصفّح أعماله ومحاسبة نفسه حساباً دقيقاً .

رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه وضع يده - يعني : اليمنى - تحت خدّه ثم قال : « اللهم ! قني عذابك يوم تبعث عبادك » [رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه] ، وكان ﷺ يقول عند الاستيقاظ : « الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » [متفق عليه] .

وأخيراً فملخص الملخص... اسم الباعث من أسماء الله الحسنى ، يبعث الله الرسل ، يبعث الله من في القبور ، يبعث الله العباد لأعمالٍ تحقق اختيارهم ثم تربيتهم ، ويبعث الله تعالى كلّ ساكن ، وأدب المؤمن مع الله عزّ وجلّ بالنسبة لهذا الاسم - كما ذكرت قبل قليل - أن يبعث نفسه دائماً كما يريد مولاه فعلاً وقولاً .

القادر والمقتدر

من أسماء الله الحُسنى القادر والمقتدر.. وهما اسمان من أسماء الله الحُسنى وردا في الأحاديث التي ذكرت أسماء الله الحُسنى . أكثر المصادر التي تحدّثت عن أسماء الله الحُسنى أوردت هذين الاسمين معاً في موضوع واحد ، إلا أنَّ بعضهم فصل ، لكنَّ أغلب المفسرين ودارسي هذا الموضوع جمعوا هذين الاسمين في موضوع واحد .

الحقيقة : القادر والمقتدر.. إما من القدرة أو من التقدير ، وفرق بين القدرة والتقدير ، القدرة القوة ، التقدير متعلّق بالعلم والمهارة ، فلذلك جاء في بعض المعاجم أنَّ القدير والقادر من صفات الله عزَّ وجلَّ ، يكونان من التقدير ويكونان من القدرة .

فمثلاً يجب على الطبيب أن يضع مريض الجراح في هذا المكان بالذات ، لو أخره قليلاً لانقطع العصب ولشّل الإنسان ، فوضع هذا المشروط في المكان المناسب من التقدير.. أمّا أن يحتاج الشيء إلى قدرةٍ قادرة.. هذا من القدرة ، فاسم القادر والقدير والمقتدر ترد إلى موضوعين ومنهما اشتقت ، من موضوع التقدير ، ومن موضوع القدرة .

العلماء لهم بعض الملاحظات حول الفرق بين هذين الاسمين . .
فالقادر هو الذي يقدر على إيجاد المعلوم وإعدام الموجود .

ومعلومٌ أنّ الكون كلّهُ ممكن الوجود ، فالذي أوجد الممكن هو الله عزّ وجلّ ، والذي سينهي هذا الممكن هو الله عزّ وجلّ ، هو قادرٌ على إيجاد المعلوم ، وإعدام الموجود .

أما المقتدر - كما قال العلماء - فهو الذي يقدر على إصلاح الخلائق على وجهٍ لا يقدر عليه إلا الله ، فأحياناً تشعر بمشكلة ليس لها حلّ ، لكنّ الله سبحانه وتعالى عنده حلها ، فهو مقتدر على أن يصلح الخلائق على وجهٍ لا يستطيعه إلا هو .

إذاً . . . القادر من مادة القُدرة ، فهو قادرٌ ذو قدرةٍ ومقدرة ، والقادر من التقدير ، وفي التنزيل ورد اسم القادر في آياتٍ كثيرة ، ففي سورة الأنعام قال تعالى :

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام : ٩١] .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ . . أي ما وصفوه حقّ صفته . وقدرُهُ : أي عرف قدرُهُ ، قدرُهُ من التقدير ، قدرُهُ من التعظيم ، ومنها ليلة القدر فقد قال تعالى :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ [القدر : ٢-١] .

والقادر . . أيضاً في صفة الله تعالى معناه المتمكّن من الفعل بلا واسطة ، نحن جميعاً نقدر على أن نصل إلى حلب في خمس ساعات عن طريق السيارة ، وفي نصف ساعة عن طريق الطائرة ، نقدر أن نقطف ثماراً عن طريق زرع نباتاتها ، نقدر أن نصل إلى الماء عن

طريق حفر البئر ، فالإنسان من خصائصه أنه ضعيف ، فإذا وصل إلى غايته فمن خلال وسيلة أو واسطة ، لذلك فالعلماء يقولون : « إِنَّ الْعِلَّةَ الْغَائِيَّةَ لَا تَلِيْقُ بِاللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

فنحن مقهورون بالوسيلة .. فإذا أردنا أن نرى الجرثوم نحتاج إلى مجهر ، وإذا أردنا أن نرى الكواكب البعيدة نحتاج إلى مرصد ، وإذا أردنا أن نصل إلى الماء نحتاج إلى حفر البئر ، إذا أردنا أن نأكل نحتاج إلى أن نزرع ، إذا أردنا أن نصل نحتاج إلى أن نركب ، فالإنسان الذي يصل إلى أهدافه عن طريق وسائل ووسائل ، هذا ليس مقتدرًا ولا قادراً ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

الإنسان ضعيف يكمل ضعفه بالأدوات .. الميكروسكوب يكمل به ضعف بصره ، والتليسكوب يكمل به قصر بصره ، والمركبة والقطار والطائرة يكمل بها بطء سيره ، والأداة التي بيده يكمل بها ضعف يده كالمفك ، هذه أدوات ووسائل ، فالله سبحانه وتعالى منزّه عن العلة الغائية ، منزّه عن أن يصل إلى أهدافه بوسيلة ، أما الإنسان فليس منزّهاً .. فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينًا ﴾ [الزمر : ٦٧] .

أيضاً قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : لماذا ينبغي للإنسان أن يعرف الله ، وأن يحبّه ؟ لأنّه قادر . . فالإنسان يحب القوي ، وأذكر مثلاً توضيحياً منتزعا من حياة الناس ، فإذا كان هناك إنسان قويّ تجد الناس ملتفتين حوله ويصادقونه ، ويدعونه إلى ولائهم ويهدونه الهدايا من أجل أن يطمئنوا إلى أنّهم على صلة معه .

فالإنسان يزيل عن نفسه الخوف والقلق باعتماده على قوي من بني البشر ، فكيف إذا كان اعتماده على الله خالق البشر ، الحقيقة : إنّ الإنسان يحبّ القويّ . والقويّ محترم ، وأقوى الأقوياء هو الله عزّ وجلّ ، لذلك سرّ قوّة المؤمن لا لأنّه قوي . هو أضعف الضعفاء ، لكنّه يحتمي بقوي .

فأحيانا تجد طفلاً صغيراً لا تستطيع أن تتكلّم معه بكلمة قاسية أو بحرف واحد لأنّ أباه كبير ، وإنّ الطفل ضعيف يمكن أن تضربه لكنك تخشى والده ، فهذا الطفل قويّ بأبيه لا بذاته ، المؤمن سرّ قوّته رغم ضعفه يشعر أنّه قويّ فهو مستمدّ قواه من قوة الله ، فإذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكّل على الله .

هناك نقطة دقيقة الدلالة . . وهي أنك لو احتككت مع مؤمن ترى معنوياته عالية جداً ، فما سر ذلك ؟ لا أحد من الناس يدعمه ، وليس معه مال كثير يعتمد عليه ، وليس حوله أناس يتكئ عليهم ، فما سر قوّته ؟ سرّ قوّته اتكاله على الله ، فإذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكّل على الله .

فَتَصَوَّرْ جيشاً ضخماً على رأسه قائد فذ ، وفي هذا الجيش ابن القائد ، برتبة جندي عادي ، وعلاقة الابن مع الأب متينة جداً ، فهذا

الجندي الذي أبوه قائد الجيش لا يخشى أحداً في هذا الجيش كله مهما علت الرُتب ؟

فحال المؤمن مع الله أنه يرى ويعلم أن كلَّ الخلق بيد الله ، وهو مع الله ، فسُرَّ معنوياته العالية آتيةً من هذه النقطة ، فقد قال تعالى على لسان أحد أنبيائه : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] .

وهكذا صار واضحاً أن الإنسان إذا شعر بالقوة يقوى على خصمه ، ويقوى على شهواته ، ويقوى على أعدائه ، أما إذا شعر بالضعف يصبح منافقاً ، فمع الضعف نفاق ، ومع الضعف كذب ، ومع الضعف مجاملة ، وكلام الضعيف كلامٌ مخزٍ تجده يتصاغر يتذلل يخنع ، الخنوع والتذلل والشعور بالنقص والخوف وبذل ماء الوجه سببه الشعور بالضعف ، لو كنت مع الله لرفعت رأسك دون كبر ، ودون استطالة على أحد ، ودون عدوان ، ولكنك تشعر أن الله معك وأن الله لن يتركك ولن يسلمك إلى خصومك .

ومعنى القادر أي ذو القدرة التامة الذي لا يُعجزه شيء ، ولا يتقيد بأسبابٍ أياً كانت . هو المَقْدَرُ بقضائه ، المدبِّرُ لشؤون الكون بقدره وحكمته ، فقد قال تعالى :

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴾ [المرسلات : ٢٣] .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] .

إن الإنسان قد تُجرَح يده ، فإذا تناول طعاماً فيه حمض شعر بلذعة في يده ، معنى ذلك أن الأعصاب مقدرةٌ تقديرًا دقيقاً جداً ، والإنسان له عينان يرى بهما ، فلو أن الرؤيا تضاعفت لرأى الجرائم وأنواع

البكتيريا في الماء فعاف شرب الماء ، ولرأى جلد وجه الأثنى كله نتؤات وأخاديد ، لكن .. ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

ولو أنَّ عتبة السمع ازدادت لسمع الإنسان حركة أمعائه ولم ينم الليل كله فبالأمعاء حركة ، فإذا وضع الإنسان أصبعه بأذنه انتقل الصوت عن طريق العظام فيجد دويًا كأنَّ معملًا بجسمه .

فالعين لها قدرٌ معلوم ، والأذن لها قدرٌ معلوم ، وحساسية الجلد لها قدرٌ معلوم .. ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

وقال تعالى أيضاً : قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ لِسِينًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْ حَتَّىٰ نُنْصِرُكَ أَلَا يَتْلُو الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿ [الأنعام : ٦٥] .

وهنا نقطة دقيقة... إذا كنت مع القدير تشعر بالقوة ، وإذا عرفت قدرة الله عزَّ وجلَّ تشعر بالضعف أمامه ، فهناك معنيان ضروريان .. أحياناً تغيب عن الإنسان قدرة الله عزَّ وجلَّ ، فيظلم الناس ويعتدي عليهم ويتحداهم ، ويأخذ ما في أيديهم ويهينهم ، فيأتي عقاب الله الرادع له ، فالإنسان إن اعتزَّ بالله شعر بالقوة ، وإن رأى قوَّة الله شعر بالضعف أمامه فتأدَّب بأدبه ، فأنت بحاجة إلى أن تعرف قدرة الله كي تقف عند حدِّك ، رحم الله عبداً عرف قدره فوقف عنده ولم يتعد طوره .

أحياناً ترى إنساناً يتناول ويطغى ويعتدي ، وكأنَّ الله غير موجود إطلاقاً ، وربنا عزَّ وجلَّ يقول :

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] .

فالذي يتحرَّك وكأنَّ الله غير موجود هو إنسان غبي وأحمق

وجاهل ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى سيبطش به وسيُحجِّمه وسيوقفه عند حدِّه ، أنت بحاجة إلى أن تعرف القدير من أجل أن تعتزَّ به وتقوى به ، وأن تستمدَّ منه القوة ، نعم ؛ أنت بحاجة وأقولها مرةً ثانية لتعرف الله القدير ، كي تتحجَّم وكي تقف عند حدِّك وكي لا تتعدى طورك .

لدينا الآن معنى سلبي ، وآخر إيجابي . . المعنى الإيجابي أنك تقوى بالله القدير ، والمعنى السلبي أنك تتحجَّم أمام الله القدير .

قال تعالى في سورة الإسراء :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۖ ﴾ [الإسراء : ٩٩] .

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ إِنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبرنا أنه سوف يعيد خلقنا ، وسوف تعرض علينا أعمالنا كُلُّها عملاً عملاً بكلِّ تفصيلاتها ، وسوف نحاسب على هذه الأعمال إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فإذا أنكرنا يوم البعث وأنَّ الله سيحيي من في القبور ، فهذا من ضعف تفكيرنا ، أليس ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۖ ﴾ .

وفي سورة الأحقاف قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لِيَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] .

وقد ورد في الأثر القدسي :

« أن يا عبدي خلقت لك السموات والأرض ولم أعي بخلقهن ، أفُيعيني رغيف أسوقه لك كلَّ حين ؟ لي عليك فريضة ولك عليَّ

رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي ، لم أخالفك في رزقك ، وعزّتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك ، فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البريّة ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموماً ، أنت تُريد وأنا أريد ، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد .

وفي سورة يس أيضاً قال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ فيجب أن نؤمن أنّ الله سيعيد خلقنا وسيحاسبنا ، وهذا أكبر رادع للإنسان يحميه من أن ينحرف .

وفي سورة القيامة قال تعالى :

﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة : ٤٠] .

وفي سورة الطارق قال تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ عَلَىٰ رَجَعِهِمْ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق : ٨] .

تلاحظ أيها المؤمن أنّ أكثر أسماء القادر وردت في قدرته على إحياء الموتى وبعث من في القبور ، ليحاسب الإنسان على أعماله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

إذاً القادر والمقتدر من القدرة والتقدير ، والتقدير أيّ التعظيم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ، والتقدير ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ .

أما القادرون جمع قادر فقد وردت في كتاب الله أربع مرّات ففي قوله تعالى :

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾ [المؤمنون : ١٨] .

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَتَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ .. بقدر حكيم ، بقدر دقيق .. ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ . تجد بلداً كلَّ قيمته بأنهاره فإذا جفَّت الأنهار انتهت قيمة هذا البلد ، مثلاً : دمشق كلها ما قيمتها لولا نبع الفيجة ؟ هذا النبع الذي يمدُّها بالماء على مدار العام ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ فالله عزَّ وجلَّ قادر على أن يعطي وقادر على أن يأخذ ، فإذا أعطى أدهش وإذا أخذ أدهش .

﴿وَأَنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُّهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون : ٩٥] .

أي أن الله عزَّ وجلَّ وعد المستقيم بحياة طيبة ، ووعد المنحرف والمعرض بمعيشة ضنك ، والله قادر على أن يُحقق وعده ووعيده لأنَّ الفعل بيده ، فلذلك أحد الأدلَّة الكبرى على أحقية القرآن الكريم أنَّ أفعال الله كلها تطابق أقواله في كتابه ، مطابقة أفعاله لأقواله شهادة منه بأنَّ هذا الكلام كلامه ، وقال تعالى :

﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ السَّعْيِ وَالْعَزَبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج : ٤٠] .

قادرين على كلِّ شيء .. فالله عزَّ وجلَّ تعلَّقت قدرته بكلِّ شيء . إذا توجَّهنا بسؤال إلى أطباء كثيرين فهناك أمراضٌ عُضال لا يُرجى شفاؤها ، وليس في علم الطب ما يشير إلى أنَّها تشفى ، وهناك حالات كثيرة تجد معها أنَّ المرض قد تراجع بلا سبب ، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ على لسان سيِّدنا إبراهيم :

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ﴾ [الشعراء : ٧٨-٨٠] .

شعور المؤمن أنَّ الله على كلِّ شيء قدير .

لي صديقٌ قد أصيب بورم خبيث في الرئتين وحكايته هذه منذ عشرين سنة تقريباً ، وأُخذت خزعة من رئته إلى كلّ المخابر حتى إنه قد أرسلت منها قطعة إلى بريطانيا للتحليل ، وجاء التشخيص : مرضٌ خبيث من الدرجة الخامسة ، ولا أمل في شفائه من مرضه أبداً إلا بزرع رئة في أمريكا ، ونجاح العملية نسبته عشرون في المئة ، وتكلفة هذه العملية ثمن بيته الذي يسكنه ولا يملك غيره ، وقد عاصرت القضية ، والذين فحصوا وحلّلوا وصوَّروا وشخصوا أعرفهم معرفة تامّة وكان قرارهم جميعاً أنّه لا أمل في الشفاء ، لكن المرض تراجع بعد حين تلقائياً وشفي المريض . وكيف تراجع هذا المرض تلقائياً والمريض الآن في صحّة جيّدة ولا يشكو شيئاً والحادثة منذ عشرين عاماً .

إذا اعتقدت جازماً أنّ الله على كلّ شيء قدير في كلّ موضوع ؛ يعطيك ، يغنيك ، يقوّيك ، يحفظك ، يؤيّدك ، ينصرك ، يشفيك ، يحميك ، إن اعتقدت ولم يساورك شك أنّ الله على كلّ شيء قدير ، فأنت في كنف الله ورحمته ورعايته ، وإن تعلّقت به ، وقطعت الآمال ممن سواه ، وتوجّهت إليه وأعرضت عن الخلق ، هذا هو الدين ، فالدين هو التوحيد الخالص وأن تقطع أملك من الخلق وأن تعلّق أملك بالحق ، أن تيأس من المخلوقين ، وأن تتطلّع إلى ربّ المخلوقين .

الإنسان له قدرة ، ولكنّها ناقصة ، ولماذا جعلها الله ناقصة ؟ ليكون مفتقراً في ضعفه ، سعيداً بافتقاره ، لو جعله قوياً لاستغنى بقوّته فشقي باستغنائه . فالإنسان ضعيفٌ ، فقد تجد إنساناً ملء

السمع والبصر ، خثرةٌ دمويةٌ في بعض شرايينه تجعله مشلولاً ، وخثرةٌ أخرى تجعله أعمى ، وخثرةٌ ثالثة يفقد ذاكرته ، فالإنسان ضعيف .

فلذلك الإنسان المؤمن لا يفتأ يقول : إن شاء الله ، وإن جاءه خير قال : هذا من فضل الله ، وإن نجح في عمله .. هذا بتوفيق الله ، وإن رزقه الله مالاً .. هذا من كرم الله ، وإن أدبه الله عزَّ وجلَّ .. هذا من رحمة الله ، هذا هو حال المؤمن .

الإنسان قدرته محدودة يكملها بأدوات ، والأدوات لا تفعل فعلها إلا أن يأذن الله لها .

أذكر حديثاً شريفاً وهو في غاية الدقة .. فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه :

« لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ » .

« لكلِّ داءٍ دواء » .. فتصور مريضاً يُعاني من مرضٍ قرأ هذا الحديث فبماذا يشعر ؟ يشعر بالثقة .. القضية سهلة ، فكلُّ داءٍ خلقه الله خلق له دواءً ، إذا قرأ هذا الحديث طبيب يشعر بالتقصير ، إذا كانت هناك أمراضٌ حتى الآن لم يكتشف لها دواء فهذا من تقصير الإنسان ، فهذا الحديث يحثُّ الطبيب على أن يكتشف الدواء ، ويطمئن المريض بأن لمرضه دواءً ، ثم يقول عليه الصلاة والسلام : « فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله » ، ففلاح الطبيب بتوفيق الله له أن يصيب في تشخيص المرض ووصف الدواء .

ليطمئن المريض وليثق الطبيب فإذا أُصيب دواء الداء ، أي إذا شُخص المرض صحيحاً وصف الدواء صحيحاً .

فإذا أُصيب دواء الداء برأ.. لكن بإذن الله.. فالله عزَّ وجلَّ لا يسمح للدواء أن يفعل فعله إلا بإذنه .

إن الله أعطى الإنسان قدرةً ناقصة ليفتقر.. إن الإنسان خلق هلوياً.. إن الإنسان خلق عجزاً.. وخلق الإنسان كذلك ضعيفاً ، وبهذه القدرة الناقصة يفعل ويفعل ويطغى ويطغى ، هذا الإنسان الضعيف الذي لا يملك زمام نفسه ولو ساعة ، لا يعرف فيها ما سيكون ، يتحدَّى ويطغى ويتكبر ويقول ويفعل ويقتل بلا رحمة ، كما نرى من أعدائنا الألداء كيف يقتلون الأبرياء والصغار ، الإنسان على ضعفه يجرم ويطغى ، فكيف إذا كان قوياً ؟

لهذا قيل : سبحان من قهر عباده بالموت ، فالموت يحل مليون مشكلة .

قال العلماء : ومن أدب المؤمن مع اسم القادر أن يستشعر حال ذكره هذا الاسم قدرة الله وتقديره وحكمته وتدبيره ، فيشعر بعبوديته وضعفه .

أول ما قلت لكم ، أنت أيها الإنسان بحاجة ماسة لأن تعرف من هو الله عزَّ وجلَّ ؟ من أجل أن تعرف من أنت أمامه ؟ أنت لا شيء.. فالذي يقول : أنا وأنا وينسى الكبير المتعال فقد سها وتعالى بغير حق ، بش العبد من سها ولها ونسي المبتدى والمتهى ، بش العبد عبداً عتاً وتجبَّر ونسي الجبَّار الأكبر .

فإذا عرف الإنسان التقدير وعرف القادر تحجَّج ، وإذا عرف عبوديته وافتقاره فعندئذ يرقى .

أما اسم المقتدر.. فنحن عندنا قاعدة لغوية وهي أنَّ كلَّ زيادة في

المبنى زيادة في المعنى ، فالقادر... أربعة حروف وهي : قاف ، ألف ، دال ، راء ، اسم فاعل .

أما المقتدر.. فهي خمسة حروف ، فالمقتدر حروفها أكثر إذا معناها أوسع ، والعلماء قالوا : هي مبالغة من اسم القادر ، فماذا تعني المبالغة إذا نسبت إلى الله عز وجل ؟ أي أن الله عز وجل على كل شيء قدير مهما تعددت الأشياء ، وقدير على أكبر شيء مهما كبر ، فإما المبالغة مبالغة عدد ، أو مبالغة نوع .

فإذا قلنا إن الله عز وجل فعَّال لما يريد.. فعَّال صيغة مبالغة أي مهما كان الفعل كبيراً يفعله الله ، ومهما كانت الأفعال كثيرة يفعلها الله كلها ، أما اسم المقتدر فيفيد معنى القادر مبالغة وأكثر تعظيماً ، المقتدر هو المستولي على كل شيء ، المقتدر على جميع الممكنات ، صاحب القدرة العظيمة ، المسيطر بقدرته البالغة على خلقه ، المتناهي في الاقتدار .

فمثلاً.. هل هناك في الأرض قوة مهما كبرت أن تزيح جبلاً كجبل قاسيون مئة كيلو متر ؟ فلو طلبنا من أكبر جهة هندسية أن تنقل لنا جبل قاسيون بأكمله من دمشق إلى حلب هل تستطيع ؟ مستحيل ، أما الله عز وجل فيقول : كن فيكون.. قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنُتَرِّنِي وَلَٰكِنِ أَنْظَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا ۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

فالله على كل شيء قدير .

وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتٌ يَمِينُهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ .

فقد قرأت مقالة عن بناء في ألمانيا مؤلف من عشرة طوابق ، ولا بد من أن يُهدم ليشق شارع مكانه ، فجاءت شركة وعرضت على صاحب البناء أن تأخذ منه نصف تكاليف البناء وأن تنقل البناء إلى مكان آخر ، وقد نقلوه ثلاثين متراً ، وبالفعل تم نقله فهذا شيء يكاد لا يصدق ، وشعرنا باندهاش ما بعده اندهاش من أجل بناء مؤلف من عشرة طوابق ، نقلوه ثم قاموا بوصل المياه والكهرباء بعد أن حرّكوه على أسطوانات وهيؤوا له أساسات ، وبذلك تم نقل البناء وأخذوا نصف تكاليفه .

أما الله عز وجل فهو على كل شيء قدير ، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ يَمِينُهُ﴾ .

وفي مجال السفن البحرية ، فهناك الآن سفن حمولتها مليون طن ، فقد قرأت عن بعض السفن أن قوتها تبلغ أكثر من ثلاثة آلاف حصان ، وهناك سفن تأخذ الفلزات من قارة أستراليا وتقوم بتصنيعها في الطريق وتنقلها إلى قارة أخرى وهي مصنعة ، هذه السفن العملاقة التي هي كالجبال ، موج بسيط يجعلها كريحشة في مهبّ الريح ، فبعض الأمواج يبلغ ارتفاعها أكثر من ثلاثين متراً ، بارتفاع بناء ، فهذه قدرة الله عز وجل .

أما في مجال الزلازل .. فهل تعلم أن مدينة بأكملها ابتلعها الأرض بفعل الزلزال في أربع ثوان ؟! .. ، فمدينة بالمغرب اسمها أغادير وهي مدينة سياحية وساحلية جميلة جداً ، وفيها من الفسق والفجور ما لا يوصف كنوادي العراة وغير ذلك من الموبقات ،

أصابها زلزالٌ وفي خلال أربع ثوانٍ أصبحت تحت الأرض ، وأبرز بناء فيها فندق من أضخم الفنادق في العالم ومؤلف من ثلاثين طابقاً ، أصبح الفندق بأكمله تحت الأرض وبقي اسمه الذي على الطابق الأخير كشاهدةٍ على هذا الفندق .

ففي ثانية واحدة تجد مدينة استغرق بناؤها خمسين عاماً يتلعتها الزلازل فيما يشبه لمح البصر ، ألا فلتعلم إذاً أن الله قدير وأن قدرته غير متناهية .

ويقولون عن مثلث برمودا . . إن سفناً عملاقة دخلت إليه فاختفت وليس لها أثر ، وكذلك الطائرات دخلت في محيطه فسقطت وليس لها أثر وحتى الآن يصعب عليهم تفسير ذلك ، ولا أحد يعلم ما سر هذا المثلث الواقع في المحيط الأطلسي - شمال شرق جزر الأنتيل - هناك أشياء يتحدّى الله بها عباده .

مدينة كان يسكنها الرومان حينما كانوا في أوج قوّتهم وسيطرتهم على العالم ، تقع بالقرب من سفح أحد جبال إيطاليا اسمه فيزوف ، يطل على هذه المدينة ، ثار في سفح الجبل بركان أرسل رماداً بركانياً حرارته ثمانمئة درجة وسمكه ثمانية أمتار غطى المدينة بأكملها بمن فيها كما غطى شوارعها وبيوتها وقصورها وحمّاماتها ، بدأ هذا البركان يثور بعد الظهيرة والطعام على الموائد ، وعندما غطى هذا الرماد البركاني هذه المدينة مات كل شيء فيها ، ولكن بعد حين أصبح هذا الرماد صخرياً ، وبعد مئة عام جاؤوا بهذه الصخور وثقبوها فوجدوا في داخلها فراغات فحقنوها بالجبس السائل ، ولما جفّ هذا الجبس وجدوا أشكال الناس فيه ، فأثّم مثلاً تنحني على ابنها ، كما

وجدوا أنواع الطعام الموضوعة على الموائد ، أناسٌ دفنهم البركان ،
وعلائم الهلع على وجوههم ، استطاع العلماء بهذه الوسيلة أن يروا
حالة مدينة أهلكها الله دفعةً واحدة ، حتى إن بعض النساء يأخذن
الحلي ليضعنها في صدورهن حفاظاً عليها ظناً منهن أنهن سيبقين على
قيد الحياة ، وعندني مقالات واضحة جداً تتحدث عن هذا الزلزال
وفيها تلك الصور ، فقدرة الله عز وجل لا نهاية لها .

المقتدر عظيم القدرة المسيطر بقدرته البالغة على خلقه ، المتمكن
بسلطانه .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا﴾ [الكهف : ٤٥] .

وقد ورد اسم المقتدر في آيات كثيرة من كتاب الله ففي سورة
القمر قال تعالى :

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْدِرٍ﴾ [القمر : ٤٢] .

انظر إلى صور الأعاصير في أمريكا ، فتجد إعصاراً يأتي على
مدينة بأكملها فيها معامل وبنيات وحدائق ومنتزهات وفيها آليات
ومركبات ، هذه المدينة على سعتها وضخامتها يذرها قاعاً صفصفاً
لا ترى فيها عوجاً. ولا أمتاً ، فسرعة الهواء ثمانمئة كيلو متراً في
الساعة ، نحن بحمد الله ليس في بلادنا رياحٌ مثل هذه الرياح
والأعاصير المدمرة التي لا تبقي على شيء أتت عليه إلا جعلته
كالرميم ، هذه كلها من آيات الله عز وجل . . ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْدِرٍ﴾ .

وقال تعالى : إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ
مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر : ٥٤-٥٥] .

وقال تعالى : ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ

بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا .

أوسع كلمة على الإطلاق في شمولية معناها كلمة شيء ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، وهنا قال تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا 》 . . والله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير .

وفي سورة الزخرف قال تعالى : ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ 》 .

فإذا شعر الإنسان أنَّ أحدًا قادر عليه تعامل معه بالحسنى ، فكيف إذا شعرت بأنَّ الله في كلِّ ثانية مقتدر عليك ؟

قال العلماء : من أدب المؤمن مع ربِّه في اسم المقتدر أن يستحضر قدرة الله دائماً أمامه .

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا : « اْعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ » ، فَالْتَفَتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ حُرٌّ لَوْجِهِ اللَّهِ ، فَقَالَ : « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكَ النَّارَ ، أَوْ لَمَسْتِكَ النَّارَ » . [صحيح مسلم] .

أوقف الحجاج رجلاً بين يديه ليقتله ، فقال له الرجل : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، أن تغفو عني .

فعندما يتحرك الإنسان ويعلم دائماً أنَّ الله على كل شيء قدير ، يكون في حركته رحمة .

كان عليه الصلاة والسلام يُعَلِّم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يُعَلِّم السورة من القرآن يقول :

« ... إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ... » .

[صحيح البخاري] .

أي أستعين بقدرتك على تحقيق هذا الأمر.. وأطلب منك أن تجعل لي يا رب قدرةً على المطلوب لأنِّي ضعيف .

ذكرت هذا الحديث لقول النبي ﷺ : « أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، » . فالإنسان ضعيف والله هو القدير .

آخر كلمة أقولها في موضوع اسم المقتدر والقادر : إن عرفت قدرته وقدره خضعت له ، واستعنت به ، واعتمدت عليه ، وتوكلت عليه ، فأصبحت أقوى الأقوياء ، وإن عرفت قدرته صغرت نفسك ووقفت عند حدها ، وافتقرت إليه وتحققت عبوديتك ، فأنت تعبد إن عرفته ، وتستعين به إن عرفته ، وهذا ملخص اسم القادر المقتدر .

* * *

الماجد والمجيد

من أسماء الله الحُسنى الماجد والمجيد .

فالماجد اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ورد في حديث رسول الله ﷺ الذي ذكر فيه أسماء الله الحُسنى عدداً وإحصاءً .

قبل أن نبدأ بشرح هذا الاسم الجليل ، ينبغي أن نعلم علم اليقين أن طبيعة النفس البشرية مفطورةٌ على حبِّ الكمال ، وأن أسماء الله الحُسنى أسماءٌ حُسنى كاملة ، فكمال الله عزَّ وجلَّ وفِطرة النفس التي فُطرت على حبِّ الكمال يتوافقان .

فلذلك لا يطمئن الإنسان ، ولا تقبل نفسه على الله إلا إذا رأى في الله الكمال المطلق ، ولكن الإنسان كماله نسبي يصيب كثيراً ويخطئ قليلاً ، ويبقى عند الناس كاملاً ، لكن الله سبحانه وتعالى كماله مطلق ، لذلك الشرُّ المطلق لا وجود له ، لأنه يتناقض مع وجود الله ، لكن الشرُّ النسبي يوظفه الله سبحانه وتعالى للخير المطلق .

فالماجد اسمٌ مشتقٌ من المجد ، والمجد في لغة العرب نهاية الشرف ، نهاية السمو ، نهاية الرفعة ، نهاية الكمال ، يقال : رجلٌ ماجد أي رجلٌ شريف له آباء متقدِّمون في الشرف .

كلمة الماجد معناها : من حيث النسب ؛ ينتمي إلى أشرف أسرة ، ومن حيث السلوك ؛ كثير الخير مفضل معطاء ، قربنا عز وجل كماله مطلق وفعله خير كله .

والماجد في حق الله تعالى المتناهي في الكمال والعز ، ونفس الإنسان تحبُّ الكمال ، لذلك النفس الإنسانية لا يملؤها إلا معرفة الله ، فلو أنها اختارت غير الله ، اختارت مادون الله ، فإنها تبقى في اضطراب ، لا تسكن ، ولا تستريح .

يمر الإنسان في مراحل من حياته في حالات متنوعة ، يطلب المال مثلاً فإذا بلغه وجمعه سقط من عينيه وأصبح شيئاً تافهاً ، يطلب اللذائذ فإذا اقتنصها صغرت في عينه ، أما إذا طلب الله سبحانه وتعالى ومهما جدَّ في الطلب فإنه يبقى سعيداً إلى أقصى درجة لأن الله لا نهائي ، لأن الله كماله مطلق .

لذلك هناك نقطة دقيقة . . الشاب يوصف بأنه يعيش أحلاماً ، وهو شاب في مقتبل العمر يتصور بيته ، ويتصور زوجته ، ويتصور عمله ، واختصاصه ومكانته ، فهو لا يزال شاباً ، ويسعده الحلم ، وتسعده الآمال ، فإذا وصل إلى حدوده القصوى ، أي إذا تزوج ، أو توظف ، أو اختار هذه الحرفة دون تلك ، وزاول العمل فيها فإن حياته أصبحت مغلقة ، محددة ، هذا بيته ، وهذه زوجته ، وهؤلاء أولاده ، وهذا دخله ، وهذه مكانته ، وهذه حرفته .

ومن ثم يشعر بالفراغ ، كما يشعر بالرتابة . . لذلك الناجحون في الحياة المادية من عجيب أمرهم أنهم ينصرفون بعد أن وصلوا إلى النجاح إلى الميسر أحياناً لأن حياتهم أصبحت مملة ، بلغوا

قمة النجاح ، ماذا بعد النجاح ؟ لا بُدَّ من التغيير .

فالإنسان إذا نجح في عمله ، وفي زواجه وكان بعيداً عن الله عزَّ وجلَّ معرفةً وسلوكاً ، فإنه يبحث عن لذائذ مستجدة ، فلذلك تراه ينحرف انحرافات خطيرة لا لأنه يحبها ، بل لأنه يجدد من خلالها حياته .

أما المؤمن فإذا عرف الله عزَّ وجلَّ فمعرفةً بالله تملأ نفسه إلى أبد الآبدين ، لأن النفس لا نهائية ، لا يملؤها إلا المطلق ، أما المحدود فلا يملؤها ، فهي أكبر ، فالدنيا محدودة ، والدنيا بكلِّ لذائذها محدودة ، فالشيء الثابت أن الإنسان يشتري بيتاً واسعاً ، في الأسبوعين الأولين أو الثلاثة يسعد به أشد السعادة ، أما بعد حين فيغدو لا معنى له ، يتزوج أجمل امرأة ، ثم لا يلبث أن يركب أفخر مركبة ، وبعد حين تجده في سأم وفطور وتناقص ، الأشياء الدنيوية محدودة ، والنفس لا محدودة ، فإذا طلبت السعادة في المحدود لن تجدها ، وما سوى الله محدود ، أجل كلِّ ما سوى الله كَلَّ محدود ، كلُّ شيء ما سوى الله يخبو بريقه ، تتناقص لذته ، تتناقص ثمرته .

إذاً إن أردت الله فأنت في سعادةٍ متنامية ، وإن أردت ما سوى الله فأنت في سعادةٍ متناقصة ، إذاً فالمشكلة ليست مع الشاب فقط ، بل ومع كل إنسانٍ ولو بلغ كهولته وتوضحت معالم حياته وتحددت ، إنَّ نفسه لا نهائية ، فإن أراد المحدود وتعلقت نفسه به ، وقع في الحيرة وفي الضجر ، فإما أن ينحرف ، وإما أن يهديه الله إليه .

فالماجد في حق الله تعالى هو المتناهي في الكمال والعزَّ ، له الجمال في الأوصاف والأفعال ، الذي يعامل عباده بالكرم والجود

ويتجلى لهم بنور الوداد ، ماجد وذاته ماجدة ، أفعاله كريمة ، مودته لعباده بالغة ، ومن كلمات الدعاء : اللهم أنت الماجد المجيد ، الفعال لما يريد ، نسألك الأمن يوم الوعيد ، أنت الماجد المجيد .

ومن الحقائق التي لا تخفى أن الإنسان إذا أحب شيئاً تغنى به ، فإذا أنت أحببت صديقاً فلتراقب نفسك خلال شهر مثلاً ، فأينما جلست تتحدث عنه وأنت لاتشعر ، فمن أحب شيئاً تغنى به ، ومن أحب الله تغنى بكماله ، والثناء على الله عز وجل مسعد ، الله عز وجل عنده كل شيء يسعدك فيه ، إذا أقبلت عليه أسعدك .

ذكرت في بعض الأبحاث نقطة دقيقة خلاصتها أن الدعاء وسيلة ، والدعاء غاية ، هو وسيلة لأنه سلاح بيدك ، أما كونه غاية فلأنك لمجرد أن تدعو الله وتتصل به فأنت أسعد الناس ، فإذا كان إقبالك على الدعاء ضعيفاً يخلق الله لك حاجة عنده من أجل أن تدعوه فإذا دعوته اتصلت به وسعدت بقربه .

الماجد هو الواسع الكرم ، الغني المغني .

فقد أردت أن أقيس وقائع هذه القصة على حالنا . أنت ماذا فعلت من أجل الله الذي سخر لك الوجود ، أعطاك الحواس الخمس ، أعطاك العقل ، أعطاك الأعضاء ، أعطاك زوجة أبدعها لك أجمل إبداع وأحسنه ، أعطاك بيتاً ، وأولاداً ومكانة ، أمدك بكل ما تحتاج ثم هداك إليه . . فأنت ماذا قدّمت ؟ قال الله تعالى :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] .

أنت موجود فقد قال الله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ۖ فِي أَيِّ

صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٧-٨] .

وجعلك مكرماً.. دخلت منذ يومين إلى مشتل فواجهتني لوحة يبلغ ارتفاعها من الأرض إلى ارتفاع المنبر ، ورأيت فيها صفّاً فيه ثلاثون صورة عرضاً ، وفيه تسعون صورة طولاً ، كلّ صورة تمثل نوعاً من النبات خلقه الله تعالى خصّيصاً لك لتمتع عينيك بهذا النبات ، هذا النبات نبات زينة لا يؤكل ولا يشرب لكنه مخلوق لتمتع عينيك به ، أنواع لا تعدّ ولا تحصى ، كم نوع من الورود ومن نباتات الزينة ، من ألوان الأطعمة من ألوان الفواكه ، من أنواع الأطيّار ، هذا كلّ مخلوق للإنسان فقد قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فلذلك تجد الإنسان أحياناً يسأل نفسه : الله عزّ وجلّ منحك نعماً كثيرة.. نعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد ، أنت ماذا فعلت لخلقه ؟ .. أكبر سؤال ينبغي أن تسأل نفسك عنه ماذا فعلت من أجل ربي ؟ ماذا فعلت إرضاءً لربي ؟ .

في الأعم الأغلب يأتي اسم الماجد بعد اسم الواجد.. الواجد هو الغني ، والماجد هو المغني ، أي غني مُغنٍ ، أما في بني البشر فهناك غني غير مغنٍ ، حريصٌ على المال يكدسه أكداً ، يعيش فقيراً ليموت غنياً ، وهذا من أندم الناس.. وبالمناسبة.. المال قوة ، وبالمال بإمكانك أن تصل به إلى أعلى درجات الجنان .

ذات مرة سألني أخٌ سؤالاً دقيقاً ، قال لي : هل هناك من حرج في أن ننفق على معيشتنا أموالاً طائلة بغير حساب ، مادماً نوذّي زكاة

أموالنا ، لا نفتقر إنمّا ؟ فقلت : أنا لن أجيبك بكلمة واحدة بنعم أو لا ، بل سأذكر لك مثلاً :

لو أنّ إنساناً معه مئة مليون ، وعلم أن شركة استثمارية تعطي ربما على الليرة الواحدة (مثلاً) ملياراً - وهذا الكلام كلام افتراضي - ربح بكل ليرة ملياراً ، وأنت معك مئة مليون ، فهل تغامر وتشتري بأربعين مليوناً سيارة ، وبستين مليوناً بيتاً وتمكث دون أكل ؟ ، أم أنك تشتري بيتاً بعشرة ملايين ليرة ، وسيارة بمليونين ، وتضع باقي المبلغ بالاستثمار ، فالأرباح مغرية ، وكلُّ ليرة تربح ملياراً ؟ إن الذي معه كتلة نقدية يمكن أن يعيش حياة معقولة مكرّمة ، ثمّ إذا كان عنده فائض من ذاك المال فلينفقه في طاعة الله ، فهذا الفائض في الآخرة . كلُّ ليرة منه بمليار ، كلُّ ليرة تعود عليه بألف مليار ، كلُّ ليرة بمليار مليار هذا في الآخرة ، فهل من المعقول أن أستهلك الفائض النقدي كله في النفقة اليومية ؟ لا . . . فالقضية هذه قضية تجارية ، الذي يمتلك كتلة نقدية زائدة من الممكن أن يصل بها في الجنة إلى أعلى عليين .

فلإنسان حق أن يأكل ويشرب ويسكن ويركب باعتدال ، وما زاد على حاجاته بإمكانه أن ينفقه في مرضاة الله ، وسيرى اللقمة إذا أطعمها فقيراً في سبيل الله كجبل أحد يوم القيامة ، فهذه اللقمة الواحدة إذا أطعمتها معوزاً ، فلو قلت إذا إنّ الليرة أعطت ربحاً ملياراً فإن الكلام معقول ، حجم جبل مقابل حجم لقمة يفوق المليار .

فالواجد الماجد الغني المغني هو الله ، والله عزّ وجلّ إذا أعطى أدهش ، فقد أعطاك صحة . . يقول لك الطبيب هذا الدسّام مثلاً ثمنه ثمانون ألفاً تكلفة العملية أربعمئة وخمسون ألفاً ، زرع كبد سبعة

ملايين ، زرع كلية ثمانمئة ألف . . فإذا عافاك الله عزَّ وجلَّ ، فأنت إذاً تملك ألف مليون وأنت ماشٍ على رجليك ، حواس خمس ، جهاز هضم ، وجهاز دوران ، وجهاز تنفس ، وجهاز طرح الفضلات ، وجهاز تصفية ، وأعصاب ، وعضلات ، وهيكَل عظمي ، وعقل في رأسك ، وجلد سليم ، معنى ذلك أنَّ ثمنك يعدل ألف مليون ، فإذا أنعم الله عزَّ وجلَّ عليك بالصحة فقد أعطاك شيئاً ثميناً ، والصحة تنتهي عند الموت ، فعلى قَدْرِ ما كنت معتنياً بصحتك يتحاشا عنك المرض إلى حين ، إلا أن الموت لا بدَّ آتٍ ذات يوم .

قرأت ذات مرة أن مغنياً لم يركب طائرة في حياته ، خوفاً من أن يموت في حادث طيران ، أَكَلَهُ أَكُلٌّ مدهشٌ فيوماً يأكل سمكاً ، ويوماً يأكل دجاجاً ، مساءً فواكه متنوعة ، أعتقد أنه عاش إلى التسعين ، لكن بعد كلِّ هذا العمر مات ، ولقد قرأت عنه مقالة أن عنايته بصحته لا توصف ، شيء مثل الخيال ، ومع ذلك مات ، معنى ذلك أن الموت يأتي على كل إنسان حتى الأصحاء ، فما الذي يبقى ؟ العمل الصالح ، لذلك أعظمُ نعمة ، نعمة الهدى ، ثم الصحة ، ثم الكفاية ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

« . . . مَنْ أَضْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، آمِناً فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا . . . » [سنن ابن ماجه] .

اسم الماجد لم يرد في القرآن الكريم ، إلا أن الذي ورد هو المجيد ، وبعد قليل تنتقل إلى اسم المجيد إن شاء الله ، فالماجد أي رفيع الشرف ، المتناهي بالمجد والكمال ، الواسع العطاء الغني ، المغني . المغني هذا هو الماجد . . أنت كمؤمن ماعلاقتك بهذا الاسم ؟

فالمؤمن وهذا كلام دقيق جداً.. لأنه عرف الله ، كلُّ حياته عطاء ، يعطي من وقته ، من جهده ، ومن ماله ، ومن خبراته يعطي كلَّ شيء فالأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، إلا أن هذا العطاء أساسه إيمان ، يُعِدُّه صاحبه لاجتياز عقبات الآخرة ، فالمؤمن طموح جداً ، فإذا إنسان خدمك خدمة وقال لك : أريد عليها مئة ألف ، هناك أشخاص يأخذون الأجر المكافئ لجهدهم تماماً ، فإنه يعرف قيمة جهده يقول لك : إن هذه العملية تكلف أربعمئة وخمسين ألفاً ، لو افترضنا أن إنساناً فعلها لوجه الله . أيهما أكثر طموحاً ؟ الثاني الذي فعلها لوجه الله لأن الله عزَّ وجلَّ يعطيه عطاء لا يخطر على قلب بشر يوم القيامة ، فأساس الإيمان مبنيٌّ على العطاء لا على الأخذ ، تعيش وتأكل وتشرب وتزوّج أولادك ، أما أساس إيمانك فإن تعطي مما أعطاك الله ، لذلك الله عزَّ وجلَّ قال :

﴿الْعَمَلُ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُمْنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة : ٣-١] .

أي إن أحد أركان حياة المؤمن ، أحد سماته الأساسية ، أحد ركائز حياته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ لكنك تعامل من ؟ تعامل الكريم ، يعطيك عطاء لا يصدق ، أولاً : يعطيك في الدنيا رحمته وهي تشمل الصحة ، وتشمل راحة البال ، وتشمل الرفعة ، والطمأنينة والثقة بالمستقبل ، أما الكافر فكثيراً ما ترتعد فرائضه خوفاً من تقلبات الأيام وعثرات الزمان ، مهما كان غنياً ، فحسبه بؤساً أن سَلَبَهُ نعمة الأمن فقد قال تعالى :

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيْمَنَهُمْ يَظُنُّ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨١-٨٢﴾ [الأنعام : ٨١-٨٢] .

الله يعطيك المال وقد يأخذ منك نعمة الأمن ، ويأخذ منك نعمة راحة البال ، يأخذ منك نعمة الطمأنينة ، يأخذ منك السعادة ، تعيش في لذائد متناقصة تعقبها كآبات متنامية .

فالله عزَّ وجلَّ قال :

﴿ وَرَحِمْتُ رَبِّيكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر : ٢] .

فأنت كمؤمن إذا عرفت أن الله ماجد أي غنيٌّ مُغْنٍ ، متناهٍ في الشرف والرفعة والمجد ، وهو يعطي عطاءً لا نهائياً ، إذا فَتَخَلَّقَ بكمالات الله .

فحظ العبد من هذا الاسم أن يعامل الخلق بالصفح والإحسان ، والعتو والإكرام ، واللين والبشاشة ، وتجنَّب الشقاق ، وأن يعطي من ماله للفقراء ، وأن يتواضع مع الخلق ، وأن يرفق بالضعفاء ، وأن يعامل الناس كأنهم أهله وجيرانه .

فأنت عليك أن تَتَخَلَّقَ بكمالات الله . . بالمناسبة دائماً عندما نضع قطعة من الحديد تحت أشعة الشمس ، تكتسب منها شيئاً فتكتسب الحرارة ، ثمَّ ضع هذه القطعة في البراد تجدها باردة ، معنى ذلك أن هذه القطعة اكتسبت من هذه الثلاجة البرودة كما اكتسبت من الشمس الساطعة الحرارة . . أنت إذا اتصلت بالله فلا بد أن تكتسب شيئاً !! فقطعة حديد لا يعقل إن وضعتها تحت أشعة الشمس إلا أن تكتسب الحرارة ، وإن وضعتها في ثلاجة إلا أن تكتسب البرودة ، وأنت إذا اتصلت بالله ألا يجب أن تكتسب منه شيئاً ؟ فالصلاة التي هي عماد

الدين وعصام اليقين ودرة الطاعات ، وأعظم القربات ، هذه الصلاة من أجل أن تكتسب الكمال من الله ، لا يمكن أن تكون صلاتك صحيحة وتكون بخيلاً ، معنى ذلك أنك غير متصل بالله ، لا يمكن أن تكون الصلاة صحيحة وتكون جباناً ، لا يمكن أن تكون الصلاة صحيحة وأنت حقود ، هذا شيء مستحيل حقد ، جبن ، بخل ، لؤم ، قسوة ، قلب قاسٍ لا يرقى للناس هذا كله يتناقض مع الصلاة .

فقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .. أي أكبر ما فيها . . . فلذلك إذا أنت اتصلت بالله يجب أن تشتق لنفسك من اسمه صفة الكرم ، فإنك إذا خرجت من البيت ساعياً لعملك فالتقيت بإنسان وسألك أجبتة ، أو طلب إعانة أعتته ، أو وجدته ضالاً هديته ، أو وجدته فقيراً أغنيته ، همك الأول أن تسعد خلق الله عز وجل .

فأضربُ أمثلة من واقع الحياة . . أنت راكب في سيارة عامة وبجانبك صديق فدفعت عنه ، فهل يظل ساكناً ولا يتحرك نحوك شاكراً لك ، أم يتسّم ولا يقول لك شكراً؟ فهل من المعقول أن تدفع ثلاث ليرات بهذه السيارة العامة ولا يلتفت لك شاكراً ، مهما كان لثيماً ، مهما كان عديم الإحساس ، مهما كان جلفاً ، وهل من الممكن أن تدفع عن إنسان بمركبة عامة ولا يتسّم لك ويقول لك شكراً؟! وهل من الممكن أن تهدي إنساناً هدية ويأخذها ويضعها بجواره ويقول لك : خير . نعم . ويبقى صامتاً ، لا بل سوف يقول

لك شكراً لقد كلفت نفسك من أجلي.. إنك لن تجد إنساناً تصنع معه معروفاً ، إلاّ ويكون له ردّ فعل حميد نحوك ، لن تجد إنساناً مهما كان لئيماً ، مهما كان موقعه منك وقدمت له شيئاً إلاّ ويقدم لك شيئاً بالمقابل ، فلو قلت له كلمة طيبة ، لردّ عليك بكلمة طيبة ، لو ابتسمت له ابتسامة ، سيبتسم لك ابتسامة مثلها ، لو صافحته مصافحة حارة لردّ بمصافحة حارة مثلها أو أحسن منها .

فخالق الأكوان ذو الكمال المطلق إذا أنت خطبت وده بالتوبة ، وخطبت وده بالطاعة ، خطبت وده بالعمل الصالح ، إن خطبت وده بالإحسان إلى خلقه ، وجدت جزاء ذلك عنده ، فهل من الممكن أن تتقرب إلى الله ولا تجد ردّ فعل من الله؟! مستحيل.. فإذا الإنسان أحسن إلى خلق الله سوف يجد في نفسه الطمأنينة ، والسعادة ، والتوفيق ، والحفظ ، والتأييد ، سوف يجد تكريماً ، والتكريم شيء استثنائي ، شيء مستثنى من معاملة عامة الناس ، مستثنى من القواعد العامة التي تحكم البشر ، هذه الكرامة دليل أن الله قبل هذا العمل .

أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئَ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَذْفَعُ عَنْ مِيتَةِ الشَّوْءِ » [سنن الترمذي] .

التعامل بهذا الدين كما قلت مراراً تجارة رابحة.. كيف تكون التجارة؟ ما أكثر ما يكون فيها من جهد ونشاط؟ بدءاً من شراء المحل ، وترتين المحل ، وترتيب المحل ، وتعيين الموظفين ، وشراء مستودعات ، وفتح اعتمادات ، واستيراد بضاعة ، وعرض البضاعة ، ومندوب مبيعات ، ومندوب مشتريات ، والتسويق ، وبعد هذا قبض ثمن البضاعة ثم صفقة ثانية وثالثة إلخ... هذا النشاط

الطويل العريض إذا لم ينتهِ بريح فهو سلوك مضحك لا معنى له ،
للتجارة هدفٌ واحد هو تحقيق الربح ، فإذا لم يتحقق الربح فكل هذا
النشاط لا معنى له ، جهد ضائع وهو جهد غير ذي معنى .

فلو طبقنا ذلك على الدين . . قرأنا قرآنًا ، صلينا وصمنا وحججنا
وزكَّينا ، وحضرنا مجالس العلم ، وكانت عندنا مكتبة إسلامية ،
والكتاب الفلاني لابن فلان ، وغيره لفلان الفلاني وهكذا ، والطبعة
حديثة ، أحاديث الكتاب مخرَّجة ، هذا الكاتب رد عليه فلان هذا هو
النشاط الديني ، بين مطالعة وتأليف واستماع إلى أشرطة ، بين حضور
مجالس للعلم وبين أداء الصلوات ؛ هذا النشاط كلّهُ إجمالاً ، إذا لم
ينتهِ بك إلى أن تتصل بالله وأن تسعد بقربه لا معنى له إطلاقاً .

فأصبح الدين اليوم لدى الكثيرين من المسلمين ثقافة وفلوكلور
وتقاليد وعادات ، وعاطفة جوفاء وهم بذلك يخدعون أنفسهم
ويوردونها الموارد الآسنة ، أما حينما تتصل بالله وتقطف ثمار
القرب ، وتجنّي سعادة القرب والطمأنينة ، فعندئذ أنت متدين ،
المشكلة في الدين : أنك لن تستطيع أن تتصل بالله إلا إذا كنت
مستقيماً على أمره ، هذا هو بيت القصيد ، لكي لا يضيع الإنسان
وقته ، ولكي يتحرك العبد حركة ناجحة ، ولكي لا يبدد نشاطه في
حركة غير نافعة ، عليه أن يدرك حقيقة علاقته بالله تعالى ثم يخلص له
العبادة .

ملخص الملخص يجب أن تعرفه وأن تستقيم على أمره حتى تسعد
بقربه ، هذه هي العبادة فقد قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

تعرفه ، تطيعه ، تسعد بقربه ، وانتهى الأمر إلى رضوان الله ولا شيء غير ذلك .

شيء آخر . . من لوازم هذا الاسم ، أدب المؤمن مع هذا الاسم ، أن ترتفع همّته عن الخلائق ، فما دام الله كماله مطلق وعطاؤه مطلق ، دع الخلق إلى الخالق ، دعهم ، تجد الإنسان المنافق والمنحرف أرضياً مع الناس ، أما المؤمن فهو تارك الناس ، وملتفت إلى رب الناس ، هناك شيء أساسي في حياته . فالله هو الأصل والغاية .

أحياناً تدخل إلى دائرة لتقابل فلاناً المسؤول ، وقد تجد في الممشى مئة شخص ، وخمسين باباً مفتوحاً ، وخمسين موظفاً جالساً لا تريد أحداً منهم ، لكن تريد المدير العام فقط ، هدفك واحد فقط وكل هؤلاء الذين في دربك تتجاوزهم والمؤمن كذلك هدفه الوصول إلى الله تعالى .

قيل : علاقة المؤمن بهذا الاسم : أن ترتفع همّته عن الخلائق مع تعلّقه بمولاه ، فمن عرف أن الله هو الواجد الماجد سمت همته إليه واعتمد عليه في كل الأمور ، أي أن المؤمن ربّاني ، والمنافق شيطاني .

الحديث القدسي : « ... إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعِمْكُمْ ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا

أَدْخَلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّكُمْ
إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا
نَفْسَهُ » [صحيح مسلم] .

وأنقل هنا إلى اسم آخر قريب من هذا الاسم وهو اسم المجيد .
الماجد على وزن فاعل ، أما المجيد فهو على وزن فاعيل ، المجيد
صيغة مبالغة ، أي سامع وسميع ، ماجد ومجيد ، حافظ وحفيظ ،
وزن فاعيل من أوزان صيغ المبالغة .

وإذا قلنا مبالغة في حق الله عز وجل ، فهذه المبالغة كما وكيفاً ،
إذا قلنا إن الله عز وجل مجيد أي يتناهى في الرفع في كل صفاته هذا
معنى المبالغة . أما المبالغة النوعية فالله على كل شيء قدير مهما بدا
الشيء كبيراً ، وعلى الأشياء كلها قدير مهما كثرت ، ومهما كبرت .

في اسم المجيد قالوا : المجد هو الشرف ، لكن شرف الذات إذا
قارنه حسنُ الفاعل سمي مجداً .

مثلاً : إنسان درسنا نسيه فإذا هو ينتمي إلى أرقى أسرة لكن أفعاله
سيئة لا يسمى ماجداً ، إنسان آخر أعماله طيبة لكن لا نعرف أصله
ولا الأسرة التي ينتمي إليها ولا ماضيه . فهو إذاً ماجد ، أسرع به
عمله ، ولو بطأ به نسيه . شرف الذات إذا قارنه حسن الفاعل سمي
مجداً ، والمجد المروءة والسخاء والكرم وكرم الفاعل .

سيدنا سعد بن عبادة كان يقول : اللهم هب لي حمداً ومجداً ،
لا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يصلحني القليل ،
ولا أصلح عليه .

كلام دقيق . . إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى ، فإذا أفقرته

أفسدت عليه دينه ، وبعض الناس مقاومته هشة إذا أغناه الله يعصيه على الفور ، أي أنه على الدخل الكبير يرتكب الموبقات ، أما على الدخل المحدود مستقيم ، « وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه » إلا أن الآية الكريمة تعطيك قاعدة عامة وثابتة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُزِيلُ يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٢٧] .

معنى ذلك أن الله عز وجل إذا قلل ، فإنه يقلل تقليل تأديب لا تقليل عجز ، إذا وجدت الأمطار قد شحّت ، والموارد قلّت ، والأعمال أصبحت عسيرة ، والأمور غير ميسرة ، معنى ذلك أنه تضيق من الله عز وجل ، وهذا التقليل لا يمكن أن يكون تقليل عجز إلا أنه تقليل تأديب .

إذا قطعوا مرافق الماء عن بيوتنا فالسبب أن المياه غير كافية ، هذا تقليل عجز ، إذا قطعت الكهرباء باليوم ساعة معنى ذلك يوجد عجز ، أما إذا الله عز وجل قلل الموارد فلا يمكن أن يكون عجزاً ، لأن الله عنده خزائن كل شيء :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [الحجر : ٢١] .

فإذا يؤدب الله عباده ، فهذا الصحابي الجليل قال داعياً : اللهم ! هب لي حمداً ومجداً ولا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يصلحني إلا هو ولا أصلح إلا عليه .

فإذا رأيت إنساناً عظيماً وليس له عمل صالح فإن عظمته تكون فارغاً ، العظمة أساسها العمل العظيم ، لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال .

وبعد فإذا رجا إنسان ربّه أن يكون غنياً ليكون بهذا المال ماجداً انقلب هذا الطلب إلى عبادة ، فلو أن شخصاً يبحث عن مال وهدفه إذا اغتنى أن يبني مسجداً ، أو يبني معهداً شرعياً ، أو يطعم الفقراء ، أو يكرم الأيتام وينشئ ميثماً مثلاً ، وينفق إنفاق الطامع برحمة الله ويرجو وجهه ، أو يعلم الطلاب على حسابه لكي يصبحوا دعاة ، فإذا كان هذا هدفه فعمله عبادة ، وأي عبادة .

التقيت مرةً بإنسان بينما كنت في زيارات إحدى المحافظات ، فوجدت مسجداً قد أنشئ حديثاً على الساحل ، فأعجبني ودخلت وصليت فيه ، ثم دعاني هذا الإنسان إلى مكتب له في المسجد ، فقال لي : أنا الذي بنيت هذا المسجد ، حدثني عن قصته فسمعت كلاماً غريباً قال لي : لما أنهيت الخدمة الإلزامية من حوالي عشرين سنة ، وكنت والله ، لا أملك درهماً ولا ديناراً فأخذت من أختي سوارها وبعته بثلاثمائة ليرة وسافرت إلى إحدى دول الخليج ، وبينما أنا في الطائرة ما تكلمت بلساني إلا أنه قد خطر في بالي خاطر : لو أن الله جبر خاطري في هذه السفرة لأبنيّ الله مسجداً ، أقسم بالله إنه لم ينطق هذا بشفتيه ، ثم قال لي : وأكرمني الله عزّ وجلّ إكراماً منقطع النظر ، ثم رجعت إلى بلدي واشتريت أرضاً مساحتها خمسة دونمات ، وتقدمت بطلب رخصة فلم أحصل عليها ، قالوا : المنطقة غير منظمة ثم قابل مسؤولاً كبيراً هو المحافظ الذي قال له : عمّر ولا بأس عليك ، ثم قال : وبكل بساطة عمّرنا مسجداً كبيراً ضخماً وهو الذي صليت فيه قبل قليل ، وهو على مرأى من المسافرين قبل مدينة بانياس ، لونه بني لطيف ، أمنيته كانت إلى الله : إذا أكرمتني يارب فإني سوف أبني لك مسجداً ، طلب بصدق النية فالله أعطاه ،

فإذا طلب أحد مالا من الله لكي يعمر مسجداً أو لينشئ معهداً شرعياً ، أولييني داراً للأيتام ، لينفق على طلاب علم ولكي ينشر الدعوة إلى الله ، هذا الغنى آل أمره إلى عبادة ، ولم يكن غنى مطغياً أو غنى منسياً لأنه أدى حقَّ الله في المال ، لأن المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف.. والمال قوة ، لكن هذا المال يحتاج إلى نية ويحتاج إلى إيمان ، والإيمان يفرز نية عالية ، والنية العالية تحوّل طلب المال إلى عبادة .

أما إذا كان هم الإنسان أن ينشئ هنا فيلاً ، هناك شاليه ، وأن يشتري السيارة الشبح ويستقلها زهواً ، هذه ليست عبادة بل هي حب للدنيا .

فلذلك طلب المال من أجل الأفعال الصالحة يعدُّ عبادة ، يقول : اللهم هب لي حمداً ومجداً ، ولا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال اللهم لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه .

ومن دعاء علي رضي الله عنه : اللهم ! صن وجهي باليسار ، ولا تبدل جاهي بالإقتار ، فأسترزق طامعاً رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك ، وأبتلى بحمد من أعطاني ، وأفتتن بدم من منعني ، وأنت من وراء ذلك كلّه وليّ الإجابة والمنع .

فإذا اتقن الإنسان عمله ، اتقن مصلحته ، اتقن تجارته ، اتقن صناعته ، اتقن وظيفته ، اتقن طبه ، اتقن هندسته ، وجاءه دخل كبير وحل مشكلات الناس به فهو في أعلى درجات العبادة ، إنه مستقيم ، طاهر ، ورع ، كسب مالاً وزوّج شاباً ، واشترى بيتاً لإنسان فقير آواه به ، حل مشكلة إنسان ، وفقّ بين زوجين ، آوى إنساناً عليه دعوى

إخلاء مثلاً ، فتاة أَمَّنَ لها بيتاً وبعد هذا تقدم لها شاب ليتزوجها ، أحياناً تجد البنت إذا ملكت بيتاً فإنها على الفور تتزوج ، إذا كنت ميسور الحال وعندك بنتٌ مستقيمة وطاهرة نقية وتقدم لها شاب لا بيت عنده ولا يملك ثمنه فاشتر لها بيتاً وزوجهما ، فهناك آباء أعجب من أفعالهم كثيراً .

قال لي أخ : أنا أَمَنْتُ بيتاً لهذه البنت فإذا تقدم أحد خطبها وتزوجها فله هذا البيت ، ولم يمض إلا وقت قليل حتى تزوجت ، وانحلت مشكلة شابين بحاجة إلى زواج ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ..

« وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . » [صحيح البخاري] .

فإذا طلب أحد المال من الله تعالى ليحلَّ به مشكلات المسلمين نقول له : نِعَمِ الطلب طلبك ، وهذا عملٌ من أرقى الأعمال وأرجاها عند الله تعالى .

الله عزَّ وجلَّ ذكر اسمه المجيد في القرآن الكريم ، قال الله تعالى :

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ [البروج : ١٥] . وقال عن كتابه الكريم ﴿ قَدْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدُ ﴾ فالقرآن كتابنا المقرر حدَّث عنه ولا حرج ، حدَّث عن نظمه ، وعن إعجازه ، وعن تشريعه ، وعن أخباره ، وعن حلاله وعن حرامه ، وعن وعده ، وعن وعيده ، وعن صورته ، وعن مشاهد يوم القيامة فيه ، وعن قصص أنبيائه ، هذا الكلام كلام الله عزَّ وجلَّ .
فالله عزَّ وجلَّ قال :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام : ١] .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [الكهف : ١] .

الكون كله في كَفَّةٍ والقرآن في كفة وهو بين أيدينا ، والله الذي لا إله إلا هو لو وقفت عند حروفه حرفاً حرفاً لوجدت العجب العجاب ، لو وقفت عند حركات الحروف لوجدت العجب العجاب .

قال تعالى : ﴿ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴾ أي الشريف ، فله الشرف والمجد والعلو والعظمة في ذاته وصفاته وأفعاله ، ووصف الله تعالى قرآنه بأنه مجيد لكثرة فوائده ، فالمجيد في صفة الله يدل على كثرة إحسانه وأفضاله ، والمجيد هو الشريف بذاته الجليل بأفعاله الجليل بعبطائه ، البالغ المنتهى في الكرم ، وقيل : المجيد المتناهي في الشرف في ذاته وصفاته وأفعاله ، وهو الجليل في نعوته والجميل في ملكه وملكوته .

جاء اسم المجيد في آيات أخرى فالله عز وجل في سورة هود قال :

﴿ قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٣] .

أي أنه كثير العطاء ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ .

فإذا الإنسان تعرّف إلى الله واستقام على أمره يهديه سُبُل السلام ، فهناك أزمات طاحنة . . ويوجد دعاء للنبي ﷺ يقول فيه : « اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » [رواه مسلم] .

أحياناً يقع البلاء فجأة ، ويدهمهم المرض العضال فجأة . . فاللهم إنا نعوذ بك من فجأة نِقْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ . .

أحياناً تكون المفاجأة في الأولاد ، أو المفاجأة في الزوجة ، مفاجأة عنده خمسة أولاد ، وعندما حُلل اكتشف أنه لا ينجب ، وعنده خمسة أولاد من غيره . فجأة وقع الخبر عليه وقع الصاعقة !! فمثل هذا الخبر يكون مدمراً وهو شيء لا يحتمل ، ففي حياة الكافر والعاصي مفاجآت ، وأخبار كالصواعق .

أما المؤمن فالله عزَّ وجلَّ يهديه سُبُل السلام ، فهو في سلام مع نفسه ، وفي سلام مع من حوله ، وفي سلام مع ربِّه ، وفي سلام مع مستقبله :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة : ٥١] .

المؤمن في سلام ، لن تجد عنده مفارقات وأخباراً صاعقة ، ذات مرة دعينا من قبل أحد الإخوة لمزرعة ، وقال لي : هذه مزرعة عمِّي ، وبينما نحن في المزرعة دخل عمُّه ولم يسلم على الموجودين جميعاً وعددهم ثلاثون رجلاً ، ولكنني ضقت ذرعاً من تصرُّفه هذا ، فقال لي هذا الأخ : عمي حضر من المشفى الآن حيث كان يقوم بتكرير دمه وغسل كليتيه . فلا تؤاخذة على تصرُّفه فهو لم يعد يرى بعينه من كثرة الألم ، والغسيل كل أسبوع مرة ، يمشي دون أن يرى أحداً أو يحس بأحد ، فالهم حجه عن الناس كلهم .

فقد يصاب الإنسان بمصيبة في جسده أو ماله أو عياله مما يجعله لا يرى شيئاً مما حوله ، فإذا طمأنك الله عزَّ وجلَّ وقال لك :

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] .

فلا تخف ، فأنت موضع عنايتنا ، فأحياناً تجد أن الله عزَّ وجلَّ يلقي في قلبك الطمأنينة وتشعر بالثقة ، وتشعر بأنَّ العناية تحوطك ،

فاحمد الله على نعمائه فالله قال : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾ . . فهل هذا شيء قليل أن يعتني الله بك ويدافع عنك ويطمئنك ، ويُلقي السكينة في قلبك والسعادة ، فهل هذا قليل ؟ والتمن بيدك وهو طاعتك ، فأطعه وانظر متدبراً في قول القائل :

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإننا منحنا بالرضا من أحبنا
ولذ بحمانا واحتمي بجنابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا
وعن ذكرنا لا يُشغِلَنَّك شاغلٌ ولا تنسنا واقصد بذكرك وجهنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
الله عز وجل قال : ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مُمِيدٌ ﴾ .

عطاؤه لا حدود له ، فالله عز وجل أحياناً يعطي الإنسان قليلاً من الدنيا قد يختل توازنه بسببه ، كأن يعطيه بيتاً جميلاً ، زوجة جميلة ، تجارة رابحة ، فكيف إذا أعطاك الله الجنة . . ولندقق النظر في هذا الكلام ، إذا ذهبنا إلى طرطوس ، وركبنا زورقاً إلى جزيرة أرواد وأخرجت من جيبك إبرة وقمت بغمسها في مياه البحر وسحبته بعد ذلك فانظر مقدار ما حملته وتعلق بها من ماء . . يقول النبي الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم : « ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخطط غمس في البحر من مائه » [رواه الطبراني] ، الدنيا بقصورها ، بنسائها ، بمركباتها ، بأماكنها الجميلة . . ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخطط غمس في البحر من مائه .

« . . . أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . . . » [صحيح البخاري] .

لذلك الموت عند المؤمن تُحَفِّتُهُ وُغْرُسُهُ ، لَأَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَقَدْ رَأَى مَقَامَهُ فِيهَا ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُّجِيدٌ﴾ فالله يَهَيِّئُ لَنَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، إِذَا أَكْرَمَنَا بِالْجَنَّةِ فَهَنَّا كُلَّ مَا لَا يَتَصَوَّرُهُ الْعَقْلُ ، وَالثَّمَنُ طَاعَتُهُ فَقَطْ .

وفي سورة البروج قال تعالى :

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : ١٤-١٦] .

فلا إِرَادَةَ فوق إِرَادَةِ الله أَبَدًا ، فالله هو المريد ، هو القادر ، هو الفَعَّالُ ، هو الحكم ، هو العدل ، لا رَادًّا لِمَا أَمَرَ ، ولا مَعْقُبٌ لحكمه ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى عرشه بأنَّه مجيد ، ملكه ملك عظيم .

وهناك آية ثالثة قال تعالى :

﴿بَلْ هُوَ قَوِيٌّ مِّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج : ٢١-٢٢] .

معنى قرآن مجيد أي كثير الخير ، إن قرأته ، إن تعلّمت أحكام تلاوته ، إن فهمته ، إن طبّقته ، إن تعلّمت منه ، لا حدود لفضائل القرآن ، لذلك من أوتي القرآن ورأى أَنَّ أحداً أوتي خيراً منه فقد حَقَّرَ ما عَظَّمَهُ الله ، من تعلّم القرآن متّعه الله بعقله حتى يموت .

قال : من تخلّق باسم المجيد ، يجب أن يكون كريماً في جميع الأحوال مع ملازمة الأدب ، فمن المستحيل أن ترى مؤمناً بخيلاً... بل تجده كريماً يعطي ولا يَضُرُّ بعلمه ولا بخبرته .

حدّثني أخ.. عافاه الله من مرضه ، وهذه القِصَّة منذ ثلاثين عاماً.. عنده محل لصناعة الفرنية «الكاتو» ، دخل عليه شخص من أقاصي الجزيرة وببساطة قال له : أتعلمني صنع الكاتو؟ فقال له :

على العين ، تفضل إلى الداخل ، وقام بعمل العيارات والأوزان المناسبة أمامه ، وطبخها أمامه وبعد أن انتهى من العمل طلب منه أن يقوم بعمل مثلها أمامه.. ثم أقسم هذا الأخ.. أنه منذ ثلاثين سنة وإلى الآن يزوره ذاك الأخ ويحضر له هدية من الحسكة ، فقد أسس محلاً هناك في بلده وأخذ الله بيده ولم ينس الفضل لثلاثين سنة فيحضر له كل سنة هدية ثمينة .

الإيمان أساسه العطاء ، وقد حدثني طبيب متخصص في الأورام الخبيثة قال لي : جاءت امرأة شابة في ريعان الشباب مصابة بمرض خبيث في الحنجرة وكادت تختنق ، ولا أمل في شفائها ، وقد قامت مع ذويها بزيارة مشافي وعيادات عدة جامعات ، بما فيها الجامعة الأمريكية في لبنان ، والكل أجمعوا على أنه لا أمل بشفائها ، قالوا لزوجها : لا أمل في شفائها.. ولكن بعد أن غادر العيادة رجع إلى الطبيب ليحاول مرة أخرى وقال له : أنا سوف أقوم بإجراء محاولة أخيرة ، ولكن الأمل ضعيف جداً ، وأقاموا في فندق قريب وأجرى الطبيب للمرأة جلسات أشعة يومياً ، وبعد حين تحسنت حالها ، وبعد ثمانية أشهر تقريباً بدأ شبح هذا المرض الخطير يتراجع ، ثم أذن الله بشفائها وعافاها وأنجبت الأولاد.. وهذه القصة منذ أكثر من خمس وعشرين سنة.. ويقول الطبيب لي : كل سنة يأتي الزوج إلى الطبيب بخروفين وصفيحة من السمن . فقال له الطبيب أخيراً : والله لقد رددت الجميل بالجميل الكثير فوفيت ، بل أكثر ، فيقول له الزوج : والله لئن مت أنا ، فأولادي من بعدي يتابعون هذا العمل وفاءً منا لحسن صنعك .

فقد كان مئوساً من شفائها ولم يتقاضَ الطبيب شيئاً على

علاجها ، وكان هذا الزوج فقيراً جداً وأغناه الله بعد ذلك ، ونظير
علاجه وخدمته طيلة ثمانية أشهر وتراجع المرض وشفاء الزوجة
بفضل الله ، وَمَنْهُ ولم ينس الزوج هذا الفضل ، فإذا كان الفضل
لإنسان فَلَمْ ينسه الزوج ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ فكيف إذا كان
الفضل لله عزَّ وجلَّ ؟

الماجد والمجيد اسمان من أسماء الله الحُسنى.. على نحو..
الشريف بذاته ، الحميد بأفعاله ، الغنيُّ المُغني ، الذي يعطي الخير
الجزيل .

أخلاق المؤمن نحو هذين الاسمين يترتب عليه : أن يقصد
وجه الله الكريم لأنه المُغني وحده ، وأن يُحسن للمخلوقات تأسيّاً
بكَمالات الله ، فَاتَّجِهْ إلى الله وحده وأكرم خلقه إن كنت آمنت بهذا
الاسم الجليل .

* * *

المحيي المميت

من أسماء الله الحُسنى المحيي المميت ، وأكثر الذين أَلَّفوا في
أَسْماءِ الله الحُسنى جمعوا بين الاسمين في موضوع واحد ، لأنَّ الله
سبحانه وتعالى في أكثر الآيات التي ورد فيها اسم المحيي المميت
ورد المحيي المميت معاً في آية واحدة .

المعنى الأول لاسم المحيي أنَّ الله سبحانه وتعالى يُحيي الأجساد
بإيجاد الأرواح فيها .

يعني العلة في رحم الأم تنمو ، لكن بعد أن تنمو يلقي الله فيها
الروح ، فتتحرك والقلب ينبض ، والأجهزة تتكامل إلى أن يصبح
الجنين طفلاً سوياً ، دماغ ، جمجمة ، أعصاب للحس ، أعصاب
للحركة ، جهاز هضم متكامل ، جهاز للتنفس ، جهاز دوران ، جهاز
لطرَح الفضلات ، عظام عضلات أربطة ، طفل صغير كان قبل تسعة
أشهر نطفة من ماء مهين ، كان حوينا من ثلاثئة مليون حوين بعد
تسعة أشهر والأم غافلة عمّا في بطنها إذا طفلٌ يخرج من رحم أمّه
سوياً مكتمل الخلق . . من أودع فيه الروح ؟ قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

يعني لو درسنا مكونات الحليب وجئنا بكلّ هذه المكونات ، هل

نستطيع أن نصنع حلياً ؟ لو جئنا بكلِّ مكوّنات البيضة هل نستطيع أن نصنع بيضة ؟ ماذا يجري في بطن الدجاجة ؟ وماذا يجري في الخلية من الخلايا الثدية للبقرة ؟ هذه الروح .

الكبد . . ما دامت الروح في الإنسان له خمسة آلاف وظيفة ، فإذا مات الإنسان أُلقي في المهملات ، كبد الدجاج . . والدجاج حيّ له وظائف خطيرة ، فإذا ذُبِحَ الدجاج أصبح طعاماً يؤكل ، فما سر هذه الحياة ؟

هذه المعدة . . ما دامت الحياة فيها لا تهضم نفسها ، أما إذا ذبح الخروف فأنتك تأكلها وتهضمها معدتك ، هناك أمثلة لا تُعدّ ولا تحصى . . فأول معنى من أسماء المحيي . . هو الذي يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها .

وردة صنعت من مادة بلاستيكية كبيرة ولها ألوان زاهية تجد أنّ النفس تعافها ، بينما الوردة الطبيعية تشعر وتحس بتعاطف معها عجيب ، فيها حياة ، فالطبيعي فيه حياة ، أما الوردة البلاستيكية فلا يوجد فيها حياة .

وقد نرى في واجهات المحالّ التجاريّة أجساماً توضع عليها الأقمشة ، تشعر أنّها بلاستيك أو شمع ليس فيها حياة ، أما إنسان أمامك يتكلّم يتحرّك يتفاعل يتسم يضحك يفكّر ، يعتقد لا يعتقد ، يناقش ، يأكل يهضم يتنفّس ، فذلك إنسان . . فرق كبير بين الدمية والطفل ، من الذي أوجد الروح في الإنسان ؟ الله جلّ جلاله هو المحيي ، فهل هناك أحد من الحاضرين ليس له أب أو أم أو لا يعرف قصّة خلقه ؟ قصّة خلقه هو أنّ أباه تزوج أمّه وخرج واحد من ثلاثمئة

مليون حوين ولقَّح البويضة ، هذا الحوين خلية لها غلاف وفيها نواة وفي النواة عدد كبير من الجينات وعليها معلومات مبرمجة تصل إلى الآلاف ، ويدخل الحوين إلى البويضة وتبدأ البويضة الملقحة بالانقسام ؛ تنقسم البويضة الملقحة إلى عشرة آلاف قسم وهي في طريقها إلى الرحم دون أن يزداد حجمها ، لو ازداد حجمها لوقفت في الأنبوب وتعثر سيرها ، كيف تُغرس في الرحم ؟ كيف تأتي الدماء غزيرة إلى الرحم ؟ كيف يتكون هذا الجنين ؟ بدءاً من دماغه إلى قلبه إلى أحشائه إلى أطرافه إلى أن يكون في الشهر التاسع والأيام العشر بعد التاسع طفلاً مكتملاً ، يتشاءب ، يضحك ، يبكي ، يتنفس ، يهضم الحليب ، فيه حياة ، فالمحيي هو الذي يوجد الأرواح في الأجسام .

أو المحيي خالق الحياة ومعطيها لمن يشاء ، هناك إنسان تجده في بيته مصدراً لسعادة البيت كله ، إذا دخل تجد البيت صار كأنه في عيد ، الأولاد يترაკضون إليه يتعلقون عليه يجلسون في حضنه ، الزوجة تستقبله ، الضيوف يرحّب بهم ، فإذا مات خاف أقرب الناس إليه الدخول إلى غرفته ، فأين هو ؟ أقرب الناس إليه زوجته أولاده الضيوف ، ما الذي فقده ؟ لو وزناه قبل أن يموت وبعد أن يموت وزنه هو هو ، انسحبت الروح فأصبح مخيفاً ، هناك من يخاف أن ينظر إلى ميت ، من الذي أودع فيه الروح ؟ الله جلّ جلاله .

الله عزّ وجلّ من أسمائه المحيي أي أنّه خالق الحياة في كلّ شيء حي ، في النبات .. الشجرة حطب يابس يأتي الربيع تزهر ، تورق ، تثمر ، من أودع فيها الحياة ؟ ، هرة تلد أمامك أربع هرر صغيرة تنمو ترضع ، من أودع فيها الحياة ؟ الله جلّ جلاله هو المحيي ،

أتعبد مخلوقاً يحتاج إلى من يحييه ؟ أتعبد مخلوقاً سوف يموت ؟ أم
تعبد الخالق المحيي المميت ؟

خالق الحياة في كل شيء ، النبات فيه حياة ، لو توسّعنا أكثر :
هذه الطاولة التي تبدو لكم جماداً لا يتحرّك ولا يدرك ولا يسمع
ولا ينظر ، اسألوا علماء الفيزياء فيها حياة ؟ هذه الطاولة تتألّف من
ذرّات ، والذرّة هي نواة وكهارب تدور حول النواة ، وكل ذرّة لها
عدد معين من الكهارب ومسارات معيّنة وسرعات معيّنة ، وقد ينتقل
العنصر من الطبيعة الغازيّة إلى الطبيعة الجموديّة باختلاف كهروب
واحد على السطح الخارجي ، فحتى الجماد فيه حياة ، قال تعالى :

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٤٠] .

كلّ ما في الكون يسبح في أفلاك مغلقة ، بدءاً من الذرّة وانتهاءً
بالمجرّة ، من الذي أودع الحياة في الجماد ؟ الجماد حيّ ، والنبات
حي ، والحيوان حي ، والإنسان حي ، والله هو المحيي .
أما الجماد فإنه يشغل حيّزاً له طول وعرض وارتفاع ، لكنّه لا ينمو
ولا يتحرّك ، أما النبات فإنه يشغل حيّزاً وله وزن إلا أنّه ينمو ،
والحيوان يشغل حيّزاً وينمو ويتحرّك .

أما الإنسان فله وزن ويشغل حيّزاً ، وينمو ويتحرّك ويفكر . قال
تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ﴾ [الرحمن : ٤-١] .

من الذي أودع الحياة ؟ هو الله جلّ جلاله هو المحيي .
الآن .. يحيي الخلق من العدم ، ويحيي الخلق بعد الموت ..
إحياءين . قال تعالى :

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْنَا أَتَيْنَا﴾ [غافر : ١١] .

الإحياء الأول الإحياء من العدم ، والإحياء الثاني الإحياء بعد الموت ، أمثنا اثنين وأحييتنا اثنين ، معنى الإحياء أنه يحيينا من العدم ، سبقنا عدم في بطون أمهاتنا ، والإحياء الثاني يحيينا يوم القيامة ، يبعثنا من قبورنا ونحيا مرة ثانية .

الآن . في الحياة معنى آخر ، تجلس مع إنسان كتلة من لحم ودم لا يعي هدف وجوده ، يريد أن يأكل وأن يشرب وأن يتمتع ، لا يعبأ بقيمة ولا بخلق ولا بمبدأ ولا بدين ولا بعقيدة ، كائن يبحث عن طعام وشراب وعن لذّة يقتنصها ، تشعر أنت بكل خلية في جسمك وبكل قطرة في دمك أن هذا الإنسان ميّت ، أما قلبه فهو في أعلى درجة ، ونبضه نظامي ، تنفّسه جيّد ، ضغطه جيّد ، لو فحصته فهو في أحسن حال مئة في المئة ، لكنّه ميّت ، قلبه ميّت .

معنى جديد للمحي هو الذي يحيي القلوب بمعرفته والاتصال به ، يحيي الأجسام بالأرواح ، ويحيي النفوس بمعرفته وطاعته . . تجلس مع مؤمن فيه حياة ، فيه مبدأ ، فيه خلق ، فيه حياء ، فيه رحمة ، فيه إنصاف ، فيه تواضع وعلم ، قال تعالى :

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ . . بالمعنى الثالث .

أول معنى . . يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها وهي من عدم .

المعنى الثاني . . يحيي النفوس بعد موتها .

المعنى الثالث . . يحيي القلوب بمعرفته والإقبال عليه .

المؤمن حيّ.. يا بئني مات خُزَّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم موجودة .

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ .. هذا المعنى الثالث .. تجد المؤمن حيَّ القلب ، إذا قرأ القرآن تدمع عينه ، إذا قرأ القرآن يقشعرُّ جلده ، يَجِفُّ قلبه ويضطرب ، يحبُّ ربَّه ، يحبُّ طاعته ، يحبُّ الخير ، يصغي إلى الحق ، ينطق بالحق ، يذكر الله ، يذكر بالله ، يدعو إلى الله ، يفصل بين يبين يشرح ، له أهداف كبيرة سامية جداً ، يسعى إلى مرضاته .

يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها ، ويحيي القلوب بمعرفته والإقبال عليه ، قال تعالى :

﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد : ١٧] .

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

[النحل : ٦٥] .

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْفُشُورُ﴾ [فاطر : ٩] .

﴿وَإِخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ إِنَّا لَقَوْمٌ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية : ٥] .

﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ .. بإنزال المطر .

والمحيي كما قال بعض العلماء : « يحيي العوالم بسرّه » ،
العوالم جمع عالم كما في قوله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿الْعَالَمِينَ﴾ .. جمع عالم ، عالم الحشرات ، عالم الفيروسات ، عالم البكتيريات ، عالم الأحياء الدقيقة ، الآن توجد بحوث جديدة تشير إلى أنَّ هناك مسببات للمرض هي كائنات حيَّة أقلُّ من الفيروس ، أصغر مخلوق هو الفيروس ، الآن هناك مسببات تسببها هذه الكائنات التي هي أصغر من الفيروس تسبب مرض جنون البقر ، أقل من الفيروس وهو كائن حي .

أحياناً ترى على صفحة الكتاب نقطة تمشي أقل من عُشر المليمتر ، فلو قسمنا المليمتر إلى عشر أقسام لكانت هذه الدويبة عشر المليمتر تمشي ، ولو وضعت يدك أمامها لوقفت ، ومعنى ذلك أنَّها أدركت أنَّ هناك حاجزاً أمامها ، والجراثيم أصغر منها ، والفيروس أصغر من الجراثيم ، وبعض مكوّنات الأمراض أصغر من الفيروس ، أودعَ فيها الحياة .

وهناك الحوت الأزرق يزن مئة وخمسين طناً ، ووجبه المعتدلة أربعة أطنان ، وإذا أرادت أنثاه أن ترضع وليدها ترضعه في الرضعة الواحدة ثلاثمئة كيلو غرام من الحليب ، أي طناً من الحليب في الرضعات الثلاث ، يستخرجون منه تسعين برميلاً من الزيوت ، خمسين طناً من اللحم ، خمسين طناً أخرى من الدهون ، ودماغه كتلة كبيرة جداً ، وهذا الفيروس فيه حياة ، أقل من الفيروس في حياة ، والحوت الأزرق فيه حياة ، هو المحيي .

إذاً أحياء العوالم بسرّه .. عالم الأسماك ، عالم الطيور ، عالم الحشرات ، عالم الفراشات ، عالم البكتيريات ، عالم الفيروسات ، عالم الإنسان ، عالم الحيوانات البريَّة ، عالم النباتات ، كل شيء بيده .

قال : أحيا العوالم بسرّه ، وغمر الموجودات بوافر برّه ، فهل هناك مخلوق لا يأكل أو لا يشرب ؟ ببعض قمم جبال هيمالايا توجد ينابيع ماء ، فما معنى أن تجد ينبوع ماء في قمة جبل ، بحسب قانون الأواني المستطرقة ؟ ما معنى وجود ماء في جبل ؟ هناك مستودعات للمياه في جبل أعلى وهناك تمديدات إلى الجبل الأدنى ، لأنّ هناك أنواعاً من الوعول تعيش في قمم الجبال ، رحمةً بها جعل الله لها بعض الينابيع في قمم الجبال .

إذاً . . هو الذي أحيا العوالم بسرّه ، وغمر الموجودات بوافر برّه ، فلو أمسكت بسنبلة من القمح فهي غذاء كامل ، ساق هذه السنبلة غذاء كامل للحيوان ، وهو أرقى أنواع العلف ، وأغلى أنواع العلف ، كيف أنّ القمح غذاءً كامل ، ساق السنبلة غذاءً كامل ، من جعل السنبلة للإنسان وساق السنبلة للحيوان ؟ قال تعالى :

﴿ وَفَكَهْمَهُ وَأَبْأَهُ ﴾ [عبس : ٣١] .

الفاكهة للإنسان ، والأبُّ للحيوان .

قال : وجمل نفوس المخلصين بالمجاهدة .

بقي شيء الحقيقة أنّ المؤمن حيّ تنجذب نحوه ، ما الذي يجذب فيه ؟ أنت ضع في إناءين طاقة من الورد البلاستيك وطاقة من الورد الطبيعي وانظر إليهما تجد نفسك منجذباً للطبيعي ، تشمّها وتنتعش ، تنظر إليها وتستمتع ، فيها حياة ، نضارة ، ألوان رائعة ، كذلك المؤمن كالوردة الطبيعية .

فقد تجد إنساناً ذكياً وعاقلاً ومتجملّاً وأنيقاً لكنه كالوردة البلاستيكية . النفوس لا تنجذب إليه ، لذلك أمدّ أحبابه بنور المعرفة

والمحبة ، منح المخلصين أنوار القربات ، وأوصلهم إليه بعد الغربة ، قال تعالى ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ .

أنت بإمكانك أن تملأ قلبك حياةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك غنىً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك طمأنينةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك قناعةً بالاتصال بالله ، أن تملأ قلبك أمناً بالاتصال بالله ، القلب الموصول حيّ ، والاتصال ثمنه الطاعة ، قضية سهلة بسيطة جداً ، أطلع وأتصل ، فأنت مؤمنٌ حيّ القلب ، لا سمح الله اعصر وانقطع . القلب ميّت ، حقدٌ على ضغينةٍ على لؤم على كبر على أنانية ، على استعلاء ، على كذب على جحود ، على خيانة ، القلب مقطوع وميّت .

وأدب المؤمن مع هذا الاسم هو الإكثار من ذكر الحيّ ، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه . نقولها بعد الصلاة ، الحيّ القيوم مصدر حياة قلوبنا ، مصدر حياة أجسامنا .

قال : أدب المؤمن مع هذا الاسم هو الإكثار من ذكر الحيّ حتى يحيي القلب بنور المعرفة ، وتُضيء النفس بأسرار المكاشفة ، والإكثار من ذكره ولا سيما في جوف الليل .

روى عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا أم

رددتها على فأعزى وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو
انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك .

إذا لم يكن للإنسان مع الله مناجاة وصلة في جوف الليل ، في
الصلوات المكتوبات ، في السجود ، فالقلب قاسٍ . فليس هناك شيء
أجمل من أن تناجي خالق الكون ، من أن تتصل به ، لكن الله عزَّ
وجلَّ كلُّنا عباده ، وليس هناك فرقٌ بين عبدٍ وآخر إلا بالطاعة ، أطعه
وادخل عليه ، أطعه وأقبل عليه ، أطعه وناجِه ، أطعه وابتهل إليه ترَ
بابه مفتوحاً لك أبداً .

كان رجل من أصحاب ذي النون يطوف في السكك يبكي وينادي
أين قلبي أين قلبي من وجد قلبي فدخل يوماً بعض السكك فوجد
صبيحاً يبكي وأمه تضربه ثم أخرجته من الدار فأغلقت دونه فجعل
الصبي يلتفت يميناً وشمالاً ولا يدري أين يذهب ولا أين يقصد فرجع
إلى باب الدار فوضع رأسه على عتبة فنام فلما استيقظ جعل يبكي
ويقول يا أمه من يفتح لي الباب إذا أغلقت عني بابك ومن يدنيني من
نفسه إذا طردتيني ومن الذي يؤويني بعد أن غضبت علي فرحمته
فقامت فنظرت من خلل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على خده
متمعكا في التراب ففتحت الباب وأخذته حتى وضعته في حجرها
وجعلت تقبله وتقول يا قرة عيني وعزيز نفسي أنت الذي حملتني على
نفسك وأنت الذي تعرضت لما حل بك لو كنت أطعتني لم يكن مني
مكروهاً . فتواجد الرجل ثم قام وصاح وقال قد وجدت قلبي قد
وجدت قلبي .

سبحان الله لو صبر الناس على باب الله لفتحته لهم.. صليت

وما شعرت بشيء ، أعد الصلاة ، قرأت القرآن وما شعرت بشيء ، فأعد القراءة ، جلست لذكر الله وبعد المئة تسيحة الأولى اكتفيت . . لم تصبر ، سلعة الله غالية ، سلعة الله لا تأخذها مباشرة إلا بعد جهد حقيقي ، قال : سبحان الله : لو صبر الناس على باب الله لفتحته لهم . . لذلك قال محمد بن حازم الباهلي :

أَخْلَقَ بَذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ وَمَدَمِنَ الْقِرْعَ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ لَيْسَ هُنَاكَ أَعْظَمَ مِنْ إِنْسَانٍ لَهُ صَلَةٌ بِاللَّهِ ، فَأَحْيَانًا إِذَا كَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ عَظِيمٌ يَنَادُونَهُ قَائِلِينَ : سَعَادَةُ فَلَانٍ . . وَقَدِيمًا دَوْلَةُ فَلَانٍ . . لِأَنَّهُ دَوْلَةٌ ، فَاللَّهُ سَمَّى إِبْرَاهِيمَ : أُمَّةً .

وإذا كان من له صلة بالله ، فالصلة فيها علم ، فيها حلم ، فيها توازن ، فيها طمأنينة ، فيها حكمة ، فيها رحمة ، فيها إنصاف ، فيها عدل ، فعلاً صار أُمَّة ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾ ، فالقضية بسيطة جداً ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، أطعه واتصل به فأنت حي .

لو تفلت من منهجه وانقطعت عنه فأنت ميت ، ولو كنت في أوج حياتك ، في أوج شبابك ، في أوج نشاطك . . ميت ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ . . قال تعالى :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] .

مرة التقيت بإنسان من بلد أجنبي فقلت بنفسي لعلي أذكره بالله ، فذكرت له بعض الكلمات فقال لي : هذه المعلومات لا تهمني ولا أبحث عنها ولا تعنيني ، أنا يعنيني امرأة جميلة ، وسيارة فارهة ومنزل واسع . وانتهى الأمر . لم أشعر بإنسان ميت كهذا الإنسان ،

فأحياناً يأتي الطبيب فيجس النبض فلا يجد نبضاً ، فيطلب مرآة فيضعها أمام الأنف فلا يجد بخاراً خارجاً مع التنفس ، ويأخذ كاشفاً للضوء فيفتح عينه ويسلط عليها الضوء فلا تصغر الحدقة ، إذاً هذا ميّت انتهت حياته ، فقد تكلمت معه عن عظمة الله وعن خلقه المعجز ، فقال : هذه المعلومات لا تعينني ولا أعبأ بها ولا اكثر لها ، فقط ثلاثة تعينني : امرأة جميلة ، وسيارة فارهة ، ومنزل واسع . . وقد مات منذ حوالي سنتين بحادث . . فقال تعالى :

﴿ فَلَا نَقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] .

هان أمر الله عليه ، فهان على الله .

ورد اسم المحيي في القرآن الكريم ، فجاء في سورة الروم :

﴿ فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم : ٥٠] .

ألم تدخل إلى بستان في الربيع ؟ قطعة من الجنة ، انظر إليه في الشتاء موت ، ترى الأرض جرداء ، شجر كأنه حطب يابس ، ادخل إلى البستان في الربيع . . . ﴿ فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وفي سورة فصلت قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت : ٣٩] .

وفي سورة البقرة :

﴿ فَقُلْنَا أَصْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وفي سورة آل عمران قال تعالى :

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ يُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

وفي سورة الأعراف قال تعالى : ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۚ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

آيات كثيرة جداً ورد فيها اسم المحيي والمميت معاً يحيي ويميت .

كلُّ منا يتمتع بصحته والحمد لله ، هل يدري متى سيموت ؟ وفي أي مكان سوف يموت ؟ وبأي سبب سوف يموت ؟ يموت في بلده أم في بلد آخر ؟ يموت ليلاً أو نهاراً ؟ يموت صباحاً أو مساءً ؟ يموت وحوله أهله أم وحده ؟ من يدري .. يحيي ويميت ، ومادام الإنسان لا يدري متى يموت ، ينبغي أن يستعدَّ للموت ، فقد قال الله تعالى :

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

أي لا يأتاكم الموت إلا وأنتم في أعلى درجات الاستسلام لله عزَّ وجلَّ .

الآن الموت ضد الحياة ، ماتت الريح إذا ركبت وسكنت ، مات الإنسان إذا نام ، سُمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً لا تحقيقاً ، والأرض الموات التي لم تُزرع .. من أحيا أرضاً

مواتاً فهي له ، وفلان موتان الفؤاد أي بليد غير ذكي ، قال عدي بن الرعلاء .

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميتُ الأحياء
الميت كاسم من أسماء الله تعالى هو مُقَدَّرُ الموت على كلِّ من
أماته ، ذكرت قصّة ، جلست مع إنسان ساعة تقريباً حدّثني عن
طموحاته إلى عشرين عاماً قادمة . . سيسافر من البلد الفلاني إلى البلد
الفلاني إلى البلد الفلاني إلى الفلاني ، وسيعود وسيفتح محلاً
تجارياً ، ويكبر أولاده ، وفي اليوم نفسه رأيت نعيه على الجدران
مساءً .

لا أحد منا يعرف متى سيموت ؟ هل سيموت في الستين من عمره
أم في الخامسة والخمسين أم في الثامنة والأربعين ، أم في الثالثة
والسبعين ، أم في التسعين من عمره ؟ لا أحد يعرف ، فهناك شبابٌ
يموتون .

إنسان مات قبل عامين ترك ألف مليون ، أحد الورثة نصيبه تسعون
مليوناً ، أغلق محلّه التجاري وبدأ في متابعة المعاملات فذلك أربح
من كل عمله ، وستّة أشهر بالتمام والكمال من دائرة إلى دائرة
لاستخراج الوثائق الملازمة ، ودخل إلى الحمام فإذا به يموت فجأة
قبل أن يقبض قرشاً واحداً ، فيا ترى وهو يبحث من مكان إلى
مكان ، هل كان يتصوّر أنّه سيموت قبل أن يقبض هذا المبلغ ؟

من منا يعرف متى سيموت ؟ تجد شخصاً بذنه خطط يستغرق
عشر سنوات لتحقيقها ، ويأتي الموت فجأة :

كم من عروسٍ زيّنها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

ليلة العرس ماتت.. فما دام الموت ليس بيدنا فالإنسان العاقل هو الذي يكون مستعداً للموت ، فالموت ليس معناه أن لا يعمل الإنسان ، ولكن إن أدخل الموت في حسابه يستقيم ، فإذا قال : أنا سوف أموت فجأةً سيستقيم ، أيُّ ساعة جاء الموت أهلاً وسهلاً ، مرحباً بالموت .

واحزنناه! - قالتها امرأة بلال له حين حضرته الوفاة - فقال : بل واطرباه... غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه .

شيء عند معظم الناس مصيبة ، ولكنَّهُ عند المؤمن عرس إنه الموت ، والله سمَّاه في القرآن مصيبة الموت لأنَّ الإنسان في حياته الدنيا ينمو ، قد يكون طالباً فيحصل على الليسانس ثم الدكتوراه فيصبح دكتوراً ، يوظف بمشفى بوظيفة ويشترى بيتاً ويتزوَّج ، ثم ينتقل إلى بيت أكبر ، ثم يضع جهازاً للتكييف ، ثم يشتري سيارة ، وبعد ذلك يأخذ بيتاً في المصيف ، ينمو ويكبر ، من بيت كانت مساحته مئة متر إلى بيت مساحته مئتان من الأمتار وبمنطقة جميلة ، فهو ينمو ، يحسِّن أثاثه ، ويزين بيته بالسجاد فهو ينمو ، ثم يأتي ملك الموت ويخلِّصه من الدنيا وينزعه منها في أقل من ثانية التي قام بجمعها في خمسين سنة أو بثمانين سنة درجة درجة ، ويقبض روحه في ثانية واحدة ولا يأخذ شيئاً معه ، حتى لو كان في فمه سنٌّ من الذهب ربما نزرعه من طمع به .

قال : مقدّر الموت على كلِّ من أماته ، ولا مميت سواه.. يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أنَّه ليس في الكون جهةٌ تقرر إنهاء الحياة إلا الله ، ولو بدا لك بالعين أنَّ فلاناً أنهى حياته.. لا ، مهما بدا

بالعين القاصرة والعقل الضعيف أن فلاناً أنهى حياة فلان ، فلاناً قتل فلاناً ، لا يموت الإنسان إلا بأجله الذي حدده الله له .

لذلك كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرّب أجلاً ، الذي أودع الحياة هو وحده الذي يقرر الموت ، علاقتك مع الله ، إن آمنت هذا الإيمان تغدو شجاعاً ، تغدو جريئاً ، تغدو صادقاً ، تعتمد على الله لا تخاف أحداً ، أما إذا توهمت أنّ فلاناً يمكنه أن ينهي الحياة فقد عبدته وأنت لا تشعر ، عبدته من دون الله ، وأرضيته بسخط الله ، وأشركته مع الله .

ولا مميت سواه... قَهَر عباده بالموت ، مهما كبر الإنسان وعلا سيموت .

فقد قرأت كتاباً لطبيبٍ لامع فيه زُهاء مئتي مقالة ، كل واحدة أروع من الأخرى ، كيف يجب عليك أن تتجنّب الملح ، وكيف تقوم بأداء التمارين الرياضية ، والمحافظة على المفاصل ، الجلد ، المعدة ، الأمعاء ، القلب ، والفيتامينات ، والمواد السيللوزيّة الفواكه الخضراوات ، نضارة الجلد ، قوة القلب ، فمعنى ذلك أنّه لو قرأ أحد الكتاب وقام بتطبيق ما فيه من تعليمات فلن يموت أبداً... لكن المؤلف بعد ذلك هو الذي مات .

فسبحان الذي قهر عباده بالموت ، فالطغاة يموتون ، الأنبياء يموتون ، كذلك الصالحون ، الأشرار يموتون ، الأذكياء يموتون ، الأغبياء يموتون ، النساء يمتن ، والرجال يموتون أيضاً ، فسبحان من قهر عباده بالموت .

فقد قرأت كتاب قصص العرب وهو كتاب ممتع جداً ، فيه قصص

واقعية وقعت في العالم العربي ، وبعد ما قرأته نظرت نظرة كانت بالغة الموعظة ، قلت : كلُّ هؤلاء ماتوا ، الأغنياء والفقراء ، الأقوياء والضعفاء ، الأصحاء والمرضى ، الأذكياء والأغبياء ، الظُّلَّام والمظلومون كلُّهم ماتوا ، وسيأتي يومٌ بعد حين كلُّ من تراه عينك في الطريق سيموت.. فنحن الموجودون هنا بعد مئة سنة لن تجد واحداً هنا وكلنا تحت أطباق الثرى ، وقبل مئة سنة لم يكن أحد منا موجوداً.. فسبحان المحيي المميت ، سبحان من قهر عباده بالموت .

الإنسان يكون كل شيء بيده وكل الأطباء في خدمته ، أي دواء من أي مكان يأتي فوراً ، ومع ذلك يموت الإنسان ، فالله قدَّر الموت على العباد ، فالأنبياء ماتوا وسيّدنا النبي محمد ﷺ مات ، فالموت هذا مما قهر الله به عباده .

فعادوا إلى الأرض وطوَّاهم التراب.. فأكبر موعظة إن كان لديك وقت فراغ ورأيت جنازة فامشِ وراءها ، فلاحظ عندما يضعون النعش على القبر ويرفعون الغطاء ويحملون الميّت ، وينزل شخصٌ إلى القبر ليمسكه ويضعونه ويكشفون عن وجهه ويلقنونه ، ويطلع الحفَّار من حفرة القبر ويضع بعض الأحجار ويهيل عليها التراب ، ويقف أولاده يتقبلون التعازي في والدهم وانطوت صفحة.. وفي بيته لا أحد يسأل : لماذا فلان لم يُعد؟ لن يرجع ، وانتهى الأمر بموته ، أما إذا كان حيّاً فإنهم يسألون عنه وعن سبب تأخره حتى الساعة الثانية عشر فأين هو ، وإن كان يزور أخته فيخبرونه ويسألون عنه ، أما إذا مات ودفن فلن يسألوا عنه ، حتى ملابسه لكي لا يتذكَّروه يعطونها للفقراء على الفور ، فأكثر الأسر لا يتركون له حاجة من حاجاته من البسة أو من أحذية أو أي شيء له حتى لا يتذكَّروه ، فكأن صفحة قد انطوت .

فالإِنسان عندما يولد كلُّ من حوله يضحك وهو يبكي وحده ، وإذا مات كلُّ من حوله يبكي .. فإذا كان بطلاً يضحك وحده ، فالآن يجب علينا جميعاً أن نعمل ونشتغل بطاعة الله وبذكره ، بالعمل الصالح ، بطلب العلم ، بتعليمه ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالأذكار بالأوراد ، بالتلاوة للقرآن ، فباب الله مفتوحٌ للكل .. يجب أن نستعدَّ للموت بطاعة الله ، أن نستعدَّ للموت بالتوبة إلى الله ، أن نستعدَّ للموت بالعمل الصالح ، ومفهوم الغنى والفقر بعد العرض على الله ، هو الغنى غنى العمل ، والفقر فقر العمل .

هو المميت .. فأحياناً تجد أرضاً ميتة لعدم هطول الأمطار .. فقد رأيت صورة من إفريقية . شيء مخيف ، الأشجار يابسة ، والحيوانات كلُّها نافقة ، والشعب هجر الأرض وتركها لعدم سقوط المطر ، فأما الجماد وأما الحيوان وأما النبات وهجر الإنسان ، تجد فلاحاً يملك بقرة ثمنها سبعين ألف وتموت فجأةً ، ففي ثانية واحدة أين ثمنها ؟ فقد ذهبت وذهب ثمنها .. فالحياة بيد الله عزَّ وجلَّ .

لذلك الله عزَّ وجلَّ مميت ، ليعلم الناس أنَّ الله قادرٌ على التصرف بالإحياء وبالإماتة متى شاء ومتى أراد .

جاء من أمريكا وهو يحمل شهادة الدكتوراه والبورده ، أنزل حقائبه من السيارة ، ولم يكن السائق متنبهاً فرجع للخلف فصدمه وحصره بين السيارة والجدار ، ومات .

أو يموت يوم عرسه ، أو يوم أخذ شهادة ، فالقصص غريبة واعظة مؤثرة .

هناك إشكالٌ في موضوع المميت.. إذا كان الله تعالى هو المميت ، فما معنى قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ [السجدة : ١١] .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا ﴾ أيضاً :

يجيب بعض العلماء عن هذا التساؤل : خَلَقَ الموت في الحقيقة من الله عزَّ وجلَّ ، خلق فعل الموت من الله ، لكنَّ الموت في عالم الأسباب مفوَّضٌ إلى ملك الموت .

الفاعل في الحقيقة هو الله ، أحياناً يضاف ملك الموت إلى فعل الموت ، أو يضاف إلى الأعوان.. ﴿ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا ﴾ .

إذا قال الله عزَّ وجلَّ.. ﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ .. الفاعل الحقيقي هو الله ، أما في عالم الأسباب فعن طريق ملك الموت أو.. ﴿ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا ﴾ .

ففي الحقيقة الله المتوفِّي ، وفي المجاز توفَّاه ملك الموت ، أو توفَّته رسلنا ، إلا أنَّ الموت ورد في القرآن الكريم بمعانٍ متعدِّدة ، وهي خمسة معانٍ تقريباً .

أولاً.. الموت : انعدام القوَّة النامية في الإنسان والحيوان والنبات لقوله تعالى :

﴿ يَحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد : ١٧] .

حينما تنمو الأرض بالنبات فهذه هي الحياة ، وحينما لا تنمو بالنبات فهذا هو الموت.. وهذا هو المعنى الأول للموت .

المعنى الثاني.. زوال القوّة الحساسة في الإنسان كما جاء في القرآن الكريم على لسان السيّدة مريم :

﴿يَلَيِّنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا﴾ [مريم : ٢٣] .

يا ليتني لم أحسّ بهذا الحمل .

النوع الثالث.. زوال القوّة العاقلة كما قال تعالى ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، كان مغفلاً وكان جاهلاً فاستيقظ وأصبح حيّاً ، فعدم النماء موت ، عدم الإحساس موت ، عدم الإدراك موت .

النوع الرابع.. الحزن والألم والكدر ، والضيق موت قال تعالى :

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم : ١٧] .

الطريق مسدود ، فبالبيت جحيم ، والشغل متوقّف ، أصدقاء تخلّوا عنه ، ويأتيه الموت من كل مكان ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ .. انعدام السعادة انعدام التوفيق ، انعدام الحفظ ، انعدام النجاح في الحياة ، الطرق كلها مسدودة.. موت ، يقول لك : الحياة مثل الموت هذا النوع الرابع .

النوع الخامس.. النوم ، فالنوم موتٌ خفيف ، والموت نومٌ ثقيل : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَتَنَفَّضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ لِيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنِيَّ وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ » . [صحيح البخاري] .

فأحدنا إن نام إما أن يصحو من النوم أو لا يصحو ، فإذا لم يصح من نومه نسأل الله أن يرحمه ، وإذا صحا من نومه نسأل الله أن يحفظه من المعاصي ، قال تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٢] .

حفظُ المؤمن من اسم المميت أن يذكره كثيراً ، قال عليه الصلاة والسلام : « أكثروا ذكر هاذم اللذات : الموت ، فإنه لم يذكره أحد في ضيقٍ من العيش إلا وسعه عليه ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه » [ابن حبان] .

وقال ﷺ : « عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وأعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس » .

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ » [سنن ابن ماجه] .

إن أكيسكم - يعني أعقلكم - أكثركم للموت ذكراً ، وأحزمكم أشد استعداداً له ، وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزوّد لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور .

المقدم ، المؤخر

من أسماء الله الحُسنى المَقْدَّم والمؤخَّر .

شاءت حكمة الله - جلَّ جلاله - أن يكون الناس درجاتٍ في حياتهم الدنيا قال تعالى :

﴿ اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الإسراء : ٢١] .

من حيث الشكل ؛ أشكال متباينة ، ومن حيث المال ؛ مستويات متباينة ، من حيث القوة ؛ مستويات مختلفة ، من حيث الذكاء ؛ مستويات متفاوتة ، فربنا عزَّ وجلَّ قدَّم إنساناً وأخَّر إنساناً .

إنَّ الإنسان مكلفٌ ، وهو مخيرٌ فيما كُلف ، لكنَّه مسيرٌ في أشياء كثيرة ، فالإنسان مسيرٌ من حيث والداه ، من حيث مكان ولادته ، من حيث زمن ولادته ، من حيث قدراته من حيث إمكاناته ، أشياء كثيرة قدرها الله عزَّ وجلَّ على الإنسان لكن يجب أن يعلم الإنسان علماً يقينياً أنَّ هذا الذي قدَّره الله عليه لصالحه ، وليس في الإمكان أبدع مما كان ، وإذا كُشف الغطاء اخترتم الواقع ، فالإنسان إذا صدَّق الله عزَّ وجلَّ وعلم أنَّ حكمة الله حكمةٌ مطلقة ، وأنَّ حكمته تقتضي أنَّ كلَّ شيءٍ لو كان على غير ما كان عليه لكان نقصاً في حكمة الله إذا أيقن بهذا يرضى ويستسلم .

قد يفضل الله - عزَّ وجلَّ - إنساناً بالشكل ، وقد يفضلُه بالذكاء ، وقد يفضلُه بالمال ، أو يفضلُه بالقوَّة ، أو يفضلُه بأن يكون ابناً لملك ، أو يكون ابناً لإنسان فقير ، فالله عزَّ وجلَّ يقدِّم ويؤخِّر ، إما أنَّه يقدِّم رُتبةً أو أنَّه يقدِّم زمناً... ، فقد نجد أنفسنا في يوم واحد نذهب لنعزي أناساً في ميِّت ، وفي اليوم نفسه قد نذهب ونهنئ أناساً آخرين بمولودٍ جديد ، من قرر أنَّ هذا الذي توفَّاه الله اليوم مثلاً ولِد قبل هذا الذي ولد اليوم بسبعين سنة ؟ تقديم زمني ، وتقديم رُتبي ، فالله عزَّ وجلَّ هو المقدِّم وهو المؤخِّر .

إذا أيقنت بحكمته ، وإذا أيقنت برحمته ، وإذا أيقنت بعدالته تستسلم وترضى .

فأولاً : « التقديم كما قال بعض العلماء ضدُّ التأخير ، والمقدِّم لُغةً هو الذي يقدِّم الأشياء ويضعها في موضعها ، فمن استحقَّ التقديم قدَّمه » . . وبعد فلدينا معنى جديد وهو أن الله يقدِّم استحقاقاً ، ويؤخِّر استحقاقاً ، يقدِّم رتبةً استحقاقاً ويؤخِّر رتبةً استحقاقاً ، ويوجد مع التقديم حكمة ، ومع التقديم عدالة ، ومع التقديم علم .

والله تعالى هو المقدِّم الذي قدَّم الأحبَّاء بخدمته.. فهل من الممكن أو من المعقول أنَّ إنساناً خطب ودَّ الله عزَّ وجلَّ ولا يقدِّمه الله؟! إنسان أطاع الله والله لا يقدِّمه؟ فإذا لم يقدِّم الله عزَّ وجلَّ الطائعين فقد استوى عند الناس الطائع والعاصي ، فالطائع عندئذ فقد الباعث والحافز ، والعاصي فقد الرادع ، وإذا لم يقدِّم الله الطائع ولم يؤخِّر العاصي ، وإذا لم يقدِّم المحسن ولم يؤخِّر المسيء ، وإذا لم يقدِّم المستقيم ولم يؤخِّر المنحرف ، وإذا لم يقدِّم

الرحيم ولم يؤخر القاسي.. فالرحيم يَمَلُّ من عمله والمنحرف يستمرىء عمله .

لذلك هناك في علم التربية قاعدة أساسية.. ما لم يُكافأ المحسن ويُعاقب المسيء فالأمور تصبح فوضى . على مستوى مدرسة ، على مستوى مشفى ، على مستوى معمل.. فمثلاً يتأخر عامل كل يوم ساعة ولا يعاقب ، وعامل ينضبط أشد الانضباط ولا يكافأ ! بعد حين نجد المنضبط يتفَلَّت والمقصر يزداد تقصيراً .

فكان اسم المقدم والمؤخر مرتبطاً باسم المربي.. والله يقدم ويؤخر ، فهل من المعقول أنك شابٌ تستقيم ولا يقدمك ؟ ليس هذا معقولاً بل يقدمك ويكرمك ، فالله عزَّ وجلَّ قال :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴾ ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤-١] .

فهل تجد إنساناً الأرض يُذكر مع الله إلا رسول الله ﷺ ؟ ألا تقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؟ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ .. كلمة محمد ﷺ الآن في العالم كم إنسان يذكرها ؟ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ تذكر في الأذان خمس مرات كل يوم ملء الجو وفي الصلاة عند كل تشهد ملء النفس .

... الله تعالى هو المقدم الذي قدَّم الأحياء بخدمته.. أجل لقد قدَّمهم ، يريد الله من المؤمنين أن تكون معنوياتهم عالية ، لقد ذهب إلى الطائف بعد أن أخرجته مكة وكذَّبه ونكَلت بأصحابه ، ذهب إلى الطائف يستنصرهم فكذَّبوه وردَّوا دعوته وسخروا منه وأغروا سفهاءهم

بأيذائه ، فلما عاد قال له سيّدنا زيد : يا رسول الله أتعود إلى مكّة وقد أخرجتك ؟ قال : إنّ الله ناصر نبيّه .

حينما كان في طريقه إلى الهجرة تبعه سُراقَة بن مالك قال : كيف بك يا سُراقَة إذا لبست سوارِي كِسرى ، معنى ذلك أنّ النبيّ ﷺ واثقٌ من نصر الله عزّ وجلّ ، فأنت كمؤمن يجب أن تؤمن أنّك إذا استقمت على أمر الله ، وإذا أحببته وإذا أخلصت له ، وإذا أقبلت عليه فلا بدّ من أن يُقدّمك أبداً . هكذا حكمة الله وهكذا عدالته وهكذا رحمته .

قال العلماء : « الله تعالى هو المقدّم قدّم الأحباء بخدمته ، وعصمهم من معصيته » . وقال بعض العارفين : « المقدّم هو الذي قدّم أحبّابه وأسعدهم بالفهم والحكم ، والذي قدّم العارفين على الجاهلين » . الله عزّ وجلّ قال :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

ليس هناك نسبة .. فهل يكون الطائع كالعاصي ، أو أن تجد إنساناً مستقيماً كالمنحرف ، فالله يقدّم المستقيم ويدافع عنه .

فقد حدّثني أخ يعمل في دائرة له مدير غير ملتزم إطلاقاً ، لكنّه يحترم هذا الموظّف أشدّ الاحترام لأنه ملتزم ، ويتورّع هذا المدير عن أن يرتكب مخالفة للشرع أمام هذا الموظّف . ففي ظاهر الأمر أنّ هذا موظف بسيط والمدير لا شك أعلى مرتبة منه ، فانظر إلى الأعلى يحترم الأدنى لدينه ، فالله قدّمه ، فبدينك واستقامتك قد تكون مكانتك أعلى من مرتبتك .

قد يكون هناك في البيت شاب ، وله أربعة أو خمسة إخوة متفلتون يأتون في ساعة متأخرة ليلاً لهم أصدقاء وأصحاب منحرفون ، هذا

الشاب الورع المستقيم له مكانة في البيت لا تقل عن مكانة والده ، هذا مقدّم .. الله قدّمه ، كل إنسان في عمله وفي حيّته وفي أسرته إذا كان مستقيماً له اتصال بالله عزّ وجلّ الله يقدّمه ، هو المقدّم .

قال العلماء : قدّم العارفين على الجاهلين وفتح لهم أبواب اليقين ، قدّم العلماء على الجهلاء ، وجعلهم نجوم الاهتداء ، قدّم رسول الله ﷺ بدءاً وختاماً .

سيّدنا عمر عندما وقف على المنبر ليخطب بعد أن تولى الخلافة نزل درجة ، وقال : ما كان الله ليراني أضع نفسي في مقام أبي بكر . . معنى ذلك أنّ مقام أبي بكر محفوظ أشدّ الحفظ .

الله عزّ وجلّ قدّم رسول الله ﷺ على كلّ الرسل والأنبياء ، قال تعالى مخاطباً رسله وأنبياءه :

﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّمَّنْ لَمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران : ٨١] .

قدّمه ليلة الإسراء حيث صلّى بجميع الأنبياء .. أريد أن أستخلص من هذا الشرح أنّك لك مكانة عند الله بحجم عملك الصالح ، هذه المكانة تنالها بدّة بالغة وبعداً مطلقاً ، لا يمكن أن يستوي عند الله إنسانان متفاوتان في عملهما أبداً ، إذا كان عملك أصلح فمرتبتك أعلى ، ورعك أكثر فمرتبتك أعلى ، محبّتك أسمى فمرتبتك أعلى ، استقامتك أدق فمرتبتك أعلى ، فقد قال تعالى :

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام : ١٣٣] .

كل واحد منا له عند الله مرتبة .. له درجة ، له مكانة من خلال هذه المكانة يعامل ، قد نرى إنساناً أثيراً عند الله ، وقد نرى إنساناً

هَيِّئاً عَلَى اللَّهِ ، فَالْكَفَّارَ لَهُمْ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ . . قَالَ تَعَالَى :

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] .

يسقطون من عين الله ، هناك أناس إذا أرادوا أراد . دعاؤهم مستجاب .

فَاللهُ يَقْدَمُ . . وَإِذَا قَدَّمَ اللهُ فَالْأَمْرُ عَجِيبٌ ، وَإِذَا أَلْقَى مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ هَذِهِ سَعَادَةٌ كَبِيرَةٌ جَدًّا ، الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ كَيْفَمَا تَحَرَّكَ يَكُونُ مَحْبُوبًا ، كَيْفَمَا مَشَى يَكُونُ مُحْتَرَمًا ، فِي غَيْبَتِهِ يُشْنَى عَلَيْهِ ، وَفِي حَضْرَتِهِ يُشْنَى عَلَيْهِ ، فَاللهُ قَدَّمَهُ . . لِمَاذَا قَدَّمَهُ ؟ لِعَمَلِهِ الصَّالِحِ ، لَطَهَارَتِهِ ، قَدَّمَهُ لِإِخْلَاصِهِ وَقَدَّمَهُ لِاسْتِقَامَتِهِ ، اللهُ مُقَدِّمٌ وَمُؤَخَّرٌ .

يُؤَخَّرُ إِنْسَانًا . . هُوَ يَعْمَلُ لَكِنْ فِي عَمَلِهِ شَرَكٌ خَفِي ، هُوَ يَعْمَلُ لِيَرْضَى زَيْدًا أَوْ عُبَيْدًا ، لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْضَى زَيْدًا أَوْ عُبَيْدًا ، فَيُؤَخَّرُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، إِمَّا أَنْ يُؤَخَّرَهُ رُتْبَةً ، أَوْ أَنْ يُؤَخَّرَهُ زَمَنًا .

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ ق قَالَ تَعَالَى :

﴿ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۚ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٨-٢٩] .

أَتُظَنُّ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَظْلِمُكَ ؟ ! أَوْ يَبْخَسُكَ عَمَلُكَ ؟ ! أَوْ يَضْعُكَ فِي مَكَانَةٍ تَسْتَحِقُّ أَعْلَى مِنْهَا ؟ ! أَوْ يَطْمَسُ لَكَ تَأْلُفَكَ ؟ هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ ، أَنْتَ بَعْلَمُكَ وَعَمَلُكَ وَإِخْلَاصُكَ وَاسْتِقَامَتُكَ تَحْتَلُّ عِنْدَ اللهِ مَرْتَبَةً تَتَنَاسَبُ مَعَ أَحْوَالِكَ .

فَمِثْلًا . . أَتُجَدُّ إِنْسَانًا قَوِيًّا جَدًّا ، وَتَقُولُ لَهُ : أَفْعَلْ بِي مَا تَشَاءُ ؟ لَا يُمْكِنُ ، فَلَعَلَّ عِنْدَكَ أَخْطَاءٌ سَابِقَةٌ ، فَيَنْتَقِمُ مِنْكَ انْتِقَامًا شَدِيدًا ، أَمَّا سَيِّدُنَا هُوَذَا فَقَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ :

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ إِنَّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[هود : ٥٥-٥٦] .

الإنسان يمتحن مكانته عند الله بالدعاء ، يقع في أزمة وفي شدة ، فيدعو الله بإخلاص شديد ، فإن استجيب له معنى ذلك أن له شأنًا عند الله ، كما قيل : ابتغوا الرفعة عند الله .

بعض الناس يبتغي الرفعة عند الخلق . . يُحسِّن بيته ، يزيِّن بيته ، ويشترى أثاثاً فخماً ، ويركب مركبةً فخمةً ، ويرتدي ثياباً قشبية غالية ، يزهو بثيابه بمركبته بيته ، هو يحاول أن ينتزع إعجاب الناس بهذه المظاهر الفارغة يسعى ليسمو مكانةً عند الناس ، ومن علامات آخر الزمان أن قيمة المرء متاعه .

عشرة أشخاص يملكون مركبات من مصنع واحد لكن يتباهون . . فهذه مرسيدس مئة وتسعون ، وهذه مئة وثمانون ، وهذه مئتان وثمانون ، هذه ستمئة . . فالإنسان ينتزع مكانته فقط من مركبته ، من موقع بيته ، من مساحة بيته ، من ثيابه ، وهذا كله من علامات تخلف المجتمع ، القول الرائع النافع : « ابتغوا الرفعة عند الله » .

سَلِّمُ الرفعة عند الله بيد كل إنسان ، فهو بيدك . . ألا تستطيع أن تقيم الإسلام في بيتك ؟ ألا تستطيع أن تقيمه في عملك ؟ ألا تستطيع أن تضع متع الدنيا ومغرياتها تحت قدميك إرضاءً لله عزَّ وجلَّ ؟ ألا تستطيع أن تكون صادقاً ، ألا تستطيع أن تصلِّي الصلوات على وقتها ؟ ألا تستطيع أن تضبط لسانك ؟ أن تضبط جوارحك ، أن تربي أولادك ؟ سَلِّمُ الرفعة إلى الله بيد كل واحد ، فالقول الدقيق ابتغوا الرفعة عند الله ، هذا هو العاقل ، إن هذه الرفعة تراها شيئاً لا يُقدَّر

بشمن حينما ينتهي الأجل قال تعالى :

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٢٦-٢٧] .

الله هو الذي يقدم . . أنت تقدم على الله فيقدمك ، وتأخر عن الله فيؤخرك ، إذا أخلص الإنسان الله ألقى الله في قلب الناس محبته وهيبته ، من اتقى الله هابه كل شيء ، والإنسان إذا أزور عن الله ، وأعرض عنه انتزع هيبته من قلوب الخلق ، تطاول ، مزاح رخيص ، يمزح معه من هو دونه وقد ينال من كرامته .

المؤمن لا يبتغي الرفعة في الدنيا بل يبتغي الرفعة عند الله ، لكن الله عز وجل أجل وأكرم من أن يكافئه في الآخرة فحسب ، ويدعه في الدنيا هيناً ، فالدنيا تأتيه وهي راغمة تكرمة له من ربه .

مادام الله عز وجل يقدم ويؤخر ، أنت كعبد ألا تستطيع أن تتخلق بالكمالات التي تليق بالإنسان ؟ أنت أمام ألف خيار ما الذي ينبغي أن تقدمه ؟ وما الذي يجب أن تؤخره ؟ المؤمن الصادق يقدم أعمال الآخرة ، ويؤخر أعمال الدنيا .

إذا كان منهمكاً في عمل ودخل وقت الصلاة ، فإذا أصر الصلاة وتابع العمل فقد تخلف عن أن يكون الأول عند الله ، أما إذا قدم عمل الآخرة وأصر عمل الدنيا فيكون قد عرف قيمة الدنيا ، وعرف أنها مزرعة الآخرة ، فكن ممن يقدم الأعمال الصالحة ففيها رفعة شأنك ، ومن أثر الآخرة على الدنيا خسر الدنيا والآخرة .

هناك أشخاص أرى نفسي معجباً بهم ففي حياتهم أولويات ، مثلاً حفاظه على أوقات صلواته ، طلبه للعلم ، طاعته لله عز وجل ، فقد برمج حياته كلها وفق هذه الأهداف ، ووقته الزائد يصلح فيه شأن

دنياه ، فلن يؤثر نزهة على صلاة الجمعة ؟ ولن يقدم جلسة تافهة على مجلس علم ؟ دنياه مرتبتها الثانية في كل أحواله ، يؤثر مرضاة ربه على سائر متطلباته .

مامعنى مقدم ومؤخر ؟ لقد تحدّثنا قبل قليل عن أن الله جلّ جلاله يقدّم ويؤخر.. يقدم الصالح ويؤخر الطالح ، يقدم العالم يؤخر الجاهل ، يقدم المحب ويؤخر المبغض ، ويقدم الطائع ويؤخر العاصي ، يقدم المقبل ويؤخر المعرض ، يقدم مرتبةً ويقدم زمناً ، وهذا كله عدل منه سبحانه .

إذا أدركت أنك عبد الله حقاً فما حظك من هذا الاسم ؟ أنت أمام خيارات كثيرة يجب أن تقدم ما كان لله ورسوله ، أن تقدم ما كان للآخرة ، تلاحظ بائعاً مثلاً لديه زبون فيهتم به اهتماماً بالغاً ، فلو طلب منه شخص خدمة الله ، فما دام عنده تجارة رابحة ، يقول له : « مشغول ليس لدي فراغ » ، أي هو بحسب رؤيته أن هذه التجارة تأتيه بربح وفير ، وأما السائل فلربما يدعو له ، فماذا سيجني من الدعوة ؟ أما لو عرف قيمة حياته الدنيا وعرف أنها مزرعة الآخرة ، لأقبل على العمل الصالح أكثر من إقباله على الربح المادي .

وثق أن هناك أشخاصاً يقدمون خدمات لله دون أن يرجو من الناس أجراً ، وإذا علموا فأعطيتهم أجراً لتألّموا أشدّ الألم ، ولسارع قائلاً لك : أنا فعلت هذا لله ، لا أريد جزاء ولا شكوراً .

قال لي يوماً أخ كريم.. لديه أزمة في قلبه ، يحتاج إلى عملية ، تكلف مبلغاً ضخماً - فوق الثلاثمئة ألف - تلقى اتصالاً هاتفياً من امرأة محسنة ، قالت له اتصل غداً بالطبيب الفلاني إنه سيجري لك العملية

مجاناً ، دفعت ثمن العملية وهناك إنسان آخر يقيم احتفالاً يكلف ملايين ليزهو أمام الناس ويضئ أن يتصدق بمئة ليرة .

الذي قدّم العمل الصالح كان مقدّماً عند الله ، والذي قدم شهواته على أعماله الصالحة كان مؤخراً عند الله ، فالله سبحانه وتعالى يقدّم ويؤخّر .

في الحقيقة يجب أن يكون مسارك في الحياة واضحاً جلياً . . فكثيرة هي المقاييس الماديّة ، فإنسان يتقدّم بماله ، يتقدم بمرتبته ، أحياناً يتقدم بنسبه ، أو بقوّته ، يتقدم بذكائه ، يتقدّم تقدماً مبدئياً ، أو تقدّماً مؤقتاً ، فإن لم يكن مطيعاً لله أخره الله ، هذا التقديم تقديم امتحان ، أو تقديم استدراج ، إن لم يكن في مستوى هذا التقديم أخره الله عزّ وجلّ ، إما أن يؤخره بفضيحة ، أو بكفّ يد ، أو بإهمال وإزاء ، أو بخطئ فاحش يرتكبه يعاقب عليه ، أما المؤمن فدائماً خطّه البياني صاعداً صعوداً مستمراً . . .

فالكافر قد يصعد خطّه البياني صعوداً حاداً ليسقط سقوطاً مريعاً ، أما المؤمن فصعد خطّه صعوداً منتظماً بطيئاً مستمراً ، وهذا الصعود إلى أبد الأبد ، الله مقدم ومؤخّر ، يقدم أناساً ويؤخّر أناساً .

كلّكم يعلم قصة سيدنا عبد الله بن رواحة عندما عيّنه النبي ﷺ قائداً ثالثاً لجيش مؤتة ، وكيف أنّ القائد الأول سيدنا زيد تقدّم وأخذ الراية فقاتل بها حتى قُتل ، وقد قال عنه النبي ﷺ : إني لأرى مقامه في الجنة ، وكيف أنّ سيدنا جعفرأ رضي الله عنه أخذ الراية بعده وتقدّم بها فقاتل حتى قُتل ، وقال عنه النبي ﷺ : وإني لأرى مقامه في الجنة ، وتروي بعض الروايات أنّ القائد الثالث سيّدنا عبد الله بن

رواحة لما رأى صاحبيه قُتلا في وقتٍ قصير تردد في أخذ الراية ، وقال بيتين من الشعر :

يا نفسُ إلا تُقتلي تموتي هذا حِمَام الموت قد لَقِيتِ
إن تفعلِي فعلهما رَضِيتِ وإن توليتِ فقد شَقِيتِ

حدَّث النبي ﷺ أصحابه عن سيدنا زيد وسيدنا جعفر ثم سكت . قال أصحابه من الأنصار : يا رسول الله ما فعل عبد الله بن رواحة ؟ قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ، فرأيت في سرير عبد الله ازوراراً عن سرير صاحبيه لأنه تردد . . . فإله يقدم ويؤخر .

قال ﷺ : « ما نفعني مال ما نفعني أبي بكر »

وقال ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً . . . ولكن أخي وصاحبي في الله . . . سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر »

وعن عمر : أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ . فإله قدمه . . ما أخذ رسول الله ﷺ من أحدٍ ماله كلّه إلا أبا بكر وقال ﷺ « إن من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر . . » لذلك أنت حينما تعتمر تقف أمام مقام النبي ﷺ ثم تقف أمام مقام سيدنا الصديق ، ثم أمام مقام سيدنا عمر .

وقال رسول الله ﷺ في حقّهما : « هذان السمع والبصر »

[الترمذي] .

إله قدّمهما . . ففي كل مجتمع مقدّم ومؤخّر ، إله يقدم الطائع ،

فقد تجد إنساناً يعمل بلا ضجيج ، وهؤلاء الأتقياء الأخفياء يعملون بصمت ، يعملون بلا ضجيج ، يبذلون جهوداً كبيرة ، يعلمون ، يتصدقون ، يمسحون عن الناس جراحاتهم ، هؤلاء قد تراهم في الظل وفجأة يتقدمون .. فالله قدمهم ، الله هو المقدم وهو المؤخر .

حتى في عملك إذا كنت من المحبوبين عند الله يقدمك في عملك ، يلمحك من الأساليب التي لا يلمحها غيرك ، يلمحك تصرفات لا يعرفها الآخرون ، يدافع عنك في غيبتك فهو المقدم ، يقدمك .

ورد عن سفيان الثوري : من قدم على أبي بكر وعمر أحداً فقد أزرى على اثني عشر ألفاً من أصحاب رسول الله ﷺ توفي رسول الله وهو عنهم راض .

المؤمن إذا أراد أن يتخلق بكمالات الله ، يقدم أمور الآخرة على أمور الدنيا .. فقد تجد إنساناً مستعداً لأن يترك صلاة ومجلساً للعلم لإصلاح آلة تافهة في بيته .. أليس كذلك ؟ أو يترك صلاة ومجلس علم لاستقبال ضيف بسيط حديثه فارغ ، يستحي أن يقول له : لدي الآن درس وهيا نذهب معاً إلى المسجد لسماعه .

المؤمن إذا أراد أن يتخلق بكمالات الله يقدم أعمال الآخرة على أعمال الدنيا ، ففي حياته أولويات .. تلاحظ أن أصحاب الأعمال الناجحين أحدهم يمضي وقتاً معيناً يقرأ جريدة ، ويشرب كأساً من الشاي ، لكن إذا جاءه زبون ترك الجريدة وترك كأس الشاي ، وقام بإقناع الزبون بالشراء .. معنى ذلك أن هذا المحل تجاري وأساسه الربح ، فإذا جاء زبون يجب أن نهتم جميعاً به ، وليس من المعقول

أن ينتظر الزبون حتى تنتهي المقالة التي نقرأها ؟ لا أحد يفعل ذلك ،
الأهم على المهم ، وإذا أنت فعلت ذلك فمن باب أولى أن تقدم
الأهم على التافه ، فأمر الدنيا تافهة .

قمنا بتشييع جنازة يوماً ودخلنا إلى المقبرة في الباب الصغير ،
قلت لمن كان إلى جانبي : كل هؤلاء الموتى ماتوا وفي دفاترهم قوائم
لأعمال طويلة وكثيرة لم تنتهِ بعد .

الإنسان يُنتزع من بيته ، من عمله ، لم يفرغ بعد من صب سقف
لبيته ، أو لم ينتهِ من دراسته الجامعية ، فكل هؤلاء الموتى تركوا
الدنيا وتركوا همومها ومتاعها ، كما تركوا قوائم أعمال لم تشطب
بعد . . فعلى الإنسان أن يقدّم الآخرة على الدنيا .

ومن معاني المؤخر في حقّ الله تعالى كما يقول بعض العارفين :
الذي يؤخّر المشركين . . القتل المشركون في بدر . . جعل النبي ﷺ
يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَيَا فُلَانُ بْنُ
فُلَانٍ ، أَيَسْرُكُمْ أَنْتُمْ اطْعَمْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا
حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فقال عمر : يارسول الله ،
مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا ؟ فقال النبي ﷺ - : والذي نفسُ
مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ . قال قتادة : أحياهم الله
حتى أسمعهم قوله ، توبيخاً ، وتصغيراً ، ونقمة ، وحسرة ، وندماً ،
[البخاري ومسلم] .

الله أخرهم . . ماتوا حتف أنوفهم ، ماتوا كالجيف ، أما أصحابه
الكرام فقد تألقوا كالنجوم .

فنحن نذكر اسم سيدنا عمر مئات المرات ، ونترضى عنه كل يوم

وكل ساعة ، وفي كل مسجد ، وفي كل بلد إسلامي . . استحق ثناء الخالق والمخلوقين ، على حين أن هناك من استحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كأبي جهل وأمثاله .

قال : المؤخر في حق الله تعالى هو الذي يؤخر المشركين ، ويرفع المؤمنين ، يؤخر العصاة ، ويرفع الطائعين .

روى ابن المبارك قال : حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : حضر الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وأولئك الشيوخ من قريش فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر : لصهيب وبلال وأهل بدر وكان يحبهم ، وكان قد أوصى بهم فقال أبو سفيان : ما رأيت كالיום قط إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا فقال سهيل بن عمرو : - قال الحسن : وياله من رجل ما كان أعقله - أيها القوم إني والله قد أرى في وجوهكم فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون فيه ثم قال : أيها القوم إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ولا سبيل لكم - والله ! - إلى ما سبقوكم إليه! فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله عز وجل أن يرزقكم شهادة .

قال الحسن : فصدق والله! لا يجعل الله عبداً له أسرع كعبد أبطأ عنه .

الله قدم بلالاً وصهيباً وآخر أبا سفيان . . أسلم متأخراً ورضي الله عنه ، ولكن ليسوا سواء ، فمن خاض ضد رسول الله المعارك أكثر من

عشرين سنة ثم بعد ذلك أسلم ، كَمَنْ قام بنصره منذ البداية ؟ ! ،
فهناك فرقٌ كبيرٌ جداً بينهما ، ولكلٍّ حسابه .

إذاً . . يؤخر المشركين ، ويقدم المؤمنين ، ويؤخر العصاة ويقدم
الطائعين .

وأحياناً من معاني المؤخر . . أنه يؤخر العقوبة لحكمةٍ بالغةٍ ، قد
يكون إنسانٌ مرتكباً لمعصيةٍ ، ومتلبساً بها ولكن في علم الله فيه خير ،
لو أن الله عاقبه بمعصيته لأهلكه ، فالله عزَّ وجلَّ يعلم حقيقة نفسه
فيؤخر عنه العقوبة فلعله يتوب ، فيكون التأخير منه سبحانه لحكمةٍ
بالغةٍ .

لذلك فالمصائب خمسة أنواع : مصائب المنحرفين ، والعصاة ،
نوعان . . مصائب قصمٍ ، ومصائب ردعٍ ، القصم كما قال الله عزَّ
وجل عن قوم نوح :

﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴾ [هود : ٣٦] .

هناك أشخاصٌ في علم الله لا يهتدون ، لذلك يقصمهم الله عزَّ
وجلَّ ، أشخاص فيهم بقيةٌ خير ، فالله عزَّ وجلَّ يسوق لهم بعض
الشدائد ليردعهم لكن لا يقصمهم ، فالله يقدِّم هلاك إنسان ويؤخر
هلاك إنسان ، لذلك آخر فتح مكة قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّكَ تَعْلَمُونَهُمْ أَن تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ
مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الفتح : ٢٥] .

أناس مؤمنون ضعفاء خافوا أن يُعلنوا إيمانهم في مكة ، فالله عزَّ
وجلَّ آخر فتح مكة ومنع الصحابة الكرام من قتال أهل مكة إكراماً

لهؤلاء.. معنى ثالث.. يقدم العقوبة أو يؤخرها ، يقدم المكافأة أو يؤخرها .

أحياناً قد يقدّم له الله المكافأة للإنسان ، فيرتاح ويقعد ويتوانى ويتكاسل ، وأحياناً يؤخر الله للإنسان المكافأة فيأْس.. ولحكمة أرادها الله يقدّم المكافأة أو يؤخرها ، يقدم العقاب أو يؤخره.. فمن أسمائه المقدّم والمؤخّر .

قال العلماء : متى أشرق في قلبك نور اسمه المؤخّر ، صرت في كلّ الأمور متدبراً فتؤخّر كلّ ما أخره الله ، فما أخره الله تؤخره ، وما قدمه الله تقدمه .

فالله يقدّم ويؤخّر.. وأنت كمؤمن من لوازم تأدّبك مع اسم المقدّم المؤخر أن تقدم أهل الإيمان ، وأن تؤخر أهل الدنيا ، فإذا دعي الإنسان العادي من قبل إنسان غني تراه يلبي الدعوة مئة في المئة ، أما إذا دعي من قبل إنسان فقير يسكن في أطراف المدينة اعتذر متعللاً بعمله وانشغاله وبعدم فراغه وأنه محمي عن الطعام.. تلبية دعوة الأغنياء والأقوياء من الدنيا ، وتلبية دعوة المؤمنين من الآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « لو أهدي إليّ كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت » .

والنبي عليه الصلاة والسلام بهذه المناسبة حضّنا على تلبية الدعوة فقال : « من لا يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » [رواه مسلم] .
روي أيضاً :

عَنْ نَافِعٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى غَيْرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا » [سنن أبي داود] .

دعي أحد الصحابة ذات مرة إلى وليمة فقال : إني صائم ، ف قيل له : اذهب معنا ، وصلّ وقت طعامنا ، وقال ﷺ : « إذا دعي أحدكم وهو صائم فليقل : « إني صائم » وفي رواية قال : « إذا دعي أحدكم فليجب ، فإن كان صائماً فليصل ، وإن كان مفطراً فليطعم » [رواه مسلم] فإن الصلاة هنا الدعاء .

معنى ذلك أن ليس القصد من الدعوة أن تملأ البطن ، القصد من الدعوة أن تلتقي بإخوانك ، أن تجتمع إليهم ، أن تذكر الله معهم ، يعني أنك لو كنت صائماً فلبّ الدعوة وإن لم تأكل شيئاً ، فإذا كان الهدف الأكل ليس للدعوة أية قيمة في أن يلبي صائم الدعوة ، وأما إذا كان الهدف اللقاء مع إخوانك وأن تتذاكر معهم أمور الدين فالأكل أصبح شيئاً ثانوياً ، فإذا كنت صائماً فلبّ الدعوة واجتمع إليهم وادعُ وقت الطعام ، فمن دعي ولم يلبّ فقد عصى الله ورسوله ، من دعي ولم يلبّ فقد عصى أبا القاسم .

عن أبي سعيد الخدري قال : صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : إني صائم فقال رسول الله ﷺ : دعاكم أخوكم وتكلف لكم ثم قال له : أفطر وصم مكانه يوماً إن شئت [البيهقي بإسناد حسن] .

إذا المؤمن يقدم أهل الإيمان ، ودعوة أهل الإيمان .

سرّني أن أحد الأشخاص وصل إلى منصب رفيع جداً ، وزاره أستاذه وهو رجل علم ودين ، فنزل من الطابق الثالث وفتح له باب السيارة وبالع في توقيره أمام الناس ، وإن من إجلال الله إجلال ذي الشبهة المسلم .

فأنت عندما تقدم أهل الإيمان تنعشهم ، ألم يقل رسول الله ﷺ :
 « إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ، رضاً بما يصنع » ، أنت
 عندما تتخلق بكمالات الله ، تقدم المؤمن وتجله ، وإذا وجدت فاسقاً
 أو فاجراً تؤخره ، تأخيرك إياه له معنى ردع له وتحجيم لحاله ، أما
 أكثر الناس فيعظمون أهل الدنيا ، ويشنون عليهم .

ولقد سمعنا عن أدباء في بلدٍ عربيٍّ مسلم من خلال كتاباتهم أنهم
 كانوا زُناة في أوروبة ، والآن يوصف بأنه الأديب الكبير ، المسرحي
 الكبير ، فهذا إنسان غير ملتزم بقيم دينه ، مقترف لأكبر المعاصي ،
 فأنت كمؤمن عليك أن تتخلق بكمالات الله ، أن تقدم المؤمنين ، أن
 تقدم الورعين ، أن تقدم الأتقياء ، وأن تؤخر أهل الدنيا العصاة ،
 الفاسق ، لأن الله عزَّ وجلَّ كما روي عن رسول الله ﷺ يغضب إذا
 مدح الفاسق في الأرض .

أي إذا مدحت فاسقاً فإنك قلبت الأمور رأساً على عقب ، ابنك
 يعرفه مثلاً منحرفاً ، يعرف بيته متفلتاً ، وأنت تثني عليه أمام ابنك ،
 وابنك في الصف السابع . . . تقول عنه : ما شاء الله فهم وذكاء ولباقة
 وعلم وأدب وأسرة راقية ونسب مع أنه لا يصلي ، سلوكه منحرف
 وكلامه أحياناً بذيء ، والابن يراه أمامه ، فهذا المديح لأشخاص
 ينبغي أن يؤخروا استهتار منك وهدر للقيم ، أنت كمقدم يجب أن
 تقدم أهل الإيمان ، وكلَّ إنسان يقدم أهل العلم وأهل الإيمان ، يكون
 ذا إيمان قوي ، وإذا وجدَ إنساناً عاصياً ومنحرفاً وفاجراً أخره .

لذلك من السُّنة ألا تحترم المبتدع ، فالإنسان المبتدع عقيدته
 فاسدة ، ويروجُ فكراً منحرفاً ، ويروجُ ضلالات . تحترمه وتعظمه

وتبجله وتثني عليه ؟ أنت أحدثت في الناس فتنه وبلبلت الأمور ، فإن الله ليغضب إذا مُدح الفاسق .

من تطبيقات هذا الاسم : يجب أن تقدم المستقيم المؤمن الورع ، فإذا كانت قيمنا مادية ، نقدم الأغنياء ، ونقدم الأقوياء ، أما إذا كانت قيمنا إسلامية نقدم أهل العلم ، تقدم أهل الفضل ، نقدم الورعين ، الطائعين .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ حِبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ ! فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » . [صحيح البخاري] .

هذا هو ديننا ، لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرت لقطعت يدها .

لذلك فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم .. فالنبي عليه الصلاة والسلام روي عنه : « اللهم ! لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافيه بها في الدنيا والآخرة » .

لا تخضع لكافر ، لا تقبل منه عطاء أو نحوه كأن يقوم بإيصالك بمركبته ويستعلي عليك ، فأنت عزيز ، أما إذا كان مؤمناً فلا مانع من ذلك ، لكن إذا كان إنساناً منحرفاً ومتفلتاً يميناً عليك ويتفضل عليك أوتقبل عطاءه ؟ لا فلا تقبل منه شيئاً .

قال العلماء : من أدب المؤمن مع اسم المؤخر .. أن يؤخر

حظوظ نفسه ، وأن يؤخر نزواتها ، أن يؤخر أهواءها ، لا تتبع النفس هواها إنَّ اتباع الهوى هوان ، قال عبد الرحمن البرعي :

واخجلتي من عتاب ربي إذا قال لي أسرفت يا فلان
إلى متى أنت في المعاصي تسير مرخى لك العنان
عندي لك الصلح وهو برِّي وعندك السيف والسنان
ترضى بأن تنقضي الليالي وما انقضت حربك العوان
يجب أن تؤخر حظوظ النفس ، وقد ذكرت كثيراً : ضع حظوظ نفسك تحت قدميك ، إذا كنت تحب الله ورسوله .

قال أبو مريم السلولي لسيدنا عمر : أتحنني ؟ فقال له : لا والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم السفوح . فقال له : وهل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي ؟ قال له : لا والله ، إذن هو يعطي الحق لأصحابه .

بعض العلماء يقول : « المقدم والمؤخر .. هو الذي يقدم من شاء ويؤخر من شاء على بابه » .

ففي بعض الأيام يفتح لك بابه ، وفي بعضها الآخر يغلقه ، وأحياناً يحجبك ، وأحياناً يفتح قلبك ، ويتجلى عليك ، أولاً يتجلى ، هو المقدم والمؤخر .

فأنت لا تكن عبد الفتح بل كن عبد الفتاح ، فالله إذا فتح فاحمد الله على ذلك ، وإن لم يفتح فأنت مستقيم ولا تضجر ، لا يفتح ، تعطيشاً لك ، ثم يفتح عليك فتحاً كبيراً ، يضر لينفع ، يأخذ ليعطي ، ويذل ليعز ، ويقبض ليسط .

أحياناً يكون الإنسان صادقاً مع الله صدقاً من مستوى عالٍ ، فالله يقدّم له قدرات تتناسب مع هذا الصدق .

فلدينا سؤال له جواب وهو : لم أعطى الله فلاناً قدرات عالية ولم يعطها لفلان ؟ يكون هذا المُعطى له طلبٌ عالٍ جداً ، الشاب إذا كان طموحاً جداً فيعطى إمكانيات تتناسب مع طموحاته ، فالله إذا أخر وقدم فالتقديم أولاً متعلّق بتطلّعات الإنسان ومتعلّق بحكمة وعدالة ، فقد تشعر بإنسان في نفسه طموحات عالية جداً ، هذه الطموحات تحتاج إلى قدرات عالية فيمنح هذه القدرات ، هذه القدرات قدّم بها ولكن لم يقدم بها ظلماً ، أو تخصيصاً لا معنى له ، بل قدم بها لسبب يعلمه الله عزّ وجلّ ، فكن أديباً مع الله عزّ وجلّ .

فإذا قدم الله عليك إنساناً في باب الخير معنى ذلك أن صدقه أكبر من صدقك ، ومعنى ذلك أن الله عنده علم أن هذا الشخص له قدم صدق عند ربه أعلى مما تتحلّى أنت به ، من صدق .

قال العلماء : « هو الذي قدم الأبرار وأخر الفجار ، قدم الأبرار وشغلهم به ، وأخر الفجار وشغلهم بالأغيار » .

فإذا استرذل الله عز وجل عبداً شغله بالدنيا ، حتى لكانه يعيش في قنوات المجاري ، أما إذا أحب الله عبداً شرفه بمعرفته ، فالنبي الكريم ﷺ منزلته بالأفق الأعلى ، وهناك من يعيش في تفاهات الناس وقصصهم وخلافاتهم وصراعاتهم ، في قلبه حسد وغيرة ، ويدخل فيما لا يعنيه ، فإذا غضب الله على إنسان شغله بتوافه الأمور ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾

اللغو كلُّ حديث فيما سوى مرضاة الله ، إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها وذنبيها ، فليلاحظ أحدنا ما الذي يشغله ؟ قد تشغله معرفة الله وخدمة الخلق ، ونشر الحق والأمر بالمعروف ، وقد تشغله هموم المسلمين ، وقد يشغله بيته ، وأثاث بيته وطلبات زوجته ونزوات أولاده ، فمن كان هذا مستواه فهو بالرثاء جدير ، فكلما كبر الإنسان عند الله عزَّ وجلَّ تكبر همومه ، وكلما صغر يصبح شغله الشاغل في تفاهاتٍ لا تقدّم ولا تؤخر .

أحد العلماء يقول : « المقدم والمؤخر هو الذي يقرب ويبعد ، يقرب أحبابه ، يبعد أعداءه » .

فأكبر عقاب يناله أعداؤه أنه يلعنهم ، يحجبهم ، وأكبر مكافأة ينالها أحبابه أنه يتجلّى على قلوبهم .

قال : « يقرب أنبياءه وأوليائه بتقريبهم وهدايتهم ، ويؤخر أعداءه بإبعادهم وضرب الحجاب بينه وبينهم » .

الإنسان يوم القيامة يُنبأ بما قدم وأخر . . مثلاً استحق على هذا الإنسان زكاة ماله ، وبيته يحتاج إلى طلاء ، فإذا قدم أداء زكاة ماله فهو مؤمن ، أما إذا قدم طلاء بيته على أداء زكاة ماله ، فقد أخر ما ينبغي أن يقدمه ، وقدم ما ينبغي أن يؤخره . . ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر .

بعض الناس قد يقدم مصالحه الشخصية على دينه ، ويقدم دخلاً مشبوهاً على نزاهته ، يقدم شيئاً ينفعه في دنياه لكن يغضب ربّه ، ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر .

قد يقدم شهوته على طاعة ربه ، يُقدم على كسب مال غير مشروع

ويقدمه على طاعة ربه ، وكل إنسان يوم القيامة يُنبأ بما قدم وأخر ، هذا قدمته وهذا أخرته ، هذا فضله وهذا أهملته ، هذا أعطيته وهذا منعته ، هذه الشهوة فعلتها خلاف منهج الله ، وهذه الطاعة تركتها خلاف منهج الله ، فقد قال تعالى :

﴿ يَبْتَغُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُ لَمَّا عَاذَرُوا ۖ ﴾ [القيامة : ١٣-١٥] .

من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يدعو ويقول :

« رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . [صحيح البخاري] .

قدم كل ما يرضي الله وأخر شهوتك وكل ما لا يرضي الله ، تكن من أسعد الناس في الدنيا والآخرة .

* * *

المانع

من أسماء الله الحُسنى المانع .

فالله سبحانه وتعالى مانع ، قد تفهم من كلمة مانع أنه يُعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يُعزّز ويذل ، ولهذا الاسم معانٍ كثيرة غير المعنى الأولي الذي يتبادر إلى ذهنك .

المنعُ في اللغة ضدُّ الإعطاء.. في البلاغة ما يسمّى بالطباق.. كأعطى ومنع ، ضرَّ ونفع ، خفض وأعلى ، قبض وبسط ، هذه بالأفعال ، أما بالأسماء.. حرٌّ وقر ، عدلٌ وجور ، صالحٌ وطالح ، كريمٌ وبخيلٌ.. إلى آخره.. إذا جاءت الكلمات متعاكسة في معانيها فهذا ما يسمّى بالطباق ، فإذا جاءت مجموعة كلمات تعاكس مجموعة كلمات في جملة واحدة فهذا ما يسمّى بالمقابلة .

فالمانع في اللغة.. المنع ضدُّ الإعطاء ، منع ضدُّه أعطى ، والمانع ضدُّ العطية ، يعطي أو يمنع ، والمعنى الذي قد لا يخطر في البال : هو المانع بمعنى الحماية.. يمنعك من خصومك ، يمنعك من أعدائك ، يمنعك من أن ينزل بك شر ، يمنعك من الأشرار ، يحميك ، يحفظك ، أنت في حمايته ، أنت في مَنعة ، لا أحد يصل إليك ، لا أحد يستطيع أن ينال منك ، فهذا معنى آخر من معاني المانع .

المانع : هو الذي يمنعك من كلِّ ما يؤذيك ، يمنعك من العطب في دينك ودنياك ، الله عزَّ وجلَّ مانع للمؤمنين ، يدافع عنهم ويحفظهم ويوفِّقهم ، ويؤيِّدهم .

المانع مطلقاً . هو الذي يجعل الحيلولة بين شيئين ، إنسان هجم على إنسان لينال منه ، فاحتذى بإنسان قوي ، فهذا القوي منع الأول من أن يعتدي على الثاني ، فهو مانع أي جعله في منعة وحماية ، وهذا غير معنى المانع ضدَّ المعطي ، المانع هو الحافظ .

قولهم . . حصنٌ منيع أي لا يستطيع أحدٌ أن يصل إليه ، فلانٌ في عزٍّ ومنعة ، أي هو عزيز ممتنع على من يرومه ، الشعور بالمنعة شعور رائع جداً تشعر أنك في حماية الله ، أن الله معك ، أن الله يحفظك ، أن الله يؤيِّدك ، أن أحداً لا يستطيع أن يصل إليك ، هذا الشعور يقابل الطمأنينة ، يقابل الشعور بالأمن .

الإنسان أحياناً يركب مركبة حديثة جداً فيشعر بعدم وجود مشكلة فيها ولن تقطعه بالطريق ، وأحياناً يركب مركبة قديمة جداً وقد يصل بسلامة لكنه قلق طوال الطريق ، فالمنعة شعور بالأمن والاطمئنان ، عدم توقُّع المصيبة . . وقد قالوا : توقُّع المصيبة مصيبةٌ أكبر منها .

وقالوا : أنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض . لذلك فالله - عزَّ وجلَّ - إذا أراد أن يعاقب المعرضين ينزع من أحدهم شعور الأمن ، هم أغنياء وأقوياء وأذكىاء ومع ذلك خائفون ، يقذف الله في قلوب المشركين الرعب بسبب شركهم ، وعلامة الإيمان الطمأنينة لأنك مع الله ، والله معك ، ومن كان مع الله لا يخشى أحداً إلا الله ، وللأنبياء مواقف صعب تفسيرها . . فهذا سيّدنا

هود يخاطب قومه قائلاً لهم : ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ ۖ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿

[هود : ٥٥-٥٦]

فبالنهاية لك مشاعر نفسية ، هذه المشاعر النفسية مهمة جداً جداً في حياتك ، وفي معادك إلى الله ، لأنَّ هذه المشاعر الراقية تقودك إلى أن تعمل عملاً صحيحاً ، والعمل الصحيح سبب سعادتك في الدنيا والآخرة ، والمشاعر السوداءويّة تثبّط عزائمك ، الإنسان أحياناً يصاب بمرض نفسي ، هذا المرض يقعه في البيت ، يمنعه من العمل ، فيلجأ إلى التدخين ، إلى المخدرات أحياناً ، وبهذا المرض النفسي يتوهم أنَّ الناس كلهم أعداؤه ، فالحالة النفسية مهمة جداً ، أهم شيء تعيشه حالتك النفسية ، فالمؤمن له حالة شعورية عالية جداً ، وأساسها أنَّه ممنوع ، أي أنَّ الله منع خصومه أن يصلوا إليه ، ومعنى قوله تعالى :

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور : ٤٨] .

أي بحفظنا وتوفيقنا ورعايتنا .

المانع في أسمائه جلّ ذكره هو الذي يمنع من يستحقُّ المنع ، ما كلُّ واحدٍ من الناس يستحقُّ المنع ، فهناك إنسان لا يستحقُّ المنع بل يستحقُّ أن يتورّط ، يستحقُّ أن يكون مكشوفاً ، يستحقُّ أن يصل أعداؤه إليه ، فقد قال تعالى :

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المتحنة : ٥] .

إذا لم يستقم الإنسان يفتن بالكفر ، ينالون منه ، لهم عليه ألف سبيل وسبيل ، لأنَّ الله لم يمنعه ، لأنَّه ما استحقَّ المنع ، استحقَّ أن

يصلوا إليه ، استحقَّ أن ينالوا منه ، استحقَّ أن يتحكّموا فيه ، استحقَّ أن يقهره ، أما إذا كنت مطبّقاً لمنهج الله ، إذا كنت مع الله عزّ وجلّ فأنت ممن يستحقّ المنع ، عندئذٍ يمنحك الله عزّ وجلّ .

وبعد ، فالعوامل الممرضة موجودة في الدنيا ، إنسان يصاب ، إنسان آخر لا يصاب ، الذي لم يُصب ممنوع من قبل الله عزّ وجلّ ، والذي أُصيب سمح الله لهذا الجرثوم ولهذا المرض أن يفعل فعله ، كلمة (ممنوع) شيء دقيق الدلالة جداً ، يعني أنت تحوطك رعاية الله ، لا يسمح الله لأحد أن يصل إليك ، إنك معه ، هو يحملك .. فقد قال تعالى :

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤] .

سبق أن ذكرت كيف أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام اتجه إلى بني النضير مع ثلّة من كبار أصحابه ليطالبهم بما عليهم من عهدٍ وقّعه معهم ، فجلس في مكانٍ في حيهم وأسند ظهره إلى جدار بيت فائتمروا به بأن يصعد أحدهم إلى السطح ويلقي عليه صخرةً يقتله ويستريح منه الناس بزعمهم ، فجاءه الوحي بالخبر فنهض النبيّ ﷺ من مجلسه وتبعه أصحابه وفوّت الله على العدو تدبيرهم ، وأنت كمؤمن لن يأتيك الوحي ولكن يأتيك من الله إلهام .

امرأة صالحة تطهو طعامها في قدرٍ تعمل بالبخار المضغوط بيدو أن فيها خللاً وصارت على وشك الانفجار ، وإذا انفجرت شيء مخيف جداً ، وقبيل أن تنفجر بدقيقةٍ واحدة قُرْع الجرس ، ذهبت لفتح فلم تجد أحداً ، كان طفل صغير يلهو فقرع الجرس وهرب ، في أثناء فتحها للباب انفجرت القدر - الطنجرة - فالله مانع ، منع المرأة أن تصاب بأذى .

إخوةٌ كثر.. حدّثوني وكانوا في طريقهم في سفر ، وبعد أن قطع أحدهم ألفاً وخمسمئة كيلو مترٍ من الطريق وأوقف السيارة أمام البيت ، تفككت بعض قطع السيارة وتساقطت على الأرض لو أنّها أصابها الخلل أثناء السير لهلكوا كلّهم ، من الذي منع وقوع الحادث ؟ الله جلّ جلاله .. الله يمنعك من الحوادث .

قال لي أحد الطلاب الذين يدرسون الطب.. ركب سيارة عازماً على السفر إلى محافظة إدلب.. فجاء إنسان فظ غليظ وشأنه غير معقول فهو كالوحش ، فتح الباب وبدلاً من أن يقول لهذا الطالب اسمح لي بهذا المقعد ، وهذا الطالب حجمه صغير ، فحمله ووضعته على الأرض وركب بدلاً منه وأخذ مكانه ، فقال لي هذا الطالب : امتلأت غيظاً إلى حد كبير وغير معقول ، ومضت ساعة ونصف حتى تمكّن من ركوب سيارة أخرى ، وعند قرية تفتناز - وهي إحدى قرى محافظات الشمال - وجدت السيارة الأولى قد تدهورت وفيها أربعة قتلى من ركابها الخمسة ، والناس متجمّعون حولها.. كان أحد ركاب تلك السيارة المنكوبة لكنه أرغم على النزول.. من الذي منعه وأنزله منها؟ الله جلّ جلاله ، إما عن طريق إلهام ، أو عن طريق سبب آخر .

ولقد وقع قديماً حادثٌ بمكان سمعت أنّ كل من كان في هذا المكان قُتلوا ، ولي صديق موظّف في المكان نفسه وتوقّعت أنه في عداد القتلى ، ثم فوجئت به في الطريق بعد أيام فسألته عن أحواله فقال لي : قبل خمس دقائق من الحادث خطر لي أن أشتري ربطة من الخبز من مكان قريب فخرجت ، وأثناء غيابي وقع الحادث .

قد يحدث حريق أو انفجار لأسطوانة الغاز ، أو يكون الشخص

بمطعم فتنفجر أسطوانة الغاز ويكون مقدراً لها أن تقتل عشرة أشخاص وفيهم شخص ممنوع فيخطر في باله الخروج لشراء شيء ما وأثناء خروجه تنفجر ، فليس هناك شيء يقع مصادفةً في الكون كله أبداً ، فالله عز وجل مانع .. يمنع الخطر .

لذلك فالمؤمن يشعر بطمأنينة لا يعلمها إلا الله ، لأنه لم يؤذ أحداً ، ولم يكن سبباً في ألم إنسان أو ترويعه ، ولم يكن سبباً في ابتزاز إنسان ، أو سبباً في إدخال الرعب على قلب أحد ، لم يبن مجده على أنقاض الآخرين ، ولم يبن غناه على فقرهم ، بل هو محسن في كل عمل فالله عز وجل يمنعه .. فمن أسماء الله الحسنى المانع .. يمنع كثيراً .. وفي هذا المجال توجد أكثر من ألف واقعة وحادثة .. فأحياناً يكون ستمتر أو مليمتر أو دقائق بينه وبين الخطر .. فالله يمنعه وينجيهِ ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

قال العلماء : « هو الذي يمنع من يستحق المنع » ، فكن أنت مستحقاً للمنع ، ما رأيت دعاءً يقطر أدباً كدعاء النبي ﷺ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، أَسْأَلُكَ أَلَّا تَدْعَ لِي ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمّاً إِلَّا فَرَجْتَهُ ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلَّا قَضَيْتَهَا لِي ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا شَاءَ فَإِنَّهُ يُقَدَّرُ » [سنن الترمذي] .

أي كُنْ أهلاً للمنع فيمنعك الله من خصومك ، لن يسمح بك ،
فسيذنب سُرَاقَة بن مالك قبل أن يسلم أراد قتل النبي ﷺ ليأخذ مئة ناقة
وضعت مكافأة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، هل استطاع أن يصل إليه ؟
اقترب منه . . . غارت قوائم فرسه في الرمال ، مرة أولى ، وثانية ،
وثالثة . . فعرف أن ممنوع من .

فإذا كان الله مع أحد فهيناً له ، فلا يخشى أحداً ، ولكن بأدب
وليس بوقاحة كأن يقول : أنا لا أخاف من أحد . . فهذا من سوء
الأدب ، اجعلها بينك وبين ربك .

فإذا كنت مع الله كان الله معك ، إذا كنت مع الله أشعرك بالأمن
وأشعرك بالموءدة . . إذاً هو الذي يمنع من يستحق المنع .

قال العلماء : هو يمنع أهل دينه . . هل تجد إنساناً ينتمي إلى
جماعة متنفذة وليس له مميزات ؟ مستحيل . . فكيف إذا انتميت إلى
أهل الله ؟ أو إلى الدين ، ليكون انتمائك إلى الله فهو الركن الركين .

أحد العلماء المشاهير في إحدى الدول العربية ، أراد أن يجري
عملية في بريطانيا ، فوضعت أربع طائرات في خدمته ليختار إحداها ،
وصل إلى بريطانيا وأجريت له العملية ، ولم يلبث أن وصلت إليه
هواتف كثيرة ورسائل بأعداد غير معقولة ، وبالألاف مما لفت إليه
أنظار المسؤولين ، وأجرى معه مذيع من إذاعة لندن مقابلة ، قائلاً
له : ما هذه المكانة التي تتمتع بها ، الأمر غير معقول كأنك أسمى
مكانة من الملوك . . سمعتها من شخص . . فماذا أجاب ؟ هل
سيقول : لأنني مخلص أحظى بهذه المكانة ، أو لأنني عالم ، أو

لأنني محبوب ؟ .. هذا افتخار وادعاء .. ولكنه قال : لأنني محسوبٌ على الله .

كلمة فيها أدب بالغ جداً ، فهو قد قال : أنا لست أهلاً لذلك ، ولكنني محسوبٌ لا على أهل الأرض ولكن على رب السماء ، أنا محسوبٌ على الله .

المؤمن ربّاني .. فقد تجد شخصاً ينتمي إلى فلان أو فلان أو فلان أي ينتمي إلى شيء مآله إلى الزوال .. انتهى أمره فهو مجتبرٌ لصالح فلان ، معروف كم هو سعرك ، أما أن تكون محسوباً على الله ؛ فحضره مكانة عليه . لا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله ، ولكن كونوا ربّانيين ، لا تكن لمصلحة زيد أو عبيد ، لمصلحة فلان أو علان ، لا تكن محسوباً على أهل الأرض ، ولا على جهات الأرض ، ولا على قوى الأرض ، ولا على تجمّعات الأرض ، كن محسوباً على الله .. لكن الذي يحسب على الله يجب أن يكون مطيعاً لله .

إذاً هو الذي يمنع أهل دينه .. أي يحوطهم وينصرهم ..

وقيل : هو الذي يردُّ أسباب الهلاك والنقصان في الأديان والأبدان .. كما كان يدعو النبي عليه الصلاة والسلام : « اللهم ! أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كلّ خير ، واجعل الموت راحةً لي من كلّ شر » [رواه مسلم] .

قد يكون الإنسان مستقيماً ويمشي ببطء إلى الله .. والله عزّ وجلّ سيمنعه من التقصير .. وهذا معنى جديد .. فالمعنى الأول .. يمنع أي لا يُعطي ، والمعنى الثاني : يمنع أي يحفظ من الشر .

وإليك المعنى الثالث : يمنعك من التقصير.. فقد يكون أب حريص على أن ينال ابنه الدرجة الأولى ، ليس حريصاً على أن ينجح ابنه فحسب.. لا.. حريص على أن ينال الدرجة الأولى ، أكثر معالجات المؤمن أن يمنعه من التقصير ، فكلما قصّر يأتي الله له بمشكلة ، كلما قصّر يلوح له شبح مصيبة ، كلما قصّر يحبط الله بعض عمله فيفرّ المؤمن إلى الله عندئذ يتوب ويضرع .

فمن معاني اسم المانع.. يمنعك من النقص في دينك.. والله عز وجل هو الرب ، هو رب العالمين .

وقيل : « هو الذي يمنع البلاء حفظاً وعنايةً ، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاءً وحمايةً » .

لا يُعطي لأنه يعلم ، كما أنّ الأب الطبيب الماهر الذي يعلم أنّ ابنه مصابٌ بالتهابٍ في معدته ، وأنّ هذه الأكلة تؤذيه ، يمنعه من هذا الطعام بحزم وقسوة ، والطعام شهى وطيب وإخوته يأكلون في حضوره ، لكن الأب مصرّ على منع هذا الابن من هذه الأكلة الشهية الطيبة لأنها تؤذي معدته ، فهو يمنعه.. فهذا المنع كان لحكمة بالغة .

صاحب الحكم يقول : « متى فتح الله لك باب الفهم في المنع ، عاد المنع عين العطاء » .

أحياناً قد يبعدك الله عز وجل عن مجال معين ، لأن هذا المجال فيه دنيا ، كأن يعمل شاب في محل تجاري فخم والراتب مُغرٍ جداً ، والبيع للنساء وهو شاب في أوّل نشأته ، ومقاومته هشة ضعيفة ، فلسبي أو لآخر يصرفه صاحب العمل ، ما وافق وضعه صاحب

المحل فوضع دونه شرطاً تعجيزياً ، أو لعدم التزامه صرفه ، فيبدو أنياً أنه قد منع من هذا المرتب الضخم ، ولكن هذا المكان مكانٌ موبوء وهذا الشاب طاهر ومقاومته هشة لا تحتمل هؤلاء الغاديات والرائحات ، فالله عزَّ وجلَّ صرفه عن هذا العمل ، وهو في ظاهر الأمر وباطنه منعه.. والأمثلة في هذا المجال كثيرة لا حصر لها ، كيف أن الله سبحانه وتعالى صرف عن أحبابه ما يبدو لهم أنه منعٌ وهو في الحقيقة عطاء.. صرفه عنهم عين العطاء .

قد تجد ابناً نشأ بالنعيم ، والأب غني ومتساهل مرن فيعطي ابنه ما يشتهي ، وأحياناً ينشأ ابن يتيم في حرمان وفقر وله أم حازمة مربية ، ودخلهم قليل جداً ، فتحضه على الدراسة ، لا تنيمه الليل تحته ، ليس في البيت مغريات أو ملهيات ولا ماديّات ، فبحسب الظاهر أن الأول مدلل وابن أسرة غنية يأكل ما يشتهي ويذهب إلى حيث يشتهي ويريد ، والثاني طفلٌ يتيمٌ ومحرورٌ ، ولكن بعد حين ترى أنه شتان بين الاثنين ، اليتيم في تألق كبير ورفعة ، والآخر في شقاء وتراجع ، فاليتيم والحرمان مع أم حازمة مربية ، دفعته إلى أن يبني نفسه بناءً صحيحاً ، إذ غرست فيه القيم الأخلاقية فأصبح إنساناً عظيماً بهذه النشأة المتقشفة ، وذاك الطفل الذي نشأ برخاء منقطع النظير ، ينال في غرفة خاصة فيها كل ما تشتهي كما حوت غرفته كل الألعاب ، وقد يشحن أبوه سيارته من الخليج إلى الشام ليستمتع بها في المصايف والمنتزهات ، دون أن يكلف نفسه عناء قيادتها ومتاعب السفر .

فهنالك شاب يعيش حياةً خياليةً ، يحمل أجهزة نادرة ثمنها مئات الألوف ، وله هاتفان أو ثلاثة ، وسيارتان أو ثلاث ، وشاب نشأ في أسرة فقيرة ، ولكن فيها الكثير من القيم ، تجده إنساناً عظيماً..

إذاً.. هو الذي يمنع البلاء حفظاً وعنايةً ، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاءً أو حمايةً .. ويعطي الدنيا لمن يُحبُّ ولمن لا يُحب ، ولا يُعطي نعيم الآخرة إلا لمن يُحب .

أجل يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب .. فقد قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ١٢٦] .

تجد بعض الناس يقع في غلط فاحش فيقول : لأن الله يحبني أعطاني هذا البيت فيجعل عطاء الدنيا مقياساً لمحبة الله ، فالله أعطى شخصاً كافراً منزلاً أكبر من منزلك بمئة مرة ، يوجد ملوك الحديد والصُّلب ، وملوك المعامل الضخمة في أوروبا وأمريكا ، معهم أموال خيالية ، وبيوتهم مدن بأكملها ، قصره في غابة ، فهل معنى ذلك أنه يحبه ؟ لا .. لا تجعل الدنيا مقياساً للمنع والعطاء ، فالدنيا لحقارتها عند الله ، لم يشأ أن يجعلها علامة رضوانه ، ولا علامة بغضه ، إن الدنيا لصغر شأنها عند الله أبي أن يجعلها علامة رضوانه ، وأبى أن يجعلها علامة سخطه ، فلا علاقة لها برضوانه ولا بسخطه ، لكن لها علاقة بحكمة يريد بها الله عزَّ وجلَّ ..

إنَّ من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى ، فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه ، وإنَّ من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه .

في أسماء الله تعالى المانع .. قال : هو الذي يدفع عن أهل طاعته

المصائب ، يدفع عنهم البلايا ، ويحوظهم وينصرهم ، يمنع ما يريد من خلقه مما يريد .

المانع هو الله . . فمثلاً باليابان منطقة صناعية فيها أضخم المعامل والشركات - كشركة سوني ، ومتسوبيشي ، ومازدا - وقد قاموا بتركيب أجهزة للإنذار المبكر للزلازل مربوطة بالكمبيوتر ، فالله سبحانه أنزل بها أضخم زلزال وتعطل الكمبيوتر عن أداء وظيفته ، فهل من مُذكر ؟

فكلمة . . يمنع من يريد ما يريد ، لا مانع إلا الله ، ما الذي يمنعك من المرض ؟ الله . . ما الذي يمنعك من حادث في الطريق ؟ الله . . من الذي يمنعك من شرير ؟ الله . . من الذي يمنعك من الخوف ؟ الله . . يمنع من يريد ما يريد ، لا مانع إلا الله .

أحد العلماء يقول : « المانع هو الذي يرد أسباب الهلاك والنقصان في الأديان والأبدان ، بما يخلق من الأسباب المعدة للحفظ » .

ولا تنسَ أن الله جعل نواميس وأسباباً . . أي يمنعك ولكن لا يمنعك بلا سبب ، بل إن هناك للكون نظاماً ، فالكون فيه نظام ولكل ما يقع له أسباب . . فقد قال تعالى :

﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكْنَأُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَاتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ فَاتَّبِعْ سَبَبًا ۚ ﴾ [الكهف : ٨٣-٨٥] .

﴿ وَءَايَاتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ فَاتَّبِعْ سَبَبًا ۚ ﴾ فإذا أراد الله - عز وجل - أن يمنع إنساناً وأن يكون نظامه سائداً في المجتمع وفي الحياة ، يلهم هذا الممنوع من هذا الشر أن يأخذ بالأسباب . . فكذلك منع الله بحكمة وليس منعاً عشوائياً ، وفي بعض الحالات يمنع بلا سبب كما ورد في قوله تعالى :

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا وَيَرْزُقُكُم مِّنْ ذُرِّيَّتِكُمْ﴾ [النمل : ٦٢] .

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ .. أما الأصل فهو أنه إذا أراد أن يمنعك يلهمك أسباب المنع .

فمن فهم معنى الحفيظ فهم معنى المنع ، المانع هو الحافظ .. قد يتبادر للمرء أن المانع هو الذي لا يُعطي ، فهذا معنى ، وكذلك المانع هو الحافظ ، أنت في حصنٍ منيع ، أنت في حرزٍ حريز ، أنت لا أحد ينالك .

قال بعض العلماء : « المنع يضاف إلى السبب المهلك ، والحفظ يضاف إلى المحروس عن الهلاك » ، أي لو وجدت إنساناً محروساً من أن يهلك فهذا محفوظ ، وإنسان يمكن أن يهلك فهذا ممنوع .. فقد قال تعالى : ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .
قال : « كلُّ حافظٍ مانع ، وما كلُّ مانع حافظ » .

كلُّ حافظٍ مانع .. ما دام أنَّ الله حفظك فهو يمنعك من خصومك ، وليس كل منع حفظاً .. أحياناً يكون المنع عقوبة ، قد يحرم المرء بعض الرزق بالذنب يصيبه ، قد يُحرَم المرء بعض العلم بالذنب يصيبه ، الذنب يمنعك من العلم ويمنعك من الرزق .

يقول بعض العلماء : « المانع يعني أنَّ الممكنات بالنسبة إلى تأثير قدرته على السوئية .. فدخل بعضها في الوجود دون البعض يكون بتخصيصه أو ترجيحه » ، فكل شيء بيد الله عزَّ وجلَّ ، والله دائماً قادر على أن يمنعك من أعدائك .

فدخل بعضها في الوجود دون البعض يكون بتخصيصه أو

ترجيحه.. كلُّ المؤثرات بيد الله عزَّ وجلَّ ، فإذا أطلق واحدة ومنع واحدة فهناك ترجيح عند الله لحكمة ، فلو أن شخصاً في جسمه ثلاثة أنواع من جراثيم حرَّك الله واحدة منها والاثنتان لم يحركهما ، أجل ثلاثة أنواع من جراثيم ، فربما واحدة فعلت فعلها ، فكل الممكنات بيد الله عزَّ وجلَّ ، وكل الأسباب بيد الله أطلق جرثوماً ومنع جرثومين .

وبعد ، فالمانع في وصفه سبحانه وتعالى منع البلاء عن أوليائه ، أو منع العطاء عن شئ مطلقاً ، فإما أن يمنع العطاء تأديباً ، أو تحصيناً ، أو وقايةً ، بحسب الممنوع منه ، أو يمنع البلاء عن أوليائه .

الأولياء يُمنعون من البلاء فهو مانعهم ، وهو المانع أي. الحافظ ، أما المخطئون فيمنعون من العطاء تأديباً لهم ، والمؤمنون يمنعون من بعض حظوظ الدنيا وقايةً لهم ، تأديباً للعصاة ، ووقايةً للمؤمنين ، هذا المنع الثاني ، وقد عرفنا من قبل أن المنع الأول : الحفظ .

قال العلماء : « إذا منع البلاء عن بعض أوليائه كان ذلك لطفاً جميلاً ، وإن منع العطاء عنهم كان ذلك فضلاً جزيلاً » ، منع البلاء لطف ، ومنع العطاء فضل .

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ ضَحِكَ فَقَالَ : « أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : « عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، إِنْ أَصَابَهُ مَا يُحِبُّ حَمْدَ اللَّهِ وَكَانَ لَهُ خَيْرٌ ، وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يَكْرَهُ فَصَبَرَ كَانَ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ إِلَّا الْمُؤْمِنُ » [مسند الإمام أحمد] .

بعض العلماء قال : « الله - جلّ جلاله - يعطي كلّ شيء ما هو في مصلحته ، بمعنى أنّ حكمة الله مطلقة ، وبمعنى أنّه ليس في الإمكان أبدع مما كان . ويمنع ما هو سبب فساد ، يغني من يشاء بالعطاء ويمنع من يشاء بالابتلاء ، سبحانه يغني ويفقر ، يسعد ويشقي ، يعطي ويحرم ، يمنح ويمنع فهو المعطي المانع » .

إنسان ليس عنده أولاد (عقيم) لا يترك طبيباً إلاّ قصده للمعالجة ، ولكن لا جدوى فالمنع إلهي ، إنسان آخر رزقه الله ذكوراً فقط ، وإنسان آخر نسله إناث فقط ، وهناك إنسان رابع نسله ذكور وإناث ، رجل أولاده نجباء ، ورجل أولاده كالبلاء .

فقد قال لي أحد الإخوة الكرام يوماً وقد أقسم بالله : إن مات ابنه فلسوف يقيم احتفالاً بمناسبة موت ابنه لشدة عقوقه ، فابن يكون بلاءً ونقمة ، وابن يكون عطاءً ونعمة قال تعالى :

﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

والله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنّه لا يحمي قلب عبده عن المخالفات إلا وهو من خواصّ أوليائه .

قد تكون غالباً على الله وقريباً منه ، وفي ساعة غفلة تفكّر بعمل لا يرضي الله ، تجد أن الله عزّ وجلّ وضع أمامك العراقيل ، منعك ، ولم يوافق المسؤولين لك على السفر مثلاً ، فهناك منع قاسٍ وظاهره من البشر لكن حقيقته من ربّ البشر ، فالمؤمن محفوظٌ من المخالفات ، فلعلّه بهذا السفر تضعف مقاومته ، أو عنده هشاشة في مقاومته فالله عزّ وجلّ يعلم سرّه وعلايته .

قال بعض العارفين : « المانع هو الذي يدفع أسباب الهلاك

والنقص في الدين والدنيا ، وذلك بخلق الأسباب التي تحفظ من الهلاك والنقصان .

يمنع الهلاك بأسباب النجاة من الهلاك ، ويمنع النقصان بأسباب النجاة من النقصان ، المنع بأسباب.. الله عز وجل يخلق بعض الممكنات ، ويمنع وجود بعض الممكنات ، يعطي الله لشخص مؤهلات ليتفوق ، وقد لا يعطيها لآخر ، فيعطي لحكمة ويمنع لحكمة ، مرة أخرى : يعطي كل شيء ما هو في مصلحته ويمنع ما هو فيه فساد لدينه فقد قال تعالى :

﴿ وَلَوْ سَـَٔطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٧] .

يعني أنا أريد في هذا البحث أن أبين أن المؤمن المتصل بربه يتلقى المنع برضا ، والمؤمن المتفتح يرى يد الله فوق أيديهم ، يرى يد الله تعمل في الخفاء ، يتلو قوله تعالى :

﴿ وَمَا مَنَعَتْ إِذْمَمْتُمْ وَلَـٰكِنَ اللَّهُ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

المؤمن البصير يذكر الحديث الشريف وهو قوله ﷺ :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ » [مسند الإمام أحمد] .

لا يندم ولا يحقد ولا يتألم ولا يتذلل ولا يتضعض ، ولا يستخزي ، ولا يلح ، اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير .

وما كان لمؤمن أن يهون ، بل لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه ،

هذا بسبب إيمانه أن العطاء من الله والمنع من الله ، فقد قال تعالى :

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر : ٢] .

الشيء الدقيق جداً في هذا الموضوع . . ما ورد عن ابن عباس قَالَ : كُنْتُ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَحْذِهِ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » [سنن الترمذي] .

هذا هو التوحيد . . .

وقال بعضهم : « المانع هو الذي يمنع من شاء ما يشاء ، وقد يكون باطن المنع عطاء وهنا الدقة » . . قد يمنع العبد كثرة الأموال ويعطيه الكمال والجمال ، وقد يمنع العبد صحة الأجسام ويعطيه الرضا عن الأحكام . . المانع هو المعطي فقد يكون باطن المنع عطاء وقد يكون في ظاهر العطاء بلاء .

كثيراً ما يطغى الإنسان في حال الغنى قال تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفٍ إِنَّهُ سَأَىٰ وَرَاءَهُ اسْتَعَىٰ ﴾ [العلق : ٦-٧] .

النبي ﷺ عدَّ الغنى بلاء فقد روي : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوْ الدَّجَالَ ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ » [سنن الترمذي] .

قال العلماء : اسم المانع قريب في معناه من اسم الحفيظ ، ولكن الفرق بينهما أن الحافظ مضاف إلى معنى والمانع مضاف إلى معنى آخر .

المانع مضاف إلى سبب مهلك يمنعك من هذا السبب ، أما الحافظ فمضاف إلى شيء محروس في الأصل من قبل الله عز وجل .
هذا الاسم الكريم ورد في الحديث الشريف ، إلا أنه لم يرد في القرآن الكريم ، بل ورد معناه ليس المطابق ولكنه المقابل ، لذلك قال تعالى :

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] .

الآية الكريمة عميقة الدلالة جداً.. ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ ، لم يقل : وإن يمسسك بخير.. بل قال : ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

وبعد... فينبغي لمن يتخلق بهذا الاسم ألا يسأل غير الله ، لأنه هو وحده المعطي المانع ، لا أحد يمنعك ، ولا أحد يعطيك إلا الله ، فالتخلق بهذا الاسم يعني أن تعقد الأمل على الله ، وألا ترجو غير الله ، وألا تغترّ بإعطاء الإنسان ، لأن عطاء الإنسان من عطاء الله .

لذلك فالنبي الكريم ﷺ كان يرجو ألا يجعل الله له خيراً على يد كافر أو منافق ، لأنّ العطاء من الله عز وجل ، وفي ساعة غفلة ترى أن العطاء أتى من زيد أو عبيد ، والمؤمن إذا مُنِعَ شيئاً لا يرى هذا المنع إلا من الله ، ولو رآه من زيد أو عبيد لوقع في حرج شديد ،

اللهم لا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت .

ويجب ألا تحقد على الناس لأنهم منعوا عنك شيئاً ، فالله هو الذي منعه ، العطاء من المعطي الحقيقي وهو الله ، والمنع من المانع الحقيقي وهو الله ، هذا ملخص الملخص للبحث .

العطاء . . مطلق العطاء من المعطي الحقيقي وهو الله ، والمنع مطلق المنع من المانع الحقيقي وهو الله ، علاقتك مع الله فلا تحقد على أحد . . لا تحمدنَّ إنساناً على فضل الله ، ولا تذمَّنَّه على ما لم يؤتك الله ، إذا منعك إنسان لا تحقد عليه هو مانع صوري ، أما المانع الحقيقي فهو الله ، الله هو المعطي وهو المانع الحقيقي ، وأحياناً يعطي مباشرة ويمنع مباشرة ، وأحياناً يعطي من خلال عباده ، ويمنع من خلال عباده ، إن وافق لك المسؤول على السفر أو لم يوافق لك فقل : حسبي الله ونعم الوكيل ، ولكن على يقين أن المانع والمعطي هو الله سبحانه ، ولا يقع شيء إلا بإذن الله قال تعالى :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمَاءُ ﴾ [النور : ٣٦] .

ملخص البحث أن المعطي الحقيقي هو الله ، والمانع الحقيقي هو الله ، قد يعطي مباشرة ، أو عن طريق خلقه ، وقد يمنع مباشرة ، أو عن طريق خلقه ، المؤمن موحد إن أعطي مباشرة يحمد الله ، وإن أُعطي عن طريق خلقه يحمد الله ، إن مُنِع يرضى بقضاء الله ، إن مُنِع عن طريق خلقه يرضى بقضاء الله ، والمؤمن لا يحقد أبداً ، وهذا هو التوحيد ، وما تعلَّمت العبيد أفضل من التوحيد .

حين أرسل أبو سفيان رجلاً ليقتل النبي ﷺ . . لما رآه رسول الله ﷺ قال : إنه هذا الرجل ليريد غدراً وإن الله مانعي . . وحين

انكشف أمر الرجل قال : والله ! يا محمد ! ما كنت أخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي ضعفت نفسي ثم إنك إطلعت على ما هممتُ به مما لم يعلمه أحد فعلمت أنك ممنوع [وذلك سبب سرية عمرو بن أمية الضمري إلى أبي سفيان] .

وورد في أدعية النبي عليه الصلاة والسلام من حديث سعيد بن منصور في سننه : « اللهم من منعت ممنوع » . أي من حرمت فهو محروم لا يستطيع أحد أن يعطيه .

قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] .

سبحانك فإنه لا يذلُّ من واليت ولا يعزُّ من عاديت . . أي أن ليس لنا إلا الله عزَّ وجلَّ ، فلا تبذل ماء وجهك أمام أحد ، كن عزيزاً ، لا تبذل ماء وجهك إلا أمام ربك ، لا تبذل دموعك إلا لله ، إلا في السجود لله عزَّ وجلَّ ، لا تبك أمام الناس لن يعطوك ولن يمنعوك ، المانع هو الله ، والمعطي هو الله ، صُنْ ماء وجهك ، احفظ ماء وجهك ، لا تتضعضع لغني ، تتضعضع لله عزَّ وجلَّ ، تذلل له ، مرَّغ جبهتك في أعتابه ، أما أمام الناس فكن عزيز النفس .

هذا هو ملخص البحث ، واعلم علم اليقين أن الله عزَّ وجلَّ مانع بمعنى يمنعك من كلِّ ما يؤذيك ، يحفظك ، ويمنعك من كل ما يطغيك ، ويمنعك تأديباً لك ، فهو مانع بالمعاني كلها ، وإذا أراد أن يمنعك مما يؤذيك ألهمك أسباب الحفظ والمنع ، ووجهك وجهة الخير وقذف في قلبك الرضا .

المقسط

من أسماء الله الحُسنى المقسط .

في اللغة .. أقسط فلانٌ إذا عدل ، وقسط فلانٌ إذا جار ..
أقسط : عدل ، وقسط : ظلم وجار .. المقسط : العادل ، القاسط :
الظالم ، قال تعالى :

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن : ١٥] .

قال بعض علماء اللغة : « المقسط هو العادل في حكمه ، قال
تعالى : ﴿وَأَقِمْوْا لَوِزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ : أي بالعدل ، والقِسْطُ أيضاً هو
النقيض » ، القِسْطُ .. أقساط ، أجزاء ، أنصبه .

ذكر بعض علماء اللغة أنَّ القِسْطَ : « هو أن يأخذ الإنسان قِسْطَ
غيره أي يظلم » .. فالقِسْطُ مصدر .. أي يأخذ نصيب غيره ، أن يأخذ
ما ليس له فهو ظالم . والإقساطُ أن يُعطى قسط غيره فهو عادل .. أن
تعطي حقَّ الناس إلى الناس فأنت عادل ، أن تأخذ ما ليس لك بحق
فأنت ظالم .. أن تأخذ قِسْطَ غيرك هذا ظلم ، أن تعطي الآخرين
قِسْطَهم هذا عدل .. هذا الفرق بين قَسْطَ وأقْسَطَ .

ودخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه
فقالت يا أمير المؤمنين ! أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك

لقد حكمت فقسطت ، فقال لها : من تكونين أيتها المرأة ؟ فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم ! فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ، ونفذ فيهم قدره ، وأما المال فمردود إليك ، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟ فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً ، قال : ما أظنكم فهمتم ذلك ، أما قولها : أقر الله عينك ، أي : أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت ، وأما قولها : وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ﴾ وأما قولها : وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

إذا تمَّ أمرٌ بدا نقصه .. ترقيب زوالاً إذا قيل تم
وأما قولها : لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى : ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ فتعجبوا من ذلك .

فكلمة « قاسط عادل » لا تعني مدحاً ، بل تعني ذماً .

المُقْسِطُ في حقِّ الله تعالى هو العادل في الأحكام ، الذي يتصرَّف في العوالم بكلِّ نظام .

يعقوب بن يوسف الكوفي « وكان قد روى الأشعار والأحاديث عن أبيه » قال : حججت ذات سنة فإذا أنا برجلٍ عند البيت وهو يقول : اللهم اغفر لي وما أراك تفعل . قال فقلت : يا هذا ما أعجب يأسك من عفو الله ، قال إنَّ لي ذنباً عظيماً ، قال فقلت أخبرني قال كنت مع يحيى بن محمد بالموصل فأمرنا يوم الجمعة فاعترضنا المسجد ، فترى أنا قتلنا ثلاثين ألفاً ثم نادى مناديه : من علَّق سوطه على دارٍ فالدار وما فيها له ، فعلقت سوطي على دار ودخلتها فإذا فيها رجلاً وامرأة

وابنان لهما ، فقدمت الرجل فقتلته ، ثمَّ قلت للمرأة : هاتي ما عندك وإلا ألحقت ابنيك به ، فجاءتني بسبعة دنائير ومتيع ، قال : فقلت : هاتي ما عندك ، فقالت : ما عندي غيرها ، فقدمت أحد ابنيها فقتلته ثم قلت : هاتي ما عندك ، وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأت الجدَّ مني قالت : أرفق فإنَّ عندي شيئاً كان أودعنيه أبوهما ، فجاءتني بدرع مذهبة لم أر مثلها في حسنهما فجعلت أقلبها فإذا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء
فسقط السيف من يدي وارتعدت ، وخرجت من وجهي إلى حيث ترى...

أحياناً يكون الظالم زوجاً يقول لنفسه : إن زوجتي ليس لها سند ، ومقطوعة من الأهل.. فيظلمها أشدَّ الظلم ، ويضغط عليها أشدَّ الضغط ، فنقول له :

فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء
أحياناً تكون في وظيفة يمكن أن تؤذي الناس من خلالها ، تستخدم هذه الثقة التي مُنحت إياها لحفظ مصالح الأمة في سبيل ابتزاز أموال الأمة ، فيقال لك :

فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء
وما أكثر أنواع الظلم ، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة والله سبحانه وتعالى من أسمائه المُقسط ، لذلك فالمؤمن يعدُّ للمليون قبل أن يظلم

إنساناً ، لأنه يعلم أَنَّ الله أقدرُ عليه منه على هذا الإنسان . . وقد ورد هذا في نصِّ حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما رأى أحد أصحابه يضرب غلاماً له فقال : « اعلم أبا مسعود! الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله! هو حر لوجه الله ، فقال : أما لو لم تفعل للفتحك النار أو لمستك النار » [رواه مسلم] .

وقال بعضهم :

إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس تذكر قدرة الله عليك .

ذات مرّة أراد الحجاج أن يحاكم إنساناً ليقتله فقال هذا الإنسان : أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، ففكر الحجاج ثم عفا عنه . فالإنسان كلما ازداد علماً ازداد خوفاً من الله ، إذا ظنَّ أنه قوي وأنه يفعل ما يريد فاستخدم هذه القوة في غير العدل فقد استوجب سخط الله عزَّ وجلَّ ، وإذا سخط الله عليه بطش به ، كما ورد في الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ إِنَّا بَطَّشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٍ ۝ إِنَّهُمْ هُمُ يُبَدِّلُونَ ۝ ﴾ [البروج : ١٢-١٣] .

من ذكريات الماضي المقدس أنه : يوم أرسل النبي الكريم ﷺ عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليأخذ منهم ما اتفق على أن يعطوه للنبي ﷺ من ثمار وزروع ، فأراد هؤلاء أن يرشوا عبد الله بن رواحة لعلَّه يترفق بهم في قسمة الزروع بينهم وبين النبي - فقال عبد الله بن رواحة : يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئكم من عند أحبِّ الناس إلي - من عند رسول الله ﷺ - ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير ، ولا يحملني حبي لرسول الله وبغضي لكم على ألا

أعدل ، أو أن أفعل معكم غير الحق . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، وبهذا تغلبونا ، بهذا العدل تغلبونا . . فأنا أشعر أن قيمة العدل هي أخطر قيمة في المجتمع .

يروى التاريخ المعاصر أن بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية دمرت مواردها كلياً ، وقف أحد زعمائها (تشرشل) في مجلس العموم يسأل وزراءه وزيراً وزيراً : كيف الصناعة عندك يا فلان ؟ يقول له : المعامل مدمرة ، كيف الزراعة عندك يا فلان ؟ يقول له : لا ثمار ولا غلال ، كم في الخزينة عندك يا فلان ؟ يقول له : لا شيء ، خواء . فكل ما عندهم دمر . . فالتفت إلى وزير العدل وقال : كيف العدل عندك يا فلان ؟ قال : بخير . قال : كلنا إذاً بخير .

يبدأ هذا العدل من داخل أسرتك لا تظلم لا تميز ولداً على ولد ، لا تميز زوجة على زوجة إن كانت لك زوجتان ، لا تميز أخاً على أخ ، السموات والأرض لا تقومان إلا بالعدل ، والعدل أساس الملك ، أن تملك زمام أولادك فأساس هذا الملك العدل ، أن تملك قياد الموظفين العاملين عندك فأساس هذا الملك العدل ، قيمة العدل هي أفضل قيمة ، يمكن أن تأكل أحسن الطعام ، وأن تلبس أحسن الثياب ، وأن تشعر أنك قد أخذت حقك ، أما حينما يشعر الإنسان بالظلم عندئذٍ تنقلب حياته إلى جحيم من هنا قال الله عز وجل في الحديث القدسي :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي أَلَّا فَلَا تَظَالَمُوا ، كُلُّ بَنِي آدَمَ يُخْطِئُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ وَلَا أُبَالِي ، وَقَالَ يَا بَنِي

أَدَمَ كُلُّكُمْ كَانَ ضَالًّا إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ عَارِيًّا إِلَّا مَنْ كَسَوْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ جَائِعًا إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ ظَمَانًا إِلَّا مَنْ سَقَيْتُ ، فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِكُمْ ، وَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ ، وَاسْتَظْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ ، وَاسْتَسْقُونِي أَسْقِكُمْ . . . » [مسند الإمام أحمد] .

الظلم ظلماتٌ يوم القيامة ، الظلم مرتعه وخيم ، والله عزَّ وجلَّ مقسط ، قال أحد الحكماء : « المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم » .

إنسان يركب مركبة ويسير بها في طريق المطار ، وكلبٌ صغير في أيام الشتاء القارس وجد أنَّ الطريق المَزَقَّت أدفأ له من التراب لسواد لونه ، فاللون الأسود يمتصُّ الحرارة فقيع على طرف الطريق ، وهذا الذي يقود المركبة عنَّ له أن يظهر براعته في القيادة أمام من إلى جواره ، فاستطاع بدقَّة بالغة أن يقطع يديَّ الكلب دون أن يقتله ، وأطلق ضحكةً هيسيريَّة ، يذكر لي الذي كان إلى جانبه أنه في أول أيام الأسبوع التالي وفي المكان نفسه تعطلت مركبته ، إذ أصيبت إحدى العجلات فنزل لإصلاحها ، فرفع المركبة بالأداة الرافعة ، وأزال البراغي من العجلة وبينما هو يسحب العجلة اختلَّ توازن المركبة فوقعت فوق العجلة والعجلة فوق رُسْغِيهِ فَهَرِستَا ، فإلى أن وصل إلى المشفى كان قد وصل الموات إلى أطراف أصابعه ، فأمر الطبيب بقطع كَفِّهِ من رُسْغِيهِ ، كما فعل يوم السبت الماضي بالكلب ، وقال لي هذا الذي كان بجوار قائد المركبة : رأيتُه بعيني بعد أسبوعٍ بلا يدين .

أليس هذا جزاءً وفاقاً ، فالله عزَّ وجلَّ مُقْسِطٌ . . . وكلِّمًا عرفتَ عدله

تأدبت معه ، وكلما أكبرت عدالته ازدادت معه أدباً .

قال بعض الأئمة : « المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم » ، قد يكون المظلوم هرّة .. فقد قال ﷺ :

حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارِ مِنْ جَزَاءِ هِرَّةٍ لَهَا أَوْ هِرٌّ رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُزْمِرُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً » [صحيح مسلم] .

أيدخل إنسان النار في هرّة ؟ .. نعم فدققوا النظر متأملين .. قبل أن تقتلوا حيواناً فقد قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان : ٦٨] .

سُمح لك أن تقتل الفأرة ، وأن تقتل العقرب ، أن تقتل الحية ، أما أي حيوان تدوس عليه وأنت في راحة تامة ؟ لا .. فهناك حيوانات لا يجوز أن تقتلها لأنها ما فعلت شيئاً .

وكلّكم يستمع إلى آلاف الوقائع والحوادث عن إنسان تعدّى على حيوان .. فقد بصره ، أو فقد حركته ، بشلل أصابه ، إنسان غضب من هرّة فألقاها من الطابق السابع ، بعد حين اختلّ توازنه في المشي ، وأمضى حياته كلها على عكازين .. فالظلم ظلمات يوم القيامة .

أحد العلماء يقول : « المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكماله في أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم » .

أكمل شيء بالمُقسط .. أن الله عزّ وجلّ ينتصر للمظلوم من الظالم ، وبعد ذلك يرضي الظالم ، بعدما قام بتأديبه ورجع إلى الحق

يكرمه ، والدليل الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ آبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۚ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۚ وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص : ٢٤] .

فإذا طغى عبدٌ على عبد ، انتصر للمظلوم من الظالم ، فإذا رجع الظالم عن ظلمه وتاب إلى الله أكرمه الله ، فأحد الأئمة يقول : « المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكماله في أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم » .

أدق نقطة أن الله جلَّ جلاله لا يُبغض الكافر ، ولكن يُبغض عمله ، فإذا قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ، فإن العلماء أجمعوا على أن الله عزَّ وجلَّ لا يُحِبُّ عملهم ، فإذا تابوا وأنابوا أحَبَّهُمْ ، والمؤمن الصادق المخلص . . لو أن له خصماً عنيداً كافراً فاجراً منحرفاً إلى آخر هذه الأوصاف ، إذا أناب إلى الله وتاب إليه واصطلح معه فأقل من ثانية ينقلب حاله فيكون أقرب الناس إليه ، والدليل على ذلك :

عمير بن وهب كان شيطاناً من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء أذاهم بمكة ، وكان ابن وهب بن عمير في أسارى أصحاب بدر ، قال : فذكروا أصحاب القلب بمصائبهم ، فقال : والله ! إن في العيش خير بعدهم ، فقال عمير بن وهب : صدقت ، والله ! لولا دين علي ليس عندي قضاؤه ، وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله فان

لي فيهم علة ، ابني عندهم أسير في أيديهم ، قال : فاغتنمها صفوان فقال : علي دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أسويهم ما بقوا ، لا نسعهم بعجز عنهم ، قال عمير : أكتم عني شأني وشأنك ، قال : أفعل ، ثم أمر عمير بسيفه فشحذ وسم ، ثم انطلق إلى المدينة فبينما عمر رضي الله عنه بالمدينة في نفر من المسلمين يتذاكرون يوم بدر وما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم إذا نظر إلى عمير بن وهب ما أناخ بباب المسجد متوشح السيف فقال هذا الكلب والله عمير بن وهب قد جاء إلا لشر هذا الذي حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذا عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بالسيف قال فأدخله فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبه بها ، وقال عمر لرجال من الانصار ممن كان معه : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا هذا الكلب عليه فإنه غير مأمون ، ثم دخل على رسول الله ﷺ به عمر آخذ بحمالة سيفه فقال : أرسله يا عمر أدن يا عمير فدنا ، فقال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة ، فقال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها قال : فما جاء بك ؟ قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسبه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : إلا لهذا ، قال بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فنذكراتما أصحاب القليب من قريش ، فقلت لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل صفوان لك بدينك وعيالك على

أن تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني أعلم ما أنبأك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ : فقهوا أحاكم في دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له أسيره ، ثم قال : يا رسول الله ! إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، لعل الله أن يهديهم ولا أؤذيهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم ، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب قال لقريش : أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً ، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الاسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير . [رواه الطبراني مرسلًا وإسناده جيد] .

واستمعوا إلى ما قاله عمر - كما في الرواية عن عروة بن الزبير مرسلًا - قال : لخنزيرٍ كان أحبَّ إليَّ منه حين اطلع ، وهو اليوم أحبُّ إليَّ من بعض بني .

في ثانية . . . المؤمن ليس له عدو ، فإن كره الكافر يكره عمله ، إن كره الظالم يكره ظلمه ، إن كره الفاسق يكره فسقه ، إن كره المعتدي يكره عُدوانه ، أما إذا عاد المعتدي إلى جادة الصواب ، وترك الفاسق فسقه ، وترك الكافر كفره . . صار أقرب الناس

للمؤمن ، وقد قيل : « تَخَلَّقُوا بِكَمَالَاتِ اللَّهِ » ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يُبْغِضُ الْكَافِرَ لِدَاثِهِ ، بل يُبْغِضُ عَمَلَهُ .

قال : لا يقدر على الانتصاف من الظالم للمظلوم ثم إرضاء المظلوم والظالم إلا الله ، هذا من اختصاص الله . . إليكم هذه القصّة :

روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - : بينا رسول الله ﷺ جالس إذا رأيناه ضحك بدت ثناياه فقال له عمر : ما أضحكك يا رسول الله ؟ بأبي أنت وأمي ! قال : رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما : يارب ! خذ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله تبارك وتعالى للطالب : فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟ قال : يا رب فليحمل من أوزاري قال : وفاضت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال : إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله تعالى للطالب : ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال : يارب ! أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مكلفة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن قال : يارب ! ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك قال : يارب ! فإني قد عفوت عنه قال الله عز وجل : فخذ بيد أخيك فادخله الجنة فقال رسول الله عند ذلك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين .

فالله عزَّ وجلَّ مختص بهذا وحده ، وهو الذي يستطيع أن ينتصر للمظلوم من الظالم ، فإذا رجع الظالم عن ظلمه أرضى الظالم أيضاً وشملته رحمته . . هذه ليست لغير الله . . لأنَّ بعض العلماء يقول :

« إِنَّ أَكْمَلَ دَرَجَاتِ الْإِقْسَاطِ ؛ الْعَدْلُ أَنْ تَعَامَلَ كِلَا الطَّرْفَيْنِ مُعَامِلَةً بِرِضْيَانٍ عَنْهَا » .

حقيقة تملأ جوانحي . . المؤمن لا يحقد !! لأنه يرى الأمراض التي أمامه من بني البشر هي أمراض وليست سجايا ، أمراض الإعراض ، أعراض الإعراض ، فكما أن الطبيب لا يحقد على مريض مصاب بمرضٍ معيّد ، كذلك - والله المثل الأعلى - ، فالله جلّ جلاله يعلم أن هذه الأخطاء والزُّعونات والانحرافات هي أعراضٌ لمرضٍ واحد هي الإعراض عن الله عزّ وجلّ ، وأكبر دليل أن الإنسان عندما يقبل تراه لطيفاً ومنصفاً ، وقافاً عند حدود الله ، فسبحان من يغير ولا يتغير .

وسرعان ما نعود إلى المُقسِط فقد ورد المعنى في بعض آيات القرآن الكريم ففي سورة المائدة قال تعالى :

﴿ سَمِعُوكَ لِّلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْحَيِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤٢] .

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وعن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال : إني نحلّت ابني هذا غلاماً فقال : « أَكَلَّ وَلَدُكَ نَحْلَتَ مِثْلِهِ ؟ » قال : لا قال : « فَأَرْجِعْهُ » . وفي رواية : أنه قال : « أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ » قال : بلى قال : « فلا إذن » . وفي رواية : أنه قال : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواح : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله فقال : إني أعطيت ابني من

عمرة بن رواحة فأمرتني أن أشهدك يارسول الله قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا قال : « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » . قال : فرجع فرد عطيته . وفي رواية : أنه قال : « لا أشهد على جور » . [متفق عليه] .

روي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ » [سنن الترمذي] .

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « قَارِبُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ يَغْنِي سَوْوَا بَيْنَهُمْ » [مسند الإمام أحمد] .

من أعجب ماسمعت أن أسرة توفي منها الأب وترك أولاداً وبتاً وحيدة متزوجة ، وهذه البنت الوحيدة نصيبها من الميراث ستة عشر مليوناً لم يُعْطَها إختوتها شيئاً ، لأنها متزوجة ، فطلّقها زوجها فوراً ، فأهلّها ظلموها ، وزوجها ظلمها ، أعطى كلّ ذي حقّ حقّه . . لا علاقة لك بغنيّ أو فقير ، فموضوع الحق ليس له علاقة بالغنى أو الفقر .

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ لو ظلمتُ ابنتك زوجها وجارت عليه ، فكن عادلاً وأنصف المظلوم ، وإذا بغى ابنك على صديقه فرد الباغي : كن عادلاً ، وخذ بيد المظلوم .

لكن أكثر الناس مع ابنه على حقّ أو على باطل ، ومع ابنته على حقّ أو على باطل ، ما الذي يميّز المؤمن من الكافر ؟ العدل . . .

ساعة عدل . . كلمة عدل خير من الدنيا وما فيها النبيّ عليه الصلاة والسلام استعرض أسرى بدر فإذا صهره بين الأسرى . . . أُلقي عليه

القبض وأسر لأنه كان في عِداد المحاربين يريد أن يقتل المسلمين ، فلما استعرض الأسرى روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « والله ما ذممناه صهراً » ، فهو صهر ممتاز . لكنه الآن مشرك وجاء ليقاتل وقد وقع أسيراً ، هذه الكلمة التي أنصفه بها فعلت فيه فعل السحر وانتهت به إلى الإيمان .

من السهل جداً أن تُحبَّ إنساناً محبَّةً عمياء . . ومن السهل جداً أن تبغضه بغضاً أعمى ، ولكنَّ الإنصاف يفرض عليك أن تحبَّه وأن تبغضه بالعدل ، أن تحبَّه منصفاً ، وأن تبغضه منصفاً ، معظم الناس إذا أحبوا إنساناً ستروا كلَّ عيوبه ، وإذا أبغضوا إنساناً ستروا كلَّ فضائله ، فهذا ظلم ، قال عمر : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً فقلت - أسلم - كيف ذاك ؟ قال : إذا أحببت كلفت كلفَ الصبيِّ وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف .

تعامل أحد أولادك معاملة جيدة وتسيء لأخيه هذا ظلم ، وتعامل إحدى بناتك بغير ما تعامل أختها هذا ظلم ، تعامل موظفاً في المكتب بغير ما تعامل الموظف الآخر فهذا ظلم . . ثم وسَّع الأمر كما شئت .

وفي سورة الحجرات قال تعالى :

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ مَا صَالَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

كثير من الناس يرى أن معاملتك للكافر الفاجر الفاسق الملحد لا غبار عليها مهما أسأت إليه ، فلا عليك مثلاً أن تأخذ ماله وأن تضطهده وأن تظلمه ، أن تغشَّه ، هذا هو الجهل بعينه ، وهذا هو

الخطأ بعينه ، وهذا هو الظلم بعينه ، قال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ .. يخاطب الله المؤمنين ويحضهم على العدل : من هم أعداء المؤمنين التقليديين ؟ الكفار ، الفجار ، العصاة ، الفاسقون ، المارقون ، هؤلاء الكفار ، الفجار ، العصاة ، المارقون قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا ﴾ .. مع هؤلاء ﴿ هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .. إن عدلتم معهم قربتموهم إلى الله ، وإن عدلتم معهم قربتموهم إليكم ، أما إن ظلمتموهم فقد زدتموهم بعداً ، زدتموهم كفراً .

يسألني أخ وهو في حيرة من أمره : لي ولدان .. أحدهما فاسق والآخر طائع ، أريد أن أعطي الطائع نصيباً أوفر من أخيه . أقول له وبلا تردد : لا تفعل .. إنك إن ظلمت الثاني زدتَه عقوقاً ، عدل بينهما والله - سبحانه وتعالى - يبارك للبار بما أعطيته .

أنا وقَّاف عند كلمة « يبارك » لأنني أطرب لسماعها ويهزني معناها .. يقولون : رجل مبارك ، رزق مبارك ، زوجة مباركة ، بيت مبارك ، بارك الله لك ، تباركنا فيك ، هذه الكلمات .. تستخدم على أوسع نطاق في العالم الإسلامي ، ما معنى بركة ؟ الخير الكثير ، ما معنى تبارك الذي بيده الملك ؟ أي ما أعظم خيره وأكثره !

الله - عزَّ وجلَّ - يبارك لك أحياناً بمالك أي ينتج لك من الشيء القليل الخير الكثير ، مال يكون قليلاً فتتفع به ببركة الله ، تتزوج به ،

تأكل منه تشرب ، تلبس ، وهو مال قليل ، وأحياناً المال الكثير
يمحق الله بركته فإذا هو نعمةٌ على صاحبه .

أما المستقيم فالله عزَّ وجلَّ يبارك له في ماله ، وأحياناً يبارك لك
بوقتكَ ، في الوقت القليل تفعل الشيء الكثير .

الإمام النووي ترك كُتُباً من تأليفه وعُدَّت صفحاتها وقسّمت على
سنيّ حياته فكان نصيب كل يوم تأليف تسعين صفحة^(١) ، وقد ورد أنّه
من آخر الصلاة عن وقتها ، أذهب الله البركة من عمره ، وإنَّ أحبَّ
الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها .

فهنالك وقت مبارك.. أنت إذا صليت ، إذا اقتطعت من وقتك
الشرين وقتاً لخدمة الخلق ، وقتاً لنشر الحق ، وقتاً لنصرة الضعيف ،
وقتاً لمواساة المسكين ، هذا الوقت الذي اقتطعته من وقتك كأنّه زكاة
وقتكَ.. ومن أدّى زكاة ماله حفظ الله له بقيّة ماله.. حصّنوا أموالكم
بالزكاة ، ومن أدى زكاة وقته حفظ الله له بقيّة وقته ، تجد فيما تبقى
له من وقت يفعل خلاله الشيء الكثير على الرغم من أنه قصير .

أحياناً تتعسّر أمور الإنسان ، يطلب أحد أصدقائه فلا يجده ، أو
بعد أن يقوم بإصلاح محرّك لآلة فينسى أن يضع قطعة صغيرة في
محلها ، فيفك أجزاءه مرّةً أخرى وقد أخذ من وقته الساعات الطوال ،
أحياناً الله عزَّ وجلَّ يذهب لك زبدة وقتك وخلاصته وخيره في أتفه

(١) ويكفي أن له : المجموع وشرح مسلم والروضة والمنهاج والأذكار وتحرير التنبيه
والإيضاح والفتاوى والتقريب ومناقب الشافعي وتهذيب الأسماء واللغات ، وأنه ألف
في الفقه والحديث وشرح الحديث والمصطلح واللغة والتراجم والتوحيد وغير ذلك
وكان يكتب حتى تكل يده فيعجز.. هذا ولم يطلب العلم إلا في سن الثامنة عشرة أو
التاسعة عشرة!!..

الموضوعات ، فقد ينقصك قطعة تبديل لآلة معطلة والعمال ينتظرون إحضارها ، فتقوم باستيرادها وقد تأتي ناقصة من الخارج ، وذلك بأنك ضننت بوقتك على أن تصلّي أو على أن تحضر مجلس علم ، أو أن تطلب العلم ، أو أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أذهب الله البركة من وقتك .. وضعه سُدى بلا طائل .

دائماً نعجب من المؤمن .. فالله يوفّقه بأن يبارك له بوقته ؟ يفعل أشياء كثيرة في وقت قصير هذه هي البركة ، ومن هنا كان دعاء القنوت : « اللهم ! اهْدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولّني فيمن تولّيت ، وبارك لي فيما أعطيت » [الأربعة والدارمي] .

يعطيك دخلاً يكفيك ويغطي جميع نفقاتك ، يكفي أن يكون الإنسان معافى في صحّته ، فقد خلّص نفسه من الذهاب إلى الأطباء والمشافي والتصوير الإشعاعي والطبقي المحوري والمرنان ، والتحاليل ، والذهاب للخارج وتبديل دسام قلبه ، أو الكلية ، كل ذلك بمئات الألوف ، بالملايين .

إذا استقام الإنسان على أمر الله حفظ الله له صحّته ، إذا أدّى زكاة ماله حفظ الله له ماله ، فلا حريق ، ولا ضياع ، ولا مصادرات ، ولا مخالفات ، ولا استملاك ، والله ينجيّه من كل ذلك .

فقد سمعت عن رجل والشيء بالشيء يُذكر .. له دكان صغير في سوق شعبي وهو مستقيم طوال حياته ، لم يأكل مالاً حراماً إطلاقاً ، جاءه رجل وبتطفّل وبأسلوب عدواني يريد شراء دكانه ، والرجل يرفض بيعها لأنّها مورد رزقه . فقال له : أحببت هذا الدكان ويجب أن تبيعني إيّاها .. فقد وقعت في قلبي ، وإلا أحسّدتك ، وما زال به

حتى باعه إيّاها بسبعمئة ألف . وهي في سوق شعبي في طرف دمشق ، قبض الثمن منه ، وبعد عشرة أيام استُملك السوق ، فأعطوا المشتري الجديد سبعة آلاف ليرة تعويضاً!! .

فالمالك الأول كان صادقاً طوال حياته مع الناس ولم يكذب عليهم ، ولم يغشّهم .. فكافأه الله سبحانه بأن حفظ له ماله ، سأجعل هذه الدكان تحلو بعين فلان .. فما زال به يلح إلى أن باعه إيّاها بسبعمئة ألف ، ثم قبض الآخر تعويضاً لهذه الدكان سبعة آلاف ليرة!! .

فلذلك أركّز على البركة .. فإذا أنت اتقيت الله عزّ وجلّ بارك الله لك بوقتك ، وبارك لك بصحّتك ، وبارك لك بمالك ، وبارك لك بزوجتك .

فقد حضرت تعزية بوفاة امرأة ، وزوجها حيّ وعمره يقارب السبعين وزوجته المتوفاة في الستين ، فقد بكى بكاءً غير معقول على الإطلاق .. فهو في السبعين وزوجته المتوفاة في الستين .. فلما انتهى وقت التعزية وذهب المعزّون جرى حديث بغية ردع الزوج عن البكاء الشديد ، وأن عليه أن يصبر ويحتسب . فقال : والله عشتُ معها خمسة وأربعين عاماً ما نمت ليلةً واحدة وأنا غاضبٌ عليها .

فقد بارك الله له بزوجته .. وقد تجد شخصاً يقول لك : لم أرتح يوماً واحداً معها .. فلا توسط في الزواج لنا الصدر دون العالمين أو القبر! ، فالزوجة إما بلاء من الله وإما أنها هي الدنيا وزينتها كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آذَابَ النَّارَ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

العلماء فسَّروا حسنة الدنيا بالزوجة الصالحة ، التي إن نظرت إليها سرَّتكَ ، وإن أمرتها أطاعتكَ ، وإن غِبت عنها حفظتكَ في مالك ونفسها.. وهي سِتيرة ، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ، فبارك الله لك في مالك ، وبارك الله لك في وقتك ، وبارك الله لك في زوجتك ، وبارك الله لك في أولادك .

تجد ابناً باراً مع أبيه دائماً ، فوالله أرى هذه نعمة كبرى ، هو في خدمته ، وبأدب وتواضع هذا من فضل الله ، فأشعر أن هنالك أسراً ناعمة البال ، راغدة العيش ، بير بعضهم بعضاً ، ففي حياتهم بركة .

فإذا استقام الإنسان على أمر الله ينال البركة من الله.. وإذا مُحقت البركة يصبح المال نقمة ، قد يُقتل من أجل ماله ، وقد تكون الزوجة شؤماً قد ينتحر من أجلها وبسببها ، وقد يكون الابن شؤماً ، كذلك.. وهكذا تقلب له الحياة ظهر المجن .

أحياناً يكون لك قريب تقول عنه لا دين له ، إنه لا يُصلي ومغموس في الملذَّات إلى قَمَّة رأسه ، لكنه يحترمك كثيراً ، ويُكبر فيك إيمانك واستقامتك ولك مكانة عنده ، فيأتي المؤمن الجاهل أحياناً يسيء إلى هذا الإنسان غير الملتزم بدعوى أنه غير ملتزم ، فاستمع إلى هذه الآية قال تعالى :

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَالُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ بَرُّهُمْ وَنَقَسُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة : ٨] .

هو لا يعارضك ولا يحاربك ، ولا يطعن بك ، ولا يذُّك بل يقدر فيك استقامتك وإيمانك وصلاتك وهو مقصّر وغارق في الشهوات ،

هذا الإنسان ينبغي أن يرى منك كلَّ استقامة وكلَّ بر وكلَّ إقسط كما في الآية السابقة .

وهأنذا أؤكد أن آلاف الحالات . . حالات التوبة أساسها عمل ذكي بسبب إحسان بادر به مؤمن ، قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى : ٣٩-٤٠] .

يسألني أحياناً أحدهم : هل أستطيع أن أعطي صدقة لقريب لا دين له ؟ فأقول : إن غلب على ظنك أن إعطاءه هذا المال يقرِّبه منك ومن الدين فافعل . . أما إذا كان هذا المال يزيده بعداً عنك وعن الدين فلا تفعل . . فالضابط المنظم لهذا العمل هو : ما إذا غلب على ظنك أن إحسانك إليه يزيده قريباً من الله .

فدائماً وأبداً . . العدل العدل ، فقد قال رسول الله ﷺ :

« اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » . [صحيح

البخاري] .

الأبلغ من ذلك . . أنك إذا ظلمت مسلماً ، المسلم أبغضك أي أبغض ذاتك ، أما إذا ظلمت غير مسلم فإن المظلوم يبغض دينك ، ويقول : الإسلام ظلمي . . ينسى الإنسان ويتهم الدين كله بالظلم لذلك يجب أن يشعر المؤمن الصادق دائماً : « أنه على ثغرة من ثغر الإسلام ، فلا يؤتَيْن من قبله » .

الآية الرابعة في المقسط قال تعالى :

﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

قال : أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من يتتصف من نفسه ، فلو أخطأت وأنت القوي جداً مع إنسان ضعيف جداً وظلمته فقل له : أنا أخطأت معك وسامحني . فهذا أرقى ما يتصف به أحد بالعدل ، أن تتتصف من نفسك لمن هو أضعف منك ، أن تتتصف من نفسك وليس لنفسك ، أن تتنصر لمن هو أضعف منك .

أحياناً يكون الزوج في البيت هو كل شيء ، وعنده زوجة ضعيفة إذا أخطأ قال لها : أنا أخطأت وهذا خطئي .. فهذا أعلى درجات الإنصاف .

وقد يكون عندك صانع يعمل لديك في الدكان ، وهو شاب وإخراجه من المحل ممكن بكلمة واحدة : اذهب ولا تعد .. وأخطأت معه والصانع خاف منك ، فعليك أن تقول أنا أخطأت وهذا الخطأ خطئي . هذه أعلى درجة من أنواع الكمال والإنصاف .. ألم يرد في الأثر : « تَخَلَّقُوا بِكَمَالَاتِ اللَّهِ » ، وأحد العلماء يقول : « إِنَّ أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من يتتصف أولاً من نفسه » .

فقد يكون الإنسان في موقع لا أحد يستطيع محاسبته ، فكماله أن يتتصف من نفسه ، وأن يعترف بخطئه .

سمعت عن طبيب في مصر ، وصف دواء لطفل صغير الجرعة منه تعطى لكبير ، وبحسب علمه لو تناول هذه الجرعة لمات الطفل من فوره ، فماذا يفعل ؟ لا يوجد عنده عنوانه وهو في مستوصف عام فاتصل بوسائل الإعلام ، وقال : أرجو أن تبلغوا المواطنين أن رجلاً وابنه دخلا إلى المستوصف الفلاني ، وقد أعطيتهما وصفة فليمتنعا عن أخذ الوصفة وإلا يموت الطفل ، فهو إذا سكت لا أحد يعلم وقد

يموت الطفل دون أن يكون مداناً ، لكنه أعلن على الملأ أمام خمسين مليون أنني أخطأت ، والشئ الذي لا يصدق أن الذي أخذ هذا الدواء وصله الخبر قبل أن يعطي لابنه الدواء ، فالذي حصل عكس ماتصور الطبيب ، فإنه اكتسب سمعة وشهرة تفوق حد الخيال .

أحد العلماء يقول : « إن أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من ينتصف أولاً من نفسه ثم ينتصف من غيره ، أولاً من نفسه ثم من غيره » .

وقال بعض العارفين : « متى أكثر العبد من ذكر اسم المقسط أشرق عليه نوره ، فسرى في جوارحه ، فعدل فيها » .

يهودي دخل على سيدنا عمر يشكو سيدنا علياً ، فقال له : قم يا أبا الحسن فقف إلى جانب الرجل . فأصبح علي خصماً في قاعة القضاء وهو من المقربين لعمر . فوقف ، وتغيّر لون سيدنا علي ، فلما حكم له وانصرف اليهودي قال له : أوجدت عليّ يا أبا الحسن ؟ فقال : نعم . فقال له : لِمَ ؟ فقال : لأنك قلت لي يا أبا الحسن ولم تقل لي يا علي ، لقد ميّزني عليه لِمَ لم تقل لي : قم يا علي فقف إلى جانب الرجل ، قلت لي : قم يا أبا الحسن ؟ فقبل عمر رأس علي وقال : لا أبقاني الله بأرض ليس فيها أبو الحسن ، بهذا قامت السموات والأرض ، نعم قامت بالعدل .

أُعيد على مسامع القراء قصة ذكرتها في أول البحث ليكون عوداً على بدء ، عندما أرسل سيدنا رسول الله إلى بني النضير عبد الله بن رواحة ليأخذ ما اتفقوا عليه من ثمارهم وزروعهم ، أرادوا أن يرشوه ليرفّق بهم ، فعلم ذلك فقال : لقد جئتكم من عند أحبّ الخلق إليّ ،

ولأنتم أبغض خلق الله إلي من عددكم من القردة والخنازير ، ومع ذلك لا يحملني حبي لمحمد عليه الصلاة والسلام ولا بغضي لكم إلا أن أعطيكم حقكم وأن آخذ حقي ، فقال اليهود : بهذا قامت السموات والأرض ، وبهذا غلبتمونا .

وأنت تقوم وتقوى بالعدل ، وتسقط بالظلم .. ألا ترون معي أن العالم كله يئس من أن الظلام يكيلون بمكيالين ، ومن أنهم يقيسون بمقياسين ، يشددون التنكير على من يُتهم بقتل إنسان ولا يحاسبون من يُتهمون بقتل شعب ، ألا يشعر بالظلم كل العالم اليوم ؟!

لذلك كما قال سيدنا رسول الله :

« تُمَلَأُ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِزَّتِي يَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا » [مسند الإمام أحمد] .

هذا الاسم من أخطر الأسماء في دنيا الناس .. بهذا قامت السموات والأرض ، لاتصلح سواء أكنت زوجاً ، أو تاجراً ، أو موظفاً إلا بالعدل ، والعدل أساس الملك ، والعدل يزيدك قوة ، والعدل أن تنتصف من نفسك قبل أن تنتصف من غيرك ، أن تقول أخطأت على الملاء فهذا الذي يرفعك عند الله عز وجل .

من أدعية هذا الاسم : إلهي أنت المقسط في الأحكام ، المتفضل بالإسلام ، عدلت في أقدارك الأزلية ، وتفضلت في حكمك العلية .

* * *

الوالي

من أسماء الله الحُسنى الوالي ، والوالي اسمٌ من أسماء الله الحُسنى .

هذا الاسم من مادة الولاية . والوليّ ، والمولى ، والوالي هذه الأسماء الثلاثة مشتقةٌ من مادةٍ واحدة وهي ولي ، والولاية . . تدبير الشؤون ، ففي الأسرة الأبُ يدبّر شؤون أسرته ، وفي أيّ مجتمع ، وفي أيّ مؤسسةٍ من على رأس هذه المؤسسة يدبّر شؤونها . فالوالي هو الذي يدبّر شؤون خلقه .

جاء في بعض المعاجم ، أنَّ الوالي مالك الأشياء جميعها والمتصرف فيها ، أي مالك ومتصرف ، قد تطلق يدك في بيت ولا تملكه ، وقد تملكه وليس لك الحقُّ أن تتصرف فيه ، أما مطلق الملكيةّ والتصرف يسمّى الولاية ، وليّ الأمر يملك ويتصرف ، فلانُّ وليّ أمر المسلمين ، يملك مقدّراتهم ، ويتصرف فيها ، ويدبر شؤونهم .

فالوالي هو المالك للأشياء جميعها المتصرف فيها .

أكرر والوالي من الولاية . . تُشعر بالتدبير ، والقدرة ، والفعل في

خطة ، وهذه الخطة تنفذ ، لابد من أن تملك الشيء ، ولا بدّ من أن تملك التصرف فيه ، ولا بدّ من أن تدبر شأنه ، ولا بد من أن تفعل ما تريد ، إذا اجتمعت هذه المعاني كلها في جهة ما يمكن أن نسمي هذه الجهة الوالي .

قلت قبل قليل الولاية يشتق منها المولى ، يشتق منها الولي ، يشتق منها الوالي ، والوالي اسم من أسماء الله الحسنى ، بعض العلماء يرى أن الوالي هو الذي يدبّر أمور الخلق ويتولاها .

لهذا الكون مدبّر ، لهذا الكون مشرف ، لهذا الكون مربّ ، الوالي يجمع هذه المعاني كلّها . لابد من أن يكون عليمًا ، لابد من أن يكون مقتدرًا ، لابدّ من أن يكون خبيرًا .

والحقيقة أن الخبرة مهمة جداً في الولاية ، العلم شيء والخبرة شيء آخر ، في بعض الأحيان تصنع آلة وفق أعلى درجات العلم ، عند التطبيق والممارسة تكتشف بعض الأخطاء فتتلافها في الآلة القادمة ، حينما تكشف الأخطاء وتتلافها نقول إن خبرتك حادثة تأتي من التجربة ، مهما وضعت الخطط النظرية المحكمة ، مهما انطلقت من علم غزير ، مهما أحكمت الصنعة ، فعند التدريب ومع الاستعمال تظهر بعض الأخطاء ، تظهر نقطة ضعف في هذه الآلة ، سريعاً ما تنكسر فيقويها في التصنيع اللاحق . نقول خبرة الإنسان خبرة حادثة تنمو بالتجربة ، أما خبرة الله فهي خبرة قديمة .

وما زلنا نتحدّث عن الوالي . الوالي هو المدبّر ، المالك ، المتصرّف ، الفعّال لما يريد ، هذه المعاني كلّها يجب أن تستند إلى خبرة ، والخبرة أعمق وأشمل من العلم ، يمكن أن تعلم كلّ شيء ،

ويمكن أن تصنع آلة وفق علم غزير ، أما حينما تجرّب هذه الآلة ، وتضعها موضع الاستعمال فسوف تبدى لك بعض الأخطاء التي لا بد من معالجتها ، وتجد أن الأكمل مثلاً أن يكون هذا الشيء في مكان آخر ، تجد أن الأكمل أن تُفْتَح في هذه الآلة فتحة من هذا المكان ، كل شيء تكتشفه في أثناء التطبيق ، وإن التجريب يعدّ خبرة وهي زيادة على العلم .

الشيء الذي ينبغي أن نعتقده أن علم الله وخبرته قديمان ، على حين أن علم الإنسان وخبرته حادثان ، العلم والخبرة تتناميان وتتكاملان عن طريق الخطأ والصواب ، والتجربة والتطبيق . .

لذلك الوالي هو المدبر لشؤون خلقه ، لا بد من أن يملك ، ولا بد من أن يتصرف ، ولا بد من أن يدبر ، ويقدر ، وينفذ ، ويفعل . . كل هذا ينبغي أن يستند إلى خبرة ، وخبرة الله قديمة .

وقد يسأل الإنسان : كم من التعديلات المتجددة طرأت على صنع الآلات ؟ ولأخذ مثلاً المركبة . . فالمركبة التي صنعت في عام ألف وتسعمئة ، والمركبة التي صنعت في عام ألفين ، فإذا أجرينا موازنة بينهما ، كم هو الفرق بينهما ؟ كبيرٌ وشاسع ، وهذا يعني أن خبرة الإنسان تتنامى ، وخبرته حادثة وتتكامل .

أما هل طرأ على الإنسان تعديل منذ أن خُلِق ؟ لعل هذا المفصل الذي في يده أو رجله يقربه إلى هناك قليلاً أو إلى هنا قليلاً ، لعل هذه الأصابع نختصرها ، لعل هذا الرسغ نثبته ، لعل هذه العين نضعها في مكان آخر ، ولعل قائلاً يقول : نكتفي بأذن واحدة ، فهل طرأ تغييرٌ على خلق الإنسان ؟ لا . . . ثم لا ، معنى ذلك أن خبرة الله عز وجل قديمة وكاملة .

قال : « الولاية تشعر بتدبير الأمور ، تشعر أن الله يتولى أمور خلقه » .

أحياناً قد تجد أباً مهملاً ، أباً غائباً عن ساحة التربية ، أباً مشغولاً ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى هو الوالي لأمر خلقه يرعاهم ، ويرشدهم ، يبين لهم ، أحياناً يؤدِّبهم ، يردعهم ، يشجعهم ، ويكافئهم ، ويعاقبهم ، يتولى أمر أجسادهم ، ويتولى أمر نفوسهم ، يتولى أمر دينهم ، يتولى أمر دنياهم .

قالوا : « الولاية ومنها الوالي تشعرك بالعلم والخبرة وبالتدبير والقدرة والفعل » ، ومالم تجتمع هذه الصفات في جهةٍ ما لا يمكن أن يطلق عليها اسم الوالي .

الله عزَّ وجلَّ والٍ ، ولا والي للأمور إلا الله تعالى . . لذلك كلما تعمَّقت في الإيمان ترى أن يد الله هي وحدها التي تعمل ، وكلما ابتعدت عن خصائص الإيمان رأيت أيادي الخلق هي التي تعمل ، اقرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَ يَزِيدْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] .

أحياناً تجد طفلاً يتيماً ، ففي الحقيقة إن اليتيم وليُّه الله جلَّ جلاله وليه وواليه ومتولي أمره ، بالمعنى المطلق لا والي للأمور إلا الله ، ولا متولي لها إلا الله ، لا مدبر للشؤون إلا الله .

قال العلماء : « إنه المتفرد بتدبيرها أولاً ، والمتفرد بتدبيرها حقاً » .

وإن من علامات الإيمان أن تتجاوز الخلق إلى الحق ، أن تتجاوز

النعمة إلى المنعم ، أن تتجاوز التسيير إلى المسير ، التكوين إلى المكوّن ، الخلق إلى الخالق ، التنظيم إلى المنظم ، هذا التجاوز هو الإيمان ، وإن أهل الدنيا عند التنظيم لا عند المنظم ، عند الخلق لا عند الخالق ، فالوالي هو المتفرّد بالتدبير أولاً ، المتكفّل بتنفيذ التدبير والتحقيق ثانياً .

يدبّر الإنسان أحياناً ويأتي إلى التطبيق فلا يستطيع ، ويقول لك لم أستطع .. هناك عقبات ، هناك موانع ، هناك صوارف ، فالله تعالى :

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : ١٦] .

الإنسان يريد أشياء كثيرة وقد لا يستطيع أن يفعل بعضاً منها ، لكنّ الله هو الوالي ، أي مدبّر ، وعالم ، وخبير ، ومالك ، ومتصرّف ، ومع خلقه يدبّر أمر حياتهم ، أمر مماتهم ، أمر دنياهم ، أمر آخرتهم ، أمر أنفسهم ، أمر أجسادهم ، أمر من حولهم ، أمر ما حولهم ...

ولابدّ من مثل ، والله المثل الأعلى .. فأحياناً تجد أباً كاملاً يدبّر شؤون أسرته من أكبر الأشياء إلى أدقّ الأشياء فيركن إليه جميع أفراد الأسرة ، أما المؤمن فحينما يشعر أنّ الله هو الوالي ، هو المدبّر ، هو المتكفّل ، هو العليم ، هو الخبير ، هو الفعّال لما يريد ، وأنّ الله سبحانه وتعالى لا يغيب عن علمه شيء ، ولا يُعجزه شيء ، عندئذٍ يركن إلى الله .

... ولعلّ من سمات العصر البعد عن الله ، ومن سمات المعصية والبعد عن الله عزّ وجلّ القلق الشديد ، فغير المؤمن يعيش في وحشة ، لأنّ الحياة شديدة التعقيد ، والظروف التي تتداخل وتتفاعل

في حياة الإنسان لا تُعدُّ ولا تحصى ، القوى المحيطة بالإنسان كبيرة جداً ، المتغيّرات سريعة جداً ، العقبات كثيرة ومحبطة ، فما الذي يحلُّ هذه المشكلة ؟ فأنت أمام ركام من المشكلات ، من القوى المتضادة ، ومن البيئات الجاذبة ، لا يُعينك على أن تنجو من هذه الحياة المعقّدة إلا أن تستسلم لله عزَّ وجلَّ ، الحالة النفسية الآن وراء أكثر الأمراض ، يعبر عنها الأطباء بالشدَّة . . الشدَّة النفسية التي تضغط على الإنسان ربما كانت سبب أكثر أمراضه ، وكلّما تقدّم العلم اليوم ، وكلّما تقدّم علم الطب وجد أنَّ الشدَّة النفسية وراء أكثر الأمراض المستعصية .

أما حينما تستسلم للمدبّر ، وحينما تستسلم لمن بيده الخلق والأمر تستطيع أن تنجو من هذا الضغط النفسي .

وقيل أيضاً : « الوالي هو المالك للأشياء المتصرّف فيها ، بمشيئة وحكمة ينفذ فيها أمره ، ويجري عليها حكمه » .

ذكرت من قبل : أنَّ الوالي والولي والمولى . . هذه الأسماء الثلاثة مشتقة من الولاية ، والولاية علمٌ ، وقدرةٌ ، وملكٌ ، وتصرّفٌ ، وتدبيرٌ ، وخبرةٌ .

بالتعريف البسيط . . الوالي هو الذي يتولى أمور الخلق ، أو هو الذي يباشر كلّ ما من شأنه إصلاح المتولّي عليه .

وبعد فنحن الآن أمام معنى جديد . . أحياناً الإنسان يملك ، ويتحكّم لصالحه ، لا لصالح المتحكّم به ، فقد يملك الإنسان شيئاً وهذه الملكية يرجّح من خلالها مصلحته على مصلحة المملوك ، كم من إنسانٍ ملك ، كم من إنسانٍ يتصرّف بقوته في شأنٍ من شؤون

الحياة ، لكنَّ هذا التصرّف أساسه مصلحته ، قد بيني مجده على أنقاض الناس ، قد بيني غناه على إفقارهم ، قد بيني أمنه على خوفهم ، نقول عنه مالك متصرّف ، لكنَّ الوالي الله جلَّ جلاله يملك ويتصرّف ويدبّر ويعلم وهو الخبير ولكن لمصلحة خلقه .. من هذه النقطة وازن بين إنسانٍ قوي تولى أمر أناسٍ آخرين ، وربّ كريم تولى أمر عباده ، فولاية الإنسان لمصلحة الأقوي ، لمصلحة المتولّى ، ولكنَّ ولاية الله عزَّ وجلَّ لمصلحة المتولّى الذي يتولى الله أمره .

لذلك كنت سابقاً أقول : الإنسان مخيّر في دائرة التكليف ، وهو في الحقيقة في دائرةٍ أوسع مسير ، هل كان باختيارك أن تأتي من هذه الأم أو هذا الأب ؟ لا .. أنت مسير في أمك وأبيك ، أنت مسير في قدراتك العامة ، أنت مسير في زمن ولادتك ، أنت مسير في مكان ولادتك .. فالمكان والزمان والأم والأب والمحيط والقدرات هذه أنت لا تملكها ، ولكن لأنَّ الله تولى أمرك فهذه النقاط البارزة في حياتك لمصلحتك ، كلُّ ما لا تملك فيه أمراً هو لصالحك .

فالوالي .. هو الذي يتولى أمور الخلق ، أو هو الذي يباشر كلَّ ما من شأنه إصلاح المتولّى .. أي هو الحاكم على الإطلاق لا يزحّمه أحد .. ﴿وَاللّٰهُ يَخْكُمُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ﴾ .. فقد قال تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّٰهُ يَكْكُمُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد : ٤١] .

أما الإنسان فأحياناً يحكم ، ثم تأتي ضغوط ، وتلاحق وسائط ، وتتوالى عليه رجاءات ، وضغطٌ شديد فيجد نفسه مرغماً على التراجع في الحكم ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى .. ﴿يَكْكُمُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ﴾ ..

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ . . . فقد قال تعالى :

﴿لَمْ مُعَقِّبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْزِزُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَنْصُرَهُ مَا بِنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد : ١١] .

الحسن البصري كان عند الوالي ابن هبيرة فجاءه أمرٌ من الخليفة يزيد إذا نفّذه أغضب الله ، وإن لم ينفّذه أغضب يزيد ، فوقع كما يقولون - في حيص بيص - فاستشار الحسن البصري فقال هذا الإمام التابعي الجليل : « إِنَّ اللَّهَ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدَ ، وَلَكِنَّ يَزِيدَ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ اللَّهِ » . . . والله هذه الكلمة على إيجازها لو عقلناها . . . فأيةُ جهةٍ قويةٍ مهما كانت ضاغطة ، وتجعلك أمام خيار صعب : إما أن ترضي زيدا وتعصي الله ، وإما أن تطيع الله وتغضب زيدا ، فما العمل ؟ . . . الجواب : إِنَّ اللَّهَ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدَ ، وَلَكِنَّ يَزِيدَ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ اللَّهِ .

فالإنسان إذا استيقظ صباحاً معافى في جسمه ، هذا من فضل الله عليه ، ولو أَنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى تخلّى عنه ، أيّ خلل في جسمه يجعل حياته جحيماً لا تطاق .

وقيل : الوالي « هو المنفرد بالتدبير ، القائم على كلِّ شيء ، ولا دوام ولا بقاء إلا بإذنه » .

المنفرد بالتدبير فنحن يهمننا التوحيد . . . فالله عزَّ وجلَّ موجود ، وواحد ، وكامل ، أي واحدٌ في ذاته ، واحدٌ في صفاته ، واحدٌ في أفعاله ، واحدٌ في ذاته لا إله إلا الله . . . واحدٌ في صفاته ، إذا قلنا الوالي المتفرد بالولاية ، إذا قلنا الرحمن المتفرد بالرحمة . . . الآن في الأفعال هو وحده الجبَّار ، هو وحده القهَّار ، فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَنهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٤] .

﴿ أَتَلْهَى أَمْرُنَا ﴾ .. لا أمرهم .

وبديهي جداً أن الإنسان يميل إلى الأقوى ، فلو عرضوا عليك أن تعمل مع إنسان ضعيف أم مع إنسان قوي ؟ فإنك تؤثر الأقوى لأنه إذا وعدك ينفذ ، وإذا أمر ينفذ ، وإذا منع ينفذ ، أما الضعيف ولو أنه يحبك لكنه ضعيف فلا يقدر أن يتصرف .. فإذا تيقنت أن الله وحده متفردٌ بالولاية ، انتقلت من أن تكون خاضعاً لإنسان يتولى أمرك لصالحه ، وإلى أن تخضع للواحد الديان يتولى أمرك لمصلحتك ، فرق كبير ، فقد يتولى أمرك إنسان ويكلفك أعمالاً لا تطيقها ، يأخذ من مالك ، هو قويٌّ عليك ، يبتزُّ مالك ليزيد ماله أو يبتزُّ مالك ووقتك وطاقتك ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى كماله مطلق فقد قال تعالى :

﴿ نَبِّذْكَ أَتَمُّ رَيْكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

بقدر ما هو عظيم بقدر ما هو كريم ، بقدر ما ينبغي أن تخافه بقدر ما ينبغي أن تحبه ، كما تعلمون قد تحبُّ جهةً ولا تقدِّرها ، وقد تقدِّرها ولا تحبها ، أما الذات الكاملة ، الله - جلَّ جلاله - فأنت تعظمه لأنه قوي ، تعظمه لأن الأمر كله بيده ، لأنه ولي ، لأنه وإل ، لأنه متولٍّ أمرك ، وفي الوقت نفسه تحبه لأنه رحيم .

المعنى الثاني .. أنه يتولى أمرك لإصلاح شأنك .

والمعنى الثالث.. أنه يتولى أمرك لينقلك من حالٍ إلى حال ،
القائم على كل شيء ، المنفرد بالتدبير ، ولا دوام ولا بقاء إلا بإذنه ،
وكل شيء يجري بحكمه وبأمره .

وقال بعضهم : « الوالي هو المنعم بالعطاء ، الدافع للبلاء ، يدفع
البلاء وينعم بالعطاء » .

إن بعض الذين كتبوا عن أسماء الله الحسنى ذكروا اسم الوالي
مستقلاً عن بقية الأسماء ، ذلك أن هذا الاسم لم يرد كثيراً في القرآن
الكریم.. إن بعض الأسماء الحسنى قد يرد كثيراً ، وبعضها قلماً
يرد ، وبعضها ترد مادته ولا يرد لفظه ، لم يرد في القرآن الكريم
ولكنه مجمعٌ عليه وقد ورد في سورة الرعد في قوله تعالى :

﴿لَمْ مَعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا
يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَالٍ﴾ .

هناك معقباتٌ أو ملائكة يسجلون عليه كل حركة وسكنة ، وكل
أقواله وأفعاله ، أما هنا فمعنى آخر يحفظونه من أمر الله ، فقد تجد
أحياناً طفلاً صغيراً يقع مئات المرات ، ومن الممكن أنه في كل مرة
يقع ، فقد يصاب بمرضٍ عضال ، لكن الذي يحفظه هو الله عز وجل
من خلال الملائكة ، فقد قال تعالى : ﴿لَمْ مَعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ .

المؤمن محفوظ ، والنبي ﷺ معصوم ، ولأن المؤمن محفوظ ،
فقد تجد أن أخطاراً كثيرة تحدث به ، ستنمتر واحد وكاد أن يموت ،
مسافة قصيرة كاد أن يدعس ، خطأ طفيف كاد أن يقتل ، من الذي

يحفظ الإنسان من هذه الأخطار ؟ هو الله عز وجل .. ﴿لَمْ مُعَقِّبَتْ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ .. من بين يديه من أمامه ، من خلفه من ورائه هؤلاء الملائكة الذين يحفظونه هم من أمر الله ، يحفظونه بأمر الله .

قال الله تعالى : ﴿لَمْ مُعَقِّبَتْ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ شَيْئًا فَلَمْ يَرْدَ لَهُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿

وما دمنّا قد قرأنا هذه الآية ، إن هذه الآية وحدها .. لو عقلها المسلمون لكانوا في حالٍ غير هذا الحال ، أنت مؤمن ، هذه الكرة أنت مالك لها ، كرة أكبر لا تملكها فيها قوى مسيطرة تمنعك .. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يَقُومُ﴾ أنت إذا أقمت أمر الله فيما تملك ، كفاك ما لا تملك ، لا تحلّ مشكلة المسلمين إلا بهذه الآية ، فيما أنت فيه ، فيما أنت قادرٌ عليه ، فيما أنت مسيطرٌ عليه ، فيما وكلّك الله به ، فيما أناطه الله بك .. هذه الدائرة بيتك فيها ، عملك فيها ، حركتك فيها ، سكونك فيها ، سفرك فيها ، إقامتك فيها ، كسب المال فيها ، إنفاق المال فيها ، وقت الفراغ فيها ، أفراحك فيها ، أتراحك - لا سمح الله - فيها ، الشيء الذي أنت مسيطرٌ عليه ، الموكول إليك ، المناطق بك مملكتك ، منطقة نفوذك ، إذا أقمت أمر الله في هذه المنطقة ، إذا أقمت أمر الله فيما تملك ، كفاك ما لا تملك .

والإنسان محاط بقوى لا يملكها .. بقوى ماديّة ومعنوية ، وقوى لا يراها بالعين المجردة .. فالجراثيم ، والفيروسات ، ومسببات

الأمراض هذه لا يراها ، لا يملك زمامها وكذلك الزلازل ،
الفيضانات ، الصواعق ، البراكين ، القذائف ، الألغام ،
الأمراض ... ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ .. واقع
المسلمين اليوم عكس ذلك ، أهملوا ما هم مالكون له ، تطلّعوا إلى
ما لا يملكون فأصابهم اليأس .. تفلّت في البيت ، تفلّت في العمل ،
عدم انضباط شرعي ، يقابل ذلك ضعفٌ أمام القوي ، يأسٌ أمام
المتملك ، فلماذا أنت فيما تملك مقصّر ، وفيما لا تملك متطفل ؟
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .. فقد قال تعالى :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وها نحن أمام آية أخرى هي قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

الأصل أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر ، الأصل أن تحمل
هموم المسلمين ، ولكن قبل أن تأمر ، وقبل أن تنهى ، وقبل أن
تحمل هموم المسلمين ، عليك أن تعتني بنفسك ، عليك أن تهذبها ،
عليك أن تحملها على طاعة الله ، عليك أن ترقى بنفسك ، عندئذٍ
يكفيك الله ما لا تملك ، أقم أمر الله فيما تملك ، يكفك ما لا
تملك .. هذا المعنى ورد في الأثر القدسي :

« عبدي .. خلقت السموات والأرض ولم أعي بخلقهن ، أفيُعيني

رغيفٌ أسوقه لك كلّ حين ؟ لي عليك فريضة ولك عليّ رِزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعِزَّتِي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلُطَنّ عليك الدنيا ، تركض فيها ركض الوحش في البريّة ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنّت عندي مذموماً . أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيّتك ما تريد ، وإن لم تسلّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد ، خلقت لك السموات والأرض من أجلك فلا تتعب ، وخلقتك من أجلي فلا تلعب ، فبحقّي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك » .

قديماً كانت في دمشق مدرسة ثانوية ضخمة جداً وكانت الأولى في القطر ، وهي مدرسة التجهيز الأولى ، وكنّت في الخمسينيات طالباً فيها ، القسم العلوي يشتمل على أضخم مكتبة في دمشق وقاعات للمطالعة ومهاجع ، والقسم الشمالي مطعم . كانت الدراسة فيها داخليةً فيأتي الطلاب إليها من كلّ المحافظات ليكونوا طلاباً داخلين ، فيجد الطالب سريراً وثيراً وطعاماً جيداً ، ويوجد طبيب مقيم ، ومسجد وإمام ، فتقريباً كأنّها جامعة . . خطر في ذهني ذات مرة أن هؤلاء الطلاب لهم مواعيد دقيقة جداً ، فيستيقظون في وقت معيّن ، وطعام الإفطار يكون جاهزاً الساعة السابعة والربع ، وكل شيء معدّ وجاهز ، وينطلقون إلى قاعات التدريس الساعة الثامنة ، وينتهي الدوام فيصلّون صلاة الظهر ثم إلى مهاجعهم ، وفي تمام الساعة الثانية يكون طعام الغداء جاهزاً ، وبعد الطعام والقيولة يذهبون إلى قاعات المطالعة ليدرسوا ، ويحضّروا ، ويذاكروا حتى الساعة العاشرة .

لو أنّ طالباً ترك قاعة المطالعة وقد كلّف أن يدرس ، ترك

المذاكرة وقد كلّف أن يذاكر ، ترك حفظ هذا الدرس وقد كلّف أن يحفظه ، ترك حلّ هذه المسألة وقد كلّف أن يحلّها ، ترك مراجعة دروسه وقد كلّف أن يراجعها ، وذهب إلى المطبخ ليتفقد أحوال الطباخين.. ماذا فعلتم ؟ هل أنجزتم هذا العمل ، هل قطعتم هذه الخضراوات ، هل وضعتم الملح في الطعام ؟ ماذا يقال له ؟ عُذ إلى قاعة المطالعة ، واشتغل بما أنت مكلفٌ به وسوف ترى الطعام جاهزاً في الساعة الثانية بعد الظهر ، إذاً فهذا طالب ترك مهمته الأساسية ووضع نفسه في موضوعٍ لا علاقة له به ، في حين أن كل شيء معد وجاهز .

لذلك : لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك ، وهذا مرضٌ خطير من أمراض المسلمين ، يتشاغلون بما ضمن لهم ، ويتغافلون عما طُلب منهم ، المضمون يشتغل به ، والمطلوب يتساهل فيه .

لذلك فأنت في الدنيا من أجل أن تعرف الله ، أنت في الدنيا من أجل أن تعمل صالحاً تتقرّب إليه ، وقد تكفّل الله لك برزقك ، تكفّل الله لك بأمرك.. يحمل هموم الدنيا وينسى هموم الآخرة ، يحمل همّ العيش وينسى همّ الإيمان والعمل بمقتضاه.. فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك .

لذلك فالإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى سمع من عبد الله بن الحارث بن جزء أثراً ، أحدث في حياته انعطافاً خطيراً.. ما هو ؟ قال : « من تفقه في دين الله كفاه الله تعالى همه ورزقه من حيث لا يحتسب » .

ليس معنى هذا أن تستيقظ فتجد تحت الوسادة خمسين ألفاً.. لا.. معنى ذلك أنك إذا طلبت العلم يسّر الله لك رزقاً حلالاً بجهدٍ قليل ومردودٍ كثير .

.. ما من إنسان يطلب العلم ويخطب ودَّ الله عزَّ وجلَّ ، ويعمل الأعمال الصالحة ، ويحرص على التقرب إلى الله ، إلا يسّر الله له رزقاً حلالاً طيباً بجهدٍ قليل ، والله عزَّ وجلَّ قادر على أن يجعل الإنسان يعمل عشرين ساعة ليأكل فقط ، وليحصل لقمة العيش فقط .. فقد قال تعالى :

﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّنتَفِرَةً ۚ فَتَرَىٰ مِنْ فَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر : ٥٠-٥١] .

« وعزّتي وجلالي .. إن لم ترض بما قسمته لك فلاسلطنّ عليك الدنيا ، تركض فيها ركض الوحش في البريّة ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموماً .. » .

الله قادر على أن يعينك فتبذل جهداً معقولاً وتعيش حياة مريحة إذا طلبت العلم ، لذلك هذا الوقت الذي أنت فيه له زكاة ، زكاة الوقت أن تطلب العلم ، زكاة الوقت أن تعمل فيه عملاً صالحاً ، أن تدعو إلى الله ، أن تصل رحمك ، أن تُعين الآخرين ، أن ترعى الأرملة واليتيم ، زكاة الوقت تضمن لك حفظ بقيّة الوقت من أن يتبدد ، كما أنّ زكاة المال تضمن لك حفظ بقيّة المال من أن يتلف .. إذا أديت زكاة الوقت فطلبت العلم حفظ الله لك بقيّة الوقت .

وبالمناسبة فإن الله قادر على أن يصرف الإنسان لتبديد عشرين ساعة بلا طائل .. ففي يوم مثلاً قد ترتفع حرارة أحد أبنائه إلى الأربعين درجة ، فيذهب إلى الطبيب الأول ولا يستفيد ، ثم إلى

الطبيب الثاني ، ثم للثالث ويطلب منه أن يحلل ويصوّر ، وتصوير طبقي محوري - مرنان - بستة عشر ألف ليرة ، وتصوير - بالإيكو - ويقوم بدفع خمسة وعشرين ألفاً ولمدة أربعة أو خمسة أسابيع ولا ينام الليل ، ثم بعد ذلك يتعافى ابنه من المرض فكم أضع من الساعات ؟ وكم من الساعات قام بانتظار المحلل ، والمصور ، والطبيب ، وكم من الساعات وقف في الدور لحين وقت دخوله على الطبيب ، وكم من المبالغ دفع ؟

هذا كلام دقيق ، فالله قادر على أن يتلف لك وقتك ومالك ، فإن لم تدفع زكاة مالك ، وإن لم تدفع زكاة وقتك ، تلف الوقت والمال معاً ، ألا يقولون : فلان مبارك . أي أنّ الله عزّ وجلّ بارك له في ماله ، بالمال القليل رأى الخير الكثير ، وبالوقت القليل أنجز الفعل الكبير .

كانت أوقات السلف الصالح مباركة ، فقد عملوا من الأعمال التي تفوق حدّ الخيال ، فإذا عندك فراغ فاقراً كتب الإمام النووي في الفقه ، وفي الحديث ، وفي الأذكار ، وفي شرح مسلم ، متى كتب هذا كلّ ؟ لم يصل عمره إلى الخمسين عاماً ، ولم يبدأ الطلب قبل الثامنة عشرة . . ؟!

قال لي أحد الإخوة الكرام : حدثني نفسي ذات مرة أن أترك مجلس العلم ، فذهب هو وأهله إلى نزهة فوصل إلى مكان فيه نبع ، فأراد أن يملأ الوعاء فجاء شاب له مظهر أديب أخذ منه الوعاء وعبّأه له ، أثنى على أخلاقه وأدبه . . فإذا هو يّته ومحفظته وفي داخلها شهادة قيادته ، وبطاقة السيارة ، وهويته الأساسية الشخصية ، ومبلغ ثمانمئة

ليرة أخذها منه هذا الشاب دون أن يدري فقال لي : بقيت ستّة أشهر أذهب من دائرة إلى دائرة لأجدد هذه البطاقات الضائعة.. ثم قال لنفسه : لعله عقاب من الله لأنه ترك درس العلم .

وبالطبع ليس كل إنسان يعامل هذه المعاملة .. فقط القريب من الله يعامل ، والملتزم الحريص على طاعة الله إذا أخطأ أو اتخذ قراراً غير سليم ، فالله عزّ وجلّ يحاسبه حساباً دقيقاً . « ما ترك عبداً شيئاً لله إلا عوّضه الله خيراً منه في دينه ودنياه » .

هذا الكلام أثأّر به كثيراً.. هم في مساجدهم ، والله في حوائجهم .

قال لي رجل : لا بدّ من أن أسافر إلى حلب أبحث عن مورّد لبضاعة معيّنة ولا أملك عنوانه الدقيق ، ولا بدّ من أن أنام ليلة هناك وتستغرق المهمة يومين.. ركوب وذهاب وإياب ، وفندق وطعام وشراب وإنفاق.. فكلّف بعمل لله فأنجزه عن طيب خاطر ، فإذا بهذا الرجل الذي كان ينبغي أن يسافر إليه إذا به أمامه في متجره في الشام .

أنت أنفقت ساعتين في خدمة الخلق فوقّرت ثلاثين ساعة ،.. فهناك وقت يذهب هدرأ ، بلا طائل ، ومع الألم ، فمثلاً أنت تقصد شخصاً فتركب السيارات الواحدة تلو الأخرى وتتردد على بيته ويقولون لك : الآن خرج من البيت.. فلا حول ولا قوّة إلا بالله . أو يعدّك إنسان لإنجاز عمل ما ، وبعد أن تأتبه في الموعد المحدد يقال لك : لم أنه بعد من إنجاز العمل واثّ غداً .

تتابع قضيّة في دائرة فيأخذ الموظف المسؤول إجازة ثمانية أيام

فتنتظر ، أو ترسل لاستيراد قطعة تبديل من الخارج لمعملك فتأتي والقياس خطأ ، فتعيدها مرة أخرى لجلب غيرها ، فالله قادر على أن يهدر لك الوقت ، وقادر على أن يتلف لك المال ، فأدّ زكاة وقتك بطلب العلم ، وأدّ زكاة مالك بالإففاق يحفظ الله لك وقتك ومالك .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ .. الوالي هو الله وحده ولا والٍ إلا الله .

وقيل : « الوالي هو المتصرف بمشيئته في العوالم ، دبر شؤون خلقه أزلاً ، وأبرزها أبداً بحكمة الكريم الراحم ، هو الذي يوالي عباده بالإحسان ، ويفيض عليهم ممدداً بالحنان ، عطاؤه يتكرر بغير انقطاع ، ويتكرر دون امتناع » .

وقيل : « الوالي هو المتولي أمور خلقه بالتدبير والقدرة والفعل » .

وقيل : « الوالي المالك للأشياء المتكفل بها ، القائم عليها بالإدامة والإبقاء ، المنفرد بتدبيرها ، المتصرف بمشيئته فيها ، ينفذ فيها أمره ، ويجري عليها حكمه ، فلا والٍ للأمور سواه » .

الإنسان من أجل أن يتأدّب بهذا الاسم عليه أن يذكر اسم الوالي ، وعليه أن يتخلّق بكلمات الله ، فيعتني بمن دونه ، أي أن يكون والياً لأسرته ، والياً في محيط عمله أن يدبّر ، وأن يرتّب ، وأن يعطي ، وأن يمنع ، وأن يذكر ، وأن يؤثّب ، وأن ينصح ، وأن يُكرم ، وأن يعاقب .. كما أن الله سبحانه وتعالى تولاك فنقلك من الظلمات إلى النور ، تولّ أنت عباده فانقلهم من الضياع إلى الهدى ، من الشقاء إلى السعادة ، فتخلّق بكلمات الله .

وبعد أن ذكرت موضوع الوقت ، وتأدية زكاته ، والمال وتأدية زكاته ، وكيف أن الإنسان إما في تعسير ، وإما في تيسير ، فإني أريد بعدها أن أذكر بقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ ﴾ [الليل : ٥-٧] .

﴿ أَعْطَى ﴾ .. أعطى من وقته لطلب العلم ، أعطى من ماله ، ﴿ وَاتَّقَى ﴾ أن يعصي الله عزَّ وجلَّ ، ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ .. آمن ، واستقام وأعطى عطاءً مطلقاً .. قال : ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ .. هذا هو التيسير ، فلا تقل لي : فلان محظوظ ، فلان يده خضراء ، فلان كيف ما تحرك أصاب ، فهذا كلام لا معنى له ، ولكن قل لي : هذا أموره ميسرة ، وهذا أموره معسرة ، والتيسير له قانون ، والتعسير له قانون .. ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ .. آمن واستقام وأعطى من وقته وماله .. ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ ..

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغَفَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل : ٨-١٠] .

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ .. لم ينفق لا وقته ولا ماله .. ﴿ وَاسْتَغَفَى ﴾ .. عن أن يطيع الله ، ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ .. ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ .. للتيسير قانون ، وللتعسير قانون .

واسم الوالي يصلح لمن يتولى أمور العباد ، الله يتولى أمور العباد لصالحهم ، والإنسان الشارد أحياناً يتولى أمرهم لصالحه ، وشئان بين الولايتين ، إذا توليت أمر عشرة فتولَّى أمرهم لصالحهم ، فإذا أمّرت عليهم من ليس أهلاً لهذه الإمارة فقد خُنت الله ورسوله .

سيدنا عمر كان إذا أراد أن يعيّن والياً امتحنه وقال له : ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارقٍ أو ناهبٍ ؟ قال : أقطع يده . قال : إذا فإن

جاءني من رعيّك من هو جائعٌ أو عاطلٌ فسأقطع يدك ، إنّ الله قد استخلفنا على خلقه لنسدَّ جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفرَّ لهم حرفتهم ، فإن وفَّينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إنّ هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمسّت في المعصية أعمالاً ، فأشغلها بالطاعة قبل أن تشغل بالمعصية .

فلو عيّن معلم في الابتدائي مثلاً عريفاً على هؤلاء الطلاب في الصف الأول ، وفيهم من هو خيرٌ منه فقد خان الله ورسوله . عيّنهُ لأنه ابن أخته فقد خان الله ورسوله ، وقس على هذه الحقيقة ما شئت .

فإذا كنت والياً عليك أن تتخلّق بكمالات الله الوالي ، وأخيراً . .
اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارضَ عنا ، وصلى الله على سيّدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

* * *

الباقى

من أسماء الله الحُسنى الباقي .

هو الحيُّ الباقي على الدوام ، البقاء ضدَّ الفناء ، شأن الخلق الفناء ، وشأن الله البقاء ، شأن الخلق أن كلَّ من عليها فان ، وشأن الخالق أنه باقٍ على الدوام ، إلا أن كلمة (بَقِيَّة) تعني طاعة .. قال تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾

[هود : ٨٦]

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .. أي طاعته خيرٌ لكم ، من أين استنبطنا أن

البقية هي الطاعة ؟

الله جلَّ جلاله أودع فى الإنسان الشهوات ، هذه الشهوات حيادية يمكن أن نستخدمها وفق منهج الله وبخلاف منهج الله ، إن مارست الشهوات وفق منهج الله فأنت أخذت بقية الله ، كسب المال أنواعٌ كثيرة محرمة ، يكون اغتصاباً ، سرقةً ، تدليساً ، كذباً ، غشاً ، خداعاً ، أما التجارة الشرعية عن قبولٍ ورضا وصدقٍ وأمانةٍ فهذه بقية الله خيرٌ لكم ، هذه المرأة الأجنبية محرَّم أن تنظر إليها ، وهذه وتلك ، إلا أن الزوجة والمحارم بقية لك من النساء فلك أن تنظر إليهن .

فالبقيّة هي الطاعة.. وسرُّ تسمية البقية الطاعة أن الله سبحانه وتعالى أودع فى الإنسان شهوات يمكن أن نتحرك من خلالها على نحو واسع جداً ، إلا أنّ من هذا التحرك الواسع تحركاً منهجياً ، تحركاً شرعياً ، تحركاً وفق ما أمر الله ، ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ .. لذلك المؤمن لو عرض عليه مالٌ كثير إن لم يكن شرعياً يركله بقدمه يقول : الله هو الغني ، ويسأل الله الغني أن يغنيه الله مالاً حلالاً من فضله .

أحياناً تدعو امرأة ذات منصبٍ وجمال شاباً طائعاً لله يقول : معاذ الله : إني أخاف الله رب العالمين ، بقية الله لهذا الشاب زوجته .

إذاً البقاء ضدّ الفناء ، وبقية الله طاعته وانتظار ثوابه .. أحياناً الطاعة تكون مجهدّة ومتعبة وفيها كلفة ، ماسمي التكليف تكليفاً إلا لأنه ذو كلفة ، لكن هذه الكلفة تمضي ويبقى الثواب ، أما المعصية ممتعة ، والمتعة تمضي ويبقى العقاب ، فهذا كله شيء عابر ، متاعب الطاعة عابرة ، لذائد المعاصي عابرة .. مالذي يبقى إلى أبد الآبدين ؟ ثواب الطاعة ، وجزاء المعصية . فالمؤمن يفكر فيما سيبقى ، لا فيما سيفنى .

لذلك.. ألا ياربُّ شهوة ساعةٍ أورثت حزناً طويلاً.. أحياناً شهوة ساعةٍ تسبب مرضاً جليداً مزمناً إن لم يكن قاتلاً فيصيب قلب هذا الإنسان المنحرف : الآلام والحزن والغم والضيق والقلق والخوف ، وما لا سبيل إلى وصفه . اللذة انتهت في ربع ساعة ، وبقيت الآلام إلى عشرين عاماً .

لذلك فالعاقل هو الذي يتحرّك وفق منهج الله .. فلدينا آيةٌ دقيقة

جداً في هذا المعنى وهي قول الله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ
يَغْيِرْهُدَى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠] .

هناك معنى مخالف لهذا المعنى . . أي أنك إذا انطلقت وفق
هدى الله عز وجل فلا شيء عليك ، وفق منهج الله لا حرج عليك
ولا إثم .

تتوق نفسك إلى النساء فتزوّج ، لا شيء عليك ، يمكن أن يلتقي
بأهله ، وأن يصلي قيام الليل ، وأن يكي في قيام الليل ، لأنه لم
يفعل شيئاً خلاف منهج الله ، يمكن أن تكسب مالاً حلالاً تشتري به
طعاماً وشراباً وثياباً لنفسك ولأهلك ولأولادك ولزوجتك ، ويمكن أن
تستمتع بجمال الطبيعة وأنت تصلي وتقبل لأنك وفق منهج الله ، إنك
تتبع الهوى وفق ما أمر الله عز وجل . . ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْهُدَى مِّنَ اللَّهِ ﴾ . . المشكلة أن تتبع الهوى دون منهج الله ، أن تتحرك
حركة عشوائية ، أن تنطلق إلى حيث تريد دون أن تنظر إلى قواعد
الشرع .

وهناك معنى ثالث للباقيات وهي الباقيات الصالحات ، وهي نتاج
الاستقامة مع الله . . البقاء ضدّ الفناء وهذا ورد في اللغة ، وقد عرف
أيضاً أن بقاء الله طاعته أو انتظار ثوابه ، أما الباقيات الصالحات :
فالإنسان يجتهد ويجتهد ويؤدي امتحاناً وينتظر النتائج . . ينتظر
التكريم ، ينتظر احتفالاً تكريماً له ، ينتظر أن يدخل إلى الجامعة ،
ينتظر أن يصبح ذا مرتبة علمية عالية ، ينتظر أن يكون مرموقاً في
المجتمع ، هذا الذي ينتظره . . لذلك قال عليه الصلاة والسلام في

كلام دقيق ولطيف جداً : « أوصيكم بالأنصار ، فإنه كرشي وعييتي ، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئتهم » [رواه البخاري] .

وأنت - كمؤمن - تعيش في زمنٍ صعبٍ ، في زمن الفتن ، في زمن النساء الكاسيات العاريات ، في زمن الشهوات المستعرة ، في زمن القابض على دينه كالقابض على جمر ، في زمن ترى أن كلَّ ما حولك يدعوك إلى المعصية ، في زمن ترى أن استقامة الإنسان على أمر الله مجهدة .

أنت إذا فعلت هذا وضبطت نفسك ، وحملت نفسك على طاعة الله ماذا بقي لك ؟ بقي لك ثواب الطاعة ، بقي لك الإقبال على الله ، بقي لك التوفيق .

ولنعلم جميعاً أن هناك خياراتٍ لا يعلمها إلا الله تنتظر المؤمن .. لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

« اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ » [سنن ابن ماجه] .

أي لن تستطيعوا أن تحصوا الخيرات التي سوف تأتيكم من طاعتكم لله .

أنا أخصُّ بكلامي هذا ؛ الإخوة الشباب .. شاب في ريعان شبابه ، لا أحد في الأرض يمنعه من أن يطلق بصره في الحرام ، وأذكر في هذه النقطة الدقيقة أن هناك في منهج الله عزَّ وجلَّ محرَّمات ، وفي القوانين الوضعية لكلِّ مجتمعٍ محرَّمات ، أحياناً

تنطبق بنود المحرمات في منهج الله على بنود المحرمات في قوانين العباد .

فالسرقه حرّمها الشرع والقوانين الوضعيه تحرّمها ، والرشوة حرّمها الشرع والقوانين تحرّمها ، وهناك كثير من البنود تتفق فيها القوانين مع الشرع ، فترك السرقة قد يكون خوفاً من الله وحده ، وقد يكون ترك السرقة خوفاً من العقاب الأليم الذي ينتظر السارق بحسب القوانين ، إلا أنّ الله سبحانه وتعالى شاءت حكمته أن يبقّي في الدين بنوداً لا تتفق مع القوانين أبداً ، منها غضُّ البصر.. فليس في الأرض كلّها قانونٌ يمنعك أن تنظر إلى امرأة لا تحلّ لك.. فإذا غضضتَ بصرك عن محارم الله فالدافع إلى هذا خوف الله وحده .

فهناك حالات.. كأن تكون في البيت والنافذة مفتوحة ، وامرأة الجار خرجت إلى الشرفة بثياب متبذلة ، ليس في الأرض كلّها جهةٌ يمكن أن تحاسبك إذا نظرت إليها ، لا هي تعلم ولا أحد يعلم ، لكنّك إذا قلت كما قال سيدنا يوسف.. قال تعالى :

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ فَقَدْ حَصَلَتْ عَنْهُ غِيَاظُهُ وَتَلَا غِيَاظُهُ وَلَقَدْ قَالَ لَهَا وَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا هِيَ بِأَرْوَاهُ غِيَاظُهُ قَدْ كَانَتْ فِي الْغِيَاظِ وَهِيَ تَجِدُ أَنْ عَلَيْكَ أَخَذَتْهُ إِتَابَ اللَّهِ وَكَانَتْ مِنْ أَلْفِ مَوْجِدٍ﴾ [يوسف : ٢٣] .

لو قلت.. ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.. وغضضتَ البصر ، فأنت بهذا تخاف ممن ؟ الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
ثق - ولا أتألى على الله - أنه في هذا الزمن الصعب أنّ كلّ غضٍّ بصير يرقى بك إلى الله .

الباقيات الصالحات.. الأنصار أدّوا الذي عليهم وبقي الذي لهم.. والشاب التائب قد أدّى ما عليه من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ

وطاعة لله وتلاوة وذكرٍ وغيضٌ للبصر وصدقٍ في الحديث ، وعفة عن المحارم ، وتحرير في الدخل ، وإنفاقٍ شرعيٍّ . . . أدّى الذي عليه . . . والذي بقي له ؟ كلُّ خير . . . لذلك قال ﷺ : « استقيموا ولن تُحصوا » .

أما الباقيات الصالحات فهي الأعمال الصالحة التي تبقى ، وما سواها يفنى .

. . بيتك مهما كان فخماً عند الموت تتركه ، زوجتك مهما أحسنت اختيارها عند الموت تتركها ، الإنسان في الدنيا له ثلاثة أشياء : ماله ، وأهله ، وعمله . . ماله يبقى في البيت ، وأهله يشيعونه إلى شفير القبر ثم يرجعون ، أما الذي يدخل معه فعمله .

ورد في الأثر : يا قُيس إن لك قريناً تدفن معه ، وهو حي ويدفن معك وأنت ميّت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لثيماً أسلمك ، ألا وهو عملك .

قالوا : « القبر صندوق العمل ، إن كان العمل كريماً أكرمك ، وإن كان لثيماً أسلمك » .

الآية الكريمة :

﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦] .

﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . . تقام وليمة فيقول لك : كلّفني ثمانين ألفاً . . شيء بالفعل نفيس ، يدعو الناس ويفتخر بماله وبأذواقه ، يشتري مركبةً فخمةً جداً يتبه بها على الناس ، يسكن في بيت فخم ويعرضه على كلِّ زائر ويتكلّم على مساحته وأبهائه ،

وغرفة ، وأثاثه .. المال والبنون ، أولاد يرتدون أجمل الثياب متألقون ، وهو يقول لك : هذا ابني ، وهذه ابنتي .. ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ﴾ .. فقد عرّف الله المال والبنين أما قوله تعالى : ﴿وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ﴾ فهي محط الرجاء .. وفي القرآن ما يسمّى بمفهوم المخالفة .. فقد قال لك :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .. لم يقل لك تبقى أو لا تبقى ، فالفناء ضمنى ، لأنها ليست باقيات ولكن قال : ﴿وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ﴾ أي الذي يبقى الأعمال الصالحة .

بعد أن تعرف الله حقاً ، وبعد أن تستقيم عقيدتك ، وبعد أن تستقر قناعاتك فليس أمامك إلا العمل الصالح ، ويتفاوت الناس عند الله بأعمالهم الصالحة والدليل قول الله عز وجل : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَارُبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا يَمْكُلُونَ﴾ [الأنعام : ١٣٢] .

أنت لك عند الله درجة بقدر عملك الصالح .. أي أن حجمك عند الله بحجم عملك ، وكلّما كنت صادقاً في خدمة الخلق أجرى الله على يديك الأعمال الصالحة .

أقول مرة ثانية وثالثة ... كلنا ضعفاء ، كلنا فقراء ، كلنا عاجزون ، إلا أن الله سبحانه وتعالى يمنحنا من الأعمال الصالحة بقدر سلامة توجهنا نحوه ، وبقدر صدقنا ، فقد قال تعالى :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

إنّ الدنيا لها سقف ، فمهما كان حجمك المالي كبيراً ، لا تستطيع أن تأكل إلا ما تملأ به معدتك ، لا تستطيع أن ترتدي إلا ثوباً واحداً ،

لا تستطيع أن تنام إلا على فراش واحد ، لا تستطيع إلا أن تكون في مكان واحد في وقت واحد ، ففي الدنيا سقف ، إلا أن العمل للآخرة بلا سقف ، يمكن أن يهدي الله بك رجلاً ، أو رجلين ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو خمسة ، ولكل أجر فأنت في مزيد .

سيدنا محمد ﷺ كان رحمةً للعالمين ، سيدنا الصديق كان المؤسس الثاني للدولة الإسلامية ، حينما ظهرت حروب الردة وقف الموقف الحازم فكان بحق المؤسس الثاني ، سيدنا عمر أكثر هذه البلاد فتحت في عهده ، وكلُّ هؤلاء المسلمين في شتى أقطار البلاد في صحيفته ، فأنت كن طموحاً في إمكانك أن تصل إلى مراتب عالية ، فاللهم إلهنا ، وإلهنا إلههم ، والمنهج واحد . الكتاب واحد ، والنبي ﷺ واحد وما عليك إلا أن تسير في طريق الإيمان . . . ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ﴾ . .

وهناك تفسير آخر ولكنه مركّب . . الباقيات الصالحات هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أي إذا سبحته ، وحمدته ، ووحدته ، وكبرته ، معنى ذلك أنك عرفته ، وإن عرفته أطعته ، إن أطعته سعدت بقربه .

أما التفسير الأول فهو أسهل . . ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ﴾ . . الأعمال الصالحة ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ، أما الباقي حقيقة فهو الله عز وجل . . فسبحان من له البقاء ، أما نحن فلنا الفناء .

فهل هناك أعظم من سيدنا رسول الله ﷺ فقد مات . . ماذا فعل الصديق ؟ وأنا لا أعتقد أن في الأرض إنسانين أحب أحدهما الآخر كما أحب الصديق رسول الله ﷺ ، وكما أحب النبي الكريم الصديق ،

أحبّه حباً لا حدود له ، إلا أنّ هذا الحب ما حمّله على أن يشرك ، حينما كشف عن وجهه الشريف وقبّله ، وقال : طُبت حياً وميتاً يا رسول الله ، ثم خرج وقال : من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإنّ الله حيٌّ لا يموت .

أرأيت إلى التوحيد !! فأعلى درجات الحب ما نقلت هذا الصديق إلى الشرك ، فالتوحيد هو الأصل ..

فالله سبحانه وتعالى له البقاء ، والبقاء صفةٌ من صفات ذاته .. فنحن نعرف صفات الذات ، وصفات الأفعال .. البقاء صفةٌ من صفات ذاته .

فأنا وأنت وأي شخص غيرنا باقي ولكن بإمداد الله له ، فإذا قطع الله الإمداد حصلت الوفاة ، فوازن بين إنسان حيّ ينظر ويتحرّك ، عيناه تتألّقان ، وينطلق لسانه ، ويحرّك يديه ، ويمشي ، وكلّه آذان ، وشعور وإحساس ، يفكر ، يلقي محاضرة ، فإذا مات يصبح جثة هامدة ، لا شيء ، مسافةٌ كبيرةٌ جداً بين إنسان يتحرّك أمامك وجثة هامدة ، إن لم تدفنها في أقرب وقت تتفسّخ .

فأحياناً يدفع الإنسان مليون ليرة لإصلاح شريان بقلبه ، أما إذا مات فقد انتهى كل شيء ، وبعد أيام تتفسخ هذه الأجهزة .

فمن شأن الله عزّ وجلّ البقاء ، ومن شأن الإنسان الفناء ، أما الباقي فهو الله ، أما نحن فممكّنو الوجود ، فإذا كنا موجودين فوجودنا لا بذواتنا بل بإمداد الله لنا ، أوضح من ذلك أن وجودنا متوقّفٌ على تناول الطعام والشراب .

سمِعْتُ أن بعض المساجين في تركيا أضربوا عن الطعام ثمانية

أسابيع ، مات منهم أكثر من عشرة أشخاص ، فمن دون طعام تموت فهل يعد الوجود ذاتياً ؟ أبداً ، إن وجودك متعلق بكأس الماء هذا ، وباللقيمات التي تأكلها والتي يقمن صلبك ، فمن كان وجوده متعلقاً بالطعام والشراب فليس وجوده ذاتياً ، فحركتك متعلقة بسيولة دمك ، فلو تجلط الدم انتهت الحركة . . يقولون : جاءته خثرة في دماغه ، أو احتشاء في الدماغ ، أو جلطة في الدماغ ، أو نقطة في الدماغ ، أصبح جثة هامدة .

وجودك متوقف على إمداد الله لك ، وفي أية لحظة يقطع الله عنك الإمداد .

مثلاً : إذا كانت آلة تعمل على الكهرباء وعندك المفتاح الذي به تعمل أو تتوقف فإذا تبجّحت الآلة مثلاً ، وقالت : انظروا إلى حركتي . فإنك تضغط يدك على الزر فتتوقف ، فهذه شأن الآلة الكهربائية ، وهناك ألعاب للأطفال منها سيارات كهربائية لها حركة طائشة ، فتجد صاحب الملعب يضغط ضغطة قليلة على مفتاح الكهرباء ، يقطع الكهرباء عن هذه السيارات ، فتتسمر كل واحدة في مكانها وانتهى أمرها إلى السكون .

هذا تعريف . . وهناك تعريف ثان . . الدائم الوجود ، الموصوف بالبقاء الأبدي والأزلي ، أزلاً وأبداً ، هو الأول بلا بداية ، وهو الآخر بلا نهاية ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، هو الموجود أزلاً والموجود أبداً .

وقال بعضهم : « هو الموجود من أزل الأزل إلى أبد الأبدين » . فكما أنه لا بداية فهو بلا نهاية كذلك ، أما نحن فلنا بداية ولنا نهاية .

لكن البشارة أن المؤمن أثير الله... من خلصاته... فإذا حسن عمله في الدنيا وتوفاه الله عزَّ وجلَّ فهو في جنَّة الخلد إلى أبد الآبدين ، فبدخل الإنسان رغبة جامحة لأن يعيش طويلاً ، فلا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا ويتمنى أن يعيش مئة عام ، أو مئة وعشرين ، ولا يرغب في أن ينتهي أجله ، فلدينا شيء فطري.. نحبُّ وجودنا ، ونحبُّ سلامة وجودنا ، ونحبُّ استمرار وجودنا ، ونحبُّ كمال وجودنا .

فإذا آمن الإنسان واستقام على أمر الله وجاءته منيته وهو مؤمنٌ فقد حقق استمرار وجوده ، هو في جنَّات الله إلى أبد الآبدين ، والمشكلة الخطيرة أنَّ الذي لا يستقيم على أمر الله يستحقُّ النار قال تعالى :

﴿وَنَادُوا بِمَلَكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ تَرَائِكُمْ قَالَ إِنَّا أَنْتُمْ مَكْثُوتٌ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

أصعب شيء أن تكون في حالة لا حرب ولا سلم ، لا يموت فيها ولا يحيا ، فالموت مريح ، لا يحيا حياةً مريحة ، ولا يموت فيستريح ، هذه هي المشكلة ، فهذه المعاني الخطيرة التي جاء بها القرآن كيف نغفل عنها ؟ كيف نتحرَّك في الحياة دون أن نحسب حساباً لهذه الحقائق ؟ شيء خطير ، فالله هو الذي خلق ويقول لك :

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۖ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ [القمر : ٥٤-٥٥] .

ويقول لك أيضاً :

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشَمَالٍ ۖ يَقُولُ يَلْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابَهُ ۖ وَلَوْ أَدْرَا مَا حِسَابِي ۚ يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۖ هَلَّاكَ عَنْ سُلْطَانِيَّةٍ ۖ خَذُوهُ فَعُوقُوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة : ٢٥-٣٢] .

هذا كلام خالق الكون ، والله الذي لا إله إلا هو لو قيل لك تعال

إلينا يوم الخميس للتحقيق معك لا تنام ليلتين ، وهو إنسان سيسألك لكنه قوي فلا تنام الليل ، فكيف إذا قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣] .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ ۚ رُسُلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٧] .

أحد العلماء يقول : « الباقي هو الموجود » . . ولكن إذا أضيف إلى المستقبل فهو الباقي . . وإذا أضيف إلى الماضي سمي قديماً .

من زاوية الماضي قديم ، ومن زاوية المستقبل باقٍ ، هذا معنى أن الله قديم وباقٍ .

فالسيارة تحتاج إلى وقود ، فإذا قطع عنها الوقود تتوقف عن الحركة ، فهل حركتها ذاتية ؟ لا . . حركتها متوقفة على إمداد خارجي .

الباقي المطلق هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخر ، يعبر عنه أنه أبدي ، والقديم المطلق هو الذي لا ينتهي ، تهادى وجوده في الماضي إلى الآن ، وسيستمر ويعبر عنه أنه أزلي . . غير قابل للعدم » ، ففي المنطق هناك شيء واجب وجود ، وممكن وجود ، ومستحيل الوجود ، إذاً مستحيل ، وواجب ، وممكن . . كلُّ ما سوى الله ممكن ، ومعنى ممكن أي ممكن أن يكون وممكن ألا يكون .

ومستحيل الوجود يستحيل عقلاً أن يكون . . والله سبحانه وتعالى غير قابل للعدم بوجهٍ من الوجوه .

فكلُّ ما كان ذاتيَّ الوجود في الأزل والأبد فدوامه في الأزل هو القدم ، ودوامه في الأبد هو البقاء ، فالله قديمٌ وبارئٌ ، أزليٌّ وأبدِيٌّ .

وقيل : « الباقي هو الذي لا ابتداء لوجوده ، ولا نهاية لوجوده » . فكل شيء من الخلق له بداية وله نهاية ، فأنت لك بداية ، فقد قال تعالى :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] .

تمسك كتاباً طبع قديماً ، وأنت مولود في سنة الأربعين والكتاب قد انتهى طبعه عام ثمانية وثلاثين مثلاً ، معنى ذلك أنَّهم حينما انتهوا من طبعه ، أنت لم تكن في الأصل موجوداً ، ليس لك وجود .. ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ .. وبعد أن يموت الإنسان تقام له التعازي لمدة ثلاثة أيام ، وتلقى كلمة تأبين يتحدث فيها المتحدثون عن أعماله ، وبعد فترة من الزمن يطويه النسيان وكأنه ما كان ، فأنت بين عديمين ، بين عدمٍ يسبق وجودك ، وبين عدمٍ ينتهي به وجودك .. إذاً فإن .

فالمشكلة أنَّ الإنسان بضعة أيَّام ، فقد تجد من يعيش ثلاثين سنة أو أربعين ، أو خمسين أو ستين سنة ، فلو عاش ستين سنة وضررنا هذه السنين في عدد أيام السنة - ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً - وكذلك نستطيع حسابها بالساعات ، ويمكننا أن نعد وجبات طعامه التي تناولها ، وكم نزهة ذهب إليها ، وكم احتفال حضره ، وكم تغذية حضرها ، وقد أنجب أربعة أولاد وزوجهم ، كلُّه محدود ويعد عدّاً ،

فالإنسان بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه .

فالتعريف الدقيق الفلسفي العميق للإنسان أنه زمن ، ومشكلة الزمن أنه يمضي ، وتحركُ الزمن يستهلك الإنسان ، كائن يتحرك نحو هدف ثابت ، كل ثانية يقترب من هدفه ، فمعنى ذلك أنك زمن ، أنت فانٍ .

الباقى الذى لا ابتداء لوجوده ولا نهاية لوجوده ، الباقي هو الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، والحق باقٍ ببقائه ، والخلق باقٍ ببقائه .

فأنت موجود لا لأنك ذكى ، ولا لأنك تعتني بصحتك ، ولا لأن أجهزة جسمك تعمل ، أنت موجودٌ لأن الله يمدك بالوجود ، فإذا أوقف إمداده بالوجود كنت لا شيء . . . كن فيكون ، زل فيزول . .

ففى الحديث القدسى يقول رب العزة :

« يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْيَ فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ

وَجَنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِثَابَهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ [صحيح مسلم] .

قال العلماء : « الباقي هو الموجود الدائم الذي لا يقبل الفناء ، ومنه استمداد البقاء ، والذي لا ابتداء لوجوده هو الذي يكون في الأبد على ما هو عليه في الأزل » .

يكون الإنسان طفلاً صغيراً ثم يكبر ، فما دام يتطور فليس باقياً ، ثم يصبح هرمًا . . ﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ . . فقد قال تعالى :

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] .

منذ سنوات كان الناس يعرفون إنساناً رياضياً لو أمسك بمركبة - مهما كانت قوية - لوقفت في مكانها ولم تتحرك ، ولكن عندما أصبح في أَرْدَلِ الْعُمُر صار ضعيف البنية هزياً يثُّ ويشكو . . فكلُّ حال يزول ، فما دام هناك تطوُّر فلا بقاء معه .

وهذا معنى جديد . . الباقي : هو الذي يكون في الأبد على ما هو

عليه في الأزل.. فأنت كل يوم تتطور ، يضاف إلى معلوماتك معلومات ، ينمو جسمك وتزداد خطوط وجهك ، ويشيب شعرك ، وينحني ظهرك ، ويضعف بصرك ، أي تتطور ، أما ربنا عز وجل فهو باقٍ لأنه كما هو في الأزل هو في الأبد .

إلا أن اسم الباقي لم يرد بلفظه في القرآن الكريم ، ولكن مادة البقاء وردت منسوبة إلى الله عز وجل في مواطن كثيرة من التنزيل المجيد ، ومن أبرز هذه المواطن قال تعالى :

﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لِمُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأُزْجِلَكُم مِّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ ﴾ ٧١ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ ﴾ ٧٢ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ [طه : ٧١-٧٣] .

تعال معي إلى مثل أضربه لعله يقرب الفكرة ، فلو خيَّرت أن تركب سيارة لمدة ربع ساعة ، وبين دراجة تملكها ، فماذا تختار ؟ لا شك أنك تختار الدراجة لأنها أبقي ، ولو خيَّرت بين مركبتين الأولى تركبها ربع ساعة ، والثانية تملكها ، فماذا تختار ؟ تختار المركبة الثانية التي يبقى ملكها لك .. فكذلك الآخرة .. ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ ﴾ ..

﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ ﴾ .. إذا اخترت ما عند الله خير إلى درجة غير معقولة وأبقى ، الدنيا دار ابتلاء وإنها فانية ، لذلك فكل إنسان يختار الدنيا على الآخرة متهم في عقله .. والآية الثانية تقول :

﴿ كُلُّ مَنٍ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ ﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ [الرحمن : ٢٦-٢٧] .

مَن العاقل ؟ أهو الذي يتعلَّق بالفاني أم بالباقي ؟ إن تعلَّقت بإنسانٍ

فهو فانٍ ، إن تعلّقت بمتاع الدنيا فهو فانٍ ، إن تعلّقت بالغرائز والشهوات فهي فانية ، أما إذا تعلّقت بالواحد الديان فهو أبدئيّ باقٍ ، وما لك عند الله فهو خير وأبقى .

وفي سورة طه . . ﴿ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه : ١٣١] .

﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . . ﴿ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . . فعطاه الله عزّ وجلّ للمؤمن خيرٌ وأبقى .

وفي سورة الشورى قال تعالى :

﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى : ٣٦] .

والمؤمن تقوده راحة عقله إلى أن يختار الآخرة فيعمل لها ، وعندئذ ربنا عزّ وجلّ يكرمه في الدنيا والآخرة .

وفي سورة مريم قال تعالى :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴾ [مريم : ٧٦] .

إذا كلمة الباقي لم ترد في القرآن الكريم إنما وردت مادة البقاء في هذه الآيات . . ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . . ﴿ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . . وفي غير ذلك من الآيات التي ذكرناها .

أما التطبيق العملي لهذا الاسم الجليل . . . فقد قال العلماء : حظُّ العبد من ذكر اسم الباقي أنك إذا أكثر من ذكر اسم الباقي

كاشفك الله بالحقائق الباقية وأشهدك الآثار الفانية .

فمعنى ذلك أن في هذه الحياة شيئين : شيئاً باقياً ، وشيئاً فانياً ، كيف ؟ فهناك شيء مهما كان الإنجاز عظيماً ينتهي عند الموت ، وهناك شيء يبدأ عند الموت ، العاقل هو الذي يتعلّق بالذي يبدأ بعد الموت : (الباقي) ، ولا يعبأ بالذي ينتهي عند الموت .

فمثلاً يمكنك تزوين بيتك تزييناً عالياً ، مهما كنت ذا ذوق رفيع في تزوين البيت ، فهذا التزوين حينما يموت الإنسان ينتهي مفعوله ، يمكن أن تأكل أطيب الطعام ، وأن تجلس في أجمل مكان وهذا كلّهُ ينتهي عند الموت .

أما إذا دعوت إلى الله ، إذا أسهمت في نشر الحق ، إذا أسهمت في ترسيخ الفضيلة ، إذا أسهمت في إصلاح ذات البين ، إذا أسهمت في تعليم العلم ، إذا أمرت بالمعروف ، إذا نهيت عن المنكر ، إذا كنت سبب سعادة الأسر ، إذا بثت الحق بين الناس ، إذا كنت موفقاً بينهم ، تجمع ولا تفرّق ، تحببهم بالله ولا تنفّرهم ، هذا كلّهُ باقٍ بعد الموت ويكبر حجمه ومردوده ، أحدكم يضع لقمة في فم زوجته يراها يوم القيامة كجبل أحد ، فإذا هديت إنساناً فكلُّ الخير الذي يأتي من هذا الإنسان إلى يوم القيامة في صحيفتك ، قد تتفاجأ في أن ثمانمئة ألف إنسان مثلاً من ذريّة هذا الذي هديته إلى الله كلّهم في صحيفتك .

فلذلك لا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله ، لا يليق به أن يعمل لغير الله ، لا يليق به أن يتوجّه لغير الله ، لا يليق به أن يكون محسوباً على غير الله . . لا يليق بك أن تكون تابعاً لغير الله ، لأنّه هو الباقي وسواه فانٍ .

إذاً إذا توجَّهت إلى الله صادقاً أشهدك الله الباقيات والفانيات ،
فتعلَّقت بالباقيات وتركت الفانيات .

فلو كان عندنا فقاعة من الصابون وألماسة ، فالفقاعة بحركة واحدة
تتلاشى وتفتنى ، أما الألماسة فثمنها ثمانية ملايين ويزداد سعرها يوماً
بعد يوم وعلى الدوام غالية . . فكل إنسان يتعلَّق بالفانيات كمن يتعلَّق
بفقاعة الصابون ويدع قطعة ألماس .

أرجحكم عقلاً أشدُّكم لله حباً . . فالقصد من هذا الشرح أن تتعلَّق
بالباقي ، وألا تهتمَّ بالفاني ، أما إذا نظرت إلى عامَّة الناس فسوف
تجد العجب العجيب ، كلُّهم متعلِّقون بالفاني ، معرضون عن
الباقي . . شهوات ، أجهزة لهو ، تفاخر ، انهماك في الملذَّات ، هذه
كلُّها فانيات ، أما الباقيات فقد أداروا لها ظهورهم ، وأشاحوا
بوجوههم فدفعوا ثمن جهلهم ، فاللهُمَّ أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا
ولا تهنَّا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارضَ عنا ، وصلى الله على
سيدنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

الرَّشِيد

من أسماء الله الحُسنى الرَّشِيد .

صيغة الرَّشِيد.. فعيل ، وصيغة فعيل في علم الصرف تعني المبالغة ، فهناك اسم فاعل ، وهناك اسم فاعلٍ مبالغٍ فيه . تقول مثلاً.. صادق : اسم فاعل ، وصدوق أي كثير الصدق ، فهذا مبالغة اسم فاعل ، بوزن فعول.. أمّا الاسم (الرَّشِيد) فهو على وزن فعيل ، وماذا يعني اسم المبالغة في حقِّ ذات الله عزَّ وجلَّ ؟

يعني شيئين.. فهو يعني عدداً ونوعاً.. فكلُّ أفعال الله عزَّ وجلَّ رشيدة هذا عدد ، والرَّشِيد ؛ إذا وصف الله بهذا الوصف فهو الرَّشِد المطلق ، (هذا نوع) فالله عزَّ وجلَّ مطلق ، فعلمه مطلق ، قدرته مطلقة ، رحمته مطلقة ، يجب أن تعلم علم اليقين أنَّ الله سبحانه وتعالى في كلِّ أسمائه وصفاته مطلق .

على حين أن أسماء الإنسان وصفاته نسبية ، قد تقول : هذا القاضي عادل إذا حكم تسعةً وتسعين حكماً من أصل مئة على نحو صحيح ، وهذا الوصف نسبي ، وكلُّ وصفٍ يوصف به الإنسان هو وصفٌ نسبي ، وأوصاف الله عزَّ وجلَّ كلُّها مطلقة .

على الأرض يعيش ستة آلاف مليون إنسان ، فإذا ظلم إنسان واحد
فالله سبحانه وتعالى لأنه مطلق لا يكون عادلاً ، فقد قال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر : ١٧] .

وقال تعالى أيضاً :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٤] .

كذلك قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ
الْفِتْنَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا
الْفِتْنَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ أَنْقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ
فَنِيلاً ﴾ [النساء : ٧٧] .

﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ .. ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَنِيلاً ﴾ .. ولا قطميراً .. ﴿ وَلَا
يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ .. و ﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ .. ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ ﴾ .

الإنسان حينما يؤمن بالله تطمئن نفسه ، فالإيمان بأن الله بيده كلُّ
شيء ، وأنه فعَّال لما يريد ، وأنه في السماء إله وفي الأرض إله ،
وأنَّ كلَّ شيء خلقه وهو عليه وكيل ، فهذا الإيمان يُلقِي في نفس
الإنسان طمأنينة لا يعرفها إلا مَنْ فقدَها ، لأنه كما يقال : إنَّ الله يعطي
الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي
السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين .

إذا اتفقنا على أن الله في أسمائه وصفاته مُطلق ، فمن أين يأتي الفساد ؟ يأتي الفساد من إنسان أعطاه الله حرية الاختيار ، وأمدّه بقوة فيما يبدو ، فتحرّك هذا الإنسان بخلاف منهج الله ، ومثّل ذلك : فأنت تعلم أن السكر مادة أساسية ، والملح مادة أساسية ، والمنظفات مادة أساسية في حياة كل أسرة .. فإذا وضعت في طعامك النفيس جداً والغالي الثمن مسحوقاً للتنظيف فستلقيه لا محالة ، لأنه فسد ، فالمواد التي بين أيدينا كلّها جيّدة ورائعة وكاملة ، ولكن سوء استخدام هذه المواد يسبّب الفساد ، فالزنى - مثلاً - فساد . فالأصل الزواج ، وكسب المال الحرام فساد أيضاً ، ومعنى ذلك : أن الفساد ليس له وجود أصلي ، بل وجوده طارئ ناتج عن سوء الاستخدام .

فإخواننا الذين يعملون في المركبات يقولون : لو وضع في المحرك كيلو غرام من مادة السكر ثمنه ثلاثون ليرة لتعطّل المحرك ولكلف إصلاحه ثلاثين ألف ليرة ، فالسكر ثمين ، والمحرك ثمين ، ولكن من أين طرأ الفساد ؟ طرأ من سوء الاستخدام ، لماذا أنت بحاجة إلى الدين ؟ من أجل أن يعطيك الله الذي خلق هذه المواد أصول استخدامها . . افعل ولا تفعل ، هذا منهج الله عزّ وجلّ .

أنت حينما تستجيب لأمر الله هل تدري ماذا فعلت ؟ أنت تملك خبرة الخبير ، وعلم العليم ، وقدرة القدير ، ورحمة الرحيم ، لأنك تقبل منهج الله ، ولأنك تقبل على تطبيق منهج الله دون أن تشعر فقد تملكّت خبرة الخبير قال تعالى :

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يَنْتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] .

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ وعندما تملكت قدرة القدير ،
ورحمة الرحيم ، وحكمة الحكيم ، سهّل عليك أن تتحرّك .

إنسان عظيم وعليه أن يتخذ قرارات هامة ، تجد حوله عدداً كبيراً
من الخبراء بالعشرات والمئات يشيرون عليه أليس كذلك ؟ ، فيجمع
حوله خبراءَ قمماً في تخصصاتهم ، فتجد خبراء في علم النفس ،
وعلم الاجتماع ، والطب ، والهندسة ، والتاريخ ، والجغرافية ،
والفلك ، والرياضيات ، لو أراد أن يتخذ قراراً لسأل الخبير فأعطاه
خلاصة العلم فماذا نقول ؟ هذا الذي استعان بالخبير تملك كل
علمه .

فإن تُقبل على منهج الله يعني أنك تملك قدرة القدير وأنت
لا تدري ، وعلم العليم ، ورحمة الرحيم ، وحكمة الحكيم ، فلكذلك
أسعد إنسان هو الذي يبحث عن منهج الله ليطبّقه في حياته ، لن
يفاجأ ، ولن يشعر بالإحباط إطلاقاً ، خطّه البياني صاعد صعوداً
مستمراً لأنّه يتحرّك وفق خبرة الخبير .

ما في الأرض إنسانٌ على الإطلاق إلا ويتمنى شيئين : السلامة
والسعادة ، والسلامة والسعادة لا تكونان إلا بطاعة الخبير .

فحينما يحب الإنسان ذاته حباً لا حدود له ينطلق إلى طاعة الله فقد
قال تعالى :

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧١] .

ذكر لي أخ واقعة أعجبتني وفيها مفارقة عجيبة.. قال : لي جار
مضى على زواجه من زوجته حوالي نصف قرن ، وما نام ليلةً غاضباً
على زوجته ، وقد أنجبت سبعة عشر ولداً هم أعلام في المجتمع ،

لأنَّ هذا لما أراد أن يتزوَّج بحث عن امرأةٍ صالحة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » [صحيح البخاري] .

ويبدو أنَّ كَسْبَهُ كان مَالاً حلالاً وأنْفَقَهُ في طاعة الله فرزقه الله هذه الذرية الصالحة .

أما المفارقة.. ففي أحد الفنادق الكبرى في دمشق ، خلال ستَّة أشهر تمَّ فيه ستَّة عشر عقد قران ، فلم يبق من هذه العقود خلال ستَّة أشهر إلا ثلاثة ما زال زواجهم مستمراً ، والثلاثة عشر الأخرى انتهت إلى الطلاق ، وآخر عقد أقيم في هذا الفندق كلَّف فيما سمعت أربعين مليوناً ، وبعد أيام تمَّ الطلاق ، لأنَّ هذا الزواج لم يُبنَ على منهج الله ، فأبَّيَّ زواج بُني على طاعة الله فالله يتولَّى التوفيق بين الزوجين ، وأبَّيَّ زواج بُني على معصية الله فالشيطان يتولَّى التفريق بينهما ، القصد من ذلك أن يكون الإنسان رشيداً .

قال العلماء : الرُّشد هو الصلاح والاستقامة ، والرشد خلاف الغيِّ والضلال . إنَّ الاستقامة تعني.. أن تتحرَّك تحركاً صحيحاً ، أن تصل إلى قصدك النبيل بأسلم الطرق ، ألا تحيد يمنةً ولا يسرةً ، فتنحو مناحي الغيِّ.. الانحراف ، والضلال ، والتيه .

والرشيد - كما يذكر الإمام الرازي - على وجهين أحدهما فاعل بمعنى فاعل ، رشيد أي راشد.. صيغة مبالغة من اسم الفاعل راشد .

والراشد هو الذي له الرشد ، أي يتمتَّع برؤية صحيحة.. بالمناسبة

ما فلسفة الرشد؟ .. والإنسان متى يكون رشيداً؟ إذا كان مبصراً ،
فأي إنسان لا على التعيين أعطه مصباحاً وضياءً وقل له : سر في غاية
ليلاً ، فما دام معه مصباح وضياء فسيرى كل شيء أمامه ، وهل يعقل
أن يقع في حفرة؟ لا . بل يحيد عنها ، ولا يعقل كذلك أن يدوس
على أفعى تلدغه بل يبتعد عنها ، انطلاقاً من حبه لذاته يسلم ، فقضية
الرشد أساسها الرؤية ..

وبالمناسبة .. فالنبي عليه الصلاة والسلام قال :

« الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَشُبْحَانَ اللَّهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ،
وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ
النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » [صحيح مسلم] .

أنت حينما تتصل بالله تطهر نفسك من كل أدرانها .. فالمصلي
لا يحقد ولا يتكبر ولا ييخل ولا يظلم .. لأن مكارم الأخلاق مخزونة
عند الله تعالى ، فإذا أحبَّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً .

فأنت خلوق بقدر اتصالك بالله ، ومؤمن لأن رؤيتك صحيحة وقد
ألقى الله في قلبك نوراً ، فرأيت الحق حقاً فسلكت طريق الحق
فأصبحت رشيداً .

إذا ركب أحد مركبته متوجهاً إلى بلدة ولم يخطيء إطلاقاً فهذا
دليل على قراءته للعلامات وللوحات الإرشادية الموضوعة على
جوانب الطريق ، وهو قد قرأها واستوعبها وسار وفق توجيهاتها ،
فوصل إلى البلد المقصود في أقرب وقت وفي أيسر حال ، إذاً هو
رشيد .

الرشد أن تسير مستقيماً دون أن تحيد يمنةً ولا يسرةً ، وأن تصل إلى هدفك بأقلَّ جهدٍ وأقصر وقتٍ .

فالرشيد هو الراشد ، والرشيد حكيم ، وقد يلتقي هذا الاسم مع اسم الحكيم من خلال الرؤية الصحيحة .

في ذهني حقيقة هي .. المجرمون حينما يرتكبون الجرائم ، ماذا رأوا قبل أن يرتكبوا الجريمة ؟ رأوا في الجريمة مغنماً ، فالمجرم يتراءى له أنه يقتل ضحيته فتختفي معالم جريمته ، ويأخذ هذا المال الكثير . فقد قتل عدّة مجرمين صائغاً في بلدة على طريق حمص ، وسرقوا ثلاثة عشر كيلو غراماً من الذهب من محله ، وبعد أقلّ من أربع وعشرين ساعة أُلقي القبض عليهم ، وبعد أقلّ من شهر تمّ إعدامهم في مدينة بيرود ، كانوا يظنون أنفسهم أذكىاء ، لأن منهم من يحمل شهادة عليا في الهندسة ، فحينما أقدموا على هذا العمل ماذا رأوا ؟ رأوا أنّ في هذا العمل مغنماً كبيراً ، وجهداً يسيراً ، وغنىً فاحشاً ، واستمتاعاً بالحياة ، هل تحقق هدفهم ؟ إذا كانوا ضالين .

فالإنسان حينما ينطلق من حبه لذاته ، فعليه أن يتّصل بالله ، فيُلقي الله عندئذٍ في قلبه النور ، وهذا النور يطهر نفسه من الدرن ، ويريه الحقّ حقاً فيتّبعه ، ويريه الباطل باطلاً فيجتنبه فيصير بذلك رشيداً .. وإذا كنت رشيداً كنت في أعلى درجات الكمال .

نقرأ بعض الآيات ولو وقفنا عندها وقفة متأنية لرأينا العجب العجاب .. قال تعالى :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .. هنا الرشد يلتقي مع الحكمة ، الرشد والحكمة يقترب بعضهما من بعض ، أساسهما رؤية صحيحة ، أساس هذه الرؤية اتصال بالله ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .. تذكرت مزارعاً ينمي محصوله بالبيوت المحمية ، والتي إنتاجها غالٍ جداً يبلغ خمسمئة ألف تقريباً ، فلا بدّ من أن يشتري سماداً لتسميدها ، وانطلاقاً من رغبته في أن يكون النماء على أشده ضاعف كمية السماد خلافاً لتعليمات الشركة الصانعة ، فأصبح النبات في اليوم التالي أسود اللون.. هو أراد أن يربح ، وأراد أن يكثر رزقه فمحق رزقه لأنّه جاهل ، هل كان رشيداً ؟ لا . أبداً.. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ..

العلماء قالوا : « إنَّك بالحكمة تصلح الزوجة الفاسدة ، وبالحق تفسد الصالحة » ، أنت بالحكمة تكسب المال ، وبالحق تبدّده ، أنت بالحكمة ينمو جسمك وتنمو مداركك ، وتعيش سعيداً ، وبالحق تدمّر ذاتك ، فالحكمة هي الرشد .

أحياناً يقول لك أحد الأشخاص : والله اتّخذت قراراً هو أكثر قراراتي حكمة ، هذا القرار المصيري قد بُنى عليه سعادة أبدية .

وثاني هذه المعاني أن يكون رشيد بمعنى مفعّل .. أي مُرشد ، فإما أن يأتي بمعنى راشد ، أو بمعنى مرشد ، راشد صفة ذات ، مرشد صفة أفعال ، الله عزّ وجلّ في حقيقة الأمر رشيد بمعنى فاعل ، ومُفَعِّل ، أي راشد ومرشد . ابنك الصغير ذو إدراك محدود إن يقترب من المدفأة ، يحترق ، وأنت أب قلبك مملوء بالرحمة لن تبسم وتبقى مكانك دون ضربه ! فقد أجاز لك الشرع أن تقطع صلاتك من

أجل أن تنقذ ابنك ، ماذا في قلب الأب ؟ رحمة صغيرة .. أرحم الخلق بالخلق النبي الكريم ﷺ فقد قال له الله تعالى :

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ﴾ .. كلُّ هذا القلب الكبير ، وكلُّ هذه الرحمة التي وسعت الخلائق جعلها الله في كتابه نكرة .

لأن رحمة النبي ﷺ بالنسبة لرحمة الله محدودة ، وفي آية أخرى قال تعالى :

﴿ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ .. وربُّنا الذي خلقنا أرحم بنا ، ورحمته لا حدود لها .

حدَّثني أخ دخل إلى معمله شخص لشراء بعض المنتجات من معمله وهو يبيع ما ينتجة بالجملة ، فطلب منه أربع قطع فقط ، ف شعر صاحب المعمل بمهانة من هذا الطلب المتواضع ، فرفض أن يبيعه قائلاً له : لا أبيع بالمفرق ، فقال لي هذا الأخ صاحب المعمل : ثلاثون يوماً لم يدخل معملي إنسان ، وكأنَّ الله أدَّبه .. وأرشدته ؟

رشيد يرشد بقرآنه فقد قال تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] .

هذا إرشاد بالآيات .. ويرشد بحديث نبيِّه ﷺ فقد قال تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤-٣] .

ورد في الأثر : « النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس... من ملأ عينيه من الحرام ملأهما الله من جمر جهنم... من غَضَّ بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه » .

فالله مُرشد ، قد أرشدنا إلى طاعته من خلال حديث نبيّه .

والله مُرشد بأفعاله .. أعرف رجلاً يسكن في أحد أحياء دمشق ، وهو موظف ولديه أبناء شباب وفتيات كلهنّ متزوجات .. فهو جد .. له هواية أن يسير في عصر كل يوم على طريق في دمشق ممّتلئ بالكاسيات العاريات الغاديات الرائحات ، وليس له هواية غير ذلك فينزل من المزة إلى طريق الصالحية ثم يرجع إلى بيته بعد أن يمتّع عينيه بمنظر الحسنات ، أصيب بمرض وهو من أغرب الأمراض واسمه - ارتخاء الجفون - فصار من أجل أن يرى يُمسك جفنه بيده فإذا تركه عاد جفنه مغمضاً ، .. فالله عزّ وجلّ يرشد بالقرآن ويرشد بالسنة ، ويرشد بالفعل فيؤدّبهُ .. أحياناً يريه مناماً مخيفاً .

إذاً المعنى الأول : .. رشيد بمعنى راشد ، أي حكيم ، والثاني : رشيد بمعنى مرشد يرشد عباده إلى الصواب .

لا يمكن لإنسان منحرف إلا أن يرشده الله عزّ وجلّ بطريقة أو بأخرى ، وكلّما ارتقى الإنسان فهناك إرشاد بياني وهو أرقى شيء ، كأن تستمع إلى خطبة ، وتقرأ القرآن ، وتقرأ الحديث .. كحديث :

عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْتُمُ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ » [صحيح مسلم] .

فتتعوذ بالله من أن تنمّ وتمتنع عنها إن كنت وقعت فيها ، وهذا هو

أرقى أنواع التعليم ، أن تتلقى من الله بياناً ؛ قرآناً ، أو من النبي ﷺ سنة ، أو من عالم توجيهاً فترتدع .

ولدينا إرشاد من نوع آخر . . إرشاد تأديبي عن طريق مشكلة ، أو مصيبة .

ولدينا نوع ثالث من الإرشاد . . وهو إكرام استدراجي .

والإرشاد الرابع . . هو القصم .

أربع مراحل . . الدعوة البيانية أكمل شيء فيها أن تستجيب إلى الله عزَّ وجلَّ ، التأديب التربوي أكمل ما فيه أن تتوب إلى الله ، والإكرام الاستدراجي أكمل ما فيه أن تشكره وتتوب ، فإن لم يُجدِ معك لا البيان ، ولا التأديب ، ولا الإكرام ، إذاً لا بد من القصم فيهلكه الله . . ﴿ فَأَهْلَكْنَهُمْ يُذُوبُهُمْ ﴾ . . كما قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَهُمْ يُذُوبُهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام : ٦] .

إرشاد الله تعالى يرجع إلى هدايته قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَزَقْنَاهُ يُنْمِسْ ﴾ ١ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه : ٤٩-٥٠] .

﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾ . . هدى إلى ماذا ؟ عندنا أربعة أنواع من الهداية :

فالإنسان هداه الله تعالى أولاً إلى مصالحه ، فالطفل يولد دون أن يكون عنده أية مهارة على الإطلاق . . وهذا مما يدرّس في الجامعة وتعلّمناه . . إلا منعكساً واحداً ولولا هذا المنعكس لما كنّا في هذا المسجد بل لما عاش من أحد ، وهو منعكس المص وهذا المنعكس شديد التعقيد ، فالطفل يضع شفّيته على حلمة ثدي أمّه ويحكم

الإغلاق ويسحب الهواء فيأتيه الحليب ، وهو قد ولد على التواللحظة ، فلولا هذا المنعكس لمات المولود على الرغم من أن ثدي أمه ممتلىء بالحليب ، ولكنه لا يستطيع الرضاع ، فهل تستطيع أن تعلم هذا المولود كيف يرضع من ثدي أمه ؟ أجل إنه يرضع عن طريق المنعكس الذي أودعه الله فيه ، وما سوى هذا المنعكس فكله يأتي بالتدريج .

فالله عز وجل هدانا إلى مصالحنا ، إذا رأيت راكباً لدراجة فكيف يستقيم عليها دون أن يقع ؟ لوجود جهاز التوازن بالأذنين ، وهو ثلاثة أقواس فيها أهذاب وسائل فعندما يميل إلى جهة ما فالوسائل الموجودة في الأذن يرتفع فيمس هذه الأهذاب فيتنبه فيعدل الراكب عن طريق جسمه توازنه ، ولولا هذه القنوات الثلاث لما استطاع إنسان أن يركب دراجة ، فلو مال قليلاً لوقع .

ألاحظ في بعض المحال التجارية وجود تماثيل لتعليق الألبسة عليها ، انظر إلى قاعدة التمثال تجدها سبعين أو ثمانين سنتيمتراً ، فهي قاعدة استناد عريضة جداً وإلا لوقع التمثال ، فانظر إلى رجلتك ما ألطف حجمها!.. فلو كانت الأرجل كبيرة مثل خف الجمل ولبست حذاء يزن خمسة كيلو غرامات ، لأصبحت الحياة غير معقولة أن يمشي برجل تزن خمسة وعشرين كيلو غراماً ، فإذا مشى في الطين وحمل حذاءه بعض الطين يشعر كأنه يقوم بأعمال شاقة ، فلولا هذه القنوات الدائرية بالأذن لا يضطر إلى أقدام ذات قاعدة استناد عريضة جداً ليستطيع الوقوف ، ومن أجل أن يستقر فلا بد من قاعدة عرضها من سبعين إلى ثمانين سنتيمتراً ، أما قدما الإنسان فلطيفتان .

الله هداه إلى توازنه ، هداه إلى طعامه ، هداه إلى شرابه ، فإذا دخلت نقطة من الماء وهو يشرب إلى الرئة يسعل لإخراجها ، فأساس السعال حركة تشنجية تدفع الأجسام الغريبة والسوائل التي في القصبة الهوائية إلى الأعلى ثم إلى الخارج ، وبهذه المناسبة فإن عادة التدخين مضرة وهذا الدخان الذي يستنشقه شاربه يشل هذه الأهداب ، فالنيكوتين الموجود في هذا الدخان يشل فاعلية الأهداب الموجودة في القصبة الهوائية التي خلقت من أجل طرد الأجسام الغريبة . فهذه هي الهداية الأولى قد هدك الله إلى مصالحك .

الهداية الثانية . . هدك إليه عن طريق الوحي ، فقد أرسل الرسل وأنزل القرآن ، والرسل تكلموا .

أما الهداية الثالثة . . فهي هداية التوفيق ، فأنت حينما أردت أن تكون مؤمناً هدك الله ، فقد قال تعالى في سورة الكهف : ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] .

والهداية الرابعة . . إلى الجنة . . ، إذا فالهدايات أربع : هداية المصالح . . وهداية الوحي . . وهداية التوفيق . . وهداية إلى الجنة . . هذه هي الهداية بأنواعها وهي منة من الله تعالى .

معنى رشيد أي راشد ، حكيم ، معنى رشيد أي مُرشد . . يرشد عباده إلى سُبُل السلام إلى سعادتهم ، إلى نجاتهم .

بعض العلماء يرى أن الرشيد هو الذي تساق تدبيراته إلى غاياتها ، من غير إشارة مشير ولا تسديد مُسدد .

فقد تسلك أحياناً طريقاً تصل به إلى الهدف لكنك تستعين بإشارات المرور ، واللوحات الفوسفورية والأسهم وما يكتب عليها من أسهم

تشير إلى أين ، أو المرور ممنوع ، أو المنعطف خطر ، ثم إنك وصلت إلى هدفك بسلامة ، ولكنك بعد أن استعنت بإشارات كثيرة .

أما إذا قلنا الله رشيد فقد قال العلماء : هو الذي تساق تدبيراته إلى غاياتها ، من غير إشارة مشير ولا تسديد مُسدد.. أي حركة ذاتية صحيحة ، وهو الله تعالى.. هو الرشيد .

وقيل : الرشيد الذي أسعد من شاء بإرشاده ، وأشقى من شاء بإبعاده ، رشيد أرشدنا إلى محبته .

ذهب شخص إلى بلاد الهند ، ونزل في أحد الفنادق ، فاستيقظ في الصباح الباكر على جلبة وضجيج ، فسأل عن السبب فعرف أن هناك جنازة ، فنظر فوجد نعشين ، أحد النعشين عليه امرأة مسجاة على خشب وتتحرك ، فسأل عن ذلك ف قيل له : إنها زوجة الميت ولا بد من أن تُحرق معه ، هذا في ديانتهم إن مات الزوج يجب أن تُحرق جثته ، وكذلك ينبغي أن تُحرق الزوجة معه ، أما إذا ماتت الزوجة فيحق له أن يتزوج غيرها.. فهل هذا دين ؟ الله هدانا إلى دين قويم وأرشدنا إلى دينه ، وهذه من أكبر النعم .

وهناك تدخل بقرة إلى دكان للفواكه فتأكل كل ما لذ وطاب ، وبعض أنواعها يصل سعرها إلى مئتي ليرة ، وصاحب المحل سعيد أشد السعادة بما يحدث ، فقد دخل إلى محله إليه ليأكل وهذا شيء عظيم عندهم.. سبعمئة وخمسين مليوناً هذا دينهم ؟ وفي يوم العيد يضعون على أثاث البيت روث البقر وبول البقر كالعطر ، فبول البقر عطرهم ، وروث البقر حلواهم .

الله مُرشد أرشدنا إلى دينه ، أرشدنا إلى نبيه ﷺ ، أرشدنا إلى

الحقيقة ، أرشدنا إلى ذاته ، أرشدنا إلى محبته .

في إحدى المجلات الفرنسية تحقيق عن طائفة في الهند أفرادها يعبدون الجرذان ، معبد فخم جداً وشاهق الارتفاع وبه زخارف وأحجاره منحوتة وبداخله أكثر من خمسمئة جرذ ، وأتباع هذا المذهب يأتون إلى هذا المعبد ، وتقف الجرذان على رؤوسهم ، وتقفز فوق أكتافهم ويأكلون معهم في صحن واحد .

الله عزَّ وجلَّ أرشدنا إلى ذاته ، وينبغي أن نعلم أنه . . ما من سعادةٍ أعظم من نعمة الهدى ، فأنت تعرف الله ، ولماذا أنت في الدنيا ، تعرف ماذا بعد الموت ، فبعد الموت جنةٌ عرضها السموات والأرض .

يقول بعض العارفين : « الرشيد هو المتَّصف بكمال الكمال ، عظيم الحكمة ، بالغ الرشاد الذي تتجه تدبيراته إلى غاية الصواب والسداد ، والذي يرشد الخلق ويهديهم إلى ما فيه صلاحهم ، الرشيد يوجِّههم بحكمته إلى ما فيه خيرهم ورشادهم في الدنيا والآخرة » .

قول آخر : « الرشيد هو الذي أسعد من شاء ، وأرشد الأولياء إليه ، فلا سهو في تدبيره ولا في تقديره ، وهو الموصوف بالعدل ، والمتجلى بالفضل » .

والرشيد هو الذي يُلهم أهل الرُّشد إلى طاعته ، والذي أرشد الخلائق إلى هدايته ، ذو الحبل الشديد والأمر الرشيد .

هذا الاسم ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] .

﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ .. الرُّشْدَ والرُّشْدَ من رَشَدَ راشد رشيد .. رَشَدَ ورُشِدَ مصدران ، والفعل رَشَدَ يَرُشِدُ ، وراشد : اسم فاعل ، رشيد بمعنى راشد أو مرشد .

الآية الثانية قال تعالى :

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف : ١٧] .

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ .. من يضلل نفسه عن الله ، لن تجد له ولياً مرشداً .

فمثلاً .. كل التوجيهات في الجامعة ، الخبراء والأطباء والعلماء فإذا ترك طالب الجامعة واتجه إلى الملعب ، هل يُعقل أن يجد في الملعب مرشداً ؟ المرشدون في الجامعة .. فإذا الإنسان أضلَّ نفسه عن الله فقد المرشد ، إذا إنسان ترك المدرسة فَقَدَ الْمُعَلِّمَ ، ترك المشفى فقد الطبيب ، ترك المحكمة فقد القاضي ، ترك بيته فقد المأوى ، أليس كذلك ؟ ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ أي أضلَّ نفسه عن الله ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ .

والإنسان يكون رشيداً بقدر اتصاله بالله ، فاتصاله بالله يكسبه نوراً والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد : ٢٨] .

آية ثانية قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

سَيَاتِكُمْ وَبَغِزْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الأنفال : ٢٩] .
﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ .. تَفَرَّقُوا بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ .

من أدعية النبي ﷺ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي ، وَتُلْمُ بِهَا شَعْيِي ، وَتُصْلِحَ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي ، وَتَرْزُقْ بِهَا أُلْفَتِي وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيْمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفُوزَ فِي الْعَطَاءِ ، وَنَزَلَ الشُّهَدَاءِ ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ ، وَالنَّصَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ » [سنن الترمذي] .

هذه رحمة الله :

﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران : ١٥٧] .

دعاء آخر.. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجُهد وعليك الثُّكلان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، ذي الجبل الشديد ، والأمر الرشيد .

فإذا كنت مع الرشيد فلن تفضل أبداً.. لن تُخطيء لأنك مع التوجيه الإلهي ، مع الخير ، ولا يَنْبُتُكَ مثل خبير .

قال تعالى :

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات : ٧ - ٨] .

فالراشد هو الذي عرف الصواب من الخطأ فاتَّبَعَ الصواب ،
وتحرَّك نحو الهدف بأقلَّ جهدٍ وأقلَّ وقت ، سار إلى هدفه مستقيماً ،
هذا معنى الراشد .

نرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علَّمنا ، وأن يُلهمنا الخير
والصواب والرشاد .

* * *

الوارث

من أسماء الله الحُسنى الوارث ، وهو أحد أسماء الله الحسنى التي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الوارث اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، ومعنى هذا الاسم الوارث هو الباقي ، لأننا في حياتنا الدنيا نعرف أنّ الذي لم يمت هو الوارث ، ولأنّ الله سبحانه وتعالى حيٌّ باقٍ على الدوام فهو الوارث ، كلُّ ما بيدك مصيره إلى الله .

قد تقول إنّ هذا البيت ملكي ، هذا كلامٌ فيه مجاز ، البيت لله .. سئل أحد الأعراب وهو يقود قطيعاً من الإبل لمن هذه الإبل ؟ قال : لله في يدي .

واعلم أيها المؤمن أن كل شيء تحت يدك من بيت ومَنْجَر ومركبة وممتلكات ليست لك ، إذا أردت الكلمة الصحيحة التوحيدية التي ليس عليها مأخذ فقل كما قال هذا الأعرابي : لله في يدي .

بعض الأبنية يكتبون عليها الملك لله ، حينما تشعر أنّ يدك على ممتلكاتك يدُ الأمانة ، وأنّ يدك على مالك يدُ الأمانة ، فهذا الشعور يجعلك تتصف بنفسيةٍ مَنْ سيحاسب ، هذا المال وضع بين يديك مؤقتاً لينظر الله كيف تعمل وأنت مستخلفٌ فيه ، وقد أشار القرآن إلى

هذا المعنى فقد قال الله تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ٧] .

أنت أمين صندوق مؤتمن عليه ، والله مطلع عليك سيحاسبك وسيبثك بما عملت .

وكل شيء في حوزتك مصيره إلى الله ، وهو الوارث .

الوارث سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه .. هذا المعنى نشعر به في حياتنا الدنيا ، ندخل إلى بيت في أعلى المستويات وصاحبه تحت التراب ، أولاده هم الذين يستمتعون الآن بهذا البيت ، فهم الورثة ، وإذا تابعنا نجد أن أحفاده يرثون آباءهم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالوارث هو الباقي ..

حدثني رجل قال : إنسان من أهل العلم يملك مكتبة نادرة في بيته . له صديق حميم رجاء أن يستعير كتاباً لليلة واحدة فلم يوافق ، لأن الكتاب أغلى عليه من أولاده ، هذا الصديق الحميم أقسم بالله العظيم إنه بعد موت هذا العالم رأى الكتاب في الحاوية ، كيف كان صاحب هذه المكتبة حريصاً على كتبه ، فلما مات أصبح الكتاب ملكاً أهله ، لم يعبؤوا به فآلقوه في الحاوية .

الشيء بالشيء يذكر .. أتمنى على كل أخ مؤمن عنده مكتبة متواضعة أن يحرص حرصاً لا حدود له على تعليم أولاده لئلا توضع هذه المكتبة في مكان مهمل من البيت ، ولئلا تصبح يوماً من سقط المتاع ، فتلقى خارج البيت على نحو ما ، حجب إليهم الكتاب ولا تجعلهم أعداء له ، كثير من الأسر تجد أن المثقف فيها هو الأب وحده ، وكل من حوله يناهضون الكتاب ، عودهم أن يقرؤوا ، اجعل

القراءة أعلى متعة في البيت ، إنَّ أرقى هواية يهواها الإنسان هواية القراءة ، لأنَّك بالقراءة تأخذ عصارة عقول النابغين ، عقل النابغ كله في مئة صفحة ، فإذا قرأتها اطلعت على خبراته ورشفت من رحيق عصارة عقله ، فأخذت الكثير .

عود على بدء . . الوارث هو الباقي بعد فناء خلقه ، وهو الوارث لجميع الأشياء بعد فناء أهلها فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم : ٤٠] .

تدبر معي هذه القصة التي تكاد تكون من نسج الخيال ؛ ذلك أنَّ أغنى أغنياء العالم سبائكه الذهبية يضعها في صناديق على مستوى عُرف ، وأنَّ الغرفة لها باب حديدي ، وهذا الباب محكم الإغلاق ، دخل إلى غرفته يوماً وأغلق عليه الباب خطأً ، وهو رجل لا يكاد يلقي عصا الترحال فظنَّ أهله أنه مسافر ، فمات من الجوع وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة جرح أصبعه وكتب على الحائط بدمه : أغنى رجل في العالم يموت جوعاً .

نمضي معاً في رحاب قصة أخرى لكنها واقعية : رجل ركب ناقته ليقطع بها الصحراء ، فضلَّ الطريق ونفذ طعامه وزاده وشرابه ، وأيقن بالهلاك ، ثمَّ لمح عن بعدٍ واحةً فأشرق في نفسه نور من الأمل ، هُرع نحو الواحة فإذا فيها بركة ماءٍ شرب منها حتى ارتوى ثمَّ تولى إلى الظل ، حانت منه التفاتة فإذا كيسٌ إلى جانب البركة فسرَّ به سروراً عظيماً وهو يحسب أنَّ فيه خبزاً ليأكل ففتحه فقال : وأسفاه هذه لآلئُ . . ما قيمة اللآلئ في الصحراء . هو يحتاج إلى رغيف خبز لا يقدر ثمنه بمال الدنيا .

والإنسان ضعيفٌ أمام الله عزَّ وجلَّ ، كلُّ شيءٍ تملكه قد يتلاشى أمام شربة ماء ، وقد وصف الله تعالى نفسه بأنَّه الوارث من حيث إنَّ الأشياء كلها صائرةٌ إليه ، فماذا نفهم من قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٣] .

بيد من كانت الأمور حتى قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ ؟ .. أجاب العلماء : بأنَّ الأمور كلها بيد الله دائماً ، ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ .. فقد قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عِثَابُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٢٣] .

ولكنَّ أهل الدنيا الذين انقطعوا عن الله عزَّ وجلَّ وانطمست بصيرتهم يرون أنَّ الأقوياء في الدنيا بيدهم الأمور كلها ، هم يعبدونهم من دون الله ، هم يرون أنَّ الأقوياء بيدهم أسباب الحياة ، أما يوم القيامة فهؤلاء الذين انقطعوا عن الله عزَّ وجلَّ وتوهموا أنَّ الأمر بيد الأقوياء يرون أنَّ الأمر بيد الله عزَّ وجلَّ ، فأنَّ يصير الأمر بيد الله يوم القيامة ؛ بمعنى أنَّ هذا الإنسان الجاهل كان يتوهم أنَّ الأمر بيد زيد أو عبيد ، أما يوم القيامة فلا يرى الأمر إلا بيد الله عزَّ وجلَّ .

يقول الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أَوْلِيَّتِكَ أَكْثَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠] .

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .. بالمناسبة .. النبي عليه الصلاة

والسلام لم يُورث درهماً ولا ديناراً ، ولكن ماذا ورث ؟ ورث هذا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافر .

لذلك فالإنسان حينما يكون حفظه من الدنيا مالاَ كمال قارون نقول له : إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى قَارُونَ الْمَالَ وَهُوَ لَا يُحِبُّهُ ، ثم سلبه منه فجأةً وما انتفع به ، فقد قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٨١] .

وحينما يكون نصيبك من الدنيا كنصيب فرعون نقول لك : إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى الْمَلِكَ لِفِرْعَوْنَ وَهُوَ لَا يُحِبُّهُ ، وسلبه منه فجأةً حينما غرق وقال : ﴿ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ ﴾ فما نفعه إيمانه هذا ولا نفعه ملكه .. في قوله تعالى :

﴿ وَجَنَزْنَاهُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] .

ولكنَّ الله إذا أحببك أعطاك في الدنيا من مثل ما أعطى الأنبياء ، فقد قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

فإذا كان نصيبك من الدنيا علماً صحيحاً ، معرفة بالله عميقة ، فكرياً نيراً ، قلباً طاهراً ، استقامة على أمر الله ، عملاً طيباً ، إخلاصاً لله ، هذا الذي نال من الله عزَّ وجلَّ أكبر نصيب لأنه نال من ميراث النبي ﷺ .

ألا تسمع أنَّ بعضهم إذا أرادوا الثناء على عالم يقولون عنه : هذا وارث محمَّدي . أي ورث عن النبي ﷺ العلم ، والحكمة ،

والعمل.. فينبغي أن يكون كل واحد منا وارثاً محمدياً ، يأخذ من ميراث النبي ﷺ وهو العلم.. إِنَّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها قال : يا أهل السوق ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ههنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد ، فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم أبو هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يقسم ! فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحداً ؟ قالوا : بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرءون القرآن وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ . [رواه الطبراني في الأوسط إسناده حسن] .

قد يأتي إنسان من مكان بعيد ويستغرق منه الطريق ساعة ليحضر مجلس علم ، ليتلقى في المسجد بعض ميراث النبي ﷺ.. معنى ذلك أنه أخذ بحظٍّ وافر ، أخذ من ميراث النبي ﷺ .

سبحان الله.. جمال القرآن الكريم أَنَّ الله عزَّ وجلَّ كلَّمَا أشار إلى شيء يعقَّب بجملة هي قانون محكم ، فقد قال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص : ١٤] .

فلقد أعطاه حكماً وعِلماً ، وهذا شيء ثمين وجميل .

أجل ، شيء جميل ، لكن ماذا قال الله بعدها ؟.. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.. فهذا قانون ، أي إذا أردت أن تنال علماً وحكماً كن مُحْسِناً ، ثمن العلم والحكمة الإحسان .

قال تعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠] .

وقال أيضاً :

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر : ٢٣] .

لذلك ينادي ربُّنا جلَّ جلاله يوم القيامة : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ..
 فيجيب الخلائق جميعاً : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .. فقد قال تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] .

إذا كنت في الدنيا على صلةٍ محكمةٍ مع الله عزَّ وجلَّ وهو راضٍ عنك وأنت محبٌّ له متفاني في خدمة خلقه فهذا هو الفوز العظيم ، أن يكون لك مكانٌ عند الله عزَّ وجلَّ فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [القمر : ٥٤-٥٥] .

والله هذا هو الفوز العظيم ، هذا هو الفلاح ، هذا هو النجاح ، هذا هو التفوق ، هذا هو التألق ، هذه هي البطولة .

ليس من يقطع طُرُقاً بطلاً إنما من يتقي الله البطل
 في معجم تاج العروس : الوارث صفةٌ من صفات الله تعالى وهو الباقي الدائم بعد فناء خلقه ، وهو يرث الأرض ومن عليها ، إذا قلنا : يرث الأرض ومن عليها .. أو وما عليها ، للعاقل ولغير العاقل .

يجول في خاطري قصة سأرويها : رجل من أصحاب النشاطات

الصناعية الكبيرة ، له ثروة طائلة جداً ، وقد رأيت قصره في بعض المدن الشمالية عام أربعة وسبعين وتسعمئة وألف ، في ذاك الوقت كان ثمنه خمسة وثلاثين مليوناً ، وتبلغ قيمته الآن عشرات الأضعاف ، وقد توفي في عمر الثانية والأربعين وكان مديد القامة ، دفن في قبر ولعلّه كان صغيراً فما اتسع القبر لقامته المديدة فاضطّر الحفار إلى أن يدفعه في صدره ، فأصبح رأسه مع جسمه يشكّل زاوية قائمة وهو الذي يملك أفخم قصر في إحدى مدن الشمال ، بلاط أرضياته من الرخام الشفاف - الأونكس - وهو من أغلى أنواع الرخام ، لمن هذا المنزل الفخم ؟ غيره ، وبعد غيره ؟ ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ .

معنى أن يدك على كل شيء يد الأمانة ؛ فهذا معنى هام جداً ، البيت مؤثت ، والمركبة مؤثتة ، والمتجر كذلك مؤثت كل شيء تحوزه يدك عليه يد الأمانة ، يد الاستخلاف والله ينظر كيف تعمل ، وفي النهاية هذا كله يؤول إلى الله عز وجل . . لأن الله عز وجل هو المالك الحقيقي ، وملكه أوسع أنواع الملكية ، إذا قلنا : الله هو المَلِك ، أو المالك ، مالك خلقاً ، ومالك تصرفاً ، ومالك مصيراً .

هو الذي خلق ، وهو المُتصرف ومصير كل شيء إليه ، فهذا هو المالك ، نحن نملك تملكاً مجازياً ، قد تشتري بيتاً وتؤدي ثمنه نقداً ، والبيت فخم وأنت لم تبني ، بل بني بيد غيره ، قد تنتفع به ، وقد لا تنتفع به ، إما أن تتركه وإما أن يتركك .

﴿وَرَزَكْرِيَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾

والله عز وجل كما ذكرت من قبل سمح لذاته العلية أن يوازنها مع خلقه في عدة مواضع ، فمن هذه المواضع .. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ .. في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلَقَةً مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

ومن هذه المواضع أيضاً : ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾ .. في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾ [الأنعام : ٦٢] .

في بعض أجهزة الحواسيب يقرأ الحاسب أربعمئة وخمسين مليون حرف في ثانية ، أما الحواسيب الشخصية التي بين أيدي الناس فهي تقرأ مليون حرف في الثانية ، هل هناك حساب أسرع من هذا الحساب ؟ ومع ذلك ربنا عز وجل لعلمه أنه سيكون هناك حواسيب ذات سرعات عالية سمح لذاته العلية أن يوازنها مع خلقه فقال : ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾ .. هذا الذي يأخذ الحديد من فلزات الأرض ، ويجعله صفائح ويشكله على شكل مركبة ، وهذه المركبة تزود بمحرك وعجلات وأبواب وفرش وكهرباء وتكييف .. إلى آخره من المستلزمات ، هذه المركبة سمى الله سبحانه صانعها - مجازاً - خالقاً .

قال تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ .. فأقرب شيء أن توازن بين كلية صناعية وكلية طبيعية ، الكلية الصناعية حجمها كبير ولها صوت ، ومن أجل أن تنقي الدم من البول تحتاج إلى ثماني ساعات ، أما الكلية الطبيعية فحجمها كقبضة الكف فيها طريق طوله مئة كيلو متر

وتعمل بصمت تام وأنت مستلقٍ ، وأنت تمشي ، وأنت تركب ، وأنت نائم ، وأنت يقظ ، وأنت تحاضر في الناس وهي تعمل ، والدم يمرُّ في هذه الكلية خمس مراتٍ في اليوم يقطع طريقاً يزيد على مئة كيلو متر وأنت لا تدري ، وازن بين كلية طبيعيّة وكلية صناعيّة .

وازن بين آلة تصوير والعين ، آلة التصوير تريك الصور صغيرة ، أما عينك فتريك الأشياء بحجمها الحقيقي ، فتريك الجبل جبلاً ، وملوّناً ، العين تدرك الفرق بين درجتين من ثمانمئة ألف درجة من لون واحد ، فلو أخذنا لوناً واحداً وقمنا بتدريجه ثمانمئة ألف درجة فالعين السليمة تدرك الفرق بين كل درجتين ، ربنا عزَّ وجلَّ قال : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ..

وازن بين الحاسب وذاكرة الإنسان .. فقد قال بعض العلماء : ذاكرتنا بحجم حبة من حبوب العدس ، هذه الذاكرة تتسع لسبعين مليار صورة ، الإنسان الذي يعيش سبعين سنة تقريباً مُخَزَّن في ذاكرته سبعون مليار صورة كلّها جمعت في مكان مقداره حبة العدس ، فهذا خلق الله ، ولو نظرنا إلى أي أرشيف حوى ما حوى من إضبارات لوجدنا معلومات قليلة موضوعة في حجم كبير ، وتحركها بالغ الصعوبة ، هذه الذواكر الموجودة في الدماغ مفروزة ، ذاكرة سمعيّة ، ذاكرة بصريّة ، ذاكرة للمشمومات ، ذاكرة ألوان ، ذاكرة روائح ، ذاكرة أرقام ، ذاكرة وجوه ، وهذه الحيّزات في الذاكرة في مكان قريب كثير الاستعمال ، وهناك مكان متوسط ، ومكان بعيد ، وهناك مكان تمحى فيه المعلومات ، إنّ الذاكرة وحدها من آيات الله الدالة على عظمته ، فوازن بين أرشيف ، أو دفتر ، أو حاسوب ، والذاكرة البشريّة .

وازن بين الحاسوب والذاكرة البشرية ، وبين آلة التصوير والعين الطبيعية ، وبين كلية صناعية وكلية طبيعية ، وازن بين الأرض ومركبة فضائية ، قال تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

وفي مجال الإرث كذلك فقد وازن ربنا عزَّ وجلَّ بينه وبين خلقه فقال : ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

تحضرنى قصة خلاصتها أنَّ أحد الأشخاص فى الشام ترك مبلغاً ضخماً يبلغ الألف مليون ، أحد الورثة نصيبه من هذا الميراث تسعون مليوناً ، فترك محلّه التجارى وبدأ يسعى من دائرةٍ إلى دائرةٍ ليأخذ براءات الذمّة وينهى أمور المالىّة والتركات ، وهو فى زحمة العمل من دائرةٍ إلى أخرى ، ومن مكتب إلى مكتب ، ومن مستشار إلى مستشار ليحصل على هذا المبلغ الضخم البالغ تسعين مليوناً ، وفى أحد الأيام دخل إلى الحمام فوافته المنية فيه قبل أن يقبض درهماً واحداً . . فهل هذا وارث حقاً ؟ إنه لم يستطع أن يتنعم بمال مورثه إطلاقاً .

ومن الورثة من يستمتع بالمال عدد سنين ، وفى النهاية ما من وارثٍ إلا وسيموت ، لأنَّ كلَّ مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت ، الله عزَّ وجلَّ فهو خير الوارثين .

أصبح لدينا ثلاث موازنات : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ . . ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

أنت مع قصة أخرى مفادها أن إنساناً اشترى بيتاً مع أخته مناصفةً ، ودفع كلُّ طرفٍ الثمن بالتام والكمال ، إلا أنَّ البيت سُجِّلَ باسم أخته لأنّها هي المعنية فى الجمعية التعاونيّة ، وكان ثمن البيت فى البدء خمسمئة ألف فأصبح ثمنه بعد حين ثمانية عشر مليوناً ، وتعمل أخته

في المحاماة ، فقالت له : لا بدّ من أن تأخذ مليوناً واحداً وأن تخرج إلى بيت آخر فالبيت باسمي ، فخرج منه لكن مرغماً . . فهي ذات قوّة وتعرف دخائل القوانين ، فأخرجته بطريقة - في ظنها - ذكيّة قانونيّة ، وعنده أكثر من أربعة عشر ولداً فشردهم بين أهل زوجته ، وأهله ، وبقيت وحدها في البيت . . وسارت عجلة الأيام مسرعة وأصيبت بمرض خبيث في أمعائها وعانت منه شهرين ثم توفيت وأخوها هو وارثها الوحيد ، فرجع إلى البيت وأولاده معه واستأثر به ، فالله عزّ وجل قال : ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

أحد العلماء يرى أنّ الوارث هو الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء المُلْك ، إذ هو الباقي بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كلّ شيء ومصيره ، وهو القائل إذ ذاك : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ وهو سبحانه المجيب : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

إذا وقف أحدنا أمام سوق الحميدية وقرأ الأسماء على الصّفين وغاب خمساً وعشرين سنة ، سوف يجد الأسماء كلّها مختلفة ، فقد تسلم هذه المحالّ أشخاص جدد ، كل خمسين سنة تتبدّل الأشخاص ويأخذ الورثة الجدد ، الأراضي ، والمزارع ، والمحال ، والبيوت من واحد إلى آخر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يتوهم الأكثرون أنّ لأنفسهم ملكاً ، ينكشف لهم في ذلك اليوم حقيقة الحال أنّ الملك ليس لهم لكنّه للواحد القهّار .

المؤمن يرى وهو في الدنيا ما سوف يراه جميع الناس عند الموت ، هذه هي بطولته . . والله لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً . . المؤمنون الراسخون الكبار يرون وهم في الدنيا ما لو كشف الغطاء قبل

كشف الغطاء ، أما غير المؤمنين فهم هنا في الدنيا في أوهام وفي ضلالات ، أما إذا انكشف الغطاء فقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] .

أوكد ما قلته . . . إن بطولة المؤمن أنه يرى الحقائق قبل فوات الأوان ، يراها في الوقت المناسب فينتفع منها ، وأما كل الناس فبعد فوات الأوان يرون جميع الحقائق قال تعالى :

﴿ أَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

فطوبى لمن يرى أن كل ما في يديه مستخلف فيه ، محاسب عليه ، وأن الله سبحانه وتعالى ينظر ماذا يفعل به ، لذلك يحاسب نفسه حساباً شديداً قبل أن يحاسبه الله تعالى ، أما الجاهل فهو الذي يظن أن الذي بين يديه ملكه وحصله بجهده وعرق جبينه ، فهو في هذا كقارون الذي قال : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصاص : ٧٨] .

قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ . . أي فهو يدعي أن عنده خبرات

متراكمة ، وقد حصّلت هذا المال بجهدي وبذكائي ، وبخبراتي ، وبمتابعتي ، وغاب عنه أنّ الله سبحانه وتعالى وفّقه ، وهناك من هو أذكى منه ولم يحصّل هذا المال قال أبو تمام :

ولو كانت الأرزاق تجري على الحِجى هلكن إذاً من جهلهنّ البهائم
فالبطولة أن ترى الشيء قبل أن تصل إليه ، أو أن تصل إلى الشيء
بعقلك قبل أن تصل إليه بجسدك ، أن تعيش المستقبل ، فهذا كلّهُ
صائرٌ إلى الله عزّ وجلّ .

الإمام الرازي يقول : « الوارث : مالك جميع الممكنات و هو الله سبحانه وتعالى ، ولكنّه بفضلّه جعل بعض الأشياء ملكاً لبعض عباده ، فالعباد إنهم ماتوا وبقي الحقّ سبحانه وتعالى ، فالمراد أن الذي يكون وارثاً هو الله جلّ جلاله » ، أي أنّ الله عزّ وجلّ مالك الملك ، كل شيء يُملّك هو مالكه ، وهبه لك ليمتحنك ، إذاً هو ملك الله في يدك ، وهذا الجواب أبلغ جواب .

وقال بعضهم : « الوارث هو الذي تسربل بالصمديّة بلا فناء ، وتفرد بالأحديّة بلا انتفاء » .

وقيل : « الوارث الذي يرث بلا توريث أحد ، الباقي الذي ليس لملكه أمد » ، وذكر بعض العلماء : « أنّ الوارث هو الباقي بعد فناء الخلق » .

ويقول بعض العارفين : « الوارث هو الذي تفرد بالأحديّة بلا انتهاء » ، أي : وارث واحدٌ أحدٌ وليس له وارث ، يرث كلّ خلقه وليس له وارث ، وتسربل بالصمديّة بلا فناء الذي لا يرثه أحد ، ولكنّه يمنح من يشاء من عباده الولاية والمدد .

اسم الوارث ورد في مواضع عدّة من كتاب الله ففي سورة الحجر قال تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ .

وفي سورة مريم قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ .

وفي سورة القصص قال تعالى :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

فهنا معنى جديد.. إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ ، أحياناً الله عزَّ وجلَّ يورث الممتلكات لعباده الصالحين إذا استقاموا على أمره .

وفي سورة الأنبياء قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

النبيُّ عليه الصلاة والسلام من دعائه الشهير :

« اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُوْهُنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا » [سنن الترمذي] .

إذا فقد الإنسان بصره قبل أن يموت فمن ورث الآخر ؟ هو ورث بصره ، إذا فقد سمعه قبل أن يموت فهو ورث سمعه ، أما إذا استمتع ببصره وبسمعه وعقله وقوّته إلى أن مات فهذه هي التي ورثته ، ومتّعنا

اللهمَّ بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوّتنا ، وعقولنا ما أحييتنا ، واجعلها الوارث منا .

وفي بعض الأدعية : إلهي ! أنت الوارث للعباد ، المتجلي بهذا السرّ لأهل الوداد ، أشرق على قلبي نور اسمك الوارث الدائم حتى أرى الكلّ لك وأقبل عليك بقلب هائم ، ورثني يارب ! علوم أنبيائك ، وأسرار أصفياك ، ومواهب أهل سمائك ، ورثني أرض العبوديّة في نفسي حتى أتكمّل ، إنك على كلّ شيء قدير ، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

ملخص البحث.. « الوارث » هو الذي يرث خلقه بعد فنائهم ، لأنّه الباقي بعد فناء خلقه ، كلّ شيء آيلٌ إليه .

علاقتنا بهذا الاسم.. أن تشعر أنّ الذي بين يديك ليس لك صائرٌ، بل هو صائرٌ إلى غيرك ، يدك عليه يد الأمانة ، وأنت مستخلفٌ فيه ، وعليك أن تحاسب نفسك حساباً عسيراً لأنّ الله ملكك ما ملكك إلا لينظر ماذا ستفعل .

اسم الوارث يجعل علاقة الإنسان بما في يده علاقة الاستخلاف لا علاقة التملّك .

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، وصلى الله على سيّدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

* * *

القوي

من أسماء الله الحُسنى القوي ، وقد ورد في الكتب التي تناولت هذه الأسماء بالدراسة الاسمان معاً « القوي المتين » ، فهذا الاسم في ترتيب أسماء الله الحُسنى يأتي مع المتين . . القوي المتين ، وبينهما مشاركة في أصل المعنى فلنبداً باسم القوي .

الإنسان يعجب بالقوة ، ويتأثر بالكمال ، وأحياناً يتأثر بالقوة وأصحابها ، فالله سبحانه وتعالى يجمع في أسمائه بين الكمال والجلال ، فقد قال تعالى :

﴿ بُرِّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

قد تجد مجموعة صفات أساسها الرحمة ، كاللطف ، والشفقة ، والعناية ، والحرص ، وهناك أسماء أساسها القوة كالحقار ، والجبار ، والقوي ، والمتين ، فالإنسان كما يتأثر تأثراً بالغاً بالكمال الإلهي ، فهو أيضاً يتأثر تأثراً بالغاً بالجلال الإلهي ، لأنَّ الإنسان ضعيف ، وكل إنسان ضعيف يميل إلى أن يحتمي بقوي .

منذ يومين حدثت مناقشة عن سر هذه الديانات الوثنية ؟ كمن يعبد الشمس ، أو يعبد البقر ، أو إله مختلف كبودا ، ذلك لأنَّ الإنسان مفطور على تعظيم القوي ، ولأنَّه ضعيف لا تركز نفسه إلا

إلى قوي ، فإذا ضلَّ الإنسان عن الله يلجأ إلى ما يتوهم أنه قوي ، لذلك الحاجة إلى التدبُّن حاجة أساسية .

لك صديق قوي تطمئن إليه ، وتقول : معي رقم هاتفه ، وتشعر أن أية مشكلة ستحلُّ عن طريقه ، وهذا بالطبع شرك وجهل وخطأ ، وعليك أن تشعر أنك عبد لقوي ، عبد لغني ، فالله الذي تعبد به يده كل شيء ، الذي تعبد به إليه مرجع كل شيء ، الذي تعبد به قادرٌ على كل شيء ، الذي تعبد به غني وقوي وحكم عدل ، فهذا سر توازن نفسية المؤمن لأنه يركن إلى قوي .

المؤمن ضعيف بنفسه ولكنه قوي برَّبِّه ، وهذه القوة ليست ذاتية ولكنه قوي بقوة الله ، غني بغنى الله ، مطمئن لأن الله طمأنه ، متوازن لأن الله بشره . . فلذلك اسم القوي اسمٌ يبعث في النفس الطمأنينة .

أحياناً تكون علاقة الإنسان مع شخص ضعيف ، يقول له : والله لم أستطع خدمتك ، فقد كان بوذي أن أفعل ولكن عيني بصيرة ويدي قصيرة ، فلا بدّ لمعاملتك من موافقة الجهة الأعلى ، ولكنها لم تتوافر لدي ، فأنت معتمد عليه وواضع كل الثقة فيه ، وتعتقد أنه يستطيع أن يقوم لك بهذه الخدمة ، ولكنه اعتذر لأنه ضعيف فصغر في عينيك ، وما عدت تعتزُّ به .

أما إذا اعتزَّ الإنسان بالله عزَّ وجلَّ فهو أقوى الأقوياء ، فهو ملك الملوك ومالك الملوك ، فليس من الصعب أن تكون عبداً لله القوي ، اصدق في التوجه إليه ، واعتمد عليه ، وعندئذ أنت قويٌّ من قوَّة الله ، غنيٌّ من غنى الله عزَّ وجلَّ .

قال العلماء : مادَّة القوَّة تدلُّ على شدة خلاف الضعف ، فالقويُّ

عكس الضعيف ، ورجلٌ شديد القوى أي شديد أسر الخلق .

أحياناً تتركب مركبة ومعك خمسة أشخاص في طريق صاعد صعوداً شديداً ولكنها تسير ، معنى ذلك أنَّ المحرَّك قوي ، أحياناً تجد في الميناء البحري رافعة ترفع حاوية كبيرة زنة عشرين أو ثلاثين طناً فالرافعة قويّة ، وأحياناً ترى باخرة تبلغ حمولتها مليون طن كبعض ناقلات النفط ، تسير بمحرَّك جبَّار .

تجد آلات تقوم بهدم بناء بأكمله ، هذه أمثلة أماننا ، ولكن هذا الجبل من يزحزحه ؟ تجد بعض الجبال تؤخذ منها الرمال - مقالع - فمئذ أربعين سنة يؤخذ منه يوماً مئة سيّارة ولا يزال شكله كما هو ، فبمحافظة السويداء يوجد جبل نادر في القطر يمدُّنا برمل مفرَّغ مثل الإسفنج ، وأعرف أنه منذ أكثر من عشرين سنة تعباً منه كل يوم مئة سيّارة من الرمال السوداء والجبل ما يزال كما هو ، فمن يستطيع أن يزحزح جبلاً ؟

توجد شركة في ألمانيا قامت بنقل بناء كان يجب أن يُهدم ، فقامت هذه الشركة بتقديم عرض تنقل هذا البناء بنصف كلفة بنائه ، فقامت بفصل الأساسات ورفعها على عجلات وربطت المجاري وأسلاك الكهرباء والهاتف وبشرط أنَّ السكان لم يغادروه! ونقل ثلاثين متراً وهذا البناء مؤلَّف من ستة طوابق ، فهذه الشركة العملاقة التي قامت بهذا العمل تشعر بأنها شركة جبَّارة ، وهذه الأمثلة أرضيّة .

لكن حينما ترى أنَّ الأرض تدور بسرعة ألف وستمئة كيلو متر في الساعة . . أسرع طائرة تسير بسرعة من تسعمئة إلى ألف كيلو متر وبعض الطائرات الأسرع من الصوت كطائرة - الكونكورد - تقترب من

سرعة الأرض حول نفسها ، الأرض كم يبلغ وزنها ؟ فانظر إلى موقع سورية على خريطة كبيرة تجدها لا تتسع لكلمة دمشق العاصمة وبحروف صغيرة ، فما بالكم بقارة آسيا ، أو قارة إفريقيا ، أو قارة أمريكا ، أو قارة أستراليا ، القارات الخمس ، وهذه القارات تبلغ خمس اليابسة في المساحة وأربعة الأخماس الباقية بحر ، فهذه الكرة الأرضية من يديرها ؟ ومنذ كم من السنين ؟ والشمس تتسع لمليون وثلاثمائة ألف كرة من حجم الأرض ، والشمس والمجموعة الشمسية كلها نقطة على درب التبانة ، ودرب التبانة مجرّة على شكل عضلة ، تراها في أيام غياب القمر كسحابة بيضاء في السماء على شكل مغزلي وهذه هي مجرتنا ، والمجموعة الشمسية بأكملها بجميع كواكبها كالأرض والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة وبلوتو وزحل . . . وإلى آخره نقطة على هذه المجرة ، فمن يدير هذا الكون ؟ فأنت مع القوي . . الذي بيده كل شيء .

قال : القوة تدلّ على القدرة التامة .

الإنسان يحمل علبة مكعبة الشكل طولها مثل عرضها مثل ارتفاعها ويبلغ ضلعها ستين سنتيمتراً ، أما لو حَمَلْنَاهُ علبة بداخلها مواد ثقيلة فتجده لا يقوى على حملها ، ولو حمل إنسان صندوقاً من الحديد وزنه ثلاثمائة كيلو غرام فتجد نفسك قد عَظَمْتَهُ كيف حمّله ؟ ولو أنّ صخرة مكعبة الشكل ، طول ضلعها خمسة أمتار ، وطلبت من إنسان أن يزحزحها فلن يستطيع ، فهذا فوق طاقته ، فما بالك بالجبال ؟ . . جبال الهيمالايا مثلاً يبلغ ارتفاعها ٨٨٨٢ م ، ولها قاعدة تغوص تحت الأرض أربعة وعشرين ألف متر ، فجميع الجبال ثلثها فوق الأرض وثلثاها تحت الأرض ، فمن خلق هذه الجبال ؟ ومن ألقاها في

الأرض رواسي أن تميد بكم ؟ من جعلها أكنناً ؟ من جعلها أوتاداً ؟
ومن جعلها مصدّاتٍ للرياح ؟ من جعلها مستودعاتٍ للمياه ؟ من
جعلها قمماً عاليةً ذات مناخ لطيف ؟ الله عزّ وجلّ .

الإنسان عندما ينسى الله ويخضع لقوي من بني البشر ويمحضه كلّ
ودّه ، وكلّ ولائه وهو ليس على حق ، يكون هذا الإنسان قد ضيّع
نفسه وباعها بثمانٍ بخس ، أما إذا عرف الله وجعل كلّ طاقاته لله عزّ
وجلّ فيكون قد عرف قيمة نفسه . . أساساً ما عرف قيمة نفسه إلا من
باع نفسه لله ، لأنّه أحسن الاختيار .

قال العلماء : « القوة تدلّ على القدرة التامة ، والمتانة تدلّ على
شدّة القوة » .

أحياناً نريد قوة تحمل هذه الطاولة ، القوة تدلّ على القدرة
التامة ، أما لو رفعت هذه الطاولة رافعة إمكانها أن ترفع خمسين طناً ،
فإن هذه القوة تكون تامةً ومتيّنة ، تامة أي كافية لإنجاز هذا العمل ،
أما عندما يكون معها احتياطي يبلغ مئة ضعف تكون متينة .

فقالوا : القوة تدلّ على القدرة التامة ، والمتانة تدلّ على شدّة
القوة . . إلّا أنّه في المصطلحات الحديثة . . المتانة والقساوة ، فالقساوة
هي تحمّل قوى الضغط ، أما المتانة فهي تحمّل قوى الشد ، فعندنا قوى
للشد وقوى للضغط ، فلو وضعنا يدنا فوق مكعب من الفخار موضوعاً
على الطاولة وضغطنا ، فإذا كسر نقول : إنّ قوى الضغط الواقعة عليه
عالية وكبيرة جداً حتى إنّ هذا المكعب سحق ، أما إذا كان لدينا خيط
وأردنا أن نمتحن متانته فإننا نشدّه فإذا قطع نقول متانته ضعيفة ،
فالقساوة تحمل قوى الضغط ، أما المتانة فتحمل قوى الشد .

لا بد من وقفة قصيرة عند عظمة الخالق ، لا تخطر على بالك أن أسنانك فيها قوة بالغة ، فميناء الأسنان هو ثاني عنصر قاسٍ في هذا الكون بعد الماس ، لا يزيد عليه في قساوته إلا الماس ، وهذا الإنسان خلق من ماءٍ مهين ، وهذا الماء صار عظماً قاسيةً وصار ميناء قاسياً .

إذاً : تمام القوة أن تؤدي مهمتها ، أما متانة القوة فأن تكون هذه القوة بالغة الشدة ، فالله تعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي ، ومن حيث إنه شديد القوة متين ، إذاً هو قويٌّ متين ، فكلية قوي أي تعلقت قوته بكلّ ممكن ، فكل شيء ممكن قدرته تغطيه ، وقوته شديدة أي : متينة .

الله - جلّ جلاله - صاحب القدرة التامة البالغة الكمال ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ .. قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [هود : ٦٦] .

فالضعيف ليس عزيزاً ، الضعيف تضعف عزته أمام أي شيء ، فقد يخجل الإنسان أحياناً فخجله ضعف ، وإذا لم يعرف يصغر ويضعف ، وإذا لم يتمكن من حمل شيء يصغر ، وإذا كانت توقفت آله أمام عقبة كأداء يصغر ، أما العزة فألا ينالك أحد فمعنى ذلك أنت عزيز ، فمن لوازم العزة القوة ، فالله سبحانه وتعالى قويٌّ عزيز .. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ .. ولا ننسى أن كلمة (هو) تفيد الحصر والقصر .

وقيل القوي : « هو المتناهي في القوة التي تتصاغر كل قوة أمام

حضرته ، ويتضاءل كلٌ عظيم عند ذكر عظمته » ، فالله تعالى أعطى الملائكة قوةً كبيرة يستطيع الملوك بها أن يقتلع الجبال ويقلب المدن .

فمن الممكن أن يأتي إعصار على أمريكا ويدمر مدينة بأكملها ولا يُبقي فيها شيئاً ، فقد قرأت عن إعصار قبل ثلاثين عاماً بلغت سرعته ألف كيلو مترٍ وهو من أعنى أنواع الرياح أتى على مدينة ، وكان فيها بناء ضخمة ومتين ، فصاحبه لم يجد أثراً لبنائه ، وقد وجد محركاً مركبته بعد أكثر من خمسة كيلو مترات من موقع البناء .

وأحياناً المياه تدمر كل شيء ، والنار تحرق كل شيء ، تجد حريقاً بالغابات قضى على ميتين وخمسين دونماً ، أو على ألفين وخمسمئة دونم ، فالله عز وجل قوي .

ومن الشيء الغريب أن الأشياء الأساسية في حياتنا تنقلب إلى قوى مدمرة ، فالهواء مثلاً أساسي في حياتنا ينقلب إلى مدمر كالرياح المدمرة ، والماء أساسي في حياتنا ينقلب إلى قوة مدمرة .

فقد ذكر الله تعالى في القرآن عن هذا الذي أتى بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى سيدنا سليمان في بيت المقدس فقال : ﴿ أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ . . فقد قال تعالى :

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : ٤٠] .

عندما أرادوا إنشاء السد العالي بمصر ، كانت البحيرة خلف السد ستغمر معبداً كبيراً بالمياه ، فتعاونت أكثر من سبعين دولة على نقل هذا المعبد بما فيه بعد أن قطع على شكل مكعبات ، واشترك في ذلك

شركات عملاقة ، وبروافعها العملاقة تم نقله من مكانه إلى مكان آخر ، فقلت : سبحان الله هذا عرش بلقيس نقل من سبأ في اليمن إلى بيت المقدس في أفل من لمح البصر ، وهذا ما يذكره القرآن الكريم ، لهذا فالملائكة والجن أعطوا قدرات تفوق حدَّ الخيال ، لذلك قال تعالى :

﴿ يَمَعُشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

لماذا بدأ بالجن ؟ قال : لأنَّ الجنَّ أفدر من الإنس على خرق السموات والأرض ، والنبي الكريم ﷺ - كما روى الترمذي أنه رأى جبريل قد سد الأفق ، فالملائكة أوتوا قدراتٍ عالية المستوى ومع ذلك يخشون سطوته سبحانه ، ويرتعدون من هيئته .

وقيل القوي « هو الذي له كمال القدرة والعظمة » ، له كمال القدرة لا يعجزه شيء ، فأحياناً تجد رافعات تقف أمام عقبة كأداء ، أو تجد سيارات في طريق شديد الصعود تقف ولا تكمل الطريق ، وآلات تعجز عن متابعة المهمَّات ، والله بالغ القدرة لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ، فأنت مدعو لأن تكون عبداً للإله القوي ، فإذا كنت عبداً له كنت قوياً بقوَّته .

قال العلماء : « غالب لا يُغلب ، يجبر ولا يُجَار عليه ، فقوَّته فوق كلِّ قوة » .

قد تجد في الحروب الحديثة دولة قوية عندها من الأسلحة المتطورة فتأتي دولة أقوى منها تحيِّد أسلحتها كلها ، يكون لديها سلاح ذو فاعليَّة شديدة جداً ، كأن يقولوا مثلاً : قبله تركب من أشعة

الضوء المركّز - أشعة الليزر - ، أو قنابل عنقودية أو قنابل ذكيّة ،
فهذه الدول المالكة للأسلحة الفتّاة تتفوّق على الدول الأقلّ منها
قوةً ، إذاً الدولة الضعيفة ليست عزيزة . لكن الله : « غالب لا يُغلب ،
يجبر ولا يُجار عليه ، فقوّته فوق كلّ قوة » .

وقيل : « هو الذي لا يلحقه ضعفٌ في ذاته ، ولا في صفاته ،
ولا في أفعاله » .

ألا ترون إلى مصارعين أشدّاء ، رياضيين ، عدّائين ، ففي الرياضة
كثير من الفروع ، انظر إلى هذا البطل في سنّ الثمانين تجد ظهره قد
انحنى ويده ترتجف ، ويصعد درجات السّلم درجة درجة ، فقد كان
في بلاد الشام رجل قوي إذا أمسك عربة يجرّها حصانان قويان
وشديدان يوقفها وقد حدثني رجل توفي - رحمه الله - كان يركب في
مركبة عامة وصعد إلى جانبه هذا البطل الشديد فرجا السائق أن يوقف
له المركبة أمام بيته لأنّه لا يقوى على أن يمشي مسافة عشرة أمتار ،
رجاه رجاء طفولياً . . أين قوّته ؟ تلاشت .

اسم القوي جاء في سبع آيات . . الآية الأولى في سورة هود قال
تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلْحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ .

أنا أركّز على كلمة « هُوَ » أي هو وحده القوي العزيز ، فما بال
الأقوياء في الأرض ؟ قوّتهم مستمدّة من قوة الله ، فلو تخلّى عنهم
لأصبحوا ضعفاء .

أضرب لكم مثلاً على ذلك . . ففي معامل الحديد توجد رافعات
تعمل بالجذب الكهربائي المغناطيسي ، سطح مربع كبير جداً محاط

بوشيعه كهربائية يمر بها تيار كهربائي ، فيمكن أن تحمل عشرة أطنان من الحديد ، ولسهولة العمل في هذه المعامل تنتقل الرافعة من مكان إلى مكان ، ويكفي أن تسري الكهرباء في الأسلاك فتحمل عشرة أطنان ، والعامل في هذه الرافعة لو ضغط على زر في أقل من عشر المليمتر يفصل الكهرباء عن هذه الخطوط فتجد كل ما علق في الرافعة يسقط ، وذلك عن طريق عملية الضغط على الزر .

الله عزَّ وجلَّ قوي ، وإذا منح القوة لأشخاص فبأي ثانية يجعلهم ضعافاً ، لا يقدرّون على شيء ، إن الله هو القوي ، فقوة الأقوياء من قوته ، وفي أية لحظة يسلبهم هذه القوة ، والله إذا أعطى أدهش وإذا سلب فثَّش .

جاء في الآية الكريمة كلمة « ربك » التي تذكرني بأنها أقرب اسم للإنسان ، فالرب هو الذي يربيك ، هو الذي يرباك ، هو الذي يربي جسدك ، ويربي روحك ، ويربي نفسك ، ويعطيك ويمنعك ، ويقلبك على أحوال شتى ، إن ربك الذي يربيك هو وحده ﴿الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ . فاطمئن ، فتوكل عليه ، والتفت إليه ، وأقبل عليه ، وأخلص له ، ولا تلتفت إلى أحدٍ سواه ، لأنهم لاشيء إلى جانبه .

والآية الثانية في سورة الشورى كما قال تعالى :

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى : ١٩] .

ربي ما أعظمك ! سبحانك ! ، يا قوي ! يا لطيف ! ، هناك قوي غير لطيف ، أعماله كلها قاسية . أما ربنا عزَّ وجلَّ فمع أنه قويٌّ عزيز فإنه لطيفٌ بعباده ، فالهواء لطيف ، والماء لطيف ، والأرض فيها لطف إلهي كبير ، وإذا أراد ربنا عزَّ وجلَّ أن ينزع سن طفل دون أن يشعر

بأي ألم على الإطلاق ينزعه وهو يأكل ، يراه في فمه مع لقمة الطعام ، أما أي طبيب فإنه إذا أراد أن ينزع سن طفل فلا بد من أن يؤلمه ، فالله لطيف .

فالماء له سيولة عالية جداً ولكنه مدمر أحياناً ، والهواء لا تراه بعينك ولكنه يحمل طائفة وزنها ثلاثمئة وخمسين طناً ، فالهواء يحملها . فاللطف الإلهي واضح جداً في كل شيء .

وفي سورة الأنفال قال تعالى :

﴿ كَذَابٌ عَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٥٢] .

في الآيتين الأولى والثانية القوي ورد مع العزيز ، فيها تناسب ، أما في الآية الأخيرة قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ عقابه أليم لأنه قوي ، والإنسان لا يخاف تهديد الضعيف . . فقد قيل :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يامررُ
إذا هددك إنسان ضعيف لاتعبأ بتهديده ، أما القوي إذا هدد فهذا شيء مخيف . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . . لاتعاند من إذا قال فعل .

وقد قال تعالى في سورة الحج :

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصُّومُوعُ وَبِيعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .
﴿ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . . ﴿ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة الحج أيضاً :

﴿ مَا كَذَّبُوا اللَّهَ حَقَّ كَذْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٧٤] .

قال بعضهم : « عرفت الله من نقض العزائم » .. أحياناً جهةً في الأرضِ قويةً جداً ترتب وتخطط وتحكم ، فإذا كلُّ إحكامها وخطتها وتديبرها يذهب هباءً منثوراً .. عرفت الله من نقض العزائم .. ﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

فالإنسان في حركته اليومية في الحياة يجب أن يدخل في حساباته أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فقریش جاءت على بكرة أبيها ومعها حليفاتها من القبائل ، جاؤوا ليستأصلوا الإسلام في معركة الخندق ، فالمسلمون لم يحاربوا أحداً ولكن الله أرسل على عدوهم رياحاً عاتيةً اقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم وأطفأت نيرانهم فلم يحتملوا ، هذه الرياح وما نتج عنها قد قال تعالى فيها :

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

في برمودا مثلث إلى الآن هو سر ، طائرات عملاقة تطير فوقه فتسقط في المياه بلا أي خبر يعرف عنها ، بواخر عملاقة تدخل فيه فتختفي ، وحتى الآن لا يزال هذا المثلث سرّاً من أسرار الأرض ، كل ما قيل من تحليلات فهي غير كافية لما يجري في هذا المثلث ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

وقد قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ .

وموضوع قوة الله - عز وجل - أكثر ما تبدو في الحروب .. فتجد

أنه على الرغم من الإعداد الشديد للحرب يخسرها طرف دون آخر لأسباب تافهة .

يحضرني خاطرة : الحروب ثلاث : حربٌ لا تكون ، وحربٌ لا تطول ، وحربٌ لا تنتهي . الحرب بين حَقَّين لا تكون ، فالحق لا يتعدد ، والحرب بين حقٍ وباطلٍ لا تطول لأن الله مع الحق ، والحرب بين باطلين لا تنتهي لدخول العوامل الأرضية ، الأقوى والأذكى ومن عنده سلاح أكثر جدوى .

وقد قال تعالى في سورة غافر :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [غافر : ٢٢] .

وقد قال تعالى في سورة الحديد :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

فإنك تجد أحياناً سريراً معلقاً على سلاسل ، آخر السلسلة يوجد قطعة على شكل حرف (إس S) قطره أقل من أربعة مليمترات يحمل هذا السرير وعليه خمسة أشخاص وهو يتحرك ، ألا تعجب لهذا الحديد الذي يحمل هذا الوزن ؟ وقد تجد أحياناً - تلفريك - وهو مؤلف من غرف ما بين الغرفة والغرفة خمسون متراً ، مثلثاً غرفة محمولة على شريط حديدي ، المصاعد الكهربائية تعلّق بالفولاذ المضفور وهو متين جداً ، هذا هو الحديد الذي أنزله الله فيه بأس شديد ومنافع للناس .

وقد قال تعالى في سورة المجادلة :

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُ بَكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١] .

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ .. الله ليس عنده كتابة ، لكن كلمة كتب لإقناع عباده أن هذا شيء ثابت .. نحن في حياتنا الشيء المكتوب ثابت ، يقول لك : معي عقد ، أو معي إيصال ، أو معي سند ، معي تصريح ، معي إقرار ، كل شيء مكتوب ثابت ، أما الشفهي فضعيف ، فالله عز وجل ليس عنده كتابة .. عنده كن فيكون .. ولكن تقريباً لأذهان عباده .

قال الله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُ بَكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

آخر آية وهي دقيقة جداً كما قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

الإنسان غير المؤمن قد يخضع لقوي لتأثره بالقوة ولا يخضع لله ، يتأثر بقوة الجمال فيخضع لهذا الجمال ولا يخضع لله ، يتأثر بقوة العطاء فيخضع للمعطي ولا يخضع لله .

فهذا الذي عصى الله من أجل الناس ، من أجل الأقوياء ، أو الكرماء ، أو من أجل المتع الرخيصة .. هذا الذي عصى الله من أجل الناس لو كان يعلم قبل أن يعصيه أن القوة لله جميعاً ، قوة العطاء من عند الله ، وقوة الجمال من عند الله ، وقوة كل شيء من عند الله ، لو كان يعلم هذا حق العلم لما عصاه .

فلو عرفت أن مصدر القوة هو الله عزَّ وجلَّ ما عصيته وأطعت مخلوقاً .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف : ٣٩] .

انظر إلى عبارة .. ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

عن عبد الله بن علقمة بن وقاص عن علقمة بن وقاص قال : إني لَعِنْدَ معاوية إذ أذن مؤذنه فقال معاوية كما قال مؤذنه حتى قال المؤذن : حيَّ على الصَّلَاةِ قال : لَأَحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فلما قال : حيَّ على الفَلَاحِ قال : لَأَحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (ولا حول ولا قوة إلا بالله قيل معناه لا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيق الله . وقيل : الحول الحركة تقول حال الشخص إذا تحرك فالمعنى لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله) .

وقال بعد ذلك ما قال المؤذن : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

مثل ذلك [رواه النسائي]

أنت بحاجة إلى قوة على طاعته .. ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ قال الله تعالى على لسان يوسف :

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

أنت بحاجة إلى قوة على طاعته ، لا قوة إلا بالله ، لا قوة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بالله ، الله هو القوي ، وكلّ الأقوياء يستمدون قوتهم من الله عزَّ وجلَّ .

قال الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْدِثُونَ ﴾ [فصلت : ١٥] .

فأحياناً الإنسان لجهله يتكلم كلمات توحى بكفر ، يقول لك : لو أن الله - عزَّ وجلَّ - شاء لم أفعل هذا الشيء ، يقولها الجهلة ، هذه الكلمة كلمة كفر ، فالله عزَّ وجلَّ قادر بلحظة أن يفنيه . . كن فيكون ، زُلْ فيزول ، لكن بعض الجهلة يقولون مثل هذه الكلمات التي هي كفر بواح وهم لا يشعرون بما يقولون . . فالإنسان كلما ازداد علمه ضبط لسانه واستقام كلامه وسلوكه .

وقد قال الله تعالى في سورة الذاريات :

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

يرزق لأنه قوي ، فالضعيف لا يرزق .

وبعد فماذا نستفيد من هذا الاسم (القوي) . . . نستفيد من هذا أن الإنسان المؤمن إذا عرف قوة الله تواضع ، لا يجتمع كبر مع معرفة قوة الله عزَّ وجلَّ ، أنت لاشيء إزاء قوة الله عز وجل ، فكلما تمت معرفتك بقوة الله تلاشت قدراتك أمام قوّته ، فأصبحت متواضعا ، والتواضع علم ، المتواضع يعلم حجمه أنه لاشيء وأن الله هو كل شيء .

إذا عرف قدرة الله - عزَّ وجلَّ - وقوته يتواضع له فيزيده الله قوةً إلى قوّته ، أما إذا وضعه الله في مكانٍ قوي واعتدَّ بقوّته فالله - عزَّ وجلَّ - يجعله مثلاً في الضعف ليتَّعظ العباد به ، يجعله عبرة لغيره .

إن الإنسان أحياناً يعتدُّ بقوّته أو بماله أو بعمله ، فإذا اعتدَّ بقوّته

ونسي قدرة الله.. عليه أن يتذكر مقولة الرسول ﷺ « اعلم أبا مسعود! الله أقدر عليك منك عليه » .

وقف رجل أمام الحجاج فقال له : أسألك بالذي أنت بين يديه أذلّ مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، فما كان إلا أن عفا الحجاج عنه .

ثم لنذكر المعنى الثاني.. إذا نسيت قدرة الله عزّ وجلّ جعل الله هذا القوي المتعالي عبرةً لخلقه ، فمن أجل أن تزداد قوةً إلى قوّتك اعرف حجمك الحقيقي وتواضع لله عزّ وجلّ ، واعترف أمامه بضعفك يزدك قوةً إلى قوّتك .

ما من اسم من أسماء الله الحُسنى إلا وله تطبيقات ، ففي الحقيقة عندما يتعرّف الإنسان إلى الله عزّ وجلّ يسلك سلوكاً صحيحاً ، فيصبح كلامه سديداً ، وحركته أدبية ، وطاعته لله متينة ، وإخلاصه شديداً لأنّه عرف الله ، وأصل الدين معرفة الله عزّ وجلّ ، والإنسان إذا عرف الله عرف نفسه ، أما إذا جهل ربّه فقد جهل سرّ وجوده وغاية وجوده ، فتجاذبه قوى الأهواء وترديه صريعاً .

اللهمّ أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، وصلى الله على سيّدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم .

* * *

المتين

من أسماء الله الحُسنى المتين .

وقبل أن أمضي في الحديث عن هذا الاسم الجليل أريد أن أنوّه إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما كانت تنزل النوازل كان يقول : لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم .

ماذا نفهم من هذا الثناء الذي هو في معرض الدعاء ، فالثناء دعاء :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

وحينما كان سيدنا يونس في بطن الحوت نادى في الظلمات قائلاً : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .. قال تعالى : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ .. فالثناء دعاء .. وذلك ورد في الآيتين الكريمتين :

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلُصًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاَسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَرَجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٨-٨٧] .

فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما كانت تشتدُّ به الأمور يقول :

عَنْ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَإِنْ كُنْتَ مَغْفُورًا لَكَ ؟ قَالَ
قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » [سنن الترمذي] .

ماذا يعني هذا الدعاء ؟ يعني شيئين . . التوحيد والتسبيح ، أي أن
أمرك بيد جهة واحدة وهذه الجهة كاملة ، هل من حقيقة تُلقَى على
نفس الإنسان أشدُّ طمأنة له من هذه الحقيقة ، أمرك كله بيد الله
ولا يستطيع أحدٌ غير الله أن يتدخل في أمرك مع الله ، والله - سبحانه
وتعالى - صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى ، رحمن رحيم ،
عليٌّ عظيم ، حلِيمٌ كريم ، فنحن إذا عرفنا الله وصلنا إلى كلِّ شيء .
للإمام عليٍّ - كرم الله وجهه - قولٌ رائع ، يقول : « أصل الدين
معرفة » .

أي معرفة الله سبحانه وتعالى .

الذي أتمنى على الإخوة المؤمنين أن يعقلوا أن النبي ﷺ حينما
دعا الناس إلى الله بماذا بدأ ؟ بدأ بتعريف الناس بالله ثلاث عشرة سنة
وهو يعرفهم الله ، أما حينما انتقل إلى المدينة فهناك نزلت آيات
التشريع ، الطريق الطبيعي أنك إذا عرفت الله تشعر باندفاع قوي إلى
طاعته ، إلى التقرب إليه ، إلى الأعمال الصالحة التي ترضيه ، إلى
معرفة منهجه ، إلى معرفة أمره ونهيه ، أما حينما تضعف معرفتك بالله
عزَّ وجلَّ فإنك تتحايل لأنك لا تجد رغبةً في طاعته ، لا تجد رغبةً في
الانصياع لأمره . . إذاً أيَّة دعوةٍ معاصرة إن لم تسلك طريقة النبي عليه

الصلاة والسلام في الدعوة إلى ربّه لا تنجح .

فلذلك كنت أقول دائماً : إنّ الإنسان إذا عرف الأمر الموجه إليه من الله ، ولم يعرف الأمر وهو الله ، تفنن في التفلّت من أمر الله ، تفنن بالحيل الشرعية ، بالتقصير ، بدعوى الصعوبة ، وبدعوى الاستحالة ، وبدعوى أن الأوامر فوق طاقة الإنسان ، وبدعوى البلوى العامة ، فهناك كثير من الدعاوي تطرح للتفلّت من طاعة الله لا لسبب وجيه بل لأنّ الإنسان عرف الأمر ولم يعرف الأمر ، أما حينما نعرف الأمر قبل الأمر فإننا نتفانى في طاعته .

وهذا الذي حملني على دراسة أسماء الله الحُسنى ومعالجتها وبيان تفاصيلها وآثارها . . إنه من أجل أن نعرف الله سبحانه ، لأننا إذا عرفناه أطعناه ، وإذا عرفناه بذلنا من أجله الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، أما إذا ضعفت معرفتنا به فإننا نبحت عن الحيل الشرعيّة وعن الفتاوى الضعيفة ، وعن الرُخص ، وعن الخلافات ، ونبحث عن الأعذار الواهية ، وعن كل ما من شأنه أن يغطي انحرافنا وتقصيرنا .

فلذلك من أوجّه الأبحاث التي ينبغي أن نتفهمها ونتوقف عندها مليّاً أسماء الله الحُسنى ، وفي الحقيقة إنّ العلم ميسّر إلى درجة كبيرة ، فمن الممكن أن نفتني هذه الأشرطة التي تناولت الأسماء الحُسنى أو أن نستعيروها لنعود إلى الأبحاث السابقة كلّها ، ولو أنّ الإنسان خصص من وقته كل يوم وقتاً لسماع شريط واحد ، وعاد إلى سماع أسماء الله الحُسنى اسماً اسماً ، لاستفاد كثيراً من خصائص هذه الأسماء ، ولتذكر الكثير من مضامينها .

إنني على ثقة من أنّ الإنسان إذا نمت معرفته بالله عزّ وجلّ يرى

نفسه منضبطاً ، يرى نفسه سوياً في السلوك والتطبيق ، ويرى نفسه مع الله وقريباً منه عز وجل ، لأن أصل الدين معرفة الله عز وجل ، وإذا عرفت أن الله لا إله إلا هو وعرفت أن أسماءه حسنى ، وأن أمرك بيده وحده فقد انتهى الأمر بك إلى وضوح منهجك واستقامة سبيلك ، إذاً فلتعلم ؛ قال تعالى :

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

وقال أيضاً :

﴿ إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بَأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ .. ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ .. لو أن الله عز وجل قال : الخلق له ، أو لو أنه قال : نعبد إياك ولو أنه قال : مفاتيح الغيب عنده لكان هناك بعد في المعنى عن معنى الآيات الحقيقي وهو بُعد فيه خلل كثير في أداء المعنى ، فماذا نستنبط من قوله تعالى : وعنده مفاتيح الغيب ، إياك نعبد ، له الخلق ؟ .

إذا قلنا : الخلق له .. لا يمنع من أن يكون لغيره أيضاً ، إذا قلنا : مفاتيح الغيب عنده ، لا يمنع أن تكون عنده وعند غيره ، إذا قلنا نعبد إياك لا يمنع أن نعبد غيرك ، أما إذا عكسناها وقلنا : إياك نعبد ، وعنده مفاتيح الغيب ، له الخلق .. أي إياك نعبد وحدك يارب ، وعندك المفاتيح وحدك يارب ، ولك الأمر وحدك يارب ، ولك الخلق وحده ، فتقديم الخبر إذا كان شبه جملة على المبتدأ يعني الحصر والقصر ..

إذا نحن حينما نبحث في أسماء الله الحُسنى نريد من هذه الأسماء أن تزيدنا معرفةً بالله عزَّ وجلَّ ، وإذا عرفنا أنَّ الله هو الفَعَّال وهو الكامل انتهى الأمر وضوحاً وجلاءً ، فأمرنا بيده وهو - وحده - يفعل ما يشاء ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو كاملٌ كاملاً مطلقاً . ومن ثمَّ ما عليك إلا أن تتحرَّك في المهمة التي أُنيطت بك وهي كما قال تعالى :

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٦] .

الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ١٠١ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥-٦٦] .
 ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي إنَّ هذه سنَّة الله في خلقه ، إنَّ هذه حقيقةٌ قديمة ، وهي حقيقةٌ مستمرة .

﴿ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ .. ما معنى إحباط العمل ؟ إمَّا أن يسقط من حيث القيمة ، وإمَّا أن يسقط من حيث النوعية . . فلو افترضنا أن إنساناً يعبد المال من دون الله ، أشرك المال في حبه مع الله فكيف يحبط عمله ؟ قد يجد أنَّ أكثر المشاريع ربحاً هي الملاهي فيقوم بإنشاء ملهى ، والأرباح طائلة ولكنه مبني على معاصي الله ، كيف يحبط العمل ؟ حينما تعبد المال من دون الله وتجعله إلهك كما قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّقَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ .. عندئذٍ تبحث عن عمل مربح ، وقد

تجد بعض الأعمال الساقطة المنحرفة التي تُبنى على إفساد المجتمع هي أرباح المشاريع ، إذاً . ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ . . وقد يكون العمل في ظاهره راقياً ، إلا أن النيات ليست تعبدُ الله عزَّ وجلَّ بل النيات من المكاسب الماديَّة ، كما لو أنشأت مشفى وكانت الغاية المردود المادي لا مساعدة المرضى ، إذاً فإحباط العمل من حيث النوع . . إنشاء ملهى مثلاً .

وأما إحباط العمل من حيث القيمة . . إنشاء مشفى ولكن الهدف مادي محض ، لذلك قد تجد من التصرفات الماديَّة ما يتقزز منها الإنسان ويؤول أمرها إلى أن يحبط العمل ، والعمل يسقط ويتهاوى .

فالعمل إما أن يكون له شكل إنساني فتسقط قيمته لأنَّ المادَّة من ورائه ، وإما أن يكون له شكل منحط ساقط ، وعلى كلِّ فالمشرك يسقط عمله ، أياً كانت قيمته أو نوعيته : ورد في الأثر : يا قُيس إنَّ لك قريناً يُدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميّت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لثيماً أسلمك ألا وهو عملك ، تقول له : من أنت ؟!! فيجيبك : عملك . . أما هذا الجسم فيفنى ، والطعام الذي أكلته يفنى ، البيت الذي سكنته تغادره ، الأهل الذين عشت معهم تتركهم ، المال الذي كان في حوزتك لا تستطيع أن تحافظ عليه بعد الموت . . لذلك ماذا يبقى لك ؟ عملك ، وعملك أساسه العلم .

نرجع إلى الأفكار المضغوطة . . الدين أن تعرف الله ، وأن تعمل صالحاً في سبيله تقرباً إليه ، فلذلك لا يمكن أن يصلح العمل إن لم تصلح العقيدة ، والعقيدة أساسها العلم .

نعود إلى اسم الله المتين . . أصل المادة في اللغة يدلُّ على صلابة

في الشيء ، فقد لفت نظري ذات مرة قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

وهناك آية فيها :

﴿ وَأُمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴾ [القلم : ٤٥] .

في العلوم الحديثة . . الجبال التي تقاوم قوى الشد تسمى متينة ، وأمتن عنصر في الأرض هو الفولاذ المجدول - المصفور - فهو متين لذلك ترفع به المصاعد ، وتعلّق عليه الغرف المتحركة التي تسير بين الجبال - التليفريك - لمتانته ، فهو يقاوم قوى الشد ، إنّ الشيء القاسي يقاوم قوى الضغط وأقسى شيء هو عنصر الماس ، وبعده ميناء الأسنان ، فالقساوة مقاومة قوى الضغط ، والمتانة مقاومة قوى الشد ، فما الحكمة من قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴾ ؟ أي كأنّ الإنسان مربوط بحبلٍ متين لا يمكن أن يُتفلّت منه مهما تحرّك ، مهما قوي ، مهما ذاع صيته ، أو كثر ماله ، مهما تألقت صحّته ، إنّهُ مربوطٌ بحبلٍ متين ففي آية لحظةٍ يشدّ الله الحبل ، فالإنسان إذاً في قبضة الله عزّ وجلّ .

وأذكرّ بما ذكرته من قبل أنّ هناك دعاءً للنبي عليه الصلاة والسلام بليغاً ، كان عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » [صحيح مسلم] .

تجد أشخاصاً كثيرين أحدهم مثلاً في تمام صحّته فجأةً يشعر بشيء ينمو نمواً طارئاً وغير عادي ، يسارع إلى الطبيب فيجد هذا الشيء ورماً ، فهل يا ترى هذا الورم خبيث أم حميد ، فيحلل فتظهر النتيجة

أنَّهُ ورم خبيث في أماكن مميتة بلا سبب .

فالإنسان تحت رحمة الله عزَّ وجلَّ فإذا لم يكن مصطلحاً معه ومطيعاً له ، ومنيباً ، ومقبلاً ، ومخلصاً ، ومشتاقاً ، ويقدم من الأعمال الصالحة ما تمكَّنه عند الله فمشكلته مع الله خطيرة .

إذاً : أصل المادة في اللغة يدُّ على صلابة في الشيء مع امتدادٍ وطول... . صلابة مع امتدادٍ وطول... . فيمكن لستيمترٍ مكعبٍ واحدٍ من الإسمنت أن يحمل تقريباً في الحالات الخاصة خمسمئة كيلو غرام ، أما على قوى الشد فلا يتحمَّل أكثر من خمسة كيلو غرامات شداً ، فالإسمنت ضعيفٌ على الشد ويحتاج لذلك إلى تسليح ، أما على الضغط فهو قاسٍ ويتحمَّل ضغوطاً عالية جداً ، إذاً فلا بدَّ من إسمنتٍ مسلَّح ، فالحديد ضمن الإسمنت ليقاوم قوى الشد ، والإسمنت نفسه ليقاوم قوى الضغط ، هذا معنى من معاني قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .. أي أنَّ كل واحدٍ منا شاء أم أبى في قبضة الله دائماً ، شعر أم لم يشعر ، أحسنَّ أم لم يُحسن ، أدرك أم لم يدرك .. ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .. والمَتْنُ ما صلب من الأرض وارتفع .

المتن : المنطقة الصُّلبة في الأرض المرتفعة ، نقول : أرضٌ متينة ، والمُمتانة : المباعدة في الغاية.. . أي أنَّ هدفه بعيد ، تشعر أن المتين الشيء الممتد الطويل مع الإحكام ، ومع القوة ، ومع المتانة ، وسار سيراً مماتناً أي شديداً وبعيداً .

والمتين على وزن فعيل.. . اسم فاعلٍ مبالغٍ به مشتقٌّ من المتانة ، وهي شدة الشيء واستحكامه وصلابته .

أحياناً من الممكن أن تضع في بناء عشرة أطنان من الحديد ، أو

تضع خمسة أطنان منه أو ثلاثة أطنان ، فإذا كان بداخله شوائب فحُمِيَّة مثلاً لا يصبح متيناً فيضاعفون الكميَّة ، أما إذا كان خالياً من الشوائب الفحمية فالحديد متين ، ويكفي أقل كمية ممكنة منه وحسب التصميم لتوضع في البناء ، فإذا لم يتقن الإنسان عمله وأنتج حديدًا غير متين وغير متقن وبه شوائب ، فيكلّف البناء ثلاثة أضعاف ثمن الحديد حتى يطمئن المهندس إلى قوة البناء ، وقد حَمَلَ صاحب البناء ثلاثة أمثال الثمن لعدم متانة الحديد ، وأذكرُ بأن إتقان العمل جزءٌ أساسيٌّ من الدِّين ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » [رواه البيهقي من حديث عائشة] .

إذن : إتقان العمل جزءٌ من الدِّين .

اليوم تذاكرتُ مع صديق لي وجودَ كسادٍ عند بعض الحرفيين ، وتوقف أعمالهم أحياناً ، قلت : فأما المتقن فعمله لا يتوقَّف ، فكل حرفة لها درجات ومستويات ، فتجد شخصاً من الدرجة الأولى ، أو الثانية ، أو الرابعة ، أو الخامسة .. وهكذا . فالذي في الدرجة الأولى لا يتوقَّف عن العمل إطلاقاً لأنَّ الطلبات عليه أشد وأكثر من الوقت المتاح له ، وكلما تدرَّجتْ درجة الإتقان فكساد عمله أكثر والطلب عليه قليل ويعاني عندئذٍ من بطالة ، يشتغل أسبوعاً ويتوقَّف شهراً ، فهذه بطالة مقنَّعة ، وعندئذٍ دخله لا يكفي ، وهذه قاعدة .. فإنقانا للعمل هو الذي يسبب التفوُّق ، وأنت دقّ النظر في الأمر فهذه سنَّة الله في خلقه ، وأينما ذهبنا فالمتقن متفوِّق ويعمل عملاً مستمراً ، والمتقن دخله كبير وفي بحبوحه ، فالإتقان سبب من أسباب زيادة الرزق .

وبالمناسبة.. فإن أهم موضوع بعد حياة الإنسان هو رزقه ، فهناك أولويات للإنسان.. فأول شيء سلامته ، فإذا كان صحيحاً من كل الأمراض فقد حقق السلامة ، وبعد السلامة الرزق ، والإنسان إذا أيقن أن الله سبحانه وتعالى لا يسمح لمخلوق أن يتدخل في شأن الحياة والرزق اطمأن قلبه ، فهذه الروح التي أودعها الله في الإنسان لا يمكن لمخلوق كائن من كان أن ينزعها منه ، أما إذا بدا لك بالعين المجردة أن فلاناً قتل فلاناً فالمقتول قُتل في أجله ، ففي علم العقيدة : المقتول يقتل في ساعة أجله لا في أجل قبل ساعة أجله ، فأمر الحياة منوطٌ بالله عزَّ وجلَّ ، وأمر الرزق منوطٌ بالله عزَّ وجلَّ .

أخطر شيء بوجودك حياتك ورزقك ، فالحياة والرزق أمران مقطوع قضاء الله فيهما عن أن يتسلَّمهما إنسان ، ولو بدا لك أن هذا الإنسان قويٌّ أو أمره نافذ ، ولو بدا لك أنه يفعل ما يريد ، إلا أن الحقيقة أن أمر الحياة وأمر الرزق لم يُنح لمخلوق أن يتسلَّمهما أو يتصرف فيهما ، فلهذا قالوا : كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرب أجلاً .

وبعد فإن المتين كما قلنا قبل قليل : مُشتقٌّ من المتانة وهي شدة الشيء واستحكامه وصلابته ، وقيل : المتين هو الشديد ، يقال : هو متين القوى أي شديد القوى .

ومن المجاز أن نقول : رأيي متين ، خطبة متينة ، مقالة متينة أي متماسكة ، فقد يكون الأسلوب قوياً فيقال لك : التراكيب متينة ، أي مشدودة ، متراسة ، محكمة ، فتشعر بتركيب قوي ، وأحياناً تجد التركيب ضعيفاً مهلهلاً غير محكم ، وهذا استخدام مجازي للمتانة.. ومن المجاز رأيي متين .

وقيل : المتين بمعنى القوي ، فهو على ما يشاء قدير .

إذا قلنا : إِنَّ الله قويٌّ متين . . أي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جندٍ أو مدد ، ولا إلى معينٍ أو عضد . . ولا إلى من يسأله . . لأنَّ الله سبحانه وتعالى قويٌّ بذاته ، متينٌ بذاته .

وبالمناسبة . . فالإنسان يحب القوي ويلتفت إليه ، فالله سبحانه وتعالى صاحب الأسماء الحُسنى ، فمن القوة قوي ، ومن الغنى غني ، ومن الحكمة حكيم ، ومن الرحمة رحيم ، ومن اللطف لطيف ، فكلُّما اشتدَّت معرفتك بأسماء الله الحُسنى اشتدَّ حبُّك له ، ورد : « أرجحكم عقلاً أشدُّكم لله حباً » .

الآن . . ماذا يعني أن نعرف أنَّ الله قويٌّ متين ؟ قال العلماء : إذا عرفت أنَّ الله قويٌّ متين وأنَّ الأمر كُلَّه بيده قطعت الرجاء عن سواه ، فانظر إلى الذي يهلك الناس ؟ الناس يحتاجون بعضهم إلى بعض ، فيقفون على أبواب اللثام ، فقد سئل الإمام علي كَرَّمَ الله وجهه : ما الذل ؟ قال : أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يرُدُّه .

والإمام علي كَرَّمَ الله وجهه يقول مرةً ثانية : « والله والله مرَّتين لحفر بثرين بإبرتين ، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصفٍ بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين ، وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون عليَّ من طلب حاجةٍ من لئيمٍ لوفاء دين » .

ولئن عرف الإنسان : أنَّ الله هو القوي . . فلسوف تتبدد أمام ناظره كل العقبات . ومعنى القوة واسع فسيح ؛ فالقوة لله جميعاً ، حتى القوة في الجمال ، والقوة في العطاء ، والقوة في العلم ، وحتى القوة في الحكمة ، فأعلى الصفات المتعلقة بأسماء الله الحُسنى قد

توصف بالقوة.. فحينما تعلم علم اليقين أنَّ الله قويٌّ متين تقطع الرجاء من غيره .

والحقيقة المرة... أن يرجو الإنسان غير الله فالطريق عندئذٍ إلى الله مسدود ، وأحياناً لحكمة بالغة ما دامت هناك منافذ أرضية فالطريق إلى الله مسدود ، ومتى تلتجىء إليه ؟ حينما تغلق الأبواب كلها ، فأحياناً يطرق الإنسان أول باب فيجده مغلقاً ، والثاني كذلك مغلقاً ، والثالث والرابع مغلقين فيضجر ، عندئذٍ لا يجد إلا الله ملجأً له ، فهو إذا كان عاقلاً فمنذ البداية يجب أن يعلم أنه لا إله إلا الله.. لكن بسبب ضعف الإيمان في قلبه ، وضعف التوحيد في عقيدته يتجه إلى زيد وإلى عبيد ، وإلى فلان أو علان فيجد أن الطرق جميعها مغلقة ، فيخيب ظنه بالناس جميعاً ، فيلجأ بعد ذلك إلى الله .

تُروى قصة فيها موعظة في أيام العهد العثماني.. عن إنسان في دمشق افتقر الافتقار الشديد ، فضاقت به السُّبُل ولم يجد قوت يومه ، وكان له قريب يعمل في منصب رفيع جداً لدى السلطان العثماني في عاصمة الخلافة العثمانية إسطنبول ، فخطر في نفسه أن يذهب إليه ليعمل هناك في وظيفة معيّنة فتحل بذلك مشكلته ، فذهب إلى إسطنبول ودخل على قريبه فرحّب به ، وكتب قريبه استدعاءً إلى السلطان لتعيين هذا القريب في منصب جيّد ، وكلما دخل على السلطان يرى هذا الاستدعاء غير مهوّر بخاتم السلطان فيضعه على أعلى الأوراق فيفاجأ بعدم توقيع السلطان له ، لأكثر من أسبوعين وهو ينتظر ، وكان يبدو أنَّ هذا الموظف الكبير على شيء قليل من التوحيد وسلامة الاعتقاد ، فذهب إلى قريبه وتجهّم عليه وأسمعه كلاماً قاسياً ، وأن الضيافة ثلاثة أيام لا مثل هذه المدة فكفاك هذا واذهب

عنا . فحينما سمع الضيف هذا الكلام القاسي ، وهذا الطرد البشع ، خرج من بيت قريبه هائماً على وجهه وهو يبكي فقد كان هذا القريب أمله الأخير . لكنَّ هذا القريب أرسل وراءه خادماً يتبعه ليعرف أين سيذهب ، فذهب إلى خان - فندق - ولكن المفاجأة أنَّ السلطان في اليوم التالي وافق على المعاملة المقدَّمة ووقَّع عليها ، فاستدعاه وأبلغه النتيجة بأن قضيتَه قد حُلَّت .

وتفسيرها أن كل هذه الأيام كان هذا الضيف الذي أتى من الشام يعلِّق الآمال كُلِّها على قريبه ، ونسي الله ، لذلك لم يُلْهِمَ السلطان أن يوقَّع على الكتاب ، فلما طرد هذا المسؤول قريبه شرَّ طردة ، وقطع الأمل منه لجأ إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعندما أخلص رجاءه إلى الله أُلْهِمَ السلطان أن يوقَّع على الكتاب .

فالموعظة في هذه الواقعة مهمة جداً . كلما علقنا الأمل على إنسان خاب ظنك ، لأن الله يغار أن تعلق الأمل بغيره ، أن تعتمد على غيره ، أن تنقاد إلى غيره ، أن تريق ماء وجهك لغيره ، فالمؤمن فيما بينه وبين الله ليبالغ في التذلل ، أما فيما بينه وبين الناس فليبالغ في العزَّة ، أنت مع الناس عزيزٌ ، أما فيما بينك وبين الله فأنت ذليل تقطعت بك الأسباب ، وهذا شأن المؤمن . . ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . فقد قال تعالى :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ رَتَدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهٖ بِقَوِيٍّ يُجِيبُهُمْ وَيُجِيبُونَهُۥٓ أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَّيْمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِم مِّنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

فالإنسان مع الله يتذلل ويمرِّغ جبهته في التراب ، أما حينما يقف

أمام إنسان فليَقِفْ عزيز النفس ؛ لذلك رأى النبي عليه الصلاة والسلام أبادجانة في أُحُدٍ يمشي متبخترًا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع » .

المؤمن لا ينبغي له أن يضعف أمام كافر ، أن يتوسَّل إليه ، أن يتضعع له . . من جلس إلى غنيٍّ فتضعع له ذهب ثلثا دينه .

إذاً أول تطبيق عملي لهذا الاسم . . مادام الله هو القوي المتين اقطع الأمل ممَّن سواه ، فلا تجد مؤمناً صادقاً إلا وله مناجاة لله عزَّ وجلَّ ينجيه ، يسترضيه ، يستغفره ، يتوب إليه ، يسأله . . إنَّ الله يحبُّ من عبده أن يسأله حاجته كلّها . . إنَّ الله يحبُّ من عبده أن يسأله ملح طعامه . . إنَّ الله يحبُّ من العبد أن يسأله شئع نعله إذا انقطع . . مَنْ لا يدعوني أغضب عليه ، إنَّ الله يحبُّ الملحِّين بالدعاء .

وقيل : « المتين هو الكامل القوَّة ، الذي بلغت قدرته أقصى الغايات ، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السموات » .

وقيل : « المتين البالغ الشدَّة ، فالله شديد القوَّة والقدرة ، والله متمُّ قدرته ، وبالعُزِّ أمره » .

وقيل : « المتين المتناهي في المتانة ، يؤثر في الأشياء ولا تؤثر فيه الأشياء » .

وذكر اسم المتين في القرآن الكريم مرَّةً واحدة في قوله تعالى في سورة الذاريات : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .

ووصف كيده بأنه متين فقال تعالى : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴾ .

وفي بعض الأدعية : إلهي أنت المتين المعين ، تمُدُّ الوجود بالقوَّة ، وتجعل أحبابك في حصنٍ حصين ، أعطنا متانةً في أجسامنا

نصبر بها على الطاعة ، وامنحنا قوة في قلوبنا نكن بها مع السنة والجماعة ، أعطنا مدداً من غيب قدرتك نهزم به النفس والشیطان والكفار وأهل العصیان إِنَّكَ على كل شيء قدير .

يقولون : مَنْ علم أَنَّ مولاه على كل شيء قدير قطع الرجاء مِمَّن سواه ، وأفرد له سرّه ، كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام . ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ . . . أراد أَنِّي سهّلت طريقهم إليك ، وقطعت رجاءهم عَمَّن سواك ، ثم قال : ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ . . . أي شغلّتهم بخدمتك خاصة ، وأنت أولى بهم مني ومنهم . . . لذلك قال : ﴿ فَأَجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ . . . أي إذا احتاجوا إلى شيء ذللت عبادك لهم فَإِنَّكَ على كل شيء قدير .

وهذا في الآية الكريمة :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَأَجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

الإمام الجنيد قال : سمعت السريّ يقول : إِنَّ في قُرى بغداد أولياء الله تعالى لا يعرفهم الخلق ، كنت أدور في قُرى بغداد لعلّي أرى منهم واحداً ، فقال له الإمام الجنيد : هيهات أن تراهم ، ولكن كُن منهم تراهم وأنت في بيتك .

من تطبيقات هذا الاسم أَنَّ اللائق بالإنسان ألا يغترّ بقوّته لأنّه أمام قوّة الله بلا حول ولا قوة ، بل يطالبه الأدب بإظهار الضعف أمام ربّه القوي مهما كان المرء غنياً بقوته ، وأنت مهما كنت قوياً ، مهما كنت صحيحاً ، يجب أن تظهر ضعفك أمام الله عزّ وجلّ .

سيدنا عمر كان يوماً على المنبر يخطب وهو أمير المؤمنين ، فجاء قطع الخطبة وقال : يا ابن الخطاب - يخاطب نفسه - كنت ترعى غنيمات على قراريط لبني مخزوم . فهذا الكلام ليس له معنى إطلاقاً وليس له علاقة بالخطبة ، فلما نزل سأله عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال : يا أمير المؤمنين ما حملك على ما قلت !!؟ قال : قالت لي نفسي وأنا أخطب : أنت أمير المؤمنين ، ليس بينك وبين الله أحد - أنت القمّة - فأردت أن أعرف نفسي حقيقتها - أن أحجمها - .

فإذا كنت ضعيفاً وربك قوي متين فلا تخف . فأنت عبد القوي ، عبد المتين ، وإذا أعطاك ربك قوة فكنت قوياً ، والقوة لله وحده فلا تغتر بقوّتك لأنّ الله - عزّ وجلّ - كما يدهش في العطاء يدهش في الأخذ .

فكان سيّدنا عمر يقول : اللهمّ كبرت سنّي وضعفت قوّتي ، وإنّه لا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان من النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « إذا اشتكت فضع يدك حيث تشتكي ثم قل : بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وتراً » [رواه الترمذي والحاكم] .

والآن لديّ تعليقٌ دقيقٌ أتمنى أن تدقق النظر وتقلبه معي قالوا : هذا الاسم ؛ اسم القوي المتين لا يتعارض مع سعي الإنسان ليكون قوياً لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال : ٦٠] .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ .. أي أن ضعفك وتذللك وافتقارك ، وعبوديتك ، وتمريغ وجهك في التراب تواضعاً لله عز وجل ، فليكن هذا فيما بينك وبين الله ، أما أمام أهل الدنيا ، أمام المنحرفين ، أمام المشركين فيجب أن تظهر قوياً فقد قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى : ٣٩-٤٠] .

قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

« الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، اِحْرَضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » [صحيح مسلم] .

« رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة » روي أنه قالها عليه الصلاة والسلام لأصحابه في عمرة القضاء .

هذا افتقارك فيما بينك وبين الله ، الصحابة كانوا في الليل رهباناً ، أما في النهار فهم فرسان ، أما إذا تمسكن الإنسان أمام الناس وأظهر الضعف أمامهم فحنى ظهره مثلاً .. فقد باء خاسراً مهزوماً . وفي عهد عمر بن الخطاب كان من حنى ظهره علاه عمر بالدرة وقال له : ارفع رأسك يا أخي فقد أمتت علينا ديننا .

فالإنسان ينبغي أن يسير رافع الرأس ، ينبغي أن يظهر أنه قوي ، أما فيما بينه وبين الله فإنه يتذلل .

يروى أنَّ سيدنا عمر كان شديداً جداً حتى إن الناس اشتكوا شدته ، فجاءه أبو ذر وقال له : إِنَّ الناس هابوا شدَّتَكَ يا أخي . فقال له : والله يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباةتي هذه ، ولكنَّ هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى .

إذاً : « المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفي كلِّ خير » .

يذكر الإمام البخاري : في باب قول الله تعالى : ﴿الحج أشهر معلومات﴾ أنَّ من صفة أصحاب رسول الله ﷺ أنَّهم كانوا أهل قوَّة ، وطريق القوَّة والمتانة هو طريق الله ، لأنَّ الكتاب الإلهي حبل الله المتين ، ودينه هو الدين المتين .

« إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله أوثق منك بما في يديك ، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله » .

تجد الإنسان أحياناً من ضعف إيمانه ومن ضعف توحيده يعلّق الآمال بالآخرين ، ويعلّق الآمال بكفّار ، يريق ماء وجهه دونهم ، ويتذل لهم ، ويتمسكن أمامهم ، فيسقط من عيونهم وقد سقط من عين الله قبل أن يسقط من أعينهم .

لأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتتحطم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله .

قالت العلماء : ويعاب عليك أن تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم : وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

فكلما قوي إيمان الإنسان يصبح عزيزاً ، ويصبح رافع الرأس ،
وكلما قوي إيمانه زاد اعتماده على الله وهو أهل التقوى وأهل
المغفرة ، وقال تعالى :

﴿ وَرَزَقْنَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ
جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا ﴾ [الطلاق : ٣] .

اللهم ! أعنا على دوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وارزقنا
الشوق إلى لقائك ولذة النظر إلى وجهك الكريم ، اللهم ! أرنا الحق
حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك
الصالحين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله
وصحبه وسلّم .

* * *

الستار

الاسم هو الستار ، وهو من أحبّ الأسماء إلى المؤمن ، الستار اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، وهو اسمٌ زائدٌ على الأسماء التسعة والتسعين المشهورة .

الستَر في اللغة ما يُستَر به ، وهو اسم .. وجمعه أستار ، وستَر الشيء أخفاه فانستر ، فعل انستر فعلٌ مطاوع من سَتَرَ .. يَنْسِتِرُ .. انْسَتَرَ ، قَبِلَ أن يُستَر ، تستَر أي تَغَطَّى ، الستَر هو الحياء ، يقال : ما لفلانٍ سِتْرٌ ولا حِجْرٌ أي لا حياء ولا عقل ، الستَر هو الحياء ، فلان لا يَسْتَتِر من الله بستر ؛ أي لا يستحيي من الله بنوع من الحياء ، والستَر هو العقل ، من كان عقله برأسه تصرّف بحكمةٍ فحجب عن الناس مغيبته .. والستارة .. ما يُسْتَتَر به من شيءٍ كائناً ما كان ، وفي الحديث الشريف أن من أغلق باباً أو أرخى ستراً فقد وجب المهر ووجبت العدة .

قال أبو حنيفة وأصحابه ، قالوا : إذا خلا بها خلوة صحيحة يجب كامل المهر والعدة ، دخل بها أو لم يدخل بها ؛ لما رواه الدارقطني عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصداق » . وقال عمر : إذا أغلق باباً وأرخى

سترًا ورأى عورةً فقد وجب الصداق وعليها العدة ولها الميراث .
وعن علي : إذا أغلق باباً وأرخصى سترًا ورأى عورةً فقد وجب
الصداق .

فانتبهوا إلى ذلك .. إذا خطب أحدكم وقد كُتب العقد ، وزار
خطيبته ، وأغلق الباب وأرخصى الستار ، ثم أراد أن يتنصّل من هذا
الزواج وجب عليه المهر كاملاً ولو لم يدخل بها .. ولندقق في قول
النبي ﷺ : « أَيْمًا رجلٍ أغلق بابَه على امرأةٍ ، وأرخصى دونها أستره
فقد تمّ صداقُها » .. أي وجب صداقها ..

إذا عقد إنسان على امرأةٍ ولم يدخل بها وجب عليه نصف المهر ،
أما إذا دخل بها فقد وجب عليه كلُّ المهر ، وكذلك إذا عقد عقده
عليها وزارها وأغلق الباب وأرخصى السِتر ولو لم يدخل بها وجب المهر
كاملاً ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام .

فلانٌ هتك سِتر فلان .. أي أطلعه على معانيه ، والاستتار :
الاختفاء ، وفي التنزيل قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَلُّعٌ
عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [الكهف : ٩٠] .

والسَّتار في حقِّ الله تعالى كثير السِّتر لعيوب عباده ، السَّتار صيغة
مبالغة ، سَتَرٌ ، يَسْتُرُ ، ساتر ، سَتَّار ، السَّتار صيغة مبالغة أي كثير
الستر ، أو شديد الستر ، أي مهما تكن الأعمال مشينة .

لله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد ، ومن العقيم الوالد ، ومن
الضال الواجد ، فمن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه
وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياهم وذنوبه .

فإذا جاء الاسم مبالغاً به ، فالمبالغة على نوعين .. كمّية ، ونوعية .. أي أنّ الله غفّار يغفر كل الذنوب مهما كثرت ، ويغفر أكبر الذنوب ، فإذا استخدمنا صيغة المبالغة في أسماء الله الحُسنى فالمبالغة على نوعين ، مبالغة نوع ، ومبالغة عدد .

الستار في حقّ الله تعالى كثير السّتر لعيوب عبادة ، فسبحان الله .. الإنسان العادي من شأنه أن يظهر القبيح ويخفي المّليح ، وقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا فقال :

« تعوذوا بالله من ثلاث فواقر : جار سوء إن رأى خيراً كتّمه ، وإن رأى شراً أذاعه ؛ وزوجة سوء إن دخلت عليها لستك ، وإن غبت عنها خانتك ؛ وإمام سوء إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر » .

عن الهيثم بن عدي الطائي قال : حدثنا مجالد عن الشعبي قال : لقيني شريح فقال : يا شعبي ، عليك بنساء بني تميم ، فإني رأيت لهن عقولاً . وما رأيت من عقولهن ؟ قال :

أقبلت من جنازة ظهراً ، فمررت بدورهم ، فإذا أنا بعجوز على باب دار ، وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري ، فعدلت فاستسقيت ، ومابي عطش . فقالت : أي الشراب أحب إليك ؟ فقلت : ماتيّسر ، قال : ويحك ، يا جارية إيتيه بلبن ، فإني أظن الرجل غريباً ، قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة ، قلت : كذا ، ونحن جميع فلا نفرقي ، وما رأيت من حسنة فأنشريها وما رأيت من سيئة فاستريها ؛ وقالت شيئاً لم أذكره : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أحب

أن يملني أصهاري . قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له ، ومن تكرهه أمنعه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء . قال : فبت يا شعبي بأنعم ليلة ، ومكثت معي حولاً لأرى إلا ما أحب . فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار . فقلت : من هذه ؟ قالوا : فلانة خنتك ، فسري عني ما كنت أجد ، فلما جلست أقبلت العجوز ، فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة خنتك ، قلت : قربك الله ، قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة ، فقالت لي : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين ، إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها ، فإن ربك ريبٌ فعليك بالسوط ، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، ورضت فأحسنت الرياضة . قالت : تحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شأؤوا . قال : فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية ، فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة ، وكنت لها ظالماً ، أخذ المؤذن في الإقامة بعدما صليت ركعتي الفجر ، وكنت إمام الحي ، فإذا بعقرب تدب ، فأخذت الإناء فأكفأته عليها ، ثم قلت : يازينب ، لاتحركي الإناء حتى آتي . فلو شهدتني يا شعبي ، وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها . فدعوت بالقسط والملح ، فجعلت أمغث أصبعها وأقرأ عليها بالحمد والمعوذتين .

الشاهد من هذا الكلام هو وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

وإن من أرقى صفات المرأة المؤمنة أنها ستيرة ، فالإنسان في بيته أحياناً يغضب ، وأحياناً يفتقر فلا تجد بين يديه مالاً يأكل أحسن الطعام ، وأحياناً ينضغط من الخارج فينفجر في الداخل ، والمرأة المؤمنة لا تفضح زوجها ، لا تنشر أحواله ولا تتحدث عن أفعاله بين الناس ، لا تعطي الناس أسوأ صورة عن زوجها ، المرأة المؤمنة ستيرة ، يروى عنه عليه الصلاة والسلام :

« إنني أكره المرأة تخرج من بيتها تجر ذيلها تشكو على زوجها » .. أكرهها .. وصح عنه ﷺ أنه قال « لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه » .

« لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذي قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » .

فالسَّتَار في حقِّ الله تعالى كثير الستر لعيوب عباده قال تعالى :

﴿ أَوْيُوبَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٤] .

من كمالِ ربنا عزَّ وجلَّ أنه يظهر الحسن ويستر القبيح ، لكن الإنسان من لؤمه يظهر القبيح ويستر الحسن ، فالمؤمن كلما اقترب من الله يتخلَّق بالكمالات الإلهية ، الله ستَّار ، والمؤمن ستَّار ، يستر العيوب .

فأدبُ الإسلام يدعو المؤمن إلى أن يستتر ولا يجاهر بالمعصية ،

كلُّكم يعلم أنَّ هناك عاصياً ، وأنَّ هناك فاجراً ، فالعاصي مثلاً كالذي يفطر في رمضان بينه وبين نفسه ، فمن هو الفاجر إذاً ؟ الذي يفطر في الطريق أمام الناس ، إذا جاهر المرء بالمعصية فالمجاهر فاجر ، والفاجر لا غيبة له ، لأنَّه لا يستحي من هذه المعصية فهو يذكرها للناس ، هو يُري الناس معصيته .. وقد قيل : « إذا بُليتُم بالمعاصي فاستتروا » .

على من يقع حدُّ الرجم ؟ يقع على الزانية الفاجرة التي استطاع أربعة من الرجال أن يَروها وهي تزني ، أي أنَّها لا تُبالي ، فحدُّ الرجم ليس على الزانية المحصنة فحسب ، بل على الزانية المحصنة التي تمكَّن أربعة رجالٍ من أن يروها وهي تزني ، ما اسمها إذاً ؟ فاجرة .. فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[المائدة : ٣٣]

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا ﴾ هل من فسادٍ أشدَّ من أن يزني رجل محصن له زوجة وأولاد بامرأة محصنة لها زوجٌ وأولاد جهاراً حتى تمكَّن الشهود من أن يروها وهي تزني ؟ إذاً : « إذا بُليتُم بالمعاصي فاستتروا » .

وقد نعى القرآن الكريم على الذين لا يستترون من غيرهم أو من جوارحهم فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٦﴾

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَ وَهَاشِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِيهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَصِينَ ﴿٢٣﴾ [فصلت : ١٩-٢٤] .

قال تعالى :

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس : ٦٥] .

يُروى أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَرَأَهُ يَغْتَسِلُ عُريَانًا لَا يَسْتُرُ بَسْتَر فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَرَاكَ لَا تَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّكَ ، خَذَ أَجَارَتَكَ لَا حَاجَةَ لَنَا بِكَ » .

بالمناسبة.. الإسلام أمر بالتستر في مواضع ، منها التستر عند الغسل ، وعند اللقاء الزوجي ، وعند قضاء الحاجة .

فقد حَدَّثَنِي صَدِيقٌ ذَهَبَ إِلَى بَلَدٍ شَرْقِيٍّ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي يُؤْمِنُ أَهْلُهَا بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ ، كَانَ يَدْرُسُ فِي جَامِعَةٍ مِنْ أَضْحَمِ الْجَامِعَاتِ ، فَدَوَّرَاتِ الْمِيَاهِ فِي هَذِهِ الْجَامِعَةِ بِهِوَ كَبِيرٌ جَدًّا يَتَسَعُ لِمِئَةِ دَوْرَةِ مِيَاهٍ بِلَا سِتْرِ ، كُلُّ النَّاسِ يَقْضُونَ حَاجَاتَهُمْ بَعْضُهُمْ أَمَامَ بَعْضٍ.. لَكِنْ أَدَبُ الْإِسْلَامِ يَحْتَمِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتُرَ فِي مَوَاضِعَ ، عِنْدَ الْغُسْلِ ، وَعِنْدَ الْلِقَاءِ الزَّوْجِيِّ ، وَعِنْدَ قِضَاءِ الْحَاجَةِ .

النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ » [رواه أبو داود والنسائي وأحمد] .

سَتَّار ، وَسْتِير ، فَعَّال ، وَفَعِّل .

فالإنسان كلما اقترب من الإيمان ازداد تَسْتَرًا ، وكلما تَفَلَّت من قواعد الشرع قَلَّ تَسْتَرُهُ ، ولقد جاءتنا مظاهر من الغرب بعيدة عن ديننا وأعرافنا وتَفَشَّت في بعض الناس ، فتجد مثلاً إنساناً يسافر من بلد إلى بلد آخر بينطال قصير ، وممكن أن يخلع معظم ثيابه ويقوم بعمل ما .

وقد ورد في الحديث الصحيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يقول :

« كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذًا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » . [صحيح البخاري] .

أليس في بيوت المسلمين الفتيات الشابات يقمن بثياب رقيقة أمام إخوتهن ، وهناك إخوة يقومون بثياب داخلية أمام أخواتهم ، وأمام أمهاتهم وآبائهم ، هذا التبدُّل في البيت فيما بين الإخوة ، وفيما بين الأخوات ، وفيما بين الإخوة والأخوات ، وفيما بين الآباء والأبناء ، والآباء والأبناء ، والبنات والأمهات ، هذا مخالفٌ للشرع ، كلما ازداد إيمانك ازداد التَسْتَرُ ، وكلما بُعد المرء عن الإيمان تَفَلَّت من السَّتْرِ ، وإنَّ من المجنون والجنون أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح فيقول : يا فلان عَمِلْتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربُّه ويكشف هو سِتْرَ اللَّهِ عليه .

من أخطر الأعمال أن يُحَدِّث الناس بعضهم بعضاً بما لا ينبغي لهم

أن يتحدثوا به ، الأسرار الزوجية أسرار مصونة لا ينبغي أن تشيع ، في أكثر من مجتمع يتحدث الأزواج عن زوجاتهم وعن لقاءاتهم ، وتحدث الزوجات عن أزواجهنَّ وعن لقاءاتهنَّ ، وهذا من أكبر المعاصي ، لأنَّ هذا ينبغي أن يجب سرّاً بين الزوجين .

ذكرت سابقاً أنَّ امرأة تعمل في الفن في بلدٍ غربيّ وهي امرأة فاسقة فاجرة ، لكنّها تكلمت بصدق حين سُئِلت عن شعورها وهي على خشبة المسرح - وقد حفظت كلامها لدقته البالغة - قالت : إنَّ شعوري شعور الخزي والعار ، وهو شعور كلِّ امرأةٍ تعرض مفاتها على الناس ، إنَّ الحبَّ يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غرفٍ مُغلقة .

فموضوع السُّرِّ إذاً ؛ أنَّه كلما تفلَّت الناس ، وكلّما اقتربوا من طباع الغرب وعاداته ، وكلّما تغدَّوا بالثقافات الغربية التي تأتيهم عبر الصحون التي على أسطح المنازل ، وكلّما تفلَّتوا من ثيابهم في بيوتهم ، وكلّما تفلَّت الإنسان من ثيابه كان هناك احتمال الانزلاق ، والذي لم نكن نعرفه إطلاقاً وبدأنا نعرفه ، وكانت بلادنا والحمد لله لا تعرف ما يسمّى بزنى المحارم ، أي أخ وأخته ، وأب وابنته ، وأم وابنها ، لكن بدأت تظهر هذه الحالات ، والكلام مؤلِّم جداً بدأت تظهر هذه الحالات في بلادنا ، فحالات زنى المحارم أصبحت موجودة ، فحينما يأمر الشرع الحنيف ألا تظهر امرأة على أختها بملابس فوق الركبة هناك حكمةٌ بالغة ، حتى بين الأخوات ، حتى بين البنت وأمّها ، هناك حدود ، أما إذا رفعنا الحدود فربّما انزلق الناس إلى ما لا يُحتمل .

حدثني رجل وهو يكي . . فقلت له : خيراً إن شاء الله ! قال : لي ابنةٌ في البيت ، فقد تركت بيت زوجها لمشكلةٍ بينها وبينه ، وابني في البيت أيضاً وهناك مشكلةٌ بينه وبين امرأته ، فجأةً بدأت ابنتي تتألم من بطنها ، فأخذتها أمُّها إلى الطبيب فطلب منها الطبيب فحصاً للحمل ، فإذا هي حامل ، وظهر أنَّ الحمل من أخيها وهي متزوجة وأخوها كذلك ، وحينما علم المسؤولون بالأمر أُودِعَ الابن في السجن ، والبنت في السجن ، فهذه مصيبةٌ من أكبر المصائب . . إذا كان هناك تفلُّت ، وتكشُّف ، فالشرع ليس قيوداً لحرية الإنسان ، ولكنه ضمانٌ لسلامته ، تماماً كما لو كنت في مكان ورأيت لوحةً كتب عليها انتبه حقل الغام ، فهل تعدُّ هذه اللوحة تقييداً لحريةكَ ، أم ضماناً لسلامتك ؟ إنَّها ضمانٌ لسلامتك ، أنا لا أتكلَّم من فراغ فبحكم عملي في الدعوة إلى الله تأتيني قضايا كثيرة ، قضايا زنى المحارم وردت بشكلٍ غير معقول ، بسبب التفلُّت .

قد ذكرت ذات مرة أنَّ أحد خطباء دمشق ألقى من على منبر الجمعة خطبةً ذكر فيها ما يلي قال : جاءني رجل وحدثني بمشكلةٍ وقعت في بيته ورجاني أن أعرضها على الناس من على المنبر لأنَّها وقعت معه ، وذلك للعظة والعبرة ، وليأخذ الآباء حذرهم . فما الذي حدث ؟ إنَّه كان يتابع بعض المحطَّات الغربية من خلال هذا الصحن المشؤوم ، فظهر منظرٌ لا يُحتمل فأدار المؤشر إلى محطةٍ أخرى . . الابن حَفِظَ رقم المحطة . . ثم يقول : وفي الساعة الثانية ليلاً سمعت أنيناً فاستيقظت فإذا ابني فوق ابنتي وابني الآخر فوق ابنتي الأخرى في غرفة الجلوس ، وقال للخطيب : هذا حدث معي ، فاذكر قصتي هذه من فوق المنبر لعل الآباء يعتبرون .

أقول هذا الكلام لأنَّ هناك أخطاراً بدأت تهدد المسلمين ، فأكبر شيء يجر الإنسان إلى المعاصي موضوع النساء ، وموضوع المال وقد أكثرت من ذكر هذا والتذكير به من قبل في أبحاث عدة .

وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن رسول الله ﷺ قال :

« كُلُّ أُنْتَبِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَغْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُضِيحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ : يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُضِيحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » . [رواه مسلم] .

فإذا تفضلَّ الله عزَّ وجلَّ بستره على عبدٍ في الدنيا فإنَّ هذا السَّتر يستمر إلى يوم القيامة .

وروى أبو داود قال :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَحْيَى ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ عَائِدُ اللَّهِ أَنَّ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ مِنَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : « تَعَالَوْا بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً ، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَأْتُوا بِيَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمَرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقِبُهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، قَالَ : فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ » . [رواه أبو داود] .

لو أنَّ إنساناً اقترف معصية ليس مكلفاً إطلاقاً أن يبلغ عن هذه المعصية أحداً ، فإذا لم يكتشف أحد هذا الذنب فمعنى ذلك أنَّ الله

أسبل عليه ستره ، وإنه ليقترفُ معصيةً كبيرة حينما يفضح نفسه .

عن الفضل بن العباس قال جاءني رسول الله ﷺ فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه قال خذ بيدي يا فضل فأخذت بيده حتى انتهى إلى المنبر فجلس عليه ثم قال صح في الناس فصحت في الناس فاجتمع ناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إني قد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ألا! ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن كنت أخذت منه مالاً فليستقد منه ولا يقولن رجل : إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ ، إلا! وإن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني ، ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ حقاً إن كان له ، أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس ، ألا! وإني لأرى ذلك مغنياني حتى أقوم فيكم مراراً ثم نزل فصلى الظهر ثم عاد إلى المنبر فعاد لمقاتلته في الشحناء أو غيرها ، ثم قال : يا أيها الناس! من كان عنده شيء فليرده ولا يقل فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة فقام إليه رجل فقال يا رسول الله إن لي عندك ثلاثة دراهم قال أما إنا لانكذب قائلًا ولا نستحلفه فبم صارت لك عندي قال تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتني أن أدفعها إليه فقال ادفعها يا فضل ثم قام إليه رجل آخر قال عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله قال ولم غللتها قال كنت محتاجاً إليها قال خذها يا فضل ثم قال يا أيها الناس من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدع له فقام رجل فقال يا رسول الله والله إني لكذاب وإني لمنافق وإني لنؤوم قال اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وأذهب عنه النوم إذا أراد ثم قام آخر فقال يا رسول الله إني لكذاب وإني لمنافق ومامن شيء من الأشياء إلا وقد أتيتك فقال عمر يا هذا فضحت نفسك قال مه يا ابن

الخطاب فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة ثم قال اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وصير أمره إلى خير فكلهم عمر بكلمة فقال رسول الله ﷺ عمر معي وأنا معه والحق بعدي مع عمر حيث كان . [قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى بنحوه] وقال في آخره : فقام رجل فقال : يارسول الله ! إني رجل جبان كثير النوم ، قال : فدعى له ، قال الفضل : فلقد رأيته أشجعنا وأقلنا نوماً قال ثم أتى بيت عائشة قال للنساء مثلما قال للرجال ، ثم قال : ومن غلب عليه شيء فيسألنا ندع له ، قال : فأومأت امرأة إلى لسانها ، قال فدعى لها ، قال : فلبما قالت لي : يا عائشة أحسنني صلاتك . [وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة ، وبقي رجال أبي يعلى ثقات وفي إسناد الطبري من لم أعرفهم] .

فإذا اقترف الإنسان ذنباً فليس مكلفاً شرعاً أن يُبلِّغ عن نفسه ، ما دام لم يدر به أحد ؛ ومعنى ذلك أن الله أسبل عليه ستره ، فإذا فضح نفسه كأنه ارتكب معصيةً جديدة.. هذا حكم شرعي ، أنت لست مكلفاً أن تفضح نفسك ما دام الله قد سترك .

وهذه معلومة أخرى : إن لم تكن ممن يُكلف بتنفيذ أمر الله ، فأنت إنسان عادي لست كالإمام ، فإذا اقترف إنسان آخر معصيةً أمامك لست مكلفاً أن تُبلِّغ عنه ، أما الإمام فإذا بلغه أحد أنه قد انتهك حدً من حدود الله فلا عفا الله عنه إن عفا ، فالإمام له موقفه ، والمؤمن له موقف آخر ، فالمؤمن ليس مكلفاً أن يفضح نفسه ولا أن يفضح غيره ، أما الإمام فإذا بلغه عن أحد أنه قد اقترف ما يوجب الحد فلا عفا الله عنه إن عفا .

لذلك ورد في البخاري :

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [رواه البخاري] .

وهذا الذي بلغ النبي عن إنسان زنى ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا هذا! لو سترته بثوبك كان خيراً لك » . [رواه أحمد]

فهذا حكم شرعي .. ليس القصد أن تقطع الأيدي ولا أن يُجلد الناس ، فالقصد أن تكون الحدود الشرعية رادعة للمسلمين ، لذلك حينما يطالب الشرع بأربعة شهود رأوا حالة الزنى رأي العين ، هذا شرط شبه مستحيل وهو شرط تعجيزي . الهدف منه أن يكون هذا الحد رادعاً .

ومما يدلُّ على محبة الله الستار إخفاء الذنوب والمعاصي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] .

أي أن هذا الذي يحبُّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا له عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة .. ماذا فعل ؟ لم يفعل شيئاً إلا أنه تمنى أن تشيع هذه الفاحشة ، معنى ذلك أنه في خندق المنافقين ، لو كان في خندق المؤمنين لآلمه هذا الأمر أيما إيلام ، فلمجرد أنه رضي أو

تمنّى أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا معنى ذلك أنّه ليس مؤمناً .
فقد قال تعالى :

﴿ إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن نَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

قيل في هذه الآية : « هذه الآية تأديبٌ لمن سمع شيئاً من الكلام السيء ، فقام بذهنه منه شيءٌ وتكلم به » .

إن سمعت قصة لا تليق بمؤمن فلا ينبغي لك أن تروّجها ، ولا ينبغي لأحد أن ينقلها ، ولا ينبغي أن يفرح بها ، إن فرحت بها فلست مؤمناً ، وإن روجتها فقد سببت فتنة لا يعلم مداها إلا الله ، ومتى تنتهي .. ففي بعض الأحيان خطأ بسيط قد ينتهي بجريمة .

أنا ذكرت لكم نقلاً عن أحد مخابر التحليل أنّ إنساناً استراب بابتته ، واعتراه شك نحوها ، فطلب منها إجراء تحليل . فالموظف في هذا المخبر وقعت منه العيّنة فانكسرت فخاف من سيده فكتب نتيجة التحليل حمل إيجابي ، فلما جاء الأب مساءً وتلقّى النتيجة أنّها إيجابية فذهب وقتل ابنته مع أنّ النتيجة غير صحيحة والبنت بريئة .
فهؤلاء الذين يسمعون قصةً لعلها كاذبة ، « إن قذف المحصنة ليهدم عمل مئة سنة »^(١) ، ولعلها قصة كاذبة ، إذا نقلها وروّجها فما أدراك أن تقع جريمة من أجلها ، ففضايا الأعراض خطيرة جداً ، فلذلك هؤلاء الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات عليهم أن يجلدوا ثمانين جلدة ، وأن يفقدوا حقّهم المدني ، فلا تُقبل شهادتهم أبداً لعظم حقّ المرأة المؤمنة عند الله .

(١) رواه البزار والطبراني والحاكم بسند ضعيف من حديث حذيفة رضي الله عنه .

هناك معنى آخر ذكره بعض العلماء ؛ وهو أن الذي يفعل شيئاً قبيحاً ويحدث الناس به فكأنه أراد أن تفسو الفاحشة في الذين آمنوا ، ألم تسمعوا بالقول : رحم الله عبداً جبَّ الغيبة عن نفسه .

وبعد... فهذا معنى آخر : إنسان فعل فاحشة ، والفاحشة انتقلت وشاعت وسرت بين الناس ، ما الذي حصل ؟ إن هذا العمل القبيح شاع بين الناس ، وكلما شاعت الفواحش استمرأها الناس ، وأقبلوا عليها ولم يروا بها شيئاً خطيراً .

عَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا تُؤْذُوا عِبَادَ اللَّهِ ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ ، وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ » [مسند الإمام أحمد] .

هناك أشخاص - والعياذ بالله - همُّهم تتبع العورات ، قنص الزلات ، همُّهم أن يصطادوا في الماء العكر ، أن يبحثوا عن فضيحة فيشيعوها ، هؤلاء يتتبعون عورات الناس.. من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه في عقر داره .

وقد قال عليه الصلاة والسلام حينما أمر أن يستر الإنسان ذنبه ، كما في حديث أَبِي الْيَسَرِّ قَالَ : أَتَنِّي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا ، فَقُلْتُ : إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْهُ ، فَدَخَلْتُ مَعِيَ فِي الْبَيْتِ ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا ، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ : اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا ، فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا ، فَلَمْ أَصْبِرْ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « أَخْلَفْتَ غَايِبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا » ، حَتَّى تَمَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ

أَهْلِي النَّارَ ، قَالَ : وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سنن الترمذي] .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي» ، وَقَالَ عُثْمَانُ : «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، اللَّهُمَّ اخْفِظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَخْتِي» [سنن أبي داود] .

وإني لأعتقد أن المؤمن الصافي حينما يسمع قصة ويكتبها يشعر بسعادة لا يعلمها إلا الله ، فالنفس تميل للفضائح ، الإنسان يميل إلى أن يضحك الناس فيقول : هل سمعتم فلاناً ماذا فعل ؟ هل عرفتم لماذا طلق زوجته ؟ هل عرفتم فلاناً عندما صاحب فلاناً كيف خانه مع زوجته ؟ هذه قصص يراها مرضى القلوب ممتعة ، ويحب الناس أن يرووها ويتحدثوا بها في مجالسهم ، دائماً التكليف يتناقض مع طبع الإنسان ، لكنَّ الفطرة تتوافق مع التكليف ، عندما ينفذ الإنسان أمر الله عزَّ وجلَّ يشعر في البداية بمجاهدة ، أما حينما ينتصر على نفسه فإن ترتاح . . فالتكاليف سمَّاها الله تكاليف لأنها ذات كلفة ، أما الأعمال الكاملة والصالحة فهي تتوافق مع الفطرة ، فالتكاليف تتناقض في البداية مع الطبع المتعلق بالجسم ، وتتوافق في النهاية مع الفطرة المتعلقة بالنفس ، لذلك المستقيم مرتاحاً نفسه لعل جسمه يتعب أما نفسه فمرتاحة .

من الأدعية المتعلقة باسم الستار : اللهم! أنت الحليم الستار ، وأنت عالم الغيوب والأسرار ، أمُدْ إليك يدي تحت ستار الليل وقد مَدَّ الليل أستاره ومددتْ لعبادك يد الحليم الغفار ، فاستر اللهم عورتِي ، وامحُ حُوبتي ، وآمن روعتي ، وشدَّ من عزيمتي ، فإني أستحيي منك ، ياغفار الذنوب! وستار العيوب! بضعفي أمام قوتك ، وعجزِي أمام قدرتك ، أسألك العفو والصفح ، والمغفرة والرضوان إذا الجلال والإكرام .

أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن يكون لنا من هذا الاسم (الستار) مبدأً وأن نطبِّق هذا المبدأ « طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس » .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَنْعِيهِ » [سنن الترمذي] .

قال ﷺ : « من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

إن موضوع الستر أحد أخلاق المؤمن الأساسية ، والله عزَّ وجلَّ هو الستار ، فإذا تاب العبد توبةً نصوحاً أنسى الله حافظيه والملائكة وبقاع الأرض كلّها خطاياهم وذنوبهم . . فالله عزَّ وجلَّ من شأنه أن يظهر الحسن ويخفي القبيح ، والإنسان المؤمن يتخلَّق بكمالات الله ، ويقتدي برسول الله ﷺ ، والإنسان الكافر والعاصي يبحث عن العيوب ويخفي الصفات الطيبة في غيره ، فهو قنَّاص ، فحينما يعثر على خطيئة كأنه عثر على كنزٍ ثمين فيأخذها ويفضح نفسه أو غيره بها وينشرها في الناس .

فأنت مؤمن بمعنى أنك ستَّار ، مؤمن تسترُ على إخوتك

أخطاءهم ، حتى النصيحة إن كانت أمام ملاً كانت فضيحة ، لا تكون النصيحة نصيحةً إلا إذا كانت بينك وبين أخيك . . فإذا أحببت أن تنصح يجب أن تختار الوقت المناسب والمكان المناسب ، أما إذا نصح الناصح أمام ملاً فربما انقلبت النصيحة فضيحة وابتعد عن اسم الستار .

فأحياناً يخطب شاب فتاة ثم تفسخ هذه الخطبة ، فتجد معظم الناس يتكلمون على أشياء كانت وأشياء لم تكن حتى يسوغوا انسحابهم من هذه الخطبة ، ما كان ينقصهم لو قالوا كلاماً موجزاً : ليس هناك من نصيب ، والله ؛ هم أحسن منا ولكن لا يوجد نصيب لا تدخل في الأعراض والأخطاء .

فكلما ارتقى الإنسان في مراقبي الإيمان يُظهر الحسن ويُخفي القبيح ، وكلما هبط يُظهر القبيح ويُخفي الحسن ، ودائماً وأبداً أودِعُوا أذهانكم هذا القول : « تَخَلَّقُوا بِكَمَالَاتِ اللَّهِ » عزَّ وجلَّ ستَّار ، وستَّار صيغة مبالغة تعني أنه كثير الستر نوعاً وكمّاً ، وكلما كنت أقرب إلى الله كنت أكثر سِتْراً على إخوانك .

* * *

الرَّبُّ

من أسماء الله الحسنى الرب.. وهو من أقرب الأسماء إلى العبد ،
والربُّ اسمٌ من أسماء الله الحُسنى إلا أنَّه من الأسماء الزائدة على
الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في أحاديث رسول الله ﷺ .

الربُّ في اللُّغة هو المالك ، هو السيّد ، هو المُنعم ، هو
المربّي ، ولعلَّ أقرب المعاني إلى الإنسان أنَّه المربّي ، ولا يطلقُ غيرَ
مضافٍ إلا إذا توجه إلى الله تعالى ، رب ، أو الرب ، أمّا إذا أُضيف
فإنه يتوجه إلى الله تعالى أو إلى عباده ، كقولنا : ربُّ الدار أي
صاحبها ، إذا أُضيف فهو مشتركٌ بين الذات الإلهيّة والإنسان ، أمّا
دون إضافة.. ربُّ أو الربُّ فلا يتوجه إلا إلى الله تعالى .

عالمٌ ربّانيٌّ أي راسخٌ في العلم ، إنسان ربّانيٌّ : أي كلُّ حياته
محصورة في معرفة الله وذكره وخدمة عباده ، فالربّاني هو الذي
لا يتحرّك إلا وفق منهج الله ، لا يقف موقفاً ، ولا يُعطي ، ولا يمنع ،
ولا يغضب ، ولا يرضى ، ولا يصل ، ولا يقطع ، إلا وفق مرضاة الله ،
عالمٌ ربّانيٌّ.. أي راسخٌ في العلم ، وكما يقول سيدنا علي : الناس
ثلاثة.. عالمٌ ربّانيٌّ ، ومستمعٌ على سبيل نجاة ، وهمجٌ رعاع أتباع كلِّ
ناعم ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق .

أكرر : العالم الربّاني هو الراسخ في العلم ، الإنسان الربّاني هو الذي لا يتحرّك إلا وفق مرضاة الله ، كل حركاته في حياته بما يرضي الله عزّ وجلّ .

لفظ الربّ مشتقّ من التربية ، فالله سبحانه وتعالى مربّ ومدبّر لخلقه ، المربي له صفتان أساسيتان . . أنّه مُمِدّ ، وأنّه يرعى ، فالذي يمدّنا بما نحتاج إليه هو ربّنا ، والذي يمدّ أجسادنا هو ربّنا ، والذي يربي نفوسنا ، ويهديننا إلى صراطه المستقيم ، ويُلجّننا إلى بابه هو ربّنا .

وأضرب مثلاً ، والله المثل الأعلى ، الأب يوفر لأولاده حاجاتهم الماديّة ، من طعام ، وشراب ، وكساء ، وحاجات شتى ثم يربيهم ، بمعنى آخر يرعى أخلاقهم ، يرعى دينهم ، يرعى تعليمهم ، يرعى مستقبلهم ، ففي معنى الربوبية المشتقة من التربية معنى مادي ومعنى روحي .

قالت العلماء : وإذا أُدخِلت - ال - على كلمة رب اختصّ الله تعالى بها ، الرب هو الله لأنّها للعهد ، أي الربّ المعهود ولا ربّ سواه .

الله سبحانه وتعالى مالك المُلْك ، مالك المالك والمملوك ، فما معنى قوله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢] .

أي مالك المالك ومالك المملوك ، مالك السيّد ومالك العبد .
الرب من معانيه أنّه خالقٌ ورازقٌ ، وكلُّ ربّ سواه غير خالقٍ وغير رازقٍ .

الحقيقة كلمة (رب) . ذات خصائص جمّة أولاً ؛ فمن خصائص التربية العلم والرحمة ، ومن خصائص التربية القدرة ، فهو يعلم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو رحيمٌ بنا ، أما معنى قول الله عزّ وجلّ في سورة الفاتحة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فهو أنّه خالق الأكوان وجميع العوالم التي خلقها ، فالعلاقة بين خالق الأكوان وجميع العوالم علاقة تربية أي خلق وإمداد وإكرام وعناية ، علاقة حب ، علاقة عناية ، فأحياناً يكون هناك علاقة بين شخصين علاقة محاسبة ، علاقة انتقام ، علاقة قسوة .

وأوضح مثل : علاقة أَيَّْة أمّ على وجه الأرض بابنها علاقة حب ، علاقة رحمة ، علاقة صلاح ، فإذا قلنا : الله ربُّ العالمين ، أو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي أنّ الله سبحانه وتعالى هو خالق الأكوان ، وما سوى الله عوالم ، والعلاقة بين الخالق والعوالم التي خلقها علاقة رحمة ، فالرحمة عطاء فيها علم ، وفيها قدرة ، وفيها جمال ، وفيها لطف ، وفيها عناية .

لذلك يقول عامر بن عبد الله : « والله لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً » ، والحقيقة أنك لن تكون على نحوٍ يَرْضَى الله عنك إلا إذا أيقنت بربوبيّته لك .

لقد سمعت ذات مرة كلمة ما زالت عالقة بذهني . . فقد كان إنسانٌ يصيح في الطريق ويبدو أنّ لديه مشكلة ما ، فصاح غاضباً وقال : يعني : إذا لم يكن له أب أما له رب ! هذه الكلمة تركت في نفسي أثراً كبيراً ، فالمرتبّي هو الله ، قد تجد يتيماً تولّاه الله بالعناية ففاق كلّ الأطفال الذين ربّاهم أهلهم .

وفي الفاتحة.. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. وكلمة رب العالمين لا تعني أنه رب الإنسان فقط ، فأحياناً الإنسان لضيق نظره ، ولضيق أفقه ، ولمحدوديته يظن أن الله له وحده ، أو له ولإخوانه ، أو له ولجماعته ، أو له ولمسجده ، ألا فاعلم أن ربنا عز وجل لكل عباد ، لكل المؤمنين فهو ربهم ، لكل الناس ، لكل الحيوانات ، لكل النباتات ، لكل الجمادات ، لكل العوالم ، إنه ربهم ، وهو رب كل شيء .

يقولون : عالم الحشرات ، عالم النبات ، عالم الأسماك ، عالم الأطيوار ، عالم الفضاء الخارجي ، عالم الأرض ، عالم الجبال ، عالم البحيرات ، عالم البحار ، كل المخلوقات المتجانسة اسمها عالم ، والله رب العالمين.. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وفي سورة الأنعام قال تعالى :

﴿قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

ما من كلمة في اللغة أوسع شمولاً وأكثر استغراقاً من كلمة شيء.. فالذرة شيء ، وجزئيات الذرة شيء ، النواة شيء ، والكهرب - الإلكترون - شيء ، المدار شيء ، الفيروس شيء ، عوامل المرض - وهي أقل من الفيروس - شيء ، الشمس شيء ، المجرات شيء ، الكون شيء حقاً ، ما من كلمة في اللغة أوسع شمولاً ولا أكثر استغراقاً من كلمة شيء.. قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .

فإذا أردت أن تقيم علاقة طيبة ؛ أفضّل أن تقيمها مع شُرطي

وتسترضيه ، وأنت تعرف أن عمله محدودٌ بساحة من الساحات وهو فقط ينظم شؤون السير ، ولا يملك أيَّ شيءٍ آخر ، أم تقيمها مع ملك يملك البلاد كلها بخيراتها وبمواردها ، وبثرواتها وسائر شؤونها . . أيهما تتخذ ولياً لك ؟!! ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . . ليس ربُّ الناس ، بل هو ربُّ العوالم ، ربُّ المخلوقات جميعاً .

فربما ينام أحد في خيمة في البادية ، وقد يخاف من وجود أفعى تتسلل إليه ليلاً ، وهذا ممكن جداً في الصحراء ، ولا بد أن ينام لأنه متعب مرهق ، فينام متوكلاً على الله . وأنت حينما تنام على من تتوكل ؟ تتوكل على ربِّ العالمين ، هذه الأفعى بيد الله عزَّ وجلَّ وهو الذي يحول بينها وبينك إن تتوكل عليه ، وأنت حينما تتعامل مع خالق الكون فكلُّ المخلوقات بيده . . ﴿ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

وفي سورة الأعراف قال الله تعالى :

﴿ إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

كأنَّ هذه الآية أشارت إلى تعريف الربوبية . . أحياناً نصنع طائرة ونبيعها ، فنحن صنعناها . أما أمرها الآن فبيد من اشتراها ، قد يستخدمها لعدوان ، أو يستخدمها لنقل ، أو يستخدمها في أعمال الاستطلاع ، أو يجعلها على أرض المطار جاثمة ، أو يخفيها ، الذي اشتراها هو الذي يملك أمرها ، نحن صنعناها ثم بعناها ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى ، والله المثل الأعلى ، أيُّ شيءٍ خلقه بيده ، بملكوته . . ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

هناك معنى آخر.. فهذا الشيء الذي خلقه الله عزَّ وجلَّ : صلاح أمره وكل أحواله منوطٌ بخالقه ، التوجيه الذي يسعده هو توجيه خالقه ، التوجيه الذي يحفظه هو توجيه خالقه.. ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.. أي ينبغي أن تتبع أمر الذي خلق .

فالمعنى الأول.. ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.. أي خَلَقَهُ ويأمره دائماً ، أي أمره بيده ، تحت سيطرته ، في قبضته ، في ملكوته .

المعنى الثاني.. أن هذا الشيء الذي خُلق لا يصلح ولا يستقيم أمره إلا إن اتبع أمر الذي خلق.. ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.. ربُّ العالمين هو الذي ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة التوبة : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.. هو الرب ، أي ما من حركة ، ولا من سكنة ، ولا خفض ، ولا إعزاز ، ولا إذلال ، ولا قبض ، ولا بسط ، ولا سكينه ، ولا خوف ، ولا قلق ، ولا طمأنينة إلا بيده.. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.. أي يكفيني .

إذا أعطينا إنساناً شيكاً مفتوحاً وموقعاً وتركنا له الخيار في أن يضع فيه ما يشاء من المبالغ ، فلو سجل مليوناً أو ألف مليون أو مليون مليون كله نافذ ، أفمن يملك هذا الشيك المفتوح والذي سجل فيه أكبر رقم حتى لو كان رقماً فلكياً.. كمن يفرح بعدد من الليرات الحديد التي ترن في جيبه ؟ لا يستويان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾..

فإذا قال المؤمن : «حَسْبِيَ اللَّهُ».. فأنت مع القوي ، ومع الغني ، ومع الرحيم ، فأنت مع الخالق ، ومع القديم ، ومع

الأبدي ، أنت مع من بيده كلُّ شيء.. « حَسْبِيَ اللَّهُ » .. ونعم الوكيل.. فهذه آية ، وقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول حسبي الرب من العباد ، حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرازق من المرزوقين حسبي الذي هو حسبي حسبي الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

قرأت عن سيدنا الصديق أنه : ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، لأنَّ الله حسبه ، ومن كان الله حسبه كفاه أمر الدنيا كلها .

فقد قال الله سبحانه في أهل الكهف :

﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۚ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۚ﴾ [الكهف : ١٣-١٤] .

لا أدري ما إذا كنت قد أوضحت هذه النقطة .. أنت حينما تكون مع إنسان فإنَّ هذا الإنسان محدود مهما علا شأنه ، لكن حينما تكون مع الخالق فهو ربُّك وهو ربُّ السموات والأرض ، ولن يسلمك أبداً .

ذات مرة هاجت عاصفة شديدة جداً ولعل سرعتها كانت تزيد على مئة كيلو متر فاقتلعت مئات البيوت المحمية.. ولكن حدثت حادثة شديدة الغرابة . والمفارقة فيها غريبة ، بيتان متلاصقان ، فالقوس الأول ملتصق بالقوس الثاني ، وهذه البيوت مزروع بداخلها أشجار ذات ثمار ، والثمار في أيام البرد ترتفع أسعارها ارتفاعاً كبيراً ، فحجم إنتاج البيت مئتا ألف من الليرات تقريباً ، وهذه العاصفة

الهوجاء هَبَّتْ فاقْتَلَعَتْ أَحَدَ الْبَيْتَيْنِ وَأَبْقَتْ الْآخَرَ ، والبیتان لأخوين أحدهما صالحٌ والآخر شريرٌ ، فالشرير اُفْتُلِعَ بيته وأُتْلِفَ محصوله ، وأصبح بيته أنقاضاً على بعد أمتار من مكانه ، وهذا الشيء يكاد لا يصدّق ؛ فالعاصفة عاصفة والمنطقة واحدة بل إنّ البيتين متلاصقان ، فكلمة الفتية .. ﴿ إِنَّمَا فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣ ﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٥ .. فكلمة الفتية هذه تعني غاية التوكل والتفويض .

أي ربُّك الذي يركاك ؛ بيده الرياح ، بيده العواصف ، بيده الأعاصير ، بيده الأمطار ، بيده إنبات النبات ، بيده مسببات الأمراض ، بيده الفيروسات ، كل شيء بيده .. ﴿ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ١٦ ﴾ .. أي إلهٍ تعبده يكون دون الله عزَّ وجلَّ ، فأحياناً يكون دوناً بدرجة أو بدرجتين أو بثلاث أو بأربع ، أما إذا وازنا بين جهةٍ قويةٍ تمحضها ودَّك وخالق الكون فليس هناك نسبة تجمع بينهما ﴿ مِنْ دُونِهِ ١٧ ﴾ .. فالله عزَّ وجلَّ فوق الخلق جميعاً ، وخلقه لا شيء إزاءه ، لذلك قالوا : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٨ ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة الرحمن :

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ قَيَّأِ الْعَيْنِ الْكَافِرِينَ ١٨ ﴾ [الرحمن : ١٧ - ١٨] .

هناك ظاهرة لا ينتبه لها إلا القليل .. افتح تقويماً وقلب أوراقه وافتح على يوم الثامن والعشرين من تشرين الثاني مثلاً فتجد أن شروق

الشمس عند الساعة الخامسة وسبع دقائق ، وهذا التقويم معمول به من خمسين سنة ، ويمكن أن يكون من مئة سنة وهو صالح لمليون سنة قادمة ، فحركة الأفلاك بمعشار الثانية :

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر : ٦٤] .

فثبتت حركة الأفلاك ، دليل واضح على أن حركتها وسكونها بيد الله تعالى . حتى إنَّ أضخم ساعة في العالم موجودة في العاصمة لندن - بيج بن - تضبط على نجم ، فقد تؤخَّر أو تُقدَّم في السنة عدة ثوانٍ فقط ، فعلام تضبط ؟ إنها تضبط على نجم معين وهو أدقُّ منها ، تضبط عليه ، فهو مضبوطة حركته ، إذ أمره إلى الله سبحانه ، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فإذا كان للإنسان بيتٌ مشرفٌ على جهة الغرب أو جهة الشرق يقول لك : في الشتاء تشرق الشمس من ها هنا ، وفي الصيف تشرق من ها هنا ، فهناك مسافة كبيرة جداً بين المشرقين ، فالقوس الذي يسع أقصى هذا المشرق وأقصى ذاك المشرق على مدار الفصول قوسٌ واسعٌ جداً ، فهو في آية .. ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ .. هو الذي جعل الشمس تشرق وجعلها تغيب ، أما ربُّ المشرقين فيعني النهاية العظمى صيفاً والعظمى شتاءً .

إذا كان بيت الإنسان يطل على الغرب فإنه يرى الشمس تغيب في الشتاء بالاتجاه الغربي الجنوبي ، أما في الصيف فاتجاهها غربي تقريباً ، السبب في ذلك أن الشمس تكون في فصل الصيف عمودية ، أما في فصل الشتاء فتدخل إلى أقصى الغرف لأنها تكون في هذا

الفصل ماثلة.. فمن جعلها هكذا ! لو أنها كانت دائماً عمودية لكناً في صيفٍ دائم ، لو أنها ماثلة دائماً لكناً في شتاءٍ دائم ، أما أن تتنوع بين العمودية والمائلة فهو سبحانه الذي جعلها هكذا .

هذا معنى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (١٧) ، أما إذا قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ (٤٠) [المعارج : ٤٠] .

فكل يوم لها شروق معين ، يتحرك على مدار العام من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال وبالعكس ، كل يوم لها زاوية تشرق منها ، وربُّ العالمين أي مالِكهم.. وكل مَنْ ملك شيئاً فهو ربه ، ربُّ الدار أي صاحب الدار ، ربُّ البيت أي صاحب البيت ، ربُّ الأسرة أي مالك الأسرة ، إذاً فالربُّ هو المالك .

وفي الصحاح : الرب اسمٌ من أسماء الله تعالى ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة .

الرب هو الله ، أما ربُّ البيت فقد يكون إنساناً ، والربُّ هو المُصلِح ، والربُّ هو السيّد ، والربُّ هو المدبّر ، والربُّ هو الجابر ، والربُّ هو القائم.. ويقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه : ربّه يرُبّه فهو ربُّ له ، والرب هو المعبود .

وإني أذكر مرة ثانية بأن أقرب اسم من أسماء الله الحُسنى إلى المؤمن هو اسم « ربُّ العالمين » على الحكاية ، أو اسم « ربُّ العالمين » على الإعراب ، فلك أن تقول سورة « المؤمنون » وبالإعراب سورة المؤمنين ، لكن لك أن تقول : المؤمنون اسمٌ للسورة . لك أن تلفظها بالرفع دائماً تقول سورة المؤمنون ، والعلماء يقولون : « المؤمنون » على الحكاية أي تحكى هكذا فلا نخضعها

للإعراب ، فلك أن تقول سورة « المؤمنون » وسورة المؤمنين وكلاهما صحيح .

في بعض التفاسير شرحت كلمة « رب العالمين » بما يشعر أنها تعني الثناء المطلق على الله ، مثلاً هناك إنسان جلاد ، عمله أن يجلد الناس ، وهناك مربٍّ ، وهناك سارق ، وهناك معتدٍ أثيم ، أما إذا دخلت إلى مدرسة ، فمدير المدرسة ماذا يمثل الأذى أم الخير ؟ طبعاً الخير ، والتربية والتعليم والتهديب ، وتفقد الطلاب ، ورعايتهم ، رعاية سلوكهم وأخلاقهم وصحتهم وعلمهم ورعاية علاقاتهم الاجتماعية ، فمدير مدرسة ومدير مشفى كلاهما منصب خيري فيه خيريّة وفيه رحمة ، لكن قد يكون السجّان له وظيفة ثانية ، قد يجلد ، قد يعذب ، فعلاقة السجّان مع السجين علاقة تعذيب لا علاقة رعاية ، علاقة ترويع ، علاقة قهر .

فالمعنى الذي أريد أن أقوله : كلمة ربّ العالمين هي ثناء مطلق على الله . ربّ العالمين أي هو خالق ، رب العالمين أي هو رازق ، رب العالمين أي مُمد ، رب العالمين أي رحيم ، رب العالمين أي عليم ، رب العالمين أي قدير ، رب العالمين أي محب ، رب العالمين أي رؤوف ، فالخلق والرزق والإمداد والعلم والرحمة والقدرة والحب والإكرام والرفقة كلها جمعت بكلمة رب العالمين .

فقد قال بعض المفسرين : « كلمة رب العالمين تعني الثناء المطلق على الله » ، فإذا قلت ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فإنك تشني على الله عزّ وجلّ .

وبعد فترية الله لعباده تأخذ منحنيين اثنين : تربية خَلْقِيَّة ، وتربية شرعية تعليمية .

فأنت عموماً والجو برد قارس وابنك الذي تحبه بلا معطف ، تذهب وتشتري له معطفاً ، هذه تربية خَلْقِيَّة ، يحتاج إلى غرفة خاصة ، يحتاج إلى نفقات ، يحتاج إلى كتب ، يحتاج إلى أقساط ، يحتاج إلى أشياء ثانوية . فتعطيه إياها ، هذه كلها تربية خَلْقِيَّة . . لكن إن رأيتك يكذب فإنك تؤدبه ، إن رأيتك لا يصلي فإنك تأمره بالصلاة ، إن رأيتك يلهو بأشياء سخيفة فإنك تنهاه عنها ، أنت الآن عملك شرعي .

يوجد تربية خَلْقِيَّة وتربية شرعية ، فربنا عزَّ وجلَّ يربي أجسامنا بإمدادها بما تحتاج إليه ، ويربي نفوسنا بتزكيتها لتكون أهلاً لجنَّته ، فتربية الله تربيَتان ، لذلك ليس لغير ربِّ الناس جهةٌ يمكن أن تشرَّع للعبادة أبداً ، العبادة لربِّ العالمين .

وإليك معنى آخر . . قالوا : الله عزَّ وجلَّ يربي نفوس العابدين بالتأييد ، ويربي قلوب الطالبين بالتسديد ، ويربي أرواح العارفين بالتوحيد ، ويربي الأشباح بوجود النِّعم ، ويربي الأرواح بشهود الكرم ، الأرواح يربيها ، والأشباح يربيها بالطعام والشراب ، والعارفين يربيهم تربية رفيعة جداً ، كلما ارتقى الإنسان يحاسب حساباً دقيقاً ، فقد يُحاسب على ابتسامة .

فبمستوى الدكتوراه في بعض الجامعات ، إذا أخطأ المتقدم لنيل هذه الشهادة في مناقشته بكلمة يعيد العام ويؤخَّر إلى عامٍ قادم ، كلما ارتقى مستواه يحاسب حساباً أدق ، فالعارفون بالله لهم حساب دقيق ، كلما ارتقى الإنسان في سُلَّم الإيمان يحاسب على الخطرات ، وكلما هبط مستواه يحاسب على الكبائر .

أيضاً من معاني الربوبية قالوا : « إصلاح أمور العباد ، وهذا مشتق من رَبَّيْتُ العديم . . أَرَبُّهُ فَأَنَا أَصْلَحُهُ » ، فالله سبحانه وتعالى يصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ويصلح أمور العابدين بحسن كفايته ، ويصلح أمور الواجدین بقديم عنايته ، ويصلح أمور قومٍ يستغنون بعطائه ، ويصلح أمور الخلق جميعاً .

الآية الكريمة تقول :

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] .

﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ . . رَبَّاكَ وساقك إلى مجالس العلم ، ساقك إلى طاعته ، ألقى في قلبك محبته ، حُبَّ إليك الإيمان وزينه في قلبك ، وكرهَ إليك الكفر والفسوق والعصيان ، هذه تربية .

إذا كان أب يسمع وابنه تكلم كلمة بذينة أمامه ، فضحك له ، فإن الولد يكررها ويتفوه بما هو أفحش منها وأسوأ ، أما إذا تكلم كلمة بذينة فنهره وزجره ، فإن هذا الابن لن يعود إلى الكلام البذيء أبداً ، وإذا وجده يقرأ القرآن كافأه وشجعه ، معنى المكافأة والعقاب هذه تربية ، والحق أنَّ أول صفة من صفات المربي ، أن يُكافئ المحسن وأن يُعاقب المسيء ، وربنا عز وجل بمجرد أن تفكر في التحرك نحوه تجد أن الله شرح لك صدرك ، ألقى في قلبك السكينة والطمأنينة ، وتيسرت أمورك وعاملك معاملة جديدة وأشعرك أنه يحبك ، ولمجرد أن ترتكب معصية يلقي في قلب العاصي الضيق والكآبة والحيرة ، فالله يربينا عن طريق قلوبنا .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : « يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ بَيَّنْتُ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ » فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ عَفَاُ : فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ : يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ بَيَّنْتُ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ قَالَ : « وَمَا يُؤْمِنِي وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعِي الرَّحْمَنِ ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلْبَهُ - قَالَ عَفَاُ - بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » [مسند الإمام أحمد] .

فأنت حينما تتخذ قراراً حكيماً في صالح إيمانك يشرح الله لك صدرك ، وحينما تنحرف قليلاً عن طريق الحق يملأ قلبك ضيقاً وقلقاً وحيرةً ؛ فالقضية إذاً دقيقة جداً في بيان مسالك المؤمنين .

قال الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَلْبَارِ ﴿٣﴾ رَبَّنَا وَآءِئْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا

لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تَدْخُلْنَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران : ١٩١-١٩٥] .

لا بد من تعقيب أخير على اسم الله : « رب العالمين » ، صدقوني أن أحدكم إذا شعر أن الله يتابعه ، ويحاسبه على حركاته وسكناته ، ويعاقبه سريعاً ويؤدبه سريعاً فهو في موطن عناية مشددة ، أما إذا ارتكب الإنسان المعاصي ولم يحاسبه الله عز وجل ، ولم يتابعه فاعلموا أنه خارج العناية الإلهية لأن الله علم فيه انحرافاً شديداً ، وتمرداً وعتواً وإصراراً على انحرافه فأوكله إلى نفسه ، فأحدنا إذا كان الله يؤدبه ويحاسبه ويحصى عليه أنفاسه ، ويحاسبه على كلمة أو على نظرة ، أو على حركة لا ترضيه ويؤدبه سريعاً فهذا محض ربوبية الله عز وجل ، وفي هذا الإنسان خير كبير وهو مطلوب لرحمة الله ، والله عز وجل يؤهله لرحمته .

لذلك روي في الأثر القدسي : « وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده حتى أبلغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه » .

هذه تربية الله لنا ، وليعلم كل مؤمن أن المصائب كلها لو كشفت حكمتها لكم لكتنتم في درجة من قبولها لا توصف ، فأنا أعرف أناساً كثيرين سبب توبتهم ، وسبب دخولهم في حظيرة الإيمان ، وسبب سعادتهم وتوفيقهم مصيبة ساقها الله لهم فأرجعتهم إلى الله ، قال تعالى :

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[السجدة : ٢١]

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى﴾ .. بالدنيا .. ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ .. بالآخرة .. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .. فلنهمهم : أن الله إذا ساق لنا بعض الشدائد فهذا من أجل أن نتوب إليه ، لذلك ورد في القرآن الكريم .. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ .. في قوله تعالى :

﴿وَعَلَى الْفَلَاحَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة : ١١٨] .

أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة ، فإذا قلنا : تابوا فتاب عليهم ، أي قبل توبتهم ، أما إذا قلنا : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ .. أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة .

فالإنسان المؤمن لا يتضرر إذا الله عزَّ وجلَّ أدبه ، ومعنى ذلك أنه مطلوب ، فإذا قال أحدهم لصديقه : أنا لست في راحة من كثرة الوظائف والتبعات والتكاليف ، فأنا في السنة الرابعة في الجامعة والدروس علينا مكثفة ، والكتب صعبة ، والوظائف متتالية ، وعلينا تقديم أطروحة في آخر العام الدراسي ، والدوام كثير ولدينا دروس عملية ، فلست في راحة .

وقال له الآخر : أنا ليست لدي أية مشكلة ، فأنا أنام إلى الظهيرة ، لأنه بالطبع لا يدرس وهو خارج الجامعة ، وبدون عمل ولا مستقبل ، فليست لديه أي مشكلة بل هو في راحة ، فهذه الراحة راحة الموتى ، ولكن تعب الأول تعب الأحياء ، إن الله عزَّ وجلَّ إذا

علم فيك خيراً ، ووضعك ضمن العناية المشددة وتابعك ، فلا توازن نفسك مع من هو شارد تائه ، كالدابة المتفلّنة ، قوي ، غني ، صحيح ويمارس كل شهواته بحرّية بلا قيد أو شرط ، فلا توازن نفسك معه فأنت طالب علم ، وأنت ترجو رحمة الله ، أنت تطلب الجنة ، أما ذاك فقد شرد على الله شرود البعير ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

وقد قال تعالى :

﴿ لَا يَعْرَتَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ۚ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۚ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّفَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٨] .

قال تعالى : ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرَاةِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ۚ ۚ فقط المؤمن يا رب ، فقال له الله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۚ ۚ ۚ .

ملخص البحث .. إذا ساق الله لأحدنا بعض الشدائد فليعلم علم اليقين أنه مطلوب لرحمة الله ، وأن فيه خيراً ، وأنه في العناية المشددة .. فإذا الطبيب رأى مريضاً مصاباً بالسرطان من الدرجة الخامسة ، والمرض منتشر في كل أحشائه ، فبماذا ينصح المريض ؟ يقول له : ليست هناك مشكلة فكل ما شئت .. وإذا سأله المريض عن نوع من حبوب الدواء هل يتناوله ؟ فيجيبه : كيف ما تريد وتحب ، وعلى حسب راحتك .. فتجده متساهلاً معه كثيراً لأنه لا يرجى شفاؤه ، أما إذا كان مريضاً بالتهاب في المعدة تجده نائراً عليه فيما

إذا تناول طعاماً غير مناسب ، فإذا كان هناك أملٌ في الشفاء فتجد الطبيب يعامله بشدةٍ بالغة ، أما إذا لم يكن هناك أملٌ في الشفاء فتجده يسيب له الأمور ، فإذا كان الله يتابع الإنسان فمعنى ذلك أن الله يحبه وهو في العناية المشددة .

لذلك . . إذا أحبَّ الله عبده عَجَّلَ له بالعقوبة . . إذا أحبَّ الله عبده ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، فإن شكر اقتناه . . إذا أحبَّ الله عبده جعل له وازعاً من نفسه . . إذا أحبَّ الله عبده جعل حوائج الناس إليه .

فالمؤمن لا يتضرر ولا يتأفف من تضييق من الله عزَّ وجلَّ ، فهذا التضييق محض رحمة ، ومحض إكرام ، وهو النعمة الباطنة كما فسرها المفسرون . . ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ . . في قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان : ٢٠] .

* * *

الحافظ

من أسماء الله الحُسنى الحافظ .

الحافظ اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، وهو اسمٌ زائدٌ على الأسماء التسعة والتسعين التي ورد فيها الحديث ، الحافظ في اللُّغة هو : الحارس ، وحَفِظَه حفظاً أي : حرسه حراسةً ، وحَفِظَ المال أي : رعاه ، وحَفِظَ القرآن أي : استظهره ، وهذا حافظٌ من قومِ حُفَظَ أي : من الذين رَزَقُوا حفظ ما سمعوا .

والحقيقة أنه من نعم الله الكبرى على الإنسان أن تكون له حافظةٌ قويّةٌ أو ذاكرةٌ قويّةٌ ، لأنَّ الإنسان إذا استمع كثيراً ونسي الذي استمعه ، فماذا يستفيد منه ؟ حينما تجلس في مجلس ، أو حينما تُلقي كلمة ، أو حينما تتحدّث إلى صديق ، فإذا خانتك ذاكرتك فلم تحفظ النصوص ولا القصص ، ولا الوقائع ، ولا الأفكار ، ولا التحليلات ، ولا التعليقات كيف تستطيع أن تصل وتجوّل ؟ لذلك نعمة الذاكرة القويّة من أعظم النعم على الإنسان ، إلا أنَّ العلماء يرون أنَّ الذاكرة متعلّقةٌ بالاهتمام ، وهذا تعلّقٌ عادلٌ فالشيء الذي تهتمُّ به تحفظه .

ادخل إلى محلّ تجاري فيه خمسون ألف قطعة ، وكل قطعة لها

اسم ولها قياس ، ولها سعر ، ولها وضع معيّن ، ولها مصدر ، ولها منشأ ، فتجد صاحب المحل - لأنّ رزقه متعلّق بهذه البضاعة - يحفظها جميعاً ، يحفظ حالاتها وأنواعها ، وقياساتها ، ومصدرها ، ومنشأها ، وأسعارها ، كل ذلك في ذاكرته ، بل قد يقول أحياناً لغلام في المحل : اصعد تجد قطعةً واحدةً بقيت من هذا الصنف فائتي بها . . معنى ذلك أنّ المحل كلّهُ في ذاكرته .

فقل لي : ما الذي تهتمُّ له ؟ أقلّ لك إنّك تحفظه ، ففي ذلك عدل فقد قال الله تعالى :

﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى (١) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ [الأعلى : ٦-٧] .

كان عليه الصلاة والسلام إذا أنزل الله على قلبه الشريف سورةً من كتاب الله حفظها من أوّل مرة ، والذي يحفظ دليل أنّه مهتم بما يحفظ ، فالأشياء التي لا تعنيك لا تحفظها بل إنك تنساها ، بل إنّ الذاكرة أمرها عجيب ، فالذاكرة كما قال لي بعضُ الإخوة العلماء المختصّين في علم التشريح والفيزيولوجيا - علم وظائف الأعضاء - : « إنّ مكان الذاكرة في الدماغ يتّسع لسبعين مليار صورة ، وهذه الصور مبوّبة ومصنّفة ، والذاكر أنواع كثيرة لا حصر لها ، منها الذاكرة السمعية ، والذاكرة الشميّة ، والذاكرة البصريّة ، وذاكرةٌ للألوان ، وذاكرةٌ للوجوه ، وذاكرةٌ للأسماء ، وذاكرةٌ للأرقام ، وإنّ هذه الصور مرتّبة ترتيباً زمنياً » ، فالذي تحتاج إليه كلّ يوم موضوع في أقرب مكان ، والذي قلما تحتاج إليه يوضع في مكان متوسط ، والذي نادراً ماتحتاج إليه في مكان بعيد ، والذي لا تحتاج إليه أبداً يمحي من الذاكرة ، بل إنّ طريقة الحاسوب في قراءة المعلومات تقليدٌ لطريقة الذاكرة في استرجاع المعلومات .

أنت إذا شممت رائحةً تحاول أن تتعرّف إلى هذه الرائحة ، فما الذي يحدث في الذاكرة ؟ إنَّ أثر هذه الرائحة يمرُّ على كلِّ ذكريات الشم ، أكثر من عشرة آلاف ذاكرة شمّية ، فحيثما يكن التوافق تقل : إنها رائحة الياسمين ، أو الفل . . وإلى آخره من الروائح .

الذاكرة وحدها من آيات الله العجيبة الدالة على عظمتها ، وأنت تتذكّر الشيء الذي تهتمُّ به ، وهذا عدلٌ من الله عزَّ وجلَّ .

قد تجد إنساناً ، نساءً ، كثير النسيان في موضوعات لا تعنيه ، أما في الموضوعات التي تعنيه فكأنَّ ذهنه مسجّلة ، سريعاً ما يحفظ ، فلذلك إذا اهتمَّ أحدنا بكتاب الله عزَّ وجلَّ يحفظه ، وإذا اهتمَّ أحدنا بالحديث الشريف يحفظه ، وإذا اهتمَّ أحدنا بالمعاني الدقيقة التي هي كنزٌ ثمين والمتعلّقة بكتاب الله يحفظها .

وقد يقول أحدهم : والله ما سمعت معنىً دقيقاً متعلّقاً بكتاب الله إلا حفظته ، وهذا الإنسان نفسه قد ينسى أشياء واضحة جداً وقرينة جداً لأنّها لا تعنيه ، فالمؤمن مشغول بموجبات الإيمان .

قلنا : هذا حافظ من قومٍ حفاظ ، أي من الذين رزقوا حفظ ما سمعوا ، والقاعدة : اكتب أجمل ما قرأت ، واحفظ أجمل ما كتبت .

لذلك ، فالإنسان أحياناً يأتي إلى مجلس علم ، فلماذا يطرب لما سمع ؟ لأنَّ هذا الذي ألقى شفاهاً من الذاكرة أجمل ما كتبت ، والذي كتبت أجمل ما قرأت ، والذي قرأت أجمل ما سمع . . فهناك كلام يسمع ، وهذا المسموع كلام فيه الشيء الحسن ، فيه أيضاً كلام يلقي على عواهنه ، ولكن المكتوب أرقى لأنّه مدروس وهو خلاصة

المسموع ، وخلاصة المكتوب يُحَفِّظ .

فأحياناً تجد إنساناً يصغي إلى درس إصغاء تاماً ، لأنَّ الأمور كُلَّها التي تطرح في الدرس هي أجمل ما تحويه ذاكرة المتحدث ، وهي أجمل التحليلات ، وأجمل التعليقات ، وأجمل الإرشادات .

فقد حدثني أخ قال لي : كنت في أمريكا وهم الآن يسجلون الكتب الثمينة على أشرطة بصوت يحبونه ، فالإنسان أحياناً يكون لديه وقت ميت ؛ وهذا تعريف للوقت الضائع بالتعبير الاقتصادي ، وهذا الوقت هو وقت انطلاقه بمركبته إلى عمله ، ووقت الرياضة أيضاً ، فأصبح هناك بين كل الناس سلوكٌ شائعٌ ، وهو أن يمضي هذا الوقت في طريقه إلى عمله وفي عودته من عمله وفي ساعات الرياضة في سماع شيءٍ ثمين ، وهذا الشريط من نعمة الله على الناس ، فيمكنك أن تستمع إلى درس علم ، أو إلى تفسير ، أو حديث ، أو إلى درس سيرة ، وأنت في بيتك ، أو وأنت تعمل ، أو وأنت في مركبتك ، أو وأنت في السفر ، المؤمن الموفق لا يُضَيِّعُ ثانيةً من وقته ، فبإمكانه حتى في الأوقات الميتة أن يستفيد منها في طلب العلم .

قالوا : هناك رجلٌ حافظُ العين ، أي لا يغلبه النوم لأنَّ العين تحفظ صاحبها ، فهو أثناء جلوسه في مكان ، يكون هذا المكان تحت سيطرة عينيه ، أما في الليل فالمكان يصبح تحت سيطرة أذنيه ، أرايتم إلى نعم الله عزَّ وجلَّ ، لذلك أصغِ بسمعك للآيات التي قال الله تعالى فيها :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ﴾ ٦١ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ

سَكْرَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ لَيْلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧١﴾ [القصص : ٧١-٧٢] .

﴿اللَّيْلُ﴾ إن الحاسة الأولى فيه السمع .. لذلك قال ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ .. والعكس .. الحاسة الأولى في ﴿النَّهَارَ﴾ هي العين .. ولذلك قال ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

أنت في النهار مسيطرٌ بعينيك .. وفي الليل مسيطرٌ بأذنك ، فإذا دخلت فويسقة إلى بيتك - الفأرة - وقد سماها النبي ﷺ فويسقة ، وماتت تحت السرير فلا تراها عينك ولا تسمعها أذنك ، فالحاسة الثالثة التي تكشفها لك حاسة الشم ، فأنت بالحواس الخمس مسيطرٌ على العالم الخارجي ، والآلات الحديثة استطالةٌ للحواس .. فالمجهر استطالةٌ للعينين ، وكذلك المنظار - التليسكوب - .

فمن منكم اطلع على كتاب الإحياء وهو من أعظم الكتب التي تركها الغزالي ، هذا الإمام العظيم ، فالإحياء يعدُّ أوَّل كتاب في علم النفس الإسلامي ، ففيه أحوال النفس ، ودقائق النفس ، وأمراض النفس ، وفضائل النفس ، ومناهج لتحلية النفس بالكمال ، وهو من أروع ما كُتب ، ولكن هل تصدّقون أنَّ الإحياء كتبه الإمام الغزالي من ذاكرته وهو في بلاد الشام؟! وكذلك زاد المعاد على مافيه من التحريرات الفقهية والدراسات الحديثة ألّفه ابن القيم في حال السفر لا الإقامة ، والقلب - كما قال - بكل واد منه شعبة وليس في حوزته المصادر التي ينقل منها ما يحتاج إليها .

إذاً من أوتي حافظَةً جيّدةً فقد أوتي خيراً كثيراً .. وقد علّمونا ونحن في الجامعة أنَّ الذكاء شيء والذاكرة شيءٌ آخر ، فما كلُّ ذكيٍّ

ذا ذاكرةٍ قويّة ، وما كلُّ ذي ذاكرةٍ قوية ذكياً . قالوا : إلّا أنّ هناك منطقةً مشتركةً بين دائرتين متداخلتين وهذه المنطقة هي القاسم المشترك بين الذكاء والذاكرة ، فكل إنسان يتمتّع بذكاء فلا بدّ من أن يستعين بذاكرة ، وكل إنسان عنده ذاكرة جيّدة لا بدّ من أن يكون على شيء ما من الذكاء ، إلّا أنّ الذاكرة شيء ، والذكاء شيء آخر .

قيل مرةً للشيخ : إنّ فلاناً حفظ كذا . فتبسّم وقال : زادت نسخته نسخة . فالحفظ وحده لا يقدّم ولا يؤخّر ، لكنّ العقل والتدبّر والفهم العميق هو الذي يرقى بالإنسان .

الحافظ . هو الذي يثبتك على الطريق البين المستقيم الذي لا ينقطع ، ويحفظك على المواظبة عليه ، أمّا الحفظة الذين يحصون أعمال العباد ويكتبونها عليهم هم من الملائكة ، والمحافظة : المواظبة على الأمر . . أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

المحافظة تصنع تراكم المعلومات أو غيرها ، والإنسان بلا تراكم لمعلوماته لا يحقق شيئاً .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « سَدُّوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » . [صحيح البخاري] .

فلو ثبتّ على المجيء لحضور درس ما من دروس العلم فاثبتّ عليه تتراكم لديك الحقائق ، وإذا ثبتّ على صلاة أو على صدقة ، أو ثبتّ على ذكر ، أو على تلاوة . . فأحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

المحافظة . . أي المواظبة على الأمر ، ومنه قوله تعالى :

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

وقيل : المحافظة هي المراقبة ، والمحافظة الذبُّ عن المحارم ، أي : الدفاع عن المحارم ، والمحافظة على العهد الوفاء به والتمسك بالودِّ . . هذه اللُّغة ، فإذا قلنا الله جلَّ جلاله هو الحافظ ، فقد حفظ خلقه وعباده من كلِّ سوء ، وحفظ عليهم ما يعملون ، وحفظ السموات والأرض بقدرته . . ﴿وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ . . فقد قال تعالى :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

أحياناً يقول أحدهم : هذا الأمر فوق طاقتي ، لا أستطيع أن أستوعبه ، ولا أن أحيط به ، ولا أن أديره فهو يحتاج إلى خمسة أشخاص لإنجازه ، ولكن الله جل جلاله يقول : ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ .

وقد قال تعالى في سورة يوسف :

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَأَلَّهِ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤] .

وإذا العناية لاحظتك عيونها نَمَ فالمخاوف كُلُّهُنَّ أمانٌ واصعد بها العنقاء فهي حباله واقتد بها الجوزاء فهي عنان وقيل : قم - للعمل - فالمخاوف كُلُّهُنَّ أمان .

إذا حفظك الله عزَّ وجلَّ سَعَّرَ لك كل شيء ؛ حتى أعداؤك هم في

خدمتك ، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ .

فالإنسان قد يُحكم الأفقال . . كما حدّثوني عن أحد الصاغة ، وهو يعدُّ الأول في صنعته وليس له شبيهة ، قام بصنع صندوقٍ صنعه من الحديد بحيث لا يمكن أن يُفتح ، وبقدرة قادر دخل اللصوص وفتحوه وأخذوا كلَّ ما فيه . . فهو قد ظنَّ أنَّ هذا الصندوق ﴿خَيْرٌ حَفِظًا﴾ . . لكنَّ الله هو خير حافظ . . ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ .

الإنسان كثيراً ما يأخذ بالأسباب إلى حدٍّ غير معقول ويعتمد عليها ، وينسى أنَّ الله هو ﴿خَيْرٌ حَفِظًا﴾ ، فيؤتى من مأمنه ، يُؤتى وهو في أعلى درجات اليقظة ، يُؤتى الحذرُ من المنطقة المطمئن إليها ، وهذا من آيات الله فقد قيل : عرفت الله من نقض العزائم . . جميلٌ جداً أن تأخذ بالأسباب وأن تأخذ الاحتياط ، ولكنَّ الأجل من ذلك أن تأخذ بالأسباب وأن تعتمد على الله الواحد القهَّار ، أن يكون اعتمادك على الله حقاً مع الأخذ بالأسباب .

أحياناً يقولون : قمنا بعمل مراجعة كاملة على السيارة فاطمئنْ ، فقطعه في الطريق ، وأحياناً تُجرى عليها مراجعة كاملة ويقول صاحبها أنت يا رب المسلِّم وأنت الحافظ . . فالقضية قضية دقيقة ؛ فاعقل وتوكل . فيجب أن تأخذ بكلِّ الأسباب وألا تعتمد في حفظها لك إلا على الله عزَّ وجلَّ .

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ . . إعراب حافظاً : تمييز . . أي : الله خيرٌ ، خيرٌ معطياً ، خيرٌ آخذاً ، خيرٌ حافظاً و﴿خيرٌ﴾ لفظٌ مبهم ، لولا التمييز لصدق على أشياء كثيرة . . ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ . . أي حفظٌ مطلق .

قد يسافر الإنسان ؛ فهل في الأرض جهة يمكن أن ترافقه وأن تخلفه في بيته وسفره معاً وفي وقت واحد ؟ مستحيل ذلك إلا على الله ، فإذا سافر الإنسان يقول : اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل .

وقد يتعرض طفل صغير لحادث ؛ كأن يقع على رأسه إبريق من الشاي الساخن ويشوه وجهه ، وكلما ألقى الأب على ابنه نظرة شعر بحرقه في قلبه ، فالإنسان أثناء سفره يفكر هل أهله بخير ، ويضرع إلى الله ألا تكون هناك مشكلة لديهم ، ويسأل هل هم مستقرون في البيت ، وهل حدث لهم حادث مزعج .. فمن الذي يحفظ أهلك في غيبتك ؟ الله جلّ جلاله . فأنت إذا سافرت حتى تكون مطمئناً فوض الأمر إلى الله وادع بهذا الدعاء : اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا ..

كلام ربنا كلام رائع جداً : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ﴾ .. يحفظ لك صحتك ، ويحفظ لك مالك .. وقد يسافر المرء إلى بلد بعيد ومعه أموال طائلة ، وفيه يقظة وحرص وانتباه ولا ينقصه شيء ، فتسرق محفظته وفيها كل لوازمه الشخصية من جواز للسفر ، للشيكات المصرفية ، والمعاملات والوثائق الضرورية ، وبطاقة الطائرة ، فيصبح شريداً متسكعاً في الطرقات .. ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ﴾ .. أي يحفظ لك صحتك ، ويحفظ لك أهلك وأولادك ، ومالك ، وبيتك ، ومحلك ، ومستودعك ، وبضاعتك ، وسمعتك ، ومكانتك .. ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ﴾ .

كن لي كما أريد أكن لك كما تريد .. كن لي كما أريد ولا تُعلمني بما يُصلحك .

وهذه الآية الكريمة وردت على لسان سيدنا يعقوب فقد قال تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أي فالله خير حافظاً يحفظ ابني يوسف ، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي ، وأرجو من الله أن يرده علي ويعمج شملتي به إنه أرحم الراحمين .

لذلك فاليأس من رَوْحِ الله كُفر ، اليأس والقنوط يساويان الكُفر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ١٧] . وقال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

هذا قرأنا الكريم الذي نزل على سيّد المرسلين هو هو الذي بين أيدينا ، ليس فيه حرفٌ زائدٌ ولا حرفٌ ناقصٌ ، وجميع المحاولات التي جرت لتغيير كلماته أخفقت ، فقد طُبِعَ في العهد العثماني خمسون ألف نسخة حذفت منها كلمة واحدة من سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقد حذفوا كلمة واحدة ولم يطبعوها وهي كلمة ﴿ غَيْرَ ﴾ فأصبحت الآية : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ فأتلفت النسخ وأحرقت ، فالله - عزّ وجلّ - تولى بذاته حفظ كلامه ، فلا يمكن لجهة في الأرض أن تُبدّل أو أن تُغيّر فيه ، وليس معنى هذا أنه لا تجري محاولات بل تجري وما أكثر ما تجري ، ولكنها لا تنجح ، ولن تنجح بإذن الله .

وقد قال العلماء أيضاً : « من لوازم حفظ القرآن الكريم حفظ سنة

رسول الله ﷺ «لأنها مبيّنة» ، فالقرآن قانون والسنة معه كمرسوم تفسيري تشريعي ، إذا حافظنا على القانون ولم نحافظ على المرسوم لم نستفد من ذلك شيئاً ، لأنّ القانون مُقَنَّ والمرسوم مفسّر . . فمن لوازم حفظ كلامه حفظ سنّة نبيّه ﷺ . .

لذلك هؤلاء العلماء الأجلاء أمثال البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي والإمام مالك وغيرهم ، هؤلاء العلماء الذين شَمَرُوا ودرسوا حديث رسول الله ﷺ ودرسوا أحوال الرجال ، وصنّفوا ، وعدّلوا وجرحوا ، واعتمدوا قواعد دقيقة جداً لتدوين الحديث ، هؤلاء أعانهم الله على أعمالهم ، ويسّر الله لهم عملهم ، لأنّه تولّى بنفسه حفظ كتابه وحفظ سنّة نبيّه ﷺ . . لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ ﴾ .

وفي سورة الأنبياء ، يقول الله عزّ وجلّ :

﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٢] .

أي مدققين فيما يعملون ومراقبين لهم . والحفظ له معنيان : إما أن أحفظ كلّ ما تفعله وكلّ ما تقوله ، وأسجل عليك كلّ ما تفعله وكلّ ما تقوله ، وإما أن أحفظك من كلّ مكروه . . فالمعنى الأول هو العلم ، والمعنى الثاني هو التربية ، أي حفظ في الذاكرة وإحصاء ، وحفظ من كلّ مكروه وأذية .

قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدَّ لَهُمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

﴿لَمْ مَعَقِدْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ﴾ .. من كل سوء ..
 ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ، يعني أن هؤلاء الحفظة يؤدون عملهم بأمر
 من الله .

وفي سورة البروج ، قال الله تعالى :

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج : ٢١-٢٢] .

فهذا اللوح المحفوظ ، اختلف العلماء في تفسيره ، فأقرب
 ما يكون أن المبادئ الكبرى التي خلق الله الخلق وفقها ، والسنن
 العظمى التي سنّها الله في تعامله مع خلقه ، هي في اللوح المحفوظ ،
 ومن باب التقريب والتوضيح ؛ أن أمة عظيمة لها دولة كبيرة ولها
 أجهزة بالغة الدقة ، لا بد لها من دستور فيه كلُّ الأمور الأساسية ،
 ويصدر مع هذا الدستور قوانين كثيرة ومراسيم تشريعية ، ومراسيم
 تفسيرية ، ومراسيم تنظيمية ، إلا أن الأصل أن كلَّ القوانين تنطلق من
 الدستور ، مثلاً حرية الكلمة ، حرية العمل ، حرية التعلم ، حرية
 التعبير هذه كلها في الدستور ، ثم القوانين تفسرها وتوضح كيفية
 الأخذ بها ، فاللوح المحفوظ يضم المبادئ العظمى ، والسنن
 الكبرى التي يتعامل الله بها مع خلقه في اللوح المحفوظ .

الإمام الحسن البصري يقول : « إن هذا القرآن المجيد عند الله في
 لوح محفوظ ، يُنَزَّلُ منه ما يشاء على من يشاء من خلقه » .

ويقول الله تعالى في سورة النساء عندما يتحدث عن الأسرة وقوامه
 الرجل في بيته وأهله :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا
 مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحُونَ كُنْتُمْ خُلَفَاءَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِينَ يَخَافُونَ

نُشْرُهُنَّ فَعَظُمَوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَآخِرُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿النساء : ٣٤﴾ .

فأرقى صفة في المرأة أنها تحفظ زوجها ، تحفظ عرضها في غيبة زوجها ، وتحفظ مال زوجها في غيبته ، وتحفظ سرَّ زوجها ، وتحفظ نفسها .

المرأة الصالحة تحفظ نفسها ، لا تسمح لأجنبي أن ينظر إليها ، لا تلين ولا تخضع بالقول للبايع إذا اشترت ، لا تضرب برجلها ليظهر ما يخفى من زينتها ، كلامها جاد ، مشيتها جادة ، نظراتها مستقيمة ، لا يزيغ بصرها ، لا تسمح لأحد أن يطمع فيها . . فقد قال تعالى :

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَقْبَنُكُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] .

أما هذه التي تبدو بأكمل زينة ، تثير كلَّ الناس حولها ، لسان حالها يدعو الآخرين إلى التحرش بها ، هذه المتبرجة ، المتفلّطة التي لا ترعى حقَّ الله في خروجها ، فلسان حالها يدعو الناس إلى الدنو منها والطمع فيها ، فالمرأة المؤمنة تحفظ نفسها ، وتحفظ مال زوجها ، وتحفظ سرَّ زوجها .

والحفظ أيضاً ورد في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ
الْكُرُوبِ ۚ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات : ٧-٦] .

أي إذا استرق الشيطان السمع أتبعه شهابٌ ثاقب .

ما منّا واحدٌ إلا ويتمنى أن يحفظه الله . . إلا أن النبي عليه الصلاة
والسلام كان أديباً مع الله كان يدعو ويقول :

« مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيَصَلِّ
رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ
رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِنْهَامٍ ،
أَسْأَلُكَ أَلَّا تَدْعَ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجْتَهُ ، وَلَا حَاجَةً هِيَ
لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا لِي ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا شَاءَ
فَإِنَّهُ يُقَدِّرُ » . [سنن ابن ماجه] .

والحفظ له موجبات ؛ احفظ الله يحفظك ، هذا هو أهم ما في
البحث الذي نحن بصددده ، احفظ أمر الله يحفظك الله عز وجل . . إذا
سألت فاسأل الله ، وإن استعنت فاستعن بالله . . أما الأساس فهو أنك
لن تستطيع أن تصل إلى حفظ الله عز وجل إلا إذا حفظت أمره ، يراك
حيث أمرك ويفقدك حيث نهاك ، إن حفظت أمر الله - عز وجل - فالله
يحفظك ، وحفظ الله شامل يحفظ لك عقلك من أن يصيبه الخلل ،
يحفظ لك حواسك وأعضاءك ، يحفظ لك زوجتك وأولادك ، يحفظ
لك بناتك ، يحفظ لك مالك ، يحفظ لك سمعتك ، يحفظ لك
دينك ، يحفظ لك كرامتك .

ياابن عمر ، لا يغرنك ما سبق لأبويك من قبل ، فإن العبد لو جاء

يوم القيامة بالحسنات كأمثال الجبال الرواسي ظن أنه لا ينجو من أهوال ذلك اليوم ، يا ابن عمر ، دينك دينك إنما هو لحملك ودمك ، فانظر عمن تأخذ ، خذ الدين عن الذين استقاموا ، ولا تأخذ عن الذين مالوا .

أيضاً هذا الاسم محبوب للإنسان .. فالإنسان حينما يرى كل شيء له محفوظاً فهذه هي الاستقامة ، وعزة الاستقامة ، الاستقامة عين الكرامة ، أنت إذا استقيمت على أمر الله حفظ الله لك كل شيء ، أنت في ظل الله .. ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .. فقد قال الله تعالى :

﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨] .

هذه الآية موجهة للنبي عليه الصلاة والسلام ، وكل آية موجهة للنبي عليه الصلاة والسلام ، للمؤمن منها نصيب على قدر استقامته وإيمانه وإخلاصه .. ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .. وإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ، وحفظ الله يغني عن كل شيء .

فالنبي عليه الصلاة والسلام وهو في غار ثور كان دمه مهدوراً ، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، ودخلا إلى غار ثور ، قال الصديق : لو نظر أحدهم إلى موطىء قدمه لرآنا . قال النبي الكريم ﷺ : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، حفظه الله ، فقد تبعه سراقه على حصانه ، غاصت قوائمه في الرمل ، طلب الأمان لكنه عاد ثانية فغاصت قوائم فرسه في الرمل ثانية فاستسلم لأمر النبي ﷺ .

فإذا كان الله معك فمن عليك ؟ إذا حفظك الله فأبي شيء يضرك ؟! والله ليس في الأرض كلها جهة مهما قويت تستطيع أن تصل إليك ، وإذا تخلّى الله عنك ، فقد أسلمك لعدوك ، فقد قال الله تعالى :

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة : ٢٥] .

أنت في كل يوم لك حالان مع الله ، حال التوَلَّى ، وحال التخلَّى ، إذا قلت : أنا ، أصابك التخلَّى ، وإذا قلت : الله ؛ نالك التوَلَّى ، أي إذا وَحَّدت الله تولاكَ الله ، وإذا اعتدلت بنفسك ، بمالك ، بقوتك ، بعلمك ، بذكائك ، بخبرتك تخلَّى الله عنك .
تخلَّى عن أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين وفيهم النبي ﷺ .

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ، بينما في بدر قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

فقد كانوا يوم بدر في غاية الضراعة والذلة بين يدي الله عز وجل فنصرهم وأيدهم .

أما ملخص الملخص... فإنه ما منا واحدٌ دون استثناء إلا ويتمنى أن يحفظه الله ، أن يحفظ له صحته ، هناك أمراض عُضالة إذا أَلَمَّت بالإنسان جعلت حياته جحيماً لا تطاق ، يتمنى كلُّ منا أن يحفظ الله له صحته ، وأهله وأولاده وبناته وأصهاره وبيته وماله وتجارته وسمعته ومكانته .

قد تسمع أخباراً كأنها الصاعقة يرتجف منها كل إنسان عاقل...
قال لي رجل ابنتي حامله ، [نقول حامل إذا أردنا الوصف الحقيقي فإذا حملت شيئاً على ظهر أو رأس فهي حامله لاغير] ، ابنتي حاملٌ من ابني . أين مكانته أمام

الأسرة ، الابن في السجن وال بنت في المشفى هذه مشكلة ، مشكلة كبيرة جداً ، وإني أعقب على هذا فأقول : لقد قصر في تربية أولاده ومراقبتهم والالتجاء إلى الله ليعينه على توجيههم ، وتخلي عن الله ، فتخلي الله عنهم وعنه ! و هنالك إنسان سمعته طيبة بيته نظيف ، علاقاته كلها إيجابية ، وعمله جيد ، محفوظ في مكانته وسمعته ، موفق في عمله ولعل هذا حفظ الله فحفظ الله عليه بيته وأهله فقد قال يعقوب لأولاده كما حكى الله عنه : ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

لا تعتمد على غير الله في الحفظ ولا في أي أمر من أمورك ، أما القول الفيصل : احفظ الله يحفظك ، أي كن لي كما أريد ، أكن لك كما تريد ، عبي أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد .

* * *

الأكرم

من أسماء الله الحُسنى الأكرم ، قال الله تعالى :

﴿ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۚ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [العلق : ٤-٣] .

الأكرم : من أسماء الله الحُسنى ، لكنَّ هذا الاسم زائدٌ على الأسماء التسعة والتسعين المعروفة ، قريبٌ من هذا الاسم اسم الكريم ، وقريبٌ من هذا الاسم ذو الجلال والإكرام .

ويجب أن نعلم ويعلم كل مؤمن علم اليقين أنه مامن موضوع في الدين يرقى إلى مستوى أن تعرف أسماء الله الحُسنى ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ هو القصد... إلهي أنت مقصودي.. ورضاك مطلوبي ، ولأنَّ الإنسان سوف يكون في معية الله عزَّ وجلَّ إلى أبد الآبدين ، فكلَّما ازدادت معرفته في الدنيا برَّبِّ العالمين سعد بقره ، وكان في عداد أوليائه المقربين ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٤-٥٥] .

لينظر كل مؤمن مليًّا إلى بعض الأشخاص كيف أنه يفخر إذا كانت له مكانةٌ عند إنسانٍ قوي ، لا يفتأ يتحدث عنه وعن علاقته به وعن مكانته عنده وعن حظوته لديه ، فكيف إذا كانت لك مكانةٌ عند خالق السموات والأرض ، الله - جلَّ جلاله - يقول :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

أنت في الدنيا تتعرف إلى الإنسان بعينيك ، ترى قامته ، ولون جلده ، لون عينيه ، شعره ، أناقته ، ثيابه ، تحدّثه ويحدّثك ، تكلّمه ويكلّمك ، تعامله ويعاملك ، تسافر معه ، وإن تجاوره تعرفه أكثر فأكثر ، فكيف السبيل إلى معرفة الله من أجل أن تحبه ، من أجل أن تخاف منه ، من أجل أن تعظمه ، من أجل أن تخضع له ، من أجل أن تجعله نهاية المطاف ، وأن تجعله هدفك الأول والأخير ، من أجل أن تعرف أنه هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وأنه بكلّ شيء عليم ، من أجل أن تعرف الله ، من أجل أن تسعد بقربه ، من أجل أن تُفني شبابك في طاعته ، من أجل أن تُمضي حياتك في خدمة خلقه يجب أن تعرفه ، لذلك ما من عمل ، ما من جهد ، ما من نشاطٍ فكريّ يعلو على عمل يؤدي بك إلى أن تعرف الله حقاً .

الحقيقة وهذه أقولها كثيراً.. المعرفة المختصرة لا تقوى على حملك على طاعته ، فلا بُدَّ من أن تتبحر في المعرفة من أجل أن تعرف من هو الله.. الله عزّ وجلّ يقول :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق : ١٢] .

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

[النحل : ٦٥]

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم : ٥٤] .

ماذا يريد الله من هذه الآيات ؟ أي : يا عبادي اعرفوني ، بيدي

الشمس والقمر ، بيدي الليل والنهار ، بيدي خلقكم وبعثكم ، حياتكم وموتكم ورزقكم ، بيدي المطر ، بيدي الصحة والمرض ، بيدي كل شيء فلا تلتفت إلى سواي .

فلذلك عندما يعرف الإنسانُ اللهَ عزَّ وجلَّ وهو يدري من هو ويقدر الله قدره ، وهو يعلم علم اليقين أنه ربُّه وخالقه ، تجده قد التزم منهجه بشكلٍ صحيح ، أقبل عليه ، ابتغى مرضاته ، سعى إلى طاعته .

إذاً : فهذه المقدمة تلخص في أنه لا شيء يعلو على أن تعرف الله سبحانه ، إنك إن عرفته أطعته ، وإن أطعته أقبلت عليه ، وإن أقبلت عليه سعدت بقربه ، وإن سعدت بقربه تآقت نفسك إلى الجنة .

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول : تآقت نفسي إلى الإمارة فلما بلغتها تآقت نفسي إلى الخلافة ، فلما بلغتها تآقت نفسي إلى الجنة ، معنى ذلك أنه أراد الإمارة والخلافة لتكونا مطيئين إلى الجنة . فلما بلغتهما تآقت نفسي إلى الجنة .

من الملاحظ بداهةً أنه في مقتبل العمر تكون الأمور متشابهة عند جميع الناس إلى حد بعيد . فالشباب في أول حياته يكون خطُّه البياني في صعود وارتقاء ، لكن بعد حين يبدأ الخط البياني الصاعد يسير مستقيماً ثم يبدأ ينحدر ، فإنه عندئذ يؤذن ببدء النهاية ، نهاية المطاف وهي صعبة جداً ، إلا لمن أمضى حياته في طاعة الله ، فالمغادرة لا تحتمل إلا لمن قدم بين يديه أعمالاً صالحة كبيرة .

الاسم هو « الأكرم » ، والأكرم اسم تفضيل . قال الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ من الكرم ، والكرم ضدُّ اللؤم .

بالمناسبة الأخلاق لها مفردات مثل : الشجاعة ، أو الصبر ، أو الحلم ، وتحمل بعض الصفات الإنسانية معاني جامعة ، فمثلاً المروءة .. صاحب المروءة كريم ، صاحب المروءة عفيف ، صاحب المروءة شجاع ، صاحب المروءة يلبي حاجة الضعيف ، صاحب المروءة ذو نجدة ، صاحب المروءة يبادر إلى إغاثة اللهفان ، كلمة مروءة ، كلمة تشمل عشرات الصفات .. أما اللؤم والعياذ بالله ، بخل على جين على كبر على أثره على قسوة على دناءة .

فكما قال سيدنا علي بن أبي طالب : والله والله مرتين لحفر بثرين بإيرتين .. هل يمكن حفر بثر بإبرة؟! حفر بثرين بإيرتين ، وكنس أرض الحجاز في يومٍ عاصفٍ بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين ، وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين .. أهون عليّ من طلب حاجةٍ من لئيمٍ لوفاء دين .

هل تعلمون ماهو الذل؟ الذل أن يقف الكريم باب اللئيم ثم يرده ، أنت كريم احتجت إلى لئيم فالأمر لا يحتمل ، وهناك أناس كرام لا يسمح أحدهم لنفسه أن يقف موقف ضعيفٍ أمام لئيم ولو ضاعت منه الدنيا بأكملها .

فإذا كنت واقفاً على إشارة المرور الحمراء انتظر دقيقتين حتى تلوح الخضراء ، خير من أن تقف موقفاً أمام إنسانٍ سيحاسبك بقسوة إن خالفت ، الإنسان المؤمن كريم ، لا ينبغي للمؤمن أن يُذل نفسه ولا ينبغي له .. اطلبوا الحوائج بعزة الأُنفس فإن الأمور تجري بالمقادير .. من جلس إلى غنيٍّ فتضعضع له ذهب ثلثا دينه .

إليك هذه القصة التي من المناسب أن أذكرها لكم ..

روي أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ يسأله فقال : - لك في بيتك شيء ، قال : بلى ، جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقدح نشرب فيه الماء ، قال : (اتنني بهما قال فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ثم قال (من يشتري هذين ؟) فقال رجل أنا آخذهما بدرهم قال (من يزيد على درهم ؟) مرتين أو ثلاثاً قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين . فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلِكَ واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ففعل فأخذه رسول الله ﷺ فشُد فيه عوداً بيده وقال (اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً) فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فقال (اشتر ببيعها طعاماً وبيعها ثوباً ثم قال : هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو دم موجع .

[رواه أبو داود وابن ماجه]

العلماء فسروا هذا الموقف . . أن الإنسان إذا قلق على أهله يضعف إنتاجه فهو لا ينتج ، أما حينما يوفر الطعام لأهله فإنه يعمل وينتج .

النبي عليه الصلاة والسلام قال له : « اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلِكَ واشتر بالآخر قدوماً واذهب فاحتطب » ، عاد بعد سبعة أيام وقد جمع عشرة دراهم ، قال : « هذا خيرٌ لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » ، علمه درساً في التعفف عن المسألة ، كما علمه أن عليه أن يقرع أبواب الرزق التي شرعها الله لعباده .

فالإنسان إذا فتح على نفسه باب مسألة ، فتح الله عليه باب فقرٍ .

لأن الذي أعطى غيرك سوف يعطيك.. فالذي يلفت نظري أن شاباً مؤمناً تكون الطرق كلها أمامه مغلقة ، فيطرق باب الله تعالى قائلاً : يارب! الأمر بيدك وقد تعلق قلبه ورجاؤه بالله فهل يرده الله خائباً؟ لا . لن يرده الله إلا موفوراً .

قال لي أخ كريم : صليت قيام الليل ودعوت الله من أعماقي أن يرزقني كي أتزوج ، وذكر لي : أنه يملك محلاً في أطراف المدينة لتصليح مكيفات ، ولكنه لا يطرق باب محله ولا زبون واحد ، وتابع قائلاً : وأنا على أحر من الجمر أريد الزواج ، وخطبت فتاة صالحة وممتازة ، لكنها تنتظر مني أن أعطيها شيئاً ، وأن أخطبها رسمياً ، وأن أعقد العقد ، وأيقنت ألا ملجأ ولا ملاذ إلا الله ، فهو الملجأ والملاذ ولا أحد سواه ، فقامت ذات ليلة وصليت ركعتين في جوف الليل ، وسألت الله في السجود أن يرزقني رزقاً حلالاً طيباً كي أتزوج ، ولم يلبث وهو يقص القصة أن بكى ، وقال : والله خلال مدة عشرين يوماً حصلتُ على سبعين ألف ليرة من المحل نفسه ، ثم قال : وتهافت الزبائن على المحل بعضهم لتصليح جهازه أو لتركيب أجهزة جديدة وجرى بيع كثير ، وكان قد مضى على المحل مفتوحاً سنتان ، وكانت أموري خلالها بائسة ، ثم بالدعاء والابتهاال فتح الله ما كان مغلقاً ، والأمر بيد الله عز وجل .

إن الحديث الذي أذكر به دائماً وهو من أدق الأحاديث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَوْلا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ الْوُضُوءِ ، وَلَأَخَّرْتُ الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِ اللَّيْلِ فَإِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

جَلَّ وَعَزَّ فَقَالَ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ ؟ » [مسند الإمام أحمد] .

لأيام طويلة ربنا عزَّ وجلَّ ولحكمة بالغة يُقَطِّعُ آمالك من الخلق ، فإذا يشئت منهم فتح لك بابه ، فأنت كن ذكياً المعياً واتجه إليه مباشرة ولا تطرق باب الخلق أصلاً .

إذاً : الكرم ضدُّ اللؤم .. والكرم في أدق تعاريفه فعلٌ ما ينبغي لا لغرض .

أكثر الأجانب أذكاء جداً قد ينتزعون إعجابك بدقَّة مواعيدهم ، وياتقان صنعتهم ، لكن غرضهم الربح ، غرضهم التنمية بالتعبير الاقتصادي الحديث ، غرضهم رفع مستوى الأرباح ، لذلك يعتنون جداً بصناعاتهم وبتجارتهن وبمواعيدهن وياتقان منتجاتهن . هم يفعلون ما ينبغي ولكن يفعلونه لغرض .. أما الكرم فهو أن تفعل ما ينبغي لا لغرض قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرُوحِهِ اللَّهِ لَا تُبَدِّلُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [الإنسان : ٩] .

فمن وهب المال لجلب النفع ، أو لدفع الضرر ، أو للخلاص من ذمٍّ فليس بكريم ، وبعد ، إذا عمل الإنسان عملاً بطولياً ، كأن يقول لك : هذا لأغراض انتخابية ، فهذا ليس بطولياً .. وفي العالم كله إذا عمل إنسان عملاً بطولياً فهو بمقياس الناس عمل إنساني ، ما الذي يفرغه من مضمونه ؟ أنه لأسباب انتخابية فقط ، إذا تداعى العمل وهوى صاحبه ، فهذا معنى إحباط العمل .. أما المؤمن فإنه يفعل الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله لا لمديح ولا لثناء ولا لمكافأة ولا لذكرٍ يجري بين الناس .

لا يخضع لنزوة ، لا يخضع لضغط ، لا يخضع لفقر ، لا يخضع لطمع ، الطمع أذلّ رقاب الرجال ، كاد الفقر أن يكون كفراً ، الإنسان يحبّ عشيرته ، وأبناء ملّته ، وأبناء جلدته يحبهم إلى درجة الكذب والنفاق ، ويكره أعداءه إلى درجة الظلم يجحف بحقّهم ، من هو الحرّ ؟ الذي ينطق بالحق ولو كان مرأ .

إلا أن العلماء قالوا : « الحرية تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ، كمن ينفق مالاً في تجهيز جيش في سبيل الله » . . ، حينما جهّز عثمان بن عفّان رضي الله عنه الصحابيّ الجليل جيش العسرة بأكمله قال رسول الله ﷺ : « ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم » ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يقدر المعروف .

أحياناً يقدم إنسان خدمات إلى المسجد مثلاً ، أو يقدم خدمات لدعوة ، يقوم بعمل طيب ، يسهم في خدمة الآخرين ، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وأنا لا أنسى أبداً الآية الكريمة التي تذكر أن امرأة عمران وهبت ما في بطنها محرراً لله تبارك وتعالى ، قال سبحانه :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣٥] .

هل هناك شخص ليس له ميزة . مستحيل ، هذا يتقن الرياضيات ، وآخر يتقن العلوم ، وثالث اللغات ، وهذه المرأة تتقن الطبخ مثلاً ، إنها امرأة أصيبت بمرض خبيث في دماغها وشفأها الله عزّ وجلّ فنذرت لله عزّ وجلّ أن تعمل صالحاً ، فقيرة لا تملك من حطام الدنيا

شيئاً ، فاستأجرت غرفة وصارت تطبخ الطعام الشهى النفس وتبيعه للأسر الغنية التي تحب أن تأكل طعاماً بيتياً ، وبالربح صارت تعالج المرضى ، هذا مثل حي وناطق . . امرأة لا تملك إلا فنَّ الطبخ وظفت هذه القدرة في العمل الصالح وبدأت تسدّد نفقات عمليات وخدمات للفقراء المرضى فقد تقرّبت إلى الله بطبخها .

هل يوجد إنسان ليس له ميزة ؟ ؟ . امرأة عمران ماذا تملك ؟ تملك مافي بطنها قالت : ربّ إني نذرت لك مافي بطني محرراً .

في مجتمعنا أخ محام ، وأخ طيب ، وأخ مهندس ، وأخ مدرس ، وإنسان حالته المادية جيدة ، وإنسان عنده قدرة على الإقناع ، وإنسان عنده خبرات معيّنة ، فتجد الحياة تحتاج إلى تعاون ، قدّم شيئاً ما لله عزّ وجلّ ولا تعجز .

عن ابن الخصاصية السدوسي قال : أتيت رسول الله ﷺ أبايعه فاشتراط عليّ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله فقلت : يا رسول الله أما اثنتان فلا أطيعهما : الزكاة فوالله مالي إلا عشر ذود (ذود : جمال) هن رسل أهلي وحمولتهم ، وأما الجهاد ؛ فيزعمون أنه من ولي الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إذا حضرني قتال خشعت نفسي (أي : فزعت) فكرهت الموت ، فقبض رسول الله ﷺ يده وحركها وقال : لاصدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة ؟ فبايعته عليهن كلّهن .

قال له : لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة ؟

والله أنا أحياناً أكون ممتناً جداً ومسروراً من بعض الإخوة إذ يقول

لي أحدهم : أنا محامٍ إذا اتصل بك أخ فقير له قضية فابعثه إليّ ، فالله يجزيك الخير.. ويقول لي آخر : أنا محلل في مخبر إذا علمت بأخ فقير يريد أن يحلل فأنا جاهز.. أنا طبيب لو أرسلت لي أخاً فقيراً أعالجه مجاناً.. وذات مرة أخ من إخواننا الكرام جرّاح ، قال لي : أنا مستعد أن أستقبل أيّ أخ يريد إجراء عملية ، بعثنا له أول أخ عمل له عملية بالمشفى وفي الدرجة الثانية ونجحت العملية ، بعثنا له أخاً ثانياً وأخاً ثالثاً.. فهذا أدى زكاة اختصاصه وجزاه الله خيراً كثيراً ، فيجب أن نتوسّع في مفهوم الزكاة ، فهناك زكاة مال ، وهناك زكاة وقت ، وزكاة خبرة.. إلخ .

لنا قريب عنده محل للحلويات في ساحة المرجة بدمشق ، وهذه القصة منذ ثلاثين سنة دخل لمحله شخص أرمني ، قال له : هل تعلّمني صناعة الفرنية « الكاتو » ؟ فاستجاب له : ولّبي طلبه وعمل أمامه طبخة - خلطة - وأدخلها إلى الفرن وقال له : اكتب الكمّيات والمعايير ، ثم كلفه أن يقوم بعمل طبخة واحدة أمام صاحب المحل ، فعمل طبخة أمامه ، ثم أقسم صاحب المحل : والله يا أستاذ منذ ثلاثين سنة وكل سنة يزورني ذاك الشخص ويحضر لي هدية من القامشلي ويقول : كل هذا الخير من فضلك.. لم يَضِعْ معه المعروف.. هذا ماذا فعل ؟ أدى زكاة خبرته ، ومن الممكن أن تؤدي زكاة مالك ، زكاة وقتك بدرس علم ، زكاة خبرتك علّم . بعث شخص ابنه لمحل بدون أجر ليعلمه الصنعة فلم يعلمه ، بل كان صاحب المحل عندما يريد أن يفك المحرك يقول له : اذهب خارج المحل ، لم يعلمه خوفاً من أن ينافسه ذات يوم.. علّمه يا رجل ، والله هو الرزاق ، أدّ زكاة خبرتك ، أدّ زكاة مالك ، أدّ زكاة وقتك ،

أدّ زكاة صحتك ، أعن المرضى ، أدّ زكاة وقت فراغك ، أعن الضعفاء .

إذا من الحرّ ؟ قد يقال : فلان حر إن صدرت عنه محاسن صغيرة وكبيرة ، أما لا يقال له كريم إلا إن صدرت عنه المحاسن الكبيرة ، كمن ينفق ماله في تجهيز جيش بأكمله ، كمن يتحمّل ديات القتلى ويحقن دماء المسلمين ، هذا عمل جليل .

أما النقطة الدقيقة في دلالتها ومعناها فهو أنه ليس المهم أن تقرأ الآية وتردها بلسانك كثيراً ، لكن المطلوب منك أن تدقق في معانيها . قال الله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾ . . أعلاكم مكانة عند الله وأشرفكم وأقربكم إلى الله أتقاكم . . المعاني مفهومة واضحة ، فهل عملت بها ؟ الله - عز وجل - يعلمك أن المقياس عنده التقوى أي الطاعة ، قال الله تعالى :

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

﴿ يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

أتحب أن تكون عند الله أكرم الناس ؟ أطعه . . الشيء بين يديك مبذول ، آلاف الناس لن تستطيع أن تصل إليهم ، ولن تستطيع أن تخطب ودّ أحدهم ، ولن تستطيع أن تقابله فالأبواب دونه مغلقة ،

لَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ خَالِقُ الْكَوْنِ يَقُولُ لَكَ : ﴿إِنْ أَكْرَمَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقْنَاكَ﴾ ، فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَطْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اللَّهُ يَقْرِبُهُ وَيَرْفَعُ لَهُ مَكَانَتَهُ ، أَمَا إِذَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْكَرَمِ ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ الْمُتَلَاحِقِ .

جاء اسم الأكرم في قوله تعالى في سورة العلق : ﴿أَتَرَأَى وَرَيْكَ الْأَكْرَمَ﴾ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ ، أَيُّهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ ، هُوَ الْمَعْطَى ، هُوَ الْمُسْعَد ، هُوَ الْمُحْسَن ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - لَا يَرُونَ إِحْسَانَ اللَّهِ .

أحياناً تؤدي عن إنسان أجرة الركوب في السيارة خمس ليرات تكرمه له ، فتجده طوال الطريق يَشْكُرُكَ بعبارات مترادفة وهو مسرور منك كأن يقول لك : جزاك الله الخير ، ويعيدها لك عدّة مرّات من أجل خمس ليرات أكرمه بها .

فالذي منحك نعمة الوجود بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، نعمة الإيجاد ، نعمة الإمداد ، نعمة الهدى والرشاد ، خلق لك من جنسك امرأة هديّة لك هي آية سكن ومودة ورحمة ، آواك في بيت ، أطعمك ألوان الطعام ، خلق لك أنواع الفواكه ، رزقك ابناً يملأ عليك البيت فرحاً وسروراً ، زودك أجهزة دقيقة ، فقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾ (١) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٢) وَهَدَيْنَاكَ النَّجْدَيْنِ ﴿٣﴾ [البعد : ٨-١٠] .

فهذا الذي خلق كل هذه النعم ألا يستحق أن تشكره ، أن تذكره .. إِنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَنِي شَكَرْتَنِي وَإِذَا نَسِيتَنِي كَفَرْتَنِي .

وفي سورة الرحمن أيضاً آية ثانية :

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (١) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧] .

العلماء قالوا : لا ينبغي أن تقول : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ . . . وتقف بل ينبغي أن تتابع الآية فتقول : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

أي أن الله عزَّ وجلَّ هو المكرم ، هو الكريم ، هو المعطي ، منحك كل النعم ، أما هذا الإنسان الجاهل الغافل فهو مسكين إذ يعزو هذه النعم إلى غير الله ، فيعزوها تارة إلى ذكائه .

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أُولَٰئِكَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾

[القصص : ٧٨]

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف : ٥١] .

وقد يعزوها إلى مهارته في العمل أو حسن حظه .

والإنسان ينبغي أن يعلم حقيقة الألوهية . . فالكون كله عطاء من عطائه . . فأننا أذكر ذلك كثيراً . . فهل من الممكن أن تصدق أن هناك مليون مليون مجرة ، وفي كل مجرة فيها مليون مليون نجم ، أي لو كتبنا رقم واحد وأمامه أربعة وعشرون صفراً فما هذا الرقم !!! إنه رقم خيالي وكل هذه الكواكب والنجوم مسخرة للإنسان ، الله عزَّ وجلَّ قال :

﴿الَّذِينَ رَأَوْا أَنَّهُ سَحَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾

[لقمان : ٢٠]

فإذا قرأ أحدكم قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ : ﴿الَّذِي عَلَّمَ

بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ ، أَلَا يَشْعُرُ بِرَعْشَةٍ ، بِخَفْقَانٍ ، بِجِلْدٍ يَقْشَعِرُ ، بِقَلْبٍ يَخْفَقُ . .
﴿٢﴾ أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ .

الدين أساسه الحب ، إذا ألغى الحب من الدين صار الدين ثقافة ،
وطقوساً ، وفلكلوراً ، وعادات ، وتقاليد ، ومعلومات ، ومشاعر ،
وكتباً وهكذا ، أما إذا كان في الدين حُبٌّ فإنه يفعل كل مستحيل .

النبي عليه الصلاة والسلام قال لفاطمة : ما يمنحك أن تسمعي
مأوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم
برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين
[النسائي والبيهقي] .

ومر يزيد بن الصامت الزرقى وهو يصلي وهو يقول اللهم إني
أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بدیع السماوات
والأرض يا ذا الجلال والإكرام فقال رسول الله ﷺ لقد سألت الله باسمه
الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

قال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَإِكْرَامٍ﴾ .

وبعد ، فمن إجلال الله عز وجل ، من إجلالك لكرمه فقد قال
العلماء : المؤمن يُجَلُّ الله فلا يعصيه ، ويطيعه فلا يخالفه لأنه ذو
الجلال والإكرام وذو العظمة والكبرياء ، فلا أريد أن أطيل . . الكافر
يقف عند النعمة ، ويعمى عن المنعم ، والمؤمن يتجاوزها إلى
المنعم .

النبي عليه الصلاة والسلام كانت تعظم عنده النعمة مهما دقت ،
والمؤمن يتقلب في نعم الله ، وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه

قال : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا آل بيتي لحبي » .

وأخرج البيهقي من حديث ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ روي عنه أنه قال : « إن داود عليه السلام قال فيما يخاطب ربه عز وجل : يا رب! أي عبادك أحب إليك أحبه بحبك ؟ قال : يا داود أحب عبادي إلي نقي القلب ، ونقي الكفين ، لا يأتي إلى أحد سوءاً ، ولا يمشي بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبني وأحب من يحبني ، وحبيبي إلى عبادي ، قال : يا رب! إنك لتعلم أني أحبك وأحب من يحبك ، فكيف أحبيك إلى عبادك ؟! قال : ذكرهم بآلاني وبلائي وبنعمائي ، يا داود! إنه ليس من عبد يعين مظلوماً ، أو يمشي معه في مظلمته ، إلا أثبت قدميه يوم تزول الأقدام » .

ذكرهم بآلاني كي يُعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني .

فالمخلص : أنه لا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم الله ، وخوف منه ، وحب له ، تعظيم بالآلاء .. وتخويف بالمصائب .. ومحبة بالنعم .

كأس من الماء تشربه وطريق الخروج سالك نعمة كبرى ، فلو كان غير سالك فالآلام حصر البول لا تُحتمل ، فيلزمه الذهاب للإسعاف في الساعة الثالثة ليلاً لفتح مجرى البول ، أكلت طعاماً .. والطريق سالك نعمة أخرى كبرى ، أيضاً لو كان هناك انسداد .. قال تعالى :

﴿ تَتْلُو الْجَنَّةُ أَلْفِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرٍ لَذٍّ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَقْفَرَةٌ مِنْ رَحْمَتِهِمْ

كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿ [محمد : ١٥] .

﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ . . فالأمعاء ليس بها إحساس لا بالحر ولا بالبرد ، فلو وضعت فيها ماء يغلي فلا إحساس عندها ، أما آلام الضغط داخلها فإنها لا تُحتمل ، إذا أكلت طعاماً وكان الطريق سالكاً ، مشيت متوازناً . فلو اختلَّ جهاز التوازن لاحتجت إلى عصا لتمشي مستعيناً بها ، فأنت تمشي متوازناً ، والأجهزة تعمل بانتظام ، والحواس الخمس سليمة . . فهذه من نعم الله العظمى .

أذكر وأردد مرة ثانية . . . الآلاء للتعظيم ، والنعم للحب ، والمصائب للخوف . . بالخوف تنقي أن تعصيه ، وبالحب تقبل عليه ، وبالتعظيم تتابع الرقي إليه . . وهذا من بعض الخواطر الإيمانية المتعلقة باسم الله الأكرم . . ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿ . .

وفي النهاية لا بد من أن تقول : أنت إنسان أودع الله فيك قوة إدراكية فإن لم تتعرف إليه عطَّلَها ، وإذا عطَّلَ القوة الإدراكية هبطت إلى مستوى لا يليق بك .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تُهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

المُضِلُّ

من أسماء الله الحُسنى المضل ، وهو اسم زائد على الأسماء التسعة والتسعين التي ورد فيها الحديث .

قبل أن نشرع في الحديث عن هذا الاسم لابدّ من مقدّمة ، هذه المقدمة لغويّة . الكلمة تحتل من المعاني بقدر ما يملك الإنسان من خبرات ، كأنّ الكلمة مشجّب يعلّق عليه كلّ إنسانٍ ما يملكه من خبرات حول هذه الكلمة ، لذلك هناك خطرٌ كبير هو أن نملك مفهوماً خاطئاً عن كلمة ، فكلّما ذكرنا هذه الكلمة حمّلناها ذلك المفهوم .

مثلاً . كلمة جرثومة في استعمالاتنا اليوميّة هي كلمةٌ تشير إلى المرض ، أمّا أن يقف شاعر كأبي تمام يقول وهو يخاطب خليفةً كبيراً كالمعتصم « محمد بن هارون الرشيد » :

خليفة الله جازى الله سعيك عن جرثومة الدين والإسلام والحسب
فمعنى ذلك أنّ كلمة « جرثومة » وقت أن مدح الشاعرُ الخليفةَ بها كانت تعني شيئاً حميداً ، كانت تعني « أصل الشيء » ، فلمّا سمينا تلك الكائنات المجهرية التي هي سبب الأمراض جراثيم ، فلم يعد من المناسب أن تمدح إنساناً وتصفه بأنّه جرثومة ، إذأ هذه الكلمة حملت معنىً في حقبةٍ ما غير المعنى الذي تحمله الآن .

فكلمة استعمار ، هذه الكلمة ليست محببة ، لأنَّ أقوياء منحرفين معتدين احتلوا بلاداً كثيراً ونهبوا ثرواتها وقهروا أهلها واستعبدوهم فسمَّوا أنفسهم مستعمرين بمعنى أنَّهم أرادوا أن يُعَمَّرُوا الأرض ، فالممارسة المؤلمة المخاطئة والتي أُلصقت بهذه الكلمة أعطتها معنى لا يُقبل الآن أن يمدح بها إنسان ، ومن أجل أن يقف القارئ الكريم على إيجابية كلمة « استعمار » فليقرأ قوله تعالى في سورة هود : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا ﴾ . [هود : ٦١] .

أردت من هذه المقدمة أن نحرر مفاهيم الكلمات مما لصق بها من خبرات . فربَّما كانت الكلمة لها معنى في اللُّغة غير هذا المعنى .

العلماء قالوا : « لا ينبغي أن نذكر اسم (المُضِل) إلا مع اسم (الهادي) ، ولا ينبغي أن نذكر اسم (الضار) إلا مع اسم (النافع) ، ولا اسم (المُذِل) إلا مع اسم (المُعِز) ، ولا اسم (الخافض) إلا مع اسم (الرافع) ، ولا اسم (القابض) إلا مع اسم (الباسط) .. فهو يقبض ليسط ، ويخفض ليرفع ، ويُذِل ليعز ، ويأخذ ليعطي ، ويضلُّ ليهدي » ، ما دامت أسماء الله حُسنى وصفاته فضلى .. إذاً لا بدَّ من تفسير لهذه الأسماء الحسنى يليقُ بكمال الله ، و يليق بعظمته ، و يليق بقدرته ، و يليق بعدالته ، و يليق برحمته .

الاسم (المُضِل) ربَّما من خلال الممارسات وجدنا أنَّ إنساناً يُضلُّ إنساناً آخر ، فهذا العمل ليس محبوباً عندنا ، ليس عملاً مستحسناً أن يُضلَّ إنسانٌ إنساناً ، إنَّه عملٌ مخالفٌ للقطرة ، مخالفٌ للقيم الإنسانية الرفيعة ، أما إذا قلنا : إنَّ الله هو المُضِل فلا بدَّ لهذا الاسم من معنى يليق بكمال الله .

كما هي العادة نقف وقفة متأنية عند اللُّغة.. فالمُضِلُّ اسمٌ من أسماء الله الحُسنى التي تضاف إلى التسعة والتسعين اسماً التي وردت في الأحاديث .

الضلالُ : النسيان والضياع .. فقد قال تعالى :

﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] .

وضلَّ الكافر.. إذا غاب عن علة وجوده الذي خُلق من أجلها .

إنسان ذهب إلى بلد غربي لينال الدكتوراه ، فنته تلك البلاد بمسارحها ومقاصفها ونواديها وحدائقها وشهواتها فانغمس في هذه الشهوات وضلَّ عن هدفه الذي أرسل من أجله ، فيقال : هذا الطالب ضالٌّ أي : غاب عن الهدف الذي جاء من أجله ، وقد يكون الضلال هو الانحراف عن الطريق المستقيم.. فالطريق المستقيم إذا خرج الإنسان عنه فقد ضلَّ ضلالاً ميبئاً .

أضله.. جعله ضالاً.. إذا قلنا : فلانٌ (أضلَّ فلاناً) أي جعله ضالاً ، أما إذا قلنا : الله جلَّ جلاله (أضلَّ فلاناً) أي : وجده ضالاً وعلمه ضالاً.. هذا معنى آخر .

يقال : « الضلالُ كلُّ عدولٍ عن المنهج عمداً أو سهواً ، يسيراً أو كثيراً » .

في الحقيقة : وردت كلمة الضلال في القرآن الكريم كثيراً ، وورد أن الله يضلُّ الكافرين ، فكيف نفسّر هذا الاسم الذي هو بالتأكيد من أسماء الله الحُسنى ، وبالتأكيد لو عرفت مضمونه لذابت نفسك محبةً لله عزَّ وجلَّ ؟

قال بعض العلماء : « إِنَّ إضلال الله تعالى للإنسان على أحد

وجيهين ، أحدهما أن يكون الإنسان ضالاً .. أي اختار الضلال فقدّر الله عليه الضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري .. هذا ذكرته كثيراً ، إذا عَزِيَ الإضلال إلى الله فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري .. إذا قلنا إنّ رئاسة الجامعة قد طردت هذا الطالب من الجامعة فليس معنى هذا الكلام إلّا أنّ الطالب رفض أن يدرس ، ورفض أن يُداوم ، ورفض أن يُقدّم الامتحان ، ورفض أن يجيب عن الإنذارات ، وتجاهل كلّ دعوةٍ إلى أن يعود إلى الجامعة ، عندئذٍ لم تجد رئاسة الجامعة بداً من أن تصدر قراراً يجسّد سلوك الطالب ، يُجسّد اختيار الطالب ، فإذا عَزِيَ الإضلال إلى الله فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري .

لو فتحنا معجم اللّغة وأردنا أن نستشِفَّ معنى فعل أَفْعَلَ ، فعندنا فِعْلٌ (فَعَلَ) وهو فعل لازم ، وأما (أَفْعَلَ) فقد يأتي للتعدي .. ذهب أذهب ، ضلَّ : تاه ، أَضَلَّ .. من معنى الفعل الثلاثي المزيد بهمزةٍ في أوّلِهِ « أَفْعَلَ » فأضل تفيد الوجدان أو العلم ، كأن نقول : اختبرتُ هذه القبيلة فما أجبتُها .. أي ما وجدتها جبانةً ، أو نقول : عاملتُها فما أبخلتُها .. أي ما وجدتها بخيلةً ، إذاً معنى أضله .. هناك معنى آخر أي أنّه وجده ضالاً ، علمه ضالاً ، أعطاه الخيار ، فاختر الضلال فحكم الله عليه بالضلال فأضله .

الشيء الدقيق .. لو أخذنا جامعة كمثال .. فليست البطولة أن ينجح جميع الطلاب بعلاماتٍ تامّة ، ولكنّ كمال هذه الجامعة أن تأتي علامات الطلاب مطابقةً لمستوياتهم العلميّة ، فتطابق النتائج مع المقدّمات هو الكمال ، أما أن نتظر من جامعةٍ ما أن يكون طلابها جميعاً في الدرجة الأولى فهذا يتنافى مع طبيعة الإنسان المخير ، إلا

أنَّ النتائج إذا جاءت مطابقةً للمقدمات فهذا هو الكمال .

فالإنسان حينما يختار الضلال يذكره الله فلا يذكر ، يُنذره فلا يتأثر ، يدله فلا يسلك ، يخيفه فلا يتوب ، يكرمه فلا يشكر ، كما تعلمون ؛ أن الله جلَّ جلاله يهدي الإنسان بياناً ، ثم يأتيه تأديباً ، ثم يهديه إكراماً . . لم يستجب في البيان ، ولا في التأديب تضرّع ، ولا في الإكرام شكر ، فإذا أصرَّ على الضلال فبحسب قوانين الله عزَّ وجلَّ وبحسب سنته في الكون هذا الإنسان الذي اختار الضلال بمحض مشيئته سوف يسلك الله به إلى النار ليدفع الإنسان به ثمن اختياره .

الشيء الثاني . . معنى الإضلال كما قلت قبل قليل : الحكم على هذا الإنسان بأنَّه ضال والعدول به عن طريق الجنة إلى النار وهذا العدول حقٌّ وعدل .

وهناك معنى ثالث . . هو أنَّ الله سبحانه وتعالى جَبَلَ نفسية الإنسان جِبَلَةً بحيث إذا اختارت طريقاً تألفه يصعب أن تحيد عنه ، فَمَنْ شَبَّ على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء حُشِرَ عليه ، فلو أنَّ الإنسان اختار طريق الضلال ، وأَلَفَ الضلال ومارسه ، وانغمس في المعاصي والآثام وأَلَفَ هذه الحياة ، فإنه يصعب عليه بناءً على جبَلَّتِه أن يغير ما أَلَفَ ، هذه الجِبَلَّة التي يصعب عليها أن تُغَيَّرَ المألوف عندها ، هي في الأصل لمصلحة الإنسان .

في علوم الفيزياء قانونٌ يسمى : « قانون العطالة » ، فالأشياء المتحرَّكة ترفض السكون ، والأشياء الساكنة ترفض الحركة ، فلو كنتَ

تركب مركبةً وأوقف السائق المركبة فجأةً فأنت كراكب ترفض أن تقف فتتابع الحركة ، هذا الذي يدفع صانعي السيارات لوضع أحزمة الأمان في المقاعد لتكون كراكب مرتبطاً بالمركبة ولست حراً ، فالمركبة حينما تقف فجأةً يبقى الراكب مندفعاً نحو الأمام وقد يموت بهذا الاندفاع فلا بدّ من حزام الأمان ، وهذا أساس مبدأ العطالة ، والأشياء الساكنة ترفض الحركة ، فلو كنت جالساً في مركبة وأقلعت تشعر أنّ شيئاً دفعك نحو الخلف ، فالمقعد دفعك من جهة الخلف لأنك ترفض الحركة والمركبة تحرّكت . . فهذا القانون لصالح الإنسان . فلو أن الإنسان هُديّ هدايةً كبيرة جداً ولسببٍ تافهٍ يعدل عن هذه الهداية ، فهذه مشكلة كبيرة تواجهه وتحدث عنده خللاً .

فأنت جبِلْتِك تقترب من مبدأ العطالة ، فإذا ألقت الهدى تابعت الهدى ، وبالمقابل ؛ إذا أَلَفَ الإنسان الضلال تابع الضلال ، فهذا القانون قانونٌ ذو حَدَّيْن لمصلحة المؤمن ، كذلك ليس لمصلحة الكافر ، المؤمن يزداد به إيماناً والكافر يزداد به كفرًا ، والحياة أساسها الاختيار ، فكل شيء حيادي ، فهذا القانون يمكن أن يكون لمصلحة المؤمن ، ويمكن أن يكون لغير مصلحة الكافر .

ففي جبلة الإنسان ، أنّ الإنسان إذا سلك طريقاً محموداً أو مذموماً ألفه واستطابه ولزمه وتعدّر عليه صرفه أو انصرافه عنه ، لذلك أهون شيء أن ترشد الصغار لأنهم لَيِّنُو العود ، أما الكبار فقد ثبتوا على طريقة معيّنة فمن الصعب جداً أن تغيّر سلوك الكبير لأنّه ألف شيئاً يصعب عليه أن يتركه .

فالإنسان الجاهل بالله عزّ وجلّ ، والجاهل بمعاني الكلمات قد

يفهم الإضلال فهماً لا يليق بكمال الله عز وجل ، قد يفهمه أن الله أضله أي جعله ضالاً وخلق فيه الضلال ، يارب إذا خلقت فيه الضلال فلماذا تحاسبه ؟ هذا المعنى لا يليق بالله عز وجل . . فبناءً على أن المقدمات لابد لها من نتائج متوافقة معها . فمن اختار الضلال بمحض مشيئته وأصر عليه خلقه الله فيه جزاء لا ابتداء . . هذا معنى .

والمعنى الثاني أن طبيعة الإنسان ذات عطالة ، فإذا ألفت الخير ثبتت عليه ، وإذا ألفت الشر ثبتت عليه ، فهذا القانون حيادي يمكن أن يكون لمصلحة المؤمن ، وقد لا يكون لمصلحة غير المؤمن .

لذلك إن الإنسان إذا انتبه للهدى في وقت مبكر ، فهذا من نعم الله العظمى لأنه سيبنى بيتاً إسلامياً ، وسيختار عملاً إسلامياً ، أما إذا تأخر في البداية ، فقد يجد نفسه ضائعاً فيته ليس إسلامياً ، وعمله ليس إسلامياً ، وقد ألفت حياة التفلسف عندئذ يصعب عليه أن يعود إلى الله كما لو كان شاباً .

لذلك يقول الله عز وجل :

﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [التوبة : ١١٥] .

فعندما يختار الإنسان الهدى ، والله سبحانه ييسر له سبيل الهدى يستحيل على كمال الله عز وجل أن يضلّه بعد أن اهتدى إليه . . لذلك : ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ ۚ ﴾ .

والمؤمنون كما قال الله عنهم : ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۚ ﴾ سَيِّدِهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿ قال تعالى :

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْصَرَكُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيْبَلُوا بِبَعْضِكُمْ بَعْضٌ وَالَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [سَيِّدِهِمْ وَيُصْلِحْ بِأَلْهَمُ] [محمد : ٥-٤] .

ومعنى آخر.. إن الكافر أحياناً يُضِلُّه الله لا عن ذاته تعالى ، بل عن شركائه ، فلو أنَّ إنساناً أشرك جهةً مع الله أَيْةً جهةً ، فمن تربية الله له ، ومن تأديب الله له ، أنَّ هذه الجهة التي أشركها مع الله يسجُرُها الله لتخييب ظنُّه ، ويجب أن يُحْبِطَ عملُ هذا الإنسان الذي اعتمد فيه على شريكٍ لله عزَّ وجلَّ ، كأنَّ الله أضلَّهُ عنه ولم يبق له إلا الله .

والحقيقة : ما أكثر ما يقع هذا الشيء . فكلِّما علَّقت الآمال على جهةٍ أرضيةٍ ؛ على ابنٍ مثلاً ، أو على زوجة ، أو على أخ ، أو على صديق ، علَّقت عليه الآمال ونسيت الله عزَّ وجلَّ فلا بدَّ أن يخيب ظنُّك ، هذا الذي علَّقت عليه الآمال ، قد يكون هو وفيّاً لكن يُلْهمه الله أن يخيب ظنَّك ليضللَّك عنه ، كي تتجه إلى الله وحده لا إلى أحد في الأرض .

فلو أنَّ إنساناً له صديقٌ قوي يعمل في منصبٍ حساس ، وقال له : أنا في خدمتك ، فأَيَّة قضيةٍ آلمتك فتعالَ إليّ ، فهذا الإنسان يتكىء على هذا الصديق ويشعر بالأمن والقوة ، أشرك وهو لا يدري ، ونسي الله وهو لا يدري ، فلو أنَّه استجاره مرةً ، وطرق بابه ووجد منه خلاف ما يظن فيرى أنه قد يتخلى عنه ، ووقف منه موقفاً سلبياً قاسياً ، فهذا التخلي أو تلك القسوة بإلهام الله لهذا القوي كي يضلَّ هذا المشرك عن شريك الله عزَّ وجلَّ .

فإذاً ، كلِّما قلت : أنا ، أو نحن ، أو زيد ، أو عُييد تخلَّى الله

عنك ، وإذا قلت : الله .. تولأك ، فانت دائماً وأبداً بين التولي والتخلي ، إذا وحدث الله تولى أمرك ، وإذا أشركت معه تخلى عنك .. وهذا الدرس نحتاج إليه كل يوم .

كل إنسان له عمل ، له خبرات ، عنده مال ، يستند إلى مراكز قوة ، عنده إيجابيات ، عنده قدرات ، عنده ملكات ، إذا اعتمد على ملكاته ، على قدراته ، على أمواله ، على جماعته ، على أقربائه ، على إمكاناته ، على شأنه ، على وجاهته ، على ذكائه ، على رصيده ، كلما اعتمد على شيء أرضى تخلى الله عنه .

أضله عن هذا الشريك ليوحد ، فالمؤمن لو أنه أخذ بالأسباب فعليه ألا ينسى مسبب الأسباب ، ولو أنه وسط فلاناً في قضية ما فعليه ألا ينسى أن الله هو الملهم وأن الخير والتوفيق بيده .. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ [محمد : ٨] .

لماذا لم يرد في القرآن إطلاقاً أن الله أضلّ مؤمناً ؟ فهذه النقطة نقطة إيجابية دقيقة .. لأن المؤمن آمن فقد قال تعالى عنه :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ [مريم : ٧٦] .

وقال تعالى عن أهل الكهف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] .

أي أن قضاء الله وقدره مع المؤمن ومع الكافر ، فالمؤمن إذا اختار الهدى يزداد هدى ، إذا آمن يُلقى الله في قلبه السكينة ليزداد إيماناً مع

إيمانه ، إذا اتخذ قراراً يرضي الله عزَّ وجلَّ شرح الله له صدره ، أما إذا اتخذ قراراً يسخط الله عزَّ وجلَّ فلسوف يضيق صدره ويصبح صدره حرجاً ضيقاً كأنما يصعد في السماء كما قال تعالى :

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ .. من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ » [صحيح مسلم] .

إذاً : معنى الإضلال معنى دقيق جداً ، الله جلَّ جلاله هو الكامل ، فأئني فهم لكلام الله عزَّ وجلَّ على غير الكمال الذي يليق بالله هذا فهم خاطيء .

في معجم ألفاظ القرآن الكريم قال : أضله .. وجده ضالاً .
قد يتوهم أن معنى أضله أي : خلق فيه الضلال .. كما قيل في بيت من الشعر :

ماحيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال أيها الرائي
ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالماء^(١)

(١) البيت من كلام الحلاج وقد ردَّ عليه الشيخ عبد الغني النابلسي في قصيدة مطلعها :
قد قال من قال من جهل وإغواء عن حكم تكليف ربي عبده الثاني =

عقيدة الجبر عقيدة زائغة ، عقيدة مرفوضة ، عقيدة لا تليق
بكمال الله عز وجل ، لا تليق بكماله ، وتتناقض مع تكليف الإنسان ،
ومع حرية اختياره ، ومع كسبه ، ومع الثواب والعقاب ، ومع الجنة
والنار ، عقيدة الجبر تنفيها آية كريمة قال تعالى :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ
كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ
فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

قال علماء اللغة : « أضلّه .. وجده ضالاً » ، كأن تقول أحمدته
وأبخلته ، أي وجدته محموداً وبخيلاً .. أحمدته وجدته محموداً ،
أبخلته وجدته ببخيلاً .

عندنا قاعدة في أصول الفقه .. الآيات المتشابهات مهما كثرت
تُحْمَلُ على الآيات المحكمات مهما قلّت .. كيف ؟ الكلمة المتشابهة
تشبه معنئ ومعنئ آخر ، إذا قلنا كلمة : خطير .. القمح مادة
خطيرة ، فما معنى خطير ؟ فالقنبلة خطيرة لأنها مدمرة ونقول عنها
سلاح خطير .. واللحم مادة خطيرة أي أساسية في حياة الإنسان ، فيا
تُرى كلمة خطيرة التي وصف بها القمح أو اللحم هل تعني أنها مدمرة
أم أساسية ؟ فلو قلنا : القمح مادة خطيرة ماذا نقصد بها ؟ لو قلنا بعد

ماحيلة العبد والأقدار جارية	عليه في كل حال أيها الرائي
ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له	إياك إياك أن تبتل بالماء
جنى عليه فنى من أهل ملتنا	قد قال في رده نظماً بإنشاء
إن حقه اللطف لم يمسه من بلل	وماعليه بتكليف وإلقاء
وإن يكن قدر المولى له غرقاً	فهو الغريق وإن ألقى بصحراء

حين : القمح مادة مهمة في حياة الإنسان ، فكلمة مهمة تعبير محكم واضح جلي ، كلمة القمح مادة خطيرة كلمة متشابهة ، كيف نفهم كلمة خطيرة ، إذا قرأنا جملة ثانية أن القمح مادة أساسية ، فنحمل كلمة خطيرة على أنها أساسية ، لأن الكلمات المتشابهة تُحمل على الكلمات المحكمة . . هذه قاعدة .

فإذا نطق القرآن الكريم بأن الله سبحانه وتعالى خلقنا ليرحمنا ، وخلقنا ليهدينا ، وإن الله لا يأمر بالفحشاء فقد قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنَ كُفْرًا ۖ ﴾ [إبراهيم : ٨] .

والله سبحانه ﴿ لَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ ﴾ . . قال تعالى :

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الزمر : ٧] .

مادامت آيات كتاب الله تؤكد أن الإنسان مخير ، وأن الشر ليس إيجابياً بل هو شيء سلبي ، وليس مقصوداً لذاته فهو موظف للخير المطلق ، عندئذ يجب أن نفهم معنى الإضلال لا على أن الله خلق في الإنسان الضلال ، بل على أنه أعطاه حرية الاختيار ، فاختار الضلال فوجده الله ضالاً ، ولأن هناك قوانين إلهية فالضلال له نهاية والهدى له نهاية .

يفضل الله من يشاء . . عندنا آية تقوي هذا المعنى قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ لِمَ نُؤَذِّنُكُمْ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] .

﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ .. زيقاً ابتدائياً مختارين به أزاع الله قلوبهم .. زيقاً جزائياً .

وأذكر مرة ثانية بمثل الجامعة ، طالب بمحض اختياره ترك الدوام ، فإنه لم يداوم ، ولم يؤدّ الامتحان ، ولم يشتري الكتب ، ولم يردّ على الإنذارات التي وُجّهت إليه ، ولم يستجب للدعوة للعودة إلى الجامعة ، أصر على هذا الموقف ، وبعد ذلك يصدرُ من إدارة الجامعة قرار بترقين قيده ، هذا القرار تجسيدٌ لإرادته الحرة ، نقول : الجامعة طردته ، الجامعة رَقَّت قيده ، الجامعة جهةٌ خيرةٌ حكيمةٌ أنشأت الجامعة ليتعلّم الطلاب ، لا لتطردهم منها ، ولا لترقن قيودهم منها .

إذاً : نفهم أن ترقين القيد والطرّد من الجامعة نفهمه فهماً جزائياً لا فهماً جبرياً ، فهناك فرقٌ بين الفهم الجزائي والجبري .. ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ، ومن يشاء الهدى يهديه الله .. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ .. فقد قال تعالى :

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْذَابَ الَّذِينَ آمَنُوا إِبْتِنًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَهِ إِلَا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [الم نشر : ٣١] .

هناك معنى آخر للإضلال .. إنسان يتجه إلى حمص ، وقبل حمص رأى طريقين بلا لافتات ، ورأى رجلاً فسأله قائلاً : من فضلك : من أين طريق حمص ؟ قال له الرجل : من هذا الطريق . فقال هذا السائل لهذا المسؤول : جزاك الله خيراً ، بارك الله فيك ،

فلما قبل هذه النصيحة ، وقبل هذا الإرشاد ، قال له الآخر : انتبه فهناك حاجز ، وهناك طريق فرعي ، وهناك مقطع من الطريق شديد السوء فانتبه واحذر.. عندما قبل منه هذا الإرشاد أمده بكثير من التفاصيل.. ولو أنَّ إنساناً آخر وصل لهذا المفترق الذي دون لافتات ، وسأل هذا الرجل : من أين طريق حمص ؟ قال له : من هنا . قال : أنت كاذب ، فهذا الذي يقف على مفترق الطرق هل بإمكانه أن يعطيه تعليمات تفصيلية ؟ رفض دعوته كلياً ، رفض نصيحته كلياً ، رفض دلالاته .

معنى ذلك أنَّ الإنسان حينما يرفض أصل الدين ، حينما يرفض أصل الشريعة ، حينما يرفض منهج الله عزَّ وجلَّ فلن يستفيد من منهج الله وكأنَّ الله أضلَّهُ .

هناك ألف ميزة لطالب الجامعة.. مكتبة مجَّانية ، وإعارة كتب وتعويض ، ولباس مجَّاني ، وبطاقات تخفيض للمطاعم وفي السفر وفي الطائرات ، إذا رفض الإنسان دخول الجامعة هل يتمتع بهذه الميزات ؟ إذاً هو حُرَّم منها كلياً.. فهذا إذاً معنى سادس للإضلال.. أنت حين ترفض أصل الدين لن تقبل من الله توجيهاته ، لن تقبل شرعه ، لن تقبل أمره ، لن تقبل نهيه ، لن تقبل القيم التي أرادها لخير الإنسان ، فأنت الذي رفضت الدين فرفضت إذاً كل ميزاته وكل ثمراته .

إذاً.. ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾.. من يشاء الضلالة يضلُّه الله ، يشاء الضلال اختياراً يضلُّه الله جزاءً ، أي يحرم من ثمرات الدين .

وقد قال تعالى في الآية الكريمة :

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَنْقُسُ عَنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر : ٢٣] .

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ . . أي أن الإنسان حينما يختار الضلال لا يستطيع أحد في الكون أن يهديه . . أبو لهب مثلاً ألم يعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! ألم يَرِ دلائل نبوته ، ألم يَرِ كماله !! ؟ هو رفض الحقيقة كلياً ، فلا تتعب نفسك فقد قال تعالى :
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ . . . ما الهداية ؟ الهداية قرار داخلي .

ويجدر بي بعد هذا أن أذكر بهذه الكلمة . . أنت إذا أردت الحقيقة كل شيء في الكون يدلك عليها ، وإذا رفضتها فلن تقبل من أحد أن يرغمك عليها ، فقوم موسى رأوا البحر وقد أصبح طريقاً يساً ، ورأوا العصا وقد أصبحت ثعباناً مبيناً ، ورأوا يد سيدنا موسى بيضاء للناظرين ، فلما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . . وهذا ما ورد في قصة سيدنا موسى مع قومه في الآية الكريمة :

﴿وَجَنُوزًا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

فالإنسان إذا لم يتخذ قراراً داخلياً بالبحث عن الحقيقة ، ليس في الكون كله جهة يمكن أن تهديه إليها ، أناس عاشوا مع رسول الله ﷺ في الوقت الذي كان القرآن ينزل عليه والمعجزات تتوالى ، والآيات واضحة ، والدلائل كثيرة ، ومع ذلك ناصبوا النبي ﷺ العدا .

إذاً.. ومن يضلل الله أي من يتخذ قرار الضلال ، من يُرد الشهوات ، من يُرد الدنيا ، من يعرض عن الله عزَّ وجلَّ لن يستطيع أحدٌ في الأرض ولا الأنبياء أن يهدوه إلى الله ، لأنَّ الهدى ذاتي ، وهو قرار داخلي .

أضرب مثلاً.. الإنسان قد يكون شديد الذكاء ، وقد يكون عبقرياً ، وقد يكون كإنشتاين ، هذا الذكاء يشبه آلة للتصوير عالية التقنية ، فهناك آلات ثمنها ألوفٌ ، وآلات أخرى ثمنها ملايين من الليرات كالآلات التي تستخدمها محطات التلفزيون وقد يصل ثمنها إلى أكثر من مليونين من الليرات ، فلو كانت هذه الآلات ليس في داخلها فيلمٌ فما قيمتها ؟ .

فالإنسان إذا أراد الحقيقة يجعل في داخل آلهة فيلماً ينطبع عليه كل شيء ، أما إذا لم يُرد الحقيقة فآلهة غالية الثمن جداً ولكن بدون فيلم.. إذاً فما قيمة التصوير وضبط العدسة وضبط المسافة والسرعة ؟ لا قيمة لهذه الآلة كلها ، أما إن أردت الحقيقة فمعناه أنك وضعت في داخل آلتك فيلماً فكل شيء تلتقطه ، وإذا لم ترد الحقيقة فمهما تكن آلتك غالية الثمن ولكن من دون فيلم في داخلها فلن يجديك شيئاً ، هذا معنى قول الله عزَّ وجلَّ.. ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ . . في الآية الكريمة : ﴿ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفَسَعْتُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

إذا أضلَّ الإنسان نفسه عن الله فأراد الدنيا وأراد الشهوات فلن تجد له في الأرض من يهديه .

أما المؤمنون قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ يَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ حَتَّىٰ بَيَّنَّ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، مستحيل ذلك فكلُّكم يعلم أنَّ هذه الصيغة (ما كان) من أشدَّ صيغ النفي ، فهذا نفي الشأن وفرقٌ كبير بين نفي الشأن ونفي الحدث .. ما كان له أن يسرق .. لا يسرق ، ولا يحبُّ أن يسرق ، ولا يريد أن يسرق ، ولا يتمنى أن يسرق ، ولا يفكر أن يسرق ، ولا يرضى أن يسرق ، ولا يرضى لأحد أن يسرق .. ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ يَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ ﴾ ..

هذا المعنى الذي قد يلقي على الناس لا يصح . فهم يقولون : قد تَعَبَّدَ الله طوال حياتك وقبل أن تموت بقليل يقدر عليك الضلال فتزل قدمك فتستحقُّ النار ، ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ يَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ ﴾ .. كن في طُمأنينة ، الله جلَّ جلاله ينمي الخير القليل فيجعله كثيراً ، ينمي الطلب القليل ليجعله طلباً كبيراً .

وفي آيةٍ أخرى قال تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ فَانْفِرُوا هَلَاكًا وَمَا يُدْرِيكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ سيهديهم ويصلح بالهم ، أي فأنت رأس مالك أن تبحث عن الحقيقة ، فإذا اتخذت قراراً صادقاً مخلصاً في البحث عن الحقيقة وصلت إليها وربُّ الكعبة ، وزوال الكون أهون على الله من أن تبحث عنها فلا تصل إليها .

فقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَيَئِيْٓسُ أَهْلُكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

أي أن الله عز وجل دائماً من سننه في معاملة خلقه ، أنه ما كان ليدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب كما في قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

فلا بد من فرز مستمر . . فحديث الإفك فرز للمؤمنين ، فمنهم من صدق ومنهم من كذب ، منهم من سكت توقيراً للنبي ﷺ وزوجه المصون ، ومنهم من خاض في حديث الإفك . . قصّة الإسراء والمعراج فرز للمؤمنين ، منهم من ازداد إيماناً برسالة النبي ﷺ ، ومنهم من انتكس بهذا الخبر . . فهذا الفرز دائم ، فإذا كنت أمام خمسين طالباً دون إجراء مذكرات وامتحانات فتصبح مشكلة ، فتجدهم كلهم يرتدون ثياباً موحدة ، وكلهم يطلبون العلم ، ولكن بعضهم لا يدرس مطلقاً ، وبعضهم في راحة من عناء الدراسة ، وبعضهم عبء على أهله . . فلا بد من مذاكرة من حين لآخر ، فهذه المذاكرة تفرز الطلاب ومن خلالها يتم إعلام الآباء بمستويات أبنائهم ، فهذا كسلان في الدراسة ، وهذا علاماته متدنية في الرياضيات مثلاً فبذلك يتلافى القصور ، ونشجع المجتهد . . أما أن

يكون كامل العام الدراسي بلا مذكرات ، وبلا فرز ، وبلا تقييم فهذه مشكلة .

فلحكمة أرادها الله دائماً هناك امتحانات قال . . ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ . . الفتنة : الامتحان . . ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ . . أي أَنَّ الضال الذي يخفي الضلال ويظهر الهداية نفاقاً يكشفه الله ، والمهتدي الذي ينطوي على هداية ، وعلى استقامة وعلى إخلاص لله عزَّ وجلَّ يكافئه . . هذا معنى هذه الآية .

وقال تعالى :

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ [الرعد : ٢٧] .

هنا معنى مخالف . . ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ . . من يضلُّ إذا ؟ من أعرض . فالمنيب يهديه الله ، أما المعرض فلا يهديه الله عزَّ وجلَّ ، وقال تعالى :

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإنسان : ٣١] .

وهذا معنى آخر . . من يشاء هكذا ؟ قال : ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . . معنى ذلك يشاء الله غير الظالمين ، وهذا بالمقابل . وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًٌّا وَبُكَاءً وَصُغَاءً مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا حَبَّتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٧] .

آيات كثيرة يُعزى فيها الإضلال إلى الله ، فالإضلال الإلهي هو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري ، أو أَنَّ الله يضلُّ

الإنسان المشرك عن شركائه .. بيده الخير ، فهذا الإنسان متجه نحو
شريك ضعيف فيضله الله عن شركائه ليهتدي إلى الله .

هناك أشياء قد تقع كثيراً وقد يكون عند الإنسان منافذ
لمواجهتها .. فإذا ضاقت به الأمور يقول سألجأ إلى فلان أو فلان ،
وإذا كان ابنه مسافراً مثلاً يلتجئ إليه ويقول له : ابعث لي مالاً
أستعين به ، يلتجئ بعضهم إلى أخيه ، أو صديقه ، أو إلى شيء
يبيعه ليفرج أزمته المالية التي ألقت به ، إنه يركن إلى الدنيا ،
ويتمسك بأهدابها على ضعفها وتقلب أهلها ، ويبقى غافلاً عن الله
الذي يقدر وحده على رد لهفته وإيمانه .

وأحياناً يقع في شدة فيسأل ابنه فيعتمر إليه الابن ، ويطرق باب
فلان فيعتمر ، يحاول السفر فلا يسمح له ، يعرض البيت للبيع فلا
يأتيه أحدٌ ليشتره منه ، يغلق الله عليه كلَّ المنافذ ليتجه إلى الله ، أي
أضلَّ الله هذا الإنسان عن شركائه .. فهو مشرك متكئ على فلان
وعلى زيد وعلى عبيد وعلى مال وعلى وساطة وعلى وجهة
ونسي الله ، فإذا قلنا : فلان أضلَّه الله ، أي أضلَّه عن هذه الجهات
الأرضية ليتجه إلى الله خالق البرية .

وبعد ، فإنَّ حسن الظنِّ بالله ثمن الجنة .. إن أردت أن تصل إلى
الجنة فعليك أن تحسن ظنَّك بالله ، وأن تفهم أسماء الله الحسنى على
نحوٍ يليق بكماله ، ويليق بجلاله ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

ويقول أيضاً : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ

الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوَاءَ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةُ السَّوَاءِ وَعَظِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ . [الفتح : ٦] .

وقال أيضاً :

﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَعْشَوْنَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ . [آل عمران : ١٥٤] .

فكلما ازدادت معرفة بالله ارتاحت نفسك وانعقدت صلتك به وأقبلت عليه وسعدت بقربه ، وكلما ابتعدت عن حسن الظن به صار حجاب بينك وبينه ، لذلك :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقْلِدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ » [سنن ابن ماجه] .

فليس للإنسان عذر إن أساء الظن بالله أن يظل ساكناً ، فقد حَضَّنَا الله على أن نسأل .. ﴿ فَسْتَلِ بِهِ خَيْرًا ﴾ .. ﴿ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .. قال تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

إذاً ، إذا أشكل عليك مفهوم من مفهومات دينك ، فاسأل أهل الذكر لعلك تخرج من حيرتك وتهتدي سواء السبيل .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشْكُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] .

أرجو الله سبحانه وتعالى منيباً وضارِعاً أن ينفعنا بما علَّمنا ، وأن يلهمنا الحقَّ والخير والسداد في الأمر .

* * *

عالم الغيب والشهادة

من أسماء الله الحُسنى عالم الغيب والشهادة ، وهذا الاسم كما تعلمون زائدٌ على التسعة والتسعين اسماً ، التي وردت في أحاديث رسول الله ﷺ .

عالم الغيب ، الغيب مصدر غاب أي استتر عن العين ، غابت الشمس أي : استترت وراء الأفق.. بل إن الغيب يعني كلَّ غائبةٍ تغيب عن الحواس ، أيةُ غائبةٍ تغيب عن الحواس فهي غيبٌ بالنسبة إلى الإنسان ، وكلُّ شيء غاب عن علم الإنسان فهو غيب.. لكن هذه الكلمات ، وتلك التعريفات بالنسبة إلى الإنسان ليس غير .

لو أن إنساناً وقف خلف حاجز ، هذا حاجز يُغَيَّب عنه ما وراءه ، أما الذي يقف أمام الحاجز فإنه يرى كل ما غيَّبه ذلك الحاجز ، نقول : هذا المكان غيبٌ بالنسبة لمن يقف وراء هذا الحاجز ، أما الذي وقف أمامه فليس غيباً بالنسبة إليه ، هذا كلام سوف ينفعنا كثيراً بعد قليل .

عالم الغيب ، بالنسبة إلينا مغيب عنا ، فلا أحد من بني البشر يعلم الغيب ، الغيب أنواع.. نوعٌ من الغيب استأثر الله به ، لا يُعْلِمُهُ أحداً من خلقه كائناً من كان.. من هذا الغيب أن الله عنده علم الساعة ،

ومن هذا الغيب قيامة الإنسان الصُّغرى : الموت ولحكمة بالغية جداً
أنَّ الإنسان لا يعلم متى يموت ، وهذا لصالحه ، فلو علم لتباطأ
بالتوبة وخسر الآخرة . . فكلُّ شيء يغيب عن علم الإنسان هو غيب ،
لكن ربنا عالم الغيب والشهادة .

مثلٌ بسيطٌ جداً من يقف هنا في هذه الغرفة لا يعلم ماذا يجري في
الغرفة التي تليها ، أما ربنا جلَّ جلاله فكلُّ شيء أمامه مكشوف
ولا تخفى عليه خافية ، عالم الشهادة التي تشهده ، وعالم الغيب الذي
يغيب عنك .

في بلدٍ مجاور وقعت حرب أهلية سببت مآسي كثيرة ، استمرت
هذه الحروب أكثر من ستة عشر عاماً ، أكلت الأخضر واليابس ،
أعرف واحداً من أبناء دمشق يسكن في ذاك البلد المجاور ، وله
معمل ، وله تجارة ، وقبل أن يقع أي حادث ضاقت عليه نفسه ،
وضاق به ذلك البلد أشدَّ الضيق ، وتعثرت أموره ، إلى أن انتقل إلى
الشام هو وتجارته ومعمله ، وبعد أن انتقل ، بدأت المشكلات
واحترقت المعامل وأتلفَ المال ، وانتهى كلُّ شيء إلى دمار
وخراب .

مَنْ الذي علم ما سيكون ؟ الله جلَّ جلاله ، فإذا كنت معه ألهمك
رشدك ، ألهمك تصرفاً يحفظك به ، أو ألهمك تصرفاً ترضى
بنتائجه ، لأن الغيب معلوم لديه ، فأنت لا تعلم الغيب ، قد تشعر
بحاجة إلى أن تغادر هذا المكان ، فتغادره ، وبعد أن تغادره تنشأ
مشكلة أنت عاجز عن مواجهتها ، كذلك قد تشعر بانقباض في أن
تسافر على هذه الطائرة ، فتحجم عن السفر عليها ، فتسقط الطائرة ،

من الذي يعلم الغيب؟ الله وحده، إذا كنت مع الله فهو الذي يعلم الغيب ويحفظك بهذا العلم، يعلم الغيب ويوفِّقُكَ، يعلم الغيب ويلهمك رشدك، يعلم الغيب ويكيد لك، يعلم الغيب ويدبِّرُ أمراً يحفظك به.. الغيب عند الله كالشهادة، عَلِمَ ما كان وَعَلِمَ ما يكون، وَعَلِمَ ما سيكون، وَعَلِمَ ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

إذاً لا يَغْرُبُ عن الله جُلُّ جلاله مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.. إذا كنت معه وهو الذي لا يغيب شيء عن علمه يوجهك إلى الخير ويدفع عنك الشر قبل أن يقع.

شيء لا يصدق أحياناً، الأحداث أحداث خطيرة تقع، أنت قبل أن تقع يحفظك الله منها، يلهمك أن تغادر، يلهمك أن تنقل مالك من مكان إلى آخر، من جهة إلى جهة، من عُملة إلى عُملة، وأنت لا تدري، لأن الله يعلم الغيب، فإذا كنت معه وتؤدي حقوق العباد، وتقيم منهج الله يحفظك، وعلمه للغيب تنتفع به إذ ربنا جُلُّ جلاله يصرف الأحوال ويقبلها لصالح عباده المؤمنين.

أما الشهود والشهادة، أي الحضور مع المشاهدة، عالم الغيب والشهادة، أي أنت حاضر وتشهد أو غائب وتجهل، عالم الغيب أي غاب عنك، عالم الشهادة حضرت وشهدت، إما بالبصر أو بالبصيرة، البصر رؤية العين، والبصيرة رؤية القلب، وعالم الغيب: حُجِبَتْ فَجَهِلْتَ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ذكر اسمه هذا عالم الغيب والشهادة في آيات كثيرة.. طبعاً الحضور والشهود هو الأصل ، أما العلم والشهود فهو فرع ، قد تحضر وتشاهد بأمر عينك ، وقد تعلم وكأنك تشاهد .

لكن من اللطائف في قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل : ١] .

مع أن هذا الحادث لم نره نحن ، فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ .. قال بعض العلماء : « يجب أن يقع إخبار الله لك موقع الرؤية لمصادقية الله عز وجل » .

شهدت فعلمت وغبت فجھلت ، شهدت الحفل فعلمت وقائعه أو غبت عنه فجھلت وقائعه فهناك عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، والله جل جلاله عالم الغيب و الشهادة .

موضوع آخر في علم الغيب

﴿الْعَرَفَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ [البقرة : ١-٣] .

أي أن الله جلّ جلاله لا تدركه الأبصار ، غابت عنا ذاته وبقيت آثاره ، نحن من آثاره نتعرف إليه وهذه مهمة العقل .. أدوات ثلاث للمعرفة ، إما أن ترى بحواسك ، وإما أن تدرك بعقلك ، وإما أن تتلقى خبراً بأذنك ، هذه هي أدوات المعرفة وليس هناك أداة أخرى .. إن كان هناك أداة أخرى كالإشراق ، أو الإلهام أو الرؤيا الصالحة يجب أن تكون مقيدة بالشرع ولا تقبل رؤيا ولا إلهاماً ، يخالف الشرع قيد أنملة .. ديننا دينٌ كاملٌ تام .. قال تعالى :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ..

لو أنَّ رجلاً رأى النبي عليه الصلاة والسلام - طبعاً في المنام - هكذا قال العلماء ، وأمره بما يخالف الشرع ، تردُّ الرؤيا ، ويثبت الشرع . . بل لو أنَّ قاضياً رأى في الرؤيا أنَّ هذا الشاهد كاذب لا تقبل شهادته ، وهو عنده في اليقظة صادق فيجب ألا يأخذ بالرؤيا .

الرؤيا يستأنس بها ولا يعتمد عليها إطلاقاً ، لا في حكم شرعي ، ولا في إثبات قضية ، ولا في تصحيح حديث ، ولا في تقييم إنسان . . الرؤيا والإلهام مصادر فرعية للمعرفة ، إلا أنها يجب أن تنضبط بالشرع .

من معاني الغيب أيضاً ، يؤمنون بالغيب ، يؤمنون بشيء غاب عنهم ، ذات الله لا تراها لكن نرى خلق الله ، مصير الإنسان لا نراه ، لكن الله أخبرنا عن مصير الإنسان إما في جنة يدوم نعيمها ، أو في نار لا ينفذ عذابها .

الخلاصة أن الغيب بالمعنى الثاني الدقيق ، مالا يقع تحت الحواس أبداً ، الشيء الذي يقع تحت الحواس عالم الشهادة ، والشيء الذي لا يقع تحت الحواس عالم الغيب ، لكنَّ الله عالم الغيب والشهادة .

فإذا لم يؤمن الإنسان بالغيب أصبح كافراً له ، ومن لوازم المتقين أنهم يؤمنون بالغيب ، أي عقلك يعطيك دليلاً قطعياً ، على أنه لا دخان بلا نار ، النار لا تراها ، لكنَّك رأيت الدخان ، وعقلك يعطيك دليلاً قطعياً على أنَّ في المسجد كهرباء وأنت لا ترى الكهرباء ترى آثارها ، ترى حركة المراوح وتسمع تكبير الصوت ، وترى تألُّق المصابيح فقط ، تحكم على سريان تيار الكهرباء من آثاره .

بعضهم قال : إِنَّ الْغَيْبَ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَوْ إِنَّهُ الْقَدَرُ ، لكن الغيب - حقيقة - كُلُّ شَيْءٍ غَابَ عَنْ حَوَاسِّكَ ، أَوْ كُلُّ شَيْءٍ غَابَ عَنْ عِلْمِكَ ، وَعَالَمُ الشَّهَادَةِ كُلُّ شَيْءٍ شَهِدْتَهُ فَعَلِمْتَهُ .

لقد ذكرت في بداية البحث أن الغيب أنواع ، نوع من الغيب استأثر الله به ، ونوعٌ أَطْلَعَ بعض أنبيائه عليه .

قال الله تعالى :

﴿ عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۚ ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] .

لذلك فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ ، حَدَّثَنَا عَنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى ، وَحَدَّثَنَا عَنْ آخِرِ الزَّمَانِ ، وَكَيْفَ أَنَّ الْأُمَّةَ تَلِدُ رَبَّتَهَا ، وَكَيْفَ أَنَّ الْحَفَاةَ الْعِرَاءَ ، رِعَاءَ الشَّاةِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ ، وَكَيْفَ يُوَسِّدُ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَكَيْفَ - كَمَا رَوَى عَنْهُ - يَكُونُ الْمَطَرُ قِيطًا وَالْوَلَدُ غِيطًا وَيَفِيضُ اللَّثَامُ فَيْضًا ، وَيَغِيضُ الْكَرَامُ غِيضًا . وَكَيْفَ يُؤَمَّرُ بِالْمَنْكَرِ ، وَيُنْهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَكَيْفَ يُصَدَّقُ الْكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ الصَّادِقُ ، وَيَخَوَّنُ الْأَمِينُ ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ ، وَكَيْفَ تَرْكَبُ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ السُّرُوجَ ، وَكَيْفَ تَكْثُرُ الْأَشْجَارُ وَتَقْلُ الثَّمَارُ .

هناك أحاديث كثيرة جداً عن أشراط الساعة ، من أين جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام ؟ هو لا يعلم الغيب بذاته إلا أن يعلمه الله به وأكبر دليل على ذلك أنه لما جاءه وفدٌ من رعل وذكوان وعصية وبني لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا ، أعطاهم النبي ﷺ سبعين قارئاً ثم غدروا بهم في الطريق عند بئر معونة وقتلوه ، ولم يعلم النبي ﷺ

بهذه الواقعة ، التي لها دلالة كبيرة جداً ، أي أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب بذاته إلا أن يُطلعه الله عليه . . بل إنه حينما اختار موقع بدر ، جاء صحابي جليل اسمه الحُباب بن المنذر ، قال : يا رسول الله ، أمتزلاً أنزلَكَ الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال هذا الصحابي الجليل انطلاقاً من غيرته على الإسلام والمسلمين : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل .

الله عزَّ وجلَّ أطلع النبي ﷺ على آلاف القضايا التي هي أقل من هذا الموضوع ، ولكن شاءت حكمته أن يعلمنا النبي ﷺ أدب الإصغاء إلى النصيحة ، يعلمنا النبي ﷺ وهو قدوتنا وأسوتنا أدب الإصغاء إلى النصيحة فلما سأله أين الموقع الذي اخترته ؟ قال : هناك يا رسول الله ، وأشار إليه ، وأعطى الرسول صلى الله عليه وسلم أمراً بالانتقال إليه .

إذاً : الغيب لا يعلمه إلا الله ، والشهادة يعلمها الإنسان في حدود إمكانه . . فالغيب الذي يمكن أن يُطلع الله نبيه ﷺ عليه ، أنواعٌ ثلاثة : غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل . . غيب الماضي قبل الوقت الذي تعيش فيه ، وغيب المستقبل بعد الوقت الذي تعيش فيه ، وغيب الحاضر غير المكان الذي تكون فيه .

مثلاً : أنا في دمشق لا أدري ماذا يجري في حلب ، حلب بالنسبة إلي غيب حاضر ، أما دمشق قبل مئة عام فغيبٌ ماضي ، وبعد مئة عام غيبٌ مستقبل ، والله سبحانه وتعالى ، يعلم غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل .

قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ أَيْهَمْ يَكْفُلُ مَرِيضٌ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

هذا غيب الماضي .. أما غيب الحاضر .. فقد قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

أما غيب المستقبل .. فقد قال الله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَافِلُونَ ۚ ﴾ في بضع سنين^١ لله الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ^٢ [الروم : ٤٢] .

أريد أن أركز على هذه الحقيقة وأوضحها ؛ فأنت إذا كنت مع الله ، والله يعلم الغيب ، يعلم غيب الحاضر ، فالطرف الآخر وهم خصومك ؛ يعلم ماذا سيفعلون بك ، كما يعلم ماذا سيخططون لك ، وهو يعلمهم ، ويُلهمك شيئاً يقيك تخطيطهم ، يلهمك تدبيراً يحميك من غدرهم ، يلهمك خطة تنجو بها من مكرهم ، فأنت إذا كنت مع الله أنت مع عالم الغيب والشهادة الذي يفسد على الآخرين مكرهم ، وما أحداث ليلة الهجرة مجهولة لديكم .. لذلك قال الله تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْ ۖ ﴾ [التوبة : ٥١] .

لكن قد توجد مفاجآت ، فهناك آلاف الوقائع والأحداث يفاجأ بها الإنسان والإنسان المبتعد عن الله قد يفقد كلَّ ماله في بضع دقائق ، وأحياناً في دقائق قد يفقد أهله أيضاً ، أما الإنسان المتوجه إلى ربّه

عالم الغيب والشهادة ، الذي يعلم ما كان ، ويعلم ما سيكون ، ويعلم ما هو كائن في أيّ مكانٍ آخر ، فقد ينجيه من كل كرب .

ذكر لي أخ أن دماراً كبيراً جداً وقع في مكان ما ، وكان هو في المكان نفسه ، قال لي : والله الذي لا إله غيره قبل خمس دقائق من وقوع الانفجار ، ألهمت أن أخرج من المكان لكي أشتري الخبز ، وما إن ابتعدت مئات الأمتار ، حتى سمعت صوت انفجار أصم الآذان ، شيء مدمّر ، فإذا كنت مع الله كان الله معك ، والله عزّ وجلّ إذا قال : إن الله مع المؤمنين ، أو مع المتقين ، أو مع الصابرين .. فهذا يعني أنه معهم حفظاً ، وتأيداً ، ونصراً ، وتوفيقاً .

لذلك فعلى الإنسان إذا همّ بعمل شيء أن يصلي صلاة الاستخارة فيقول : اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب... اللهم! فإن كنت تعلم هذا الأمر - وتسميه باسمه - خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدري لي ويسره لي ثم بارك لي فيه .

هو يعلم أنّ هذه المرأة لا تُسعدك فيصرفها عنك ويصرفك عنها ، هو يعلم أنّ هذه التجارة لا تُغنيك بل تفقرك ، هو يعلم أنّ هذا السفر ليس في صالح إيمانك.. هو يعلم الغيب وأنت لا تعلم ، فإذا فوّضت ، فقد فوّضَ الذي لا يعلم لمنّ يعلم.. وهذا ذكاء وتوفيق .

قد تقف عند بائع تثق به وتقول له : أنت اختر لي ، فقد سلّمت أمري إليك واختر لي ما يُعجبك ، فيختار لك أحسن ما عنده.. هذا مع إنسان تثق به تفوّضه فكيف مع الواحد الديّان ؟!

بالمناسبة . . كلما ارتقى الإنسان في سُلَّم الإنسانيّة يخاف بالغيّب ، وكلما هبط إلى مستوى البهيمة يخاف بالشهود . . وهذه فكرة دقيقة . . كلما ارتقى الإنسان في سُلَّم الإنسانيّة يخاف بعقله ، وكلما هبط إلى مستوى البهيمة يخاف بعينه ، أي إلى أن يرى الخطر ماثلاً عندها يخاف ، علماً بأن الخطر يدرك مسبقاً بالعقل .

فمثلاً يقول الأطباء : إنّ الدخان يسبب سرطان الرئة ، وهذا النيكوتين الموجود فيه يسرّع القلب ، ويزيد من خفقان الرئتين ، ويضيّق الأوعية ، فيرفع نسبة السكر في الدم ، ويرفع نسبة هرمون التجلّط ، فاحتمال التجلط في دم المدخن كبير جداً ، الأمراض القلبية عند المدخنين عشرة أمثالها عند غير المدخنين ، هذا كلّهُ بالعقل يُدرك ، أما المدخن الذي يخاف بعينه فإنه لا يقلع عن الدخان إلا بعد أن يصاب بمرض عضال ، فبعد أن يصاب يقلع على الفور . . فمعنى هذا أنّه إنسان بهيمي . . كلما ارتقى مستواك الإنساني خفت بعقلك ، وكلما تدنى مستوى المرء الإنساني إلى المستوى البهيمي خاف بعينه .

قد تجد الدابة إن رأت حفرة في الأرض تقف ، لقد رأت بعينها . . ، وقد يجد إنسان طريقاً واسعاً وممهّداً ومعّبداً ويجد لوحة كتب عليها : انتبه ! الطريق مغلق ، فالإنسان العاقل لا يتابع السير ، فالطريق تراه بعينيك مفتوحاً أمامك ، ولكنّ قراءتك للوحة صغيرة تفيدك أنّ الطريق بعد قليل مغلق فلا تتابع المسير ، فأنت الآن لم ترّ الإغلاق ولكن رأيت فكرة الإغلاق ، فكلما ارتقى الإنسان يتعامل مع الأفكار ، أما إذا هبط إلى مستوى البهيمة فإنه يتعامل مع الصور .

قد ترى دُوراً للهو ذات فخامة كبيرة ، فيها أجمل أنواع الثريات

والتزيينات والأناقة لكنَّ المعاصي كُلَّها تُرتكب فيها ، فالمؤمن يكرهها بعقله ، على حين أن ضعيف التفكير يقدِّرها ويُعظِّمها بعينه فيمدح فخامتھا.. فكلما ارتقى الإنسان تعامل مع الأفكار بعقله ، وكلما هبط مستواه تعامل مع الصور بعينه .

إذاً فأخطر شيء على الصغار أن تربيهم قصَّة مُثَلَّة.. فلو أربناهم إنساناً متديناً أحمقاً أو امرأة متديّنة حمقاء مهملة أولادها ، فهذا الصغير يكره الدين بلا سبب ، فهو في كل الأحوال لا يتعامل مع الأفكار ، فليس عنده إدراك أو عمق أنَّ هذه تمثيلية والذي كتب هذه التمثيلية أراد تشويه صورة الدين ، فهو قد رأى أنَّ الإنسان الذي يمثل الدين إنسان غير جيّد ، على حين أن الإنسان الجيّد هو الذي أسبغ عليه الكاتب كلَّ صفات الرجولة فهو إنسان شجاع ووفي إلا أنَّه يشرب الخمر ، فخطورة أجهزة اللهو مع الصغار مدمرة جداً ، لأنَّ الصغير لا يتعامل مع الأفكار بل يتعامل مع الصور ، فيكفي أن تربه امرأة سيّئة جداً بزيٍّ إسلامي ، فيكره الإسلام كُلَّه ، ويكفي أن تربه امرأة تحبُّ أولادها حباً جماً لكنَّها متفلّئة من الدين فيحب الصغير التفلّت من الدين ، هنا الخطورة أن نسمح لأطفالنا أن يشاهدوا كل ما هبَّ ودبَّ ، فالطفل الصغير يتعامل مع الصور ، وقد نستطيع أن نفسد عقيدته بالصور ، وأن نشوّه له كلَّ شيءٍ يعرض عليه بالصور .

فلدينا غيب وكذلك شهادة.. وهناك أمثلة كثيرة جداً.. إنسان ينتظر إلى أن تأتي موجة من البرد قارسة فيهيّء المدافئ ويشتري الوقود السائل للتدفئة ، وإنسان آخر تجده وهو في أشهر الصيف يهيّء المدافئ ويشتري الوقود السائل اللازم ، ويجهّز كل شيء لفصل الشتاء دون مشقة ودون ازدحام على الوقود ، أما حينما تأتي

الموجة القارسة فجأةً فلسوف تجد صعوبة بالغة عند شراء الوقود السائل ، فالذي يتعامل مع الأشياء بإحساساته فهو ذو إدراك ضعيف ، أما الذي يتعامل معها بإدراكه فهو ذو عقل راجح .

كتاب الله - جلّ جلاله - أشار إلى كلمة عالم الغيب والشهادة في آيات كثيرة . . فقد قال تعالى :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

ذكرت في أبحاث سابقة حكمة . . ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ . . لو قال الله تعالى : ومفاتيح الغيب عنده ، أي هي عنده وقد تكون عند غيره ، أما حينما يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ . . فمعنى ذلك أن مفاتيح الغيب عنده حصراً .

وفي سورة الفاتحة ورد قوله تعالى :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

فلو قال : نعبد إياك يا رب ، فهذا يعني أننا قد نعبد غيرك أيضاً ، أما قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . . فمعناه أننا نعبدك وحدك يا رب ، هذا هو القصر ، فأحياناً التقديم يفيد القصر والحصص .

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ . إن كان لديك مجلة قديمة صدرت من قبل عشرين سنة ، فاقراها فستجد أنّ الأحداث التي وقعت بعد إصدار هذه المجلة لو عشت في تاريخ صدورها لا يمكن أن تتصوّر أنّ الذي وقع يمكن أن يقع ، كان غيباً ، حينما تُهذّ عروش ، وحينما تدكّ معسكرات كبيرة عملاقة جداً ، فاقراً

هذه المجلة القديمة ، وتصور أن الذي وقع ، لو تنبأت به قبل أن لأودعوك في مشفى للمختلين عقلياً لكنه وقع فعلاً.. فمن يعلم فيجب ؟ الله جلّ جلاله هو وحده يعلم الغيب .

يقول لك أكثر الناس : قد عرض علي شراء أرض مساحتها مئتا وسعر الدونم يومذاك ليرتان فقط ولكنني لم أشتريها والآن ثمن نم الواحد مليونان.. لو أنك تعلم الغيب لكنت الآن من أغنياء العصر.. أراض شاسعة وواسعة ومئات الدونمات بثمان بخس ، فقد ذكر لي شخص أنه قد باع خمسين دونماً بدابة صغيرة كان بحاجة إليها وهذه الأرض ماذا يفعل بها فهي عبء عليه ، أما الآن فسعر الدونم الواحد مليونان.. هذا كان في علم الغيب .

لذلك التجار يقولون كلمة لطيفة : تاجر ومنجم لا يجتمعان.. لا أحد يعلم ما سيكون ، أحياناً تجد الأمور تسير في طريق مسدود إلى أن يئس من لا ثقة له بالله ، فقد كان في بلادنا جفاف مخيف كاد حوض دمشق يجف ، وكادت دمشق تعاني من العطش ولكن الله جلّ جلاله أنزل أمطاراً غزيرة في الأعوام التالية ، وهذا كان غيباً.. فموضوع الغيب موضوع دقيق جداً .

فأحياناً يقال لك : إنهم تمكنوا من معرفة الجنين ذكراً أو أنثى ، فأين قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان : ٣٤] .

﴿يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾.. فلم يقل الله : يعلم من في الأرحام ذكراً كان أو أنثى . قال : ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾.. فالحوين المنوي يوجد

على النوبة فيه ملايين المعلومات المبرمجة ، فهذا الجنين هل سيـ
 عالماً كبيراً ، أو أستاذاً في الجامعة ، أو مؤلفاً خطيراً ، أو با
 متجولاً ، أو مجرمًا ، أو سجينًا ، أو مصلحًا ، أو مفسدًا مثلاً ، وم
 ياترى سيكون صاحب ملهى أم صاحب دار للنشر ، مَن سيكون ؟
 سيتزوج ؟ من سينجب ؟ ما دوره في الحياة ؟ هل يكون دوراً هامشياً
 أم دوراً قصيراً فمن يعلم هذا ؟ إذا وجد على النوبة هذه المعلومات
 المبرمجة لا يعلمها إلا الله ، فما نسبة معرفة ذكوره أو أنوثته إلا واحد
 لخمسة آلاف مليون .

أحياناً تجد أباً لديه خمسة أولاد لا يعلم من هو المتفوق ، وبعد
 ثلاثين سنة تجد ولداً منهم قد تألق تألقاً كبيراً جداً ، وولداً آخر أصبح
 في الدرجة الدنيا من المجتمع ، مَن الذي يعلم الغيب ؟ الله وحده
 يعلم الغيب .. علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ،
 وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، فقد قال تعالى :
 ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ
 وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مُبِينٍ ﴾ .

هل أنت مرتاح إلى أن الله الذي تعبده يعلم كل شيء ، وعلمه
 لصالحك فقد قال تعالى :

﴿ لَمْ مَعْصَتِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا
 يَقُومُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
 وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

﴿ لَمْ مَعْصَتِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .

فأحياناً يقول لك أحد الأشخاص أثناء قيادة مركبة : لو تقدمت ستتمتراً واحداً لكان وقع لي حادث أليم ، فمن يعلم الغيب ؟!

الله عزَّ وجلَّ يصرفك أحياناً عن شيء مدمر ، فيلهمك رشداً .. إنسان له تجارة معينة ، والبضاعة موجودة ، والطلب عليها شديد ، والتصدير ميسر ولكنه قال لي بالحرف الواحد : والله! شعرت بضيق وانقباض بصورة غير معقولة ، وبلا سبب أو تعليل ، واشتدَّ الضيق عليَّ إلى درجة أنني أحجمت عن تصدير هذه البضاعة ، ثم كان الذي كان ، فُرض على الذي قاموا بالتصدير في ذلك العام ضرائب أكلت أخضرهم ويابسهم ، ونجَّاه الله من هذه الضرائب التي لم تكن في الحسبان ، والسبب أنه أنفق مالاً وفيراً في خدمة بيوت الله عزَّ وجلَّ .. ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ يعلم الغيب صرفه عن هذا العمل ، وهناك آلاف الشواهد المشابهة ، فأنت حينما تعبد الذي يعلم الغيب ، فعلمه للغيب كله لصالحك وأنت لا تدري .. من هنا قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ رَكْضٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

سألني أخ ذات مرة عن قضية فيها شبهة ، فأخبرته بأن فيها شبهة ، فقال لي : ليس لي دخل إلا منها . فقلت له : هذا شأنك لا شأنني وقد سألتني فأجبك . ولكن يبدو أن خوفه من الله غلب عليه فامتنع عن هذه الطريقة في التعامل وكان امتناعه الله ، في حين أنها كانت راحة جداً وتدر عليه دخلاً كبيراً جداً ، وكان في بحبوة كبيرة ، فلما امتنع عن هذه الطريقة المشبوهة في التجارة التزاماً بشرع الله سبحانه ، ومضى عليه أكثر من ثلاثة أشهر ودخله قليل جداً ثم مُنعت

هذه الطريقة من أصلها قسراً ، فجاءني وقال : الحمد لله الذي تركتها لله ، بعد حين كنت سأتركها مقهوراً ومجبوراً مع الإثم والوزر ، أما الآن وقد تركتها رجاء مرضاة الله وأنا في الأوج ، ثم كافاني الله بأن فتح لي باب رزقي وفير لم يكن بالحسبان .

موضوع أنك تعبد الذي يعلم الغيب موضوع دقيق ، فأنت في راحة لأن كل ما سيكون هو في علم الله ، لذلك يوجهك الله توجيهاً لصالحك ، فالمؤمن يُلهمه الملك ، والمنافق يدفعه الشيطان ، يدفعه إلى أن يبخل ، يدفعه إلى أن يحقد ، يدفعه إلى أن يخاصم زوجته ، يدفعه إلى كل المشكلات .

آية ثانية قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَّا الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ .

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ الحكيم كما تعلمون يضع الشيء بالقدر المناسب ، وفي المكان المناسب ، وفي الوقت المناسب ، وليس في الإمكان أبدع مما كان ، وكل شيء وقع أراده الله .

﴿ الْخَبِيرُ ﴾ : الخبرة هي العلم الذي يتعلّق بالمستقبل . . فأحياناً تقوم ببناء آلة بمعرفة وعلم عالٍ جداً ، لكن مع الاستعمال تكشف أن فيها أخطاء لم تكن في الحسبان ، فالعلم مع المستقبل يصبح خبرة .

وفي سورة التوبة قال تعالى :

﴿ يَمْتَدِّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعَذِّرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ٩٤] .

وفي السورة نفسها قال تعالى :

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

فالآيتان متشابهتان .

وفي سورة الرعد قال تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد : ٩] .

وفي سورة المؤمنون قال تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٢] .

وفي سورة السجدة قال تعالى :

﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة : ٦] .

وفي سورة الزمر قال تعالى :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ
عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر : ٤٦] .

وفي سورة الحشر قال تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢] .

وفي سورة الجمعة قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة : ٨] .

وفي سورة التغابن قال تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [التغابن : ١٨] .

ممكّن أن نلخص المواقف العملية للمؤمن من خلال هذا الاسم أنت إذا استقمت على أمر عالم الغيب والشهادة لن تفاجأ بغيبٍ مدمر ، أنت إذا استقمت على أمر عالم الغيب والشهادة كان علم الله للغيب لصالحك ، يحميك من كل سوء ، يقيك شرَّ أعدائك ، يُلهمك رشدك ، يُلهمك الخير وأنت في حرزٍ حريز .

حينما تعلم أن الله يعلم .. وهذه الحقيقة وردت في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق : ١٢] .

أي إنك إذا علمت أن الله يعلم استسلمت وارتحت ، لذلك يقول المؤمن أحياناً : اللهم خّر لي واختر لي .. أي يارب ! أنت اختر لي . روي أن من أدعية النبي ﷺ مارواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْخَطَمِيُّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيْمَا تُحِبُّ ، اللَّهُمَّ وَمَا رَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قَرَاغاً لِي فِيْمَا تُحِبُّ » .

قال تعالى :

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وأقول مرة أخيرة ... أنت تقف هنا ، لا تعلم هناك ما سيكون ، فقد يكون لك عدو كبير خطير مخيف يدبر لك أمراً ما ، لكن الله يعلم ما أنت فيه وما خصمك فيه ، فإذا كنت مع الله عزَّ وجلَّ ألهمك رشدك ، ألهمك الخلاص من هذا العدو ، أو ألهمك تدبيراً مضاداً

لتدبيره ، أو ألهمك سلوكاً يُعْطَلُ عليه مَكْرُهُ لَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وهذه هي أهم فكرة في هذا البحث ، أنت إذا كنت مع الله فأنت مع عالم الغيب والشهادة ، الغيب لصالحك فلا توجد لديك مفاجأة ، فتجد المؤمن الصالح كل شيء يسيّره الله به لصالحه والغيب يكشف له الحقيقة .

وتجد الإنسان غير المستقيم يخطط . . فذات مرة فُكِّرَ إنسانٌ وأكثرَ من التفكير الجاد ثم باع كلَّ ما يملك واشترى به عملة لبنانية ، فمن يعلم أنَّ هذه العملة سوف تصبح متدنية وسيصل سعر كل دولارٍ واحدٍ يساوي ثلاثة آلاف وثمانمئة ليرة لبنانية ؟ باع كل أملاكه وتاجر في العملة الصعبة فكانت خسارته دماراً ووبالاً ، فمن يعلم الغيب ؟ الله عزَّ وجلَّ وحده هو الذي يعلم .

فحينما يكون الإنسان مع الشيطان ومنحرفاً عن الخط الإسلامي الصحيح فالغيب ليس في صالحه ، فيفكر ثم يفكر حتى يجهد نفسه تقليباً للأمور واستكشافاً لخفاياها ، ثم يجعل الله تدميره في تدبيره لَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وتخلي عن يده الخير .

أحياناً تجده يضع كل أمواله في مشروع غير ناجح ، لو علم الغيب لما أقدم على هذا المشروع ، أما المؤمن فهو لا يعلم الغيب ولكنَّ الله يدافع عنه ، لكنَّ الله يسيّره ، لكنَّ الله يحفظه ، لكنَّ الله يلهمه ، لكنَّ الله يصرفه عن هذا الشيء ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

فأدق ما في بحثنا هذا النقطة التالية : أنت إذا كنت مع الله فهو يعلم الغيب ، ويعلم ما سيكون فلذلك يلهمك رُشدك حيال

ما سيكون ، فاللهمَّ اجعلنا من هؤلاء الذين يستسلمون لك يا ربّ ،
 ويفوّضون إليك كل أمورهم .

اللهمَّ ! أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ،
 أرضنا وارضَ عنا اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين
 معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوّن به
 علينا مصائب الدنيا ، ومتّعنا اللهمَّ بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا
 واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من
 عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلّط علينا
 من لا يخافك ولا يرحمنا ، وصلى الله على سيّدنا محمدٍ النبيّ الأميّ
 وعلى آله وصحبه وسلّم .

* * *

المدبر

من أسماء الله الحُسنى المدبر ، والمدبر هو أحد أسماء الله الحُسنى ، وهو زائد على الأسماء التسعة والتسعين المعروفة .

المدبر : اسم فاعل من التدبير ، والتدبير مصدر ، وفي اللغة التدبير هو النظر في عواقب الأمور ؛ تدبّر الأمر أي نظر في عواقبه ؛ العاقل يتدبر الأمر وينظر في عواقب الأمور ؛ قد تُعجبه امرأة حسناء رقيق دينها فتجده يرفض هذا الزواج ! لماذا ؟ لأنه تدبر عاقبة الأمر فهي أم أولاده مستقبلاً وستُربّهم تربيةً فاسدة وسيُخجلون بِأُمهم إذا كبروا ، فَتَدبّر الأمر : هو النظر في عواقبه .

قد يذهب الإنسان إلى بلدٍ غربيٍّ ويجد بحبوحةً كبيرة : جمال طبيعي ما بعده جمال ، ورخاء في المواد والأسعار ، ورُخصٌ في المركبات ، وبيوت فخمة جداً ، فَطبيعة الحياة تُغريه أن يذهب إلى هناك ويستقر فيه ، فالعاقل يتدبر عاقبة هذا الأمر ، سوف يكبر أبنائوه هناك ، وسوف ينشؤون نشأةً لا تُرضي الله ، وسيُجد مع ابنته صديقاً فماذا يفعل ؟ وماذا يفعل إذا كبر أبنائوه في مجتمعٍ فاسدٍ وسيئٍ ولا حرج على أحدهم أن يمارس الزنى فالأمر سهل كَشْرَبَةِ الماء ؟ فإذا أردت تنفيذ أمرٍ تدبّر عاقبته .

قد يسافر الإنسان فماعاقبة هذا السفر ؟ وقد يعمل عملاً ما فما عاقبة هذا العمل ؟ وقد يقبض المال الحرام فما عاقبة هذا المال ؟ وقد يتزوج هذه المرأة اللعوب فما عاقبة ذلك ؟ فالتدبر هو التفكير في عواقب الأمور ، والتفكر في نتائجها ، فالمؤمن لايقبل على أمر حتى يتدبر عاقبته ، فهناك أناسٌ كثيرون يُغريهم العمل بما يُخالف القوانين فيربحون ثم يخسرون كل شيء ، ولو أنهم تدبروا عاقبة الأمور لَمَا فعلوا ذلك ، ولما وقعوا في سوء أفعالهم .

أمثلة كثيرة ؛ فلو أن الإنسان رفض أن يتعلم فإذا تدبر عاقبة هذا الأمر ورأى نفسه جاهلاً تائهاً وشارداً وضعيف الشأن في المجتمع لما أحجم عن التعلم . فالإنسان العاقل هو الذي يفكر في عاقبة الشيء قبل أن يصل إليه فهو يخاف بعقله ؛ والإنسان الأقل عقلانية أو الضعيف العقل أو الذي يُعطلُّ عقله يخاف بعينه ، وهذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان ؛ فالإنسان يخاف بعقله والحيوان يخاف بعينه ، فالذي يُدخِّن لا يُقلِّع عن التدخين حتى يُصاب بِمَرَضٍ عُضال ، فعند فحص العينة بالمخبر ويأتي الجواب : مرض خبيث ، بسبب الدخان عندئذٍ يُقلِّع عن التدخين ، أما العاقل فيعرف عاقبة التدخين قبل أن يصل إليها ، فالعقل يريك النتيجة قبل أن تصل إليها ، وتصل إليها بِعَقْلِكَ قبل أن تصل إليها بِجِسْمِكَ ، فإذا كان هناك طريق مغلق بعد خمسة كيلو مترات فهل تُكْمِلُ المسير ؟ فالذي يتحرك بعينه يقول : الطريق سالك ، ويسير ، فإذا به بعد قليل يجد الطريق محفوراً ومغلقاً ، فلو قرأت اللوحة لَوَصَلْتَ إلى هذه النتيجة بيسر وأ راحت نفسك فاللوحة تعطيك النتيجة قبل المجازفة ، فهذا هو العاقل . أما غير العاقل فإنه يقرأ اللوحة ويكمل سَيْرَه لأنه يرى الطريق سالماً إلى

أن يجد الحفر فيقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود راغماً ، فإذا تحركت بحواسك الخمس فأنت دون مستوى البشر أما إذا تحركت بعقلك ووصلت إلى النتائج مسبقاً فأنت عاقل حقاً .

إنسان ذهب إلى بلدٍ وزلّت قدمه فعانى من مرضٍ جنسي عشرين عاماً وهو يتمزق كي يُخَفِّيه عن أولاده وزوجته وكيف يُعالِجه ؛ فهذا لو تدبّر الأمر قبل أن يفعله لما فعله فهذا هو التدبر ؛ التفكير في عواقب الأمور والتفكير في نتائجها ومُؤداهَا وعقابها ، أحياناً يكون الإنسان في أوج شبابه يعيش لحظته يأكل ويشرب ويستمتع ولا يتعلّم ولا ينضبط ولا يسأل عن شيء ، فإذا تقدّمت به السنّ يجد نفسه بعيداً عن مراتب البطولة وفي مُؤخّرة الركب وفي الدرجة الدنيا في المجتمع فهذا عطل عقله ولم يفكر ، وتجد آخر يفكر ويتروى ويبنى مستقبله لبنة لبنة ويجعل لنفسه بدايةً مُحرقة فتكون له نهاية مشرقة .

التدبر هو النظر في عواقب الأمور وأدبارها ، والتدبير هو أن يحسن المرء التدبّر والتفكّر ، وهو النظر في عاقبة الأمر ، أو ما يؤول إليه وعاقبته أيّ مُؤداه ومنتهاه ، والتدبر قريب من التفكير ، أما الدبّر فهو النحل والزنابير سلاحها في أدبارها ، وقيل سُمّيت دُبّراً لتدبيرها وتألّفها في العمل العجيب ، ومنه بناء بيوتها فلذلك سُمّيت بهذا الاسم في اللغة ، فإذا قلنا : الله جل جلاله مُدبّر كان لدينا معنى آخر قال تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذِ يَهْدِيهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكُّرُونَ ﴾ [يونس : ٣] .

فما معنى يُدَبِّرُ الأمر ؟

آية ثانية : قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

قال : ومن يدبر الأمر ؟ .

آية ثالثة : قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢] .

وقال تعالى في سورة السجدة :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥] .

ففي هذه الآيات القرآنية ورد قوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ فهو المدبِّر ، هنا التدبير إذا عُرِي إلى الله عز وجل كان له معنى آخر ؛ قال : هو التوفيق بين أوائل الأمور وعواقبها ، فإذا طلب المرء الزواج فالزواج يبدأ بِنِيَّةٍ ؛ فهذا نوى أن يتزوَّج فمن الذي يُيسِّر له البيت والزوجة الصالحة وأن يملك المهر والمال كي يُؤَسِّس بيتاً يضمهما ، وأن يقترن بهذه المرأة وأن يُنجب منها أولاداً صالحين ، وبعد حين يجد نفسه في بيت يزدان بزوجة وأولاد ، وغدا ذا مكانة في المجتمع ، وقد كان بالأمر شاباً لا يملك من حُطام الدنيا شيئاً ، فَمَنْ دَبَّرَ أمره ؟ ومن أوصله من مُبتدأ رَغْبَتِهِ بِالزَّوْجِ إلى نهاية المطاف ؟ إنه الله عز وجل .

وذاك أراد أن يُسَجِّرَ فمن يَسَّرَ له رأس المال والمحل والرخص وشراء البضاعة والبيع والريج وتأمين الحاجات فمن يدبِّر الأمر؟ هو الله تعالى وهذه كلمة واسعة جداً ، وأنت تنام وتذهب إلى فراشك فمن يُحَرِّك الأرض حول ذاتها من أجل أن يُشْرِقَ الصباح؟ هو الله سبحانه ومن الذي يجعلها على خط سَيْرِها حول الشمس؟ هو الله سبحانه ، ومن الذي يُنْزِلُ من السماء ماءً فيُخَيِّبُ به الأرض بعد مَوْتِها؟ هو الله سبحانه . وأنت ما عليك إلا أن تُلْقِي حَبَّةً في الأرض فهذه الحبة من الذي أعطاه شروط النمو ومن الذي أودع فيها هذه القوة؟ حبة صغيرة تُصْبِحُ بعد حين شجرة كبيرة فمن نَمَّى هذه الحبة ومن الذي جعل لها سُويِّقاً وجُذيراً وكذلك الرُّشِيم؟ هو الله سبحانه ، فهو يُدبِّر الأمر في النبات والحيوان والإنسان فإذا تَمَّ اللقاء بين الزوجين خرج الماء وتم لقاح في البويضة وما عليك بعد ذلك من شيء ، فأنت في حالك وزوجتك في حالها ، إن الله هو الخالق للنطفة والمدبِّر لها ثم يخرجها طفلاً .

فكيف لَقَحَت هذه البويضة؟ وكيف انقسمت؟ وكيف سارت إلى الرحم؟ وكيف انغrust في جدار الرحم؟ وكيف جاء الدم الكثيف؟ وكيف نمت هذه البويضة فأصبحت على شكل ورقة؟ ثم كيف اتَّضَحَ الدِّماغ والجذع؟ وكيف نبتت الأطراف؟ وبعد تِسْعَةِ أشهر تجد طفلاً كاملاً الخلق؛ رأسٌ وجُمُجُمَةٌ وبصرٌ وأعصابٌ حَسَنٌ وأعصابٌ حركةٌ وعَضَلاتٌ وعِظامٌ وجِهازٌ هضمٌ وجِهازٌ تنفُّسٌ وجِهازٌ دورانٌ وإفرازٌ وغَدَّةٌ صماءٌ وغَدَّةٌ درقيةٌ وغَدَّةٌ نخاميةٌ وغَدَّةٌ البنكرياس؛ في تسعة أشهر وعشرة أيام من نطفة لا تُرى بِالْعَيْنِ إلى طفلٍ كامل الخلق ، فمن يُدبِّر الأمر؟ يدبِّر الأمر يعني يوصل المقدمات إلى النتائج فالمقدمات

نطفة والنتائج طفل ، المقدمات رغبة في الزواج والنتائج زوجة وأولاد
وبيت ، المقدمات مشروع تجاري والنتائج تجارة رابحة ؛ يدبّر
الأمر ، إنه الله .

قالوا : التدبير إذا عَزِيَ إلى الله عز وجل هو التوفيق بين أوائل
الأمور ومبادئها وأدبارها وعواقبها ؛ فالطفل في بطن أمه مُعَرَّض إلى
أخطار كبيرة وكثيرة ، فإذا به يولد سليماً ومُعافى ، فمن دبّر أمره ؟
هو الله جل جلاله والمقدمات يجعلها الله تؤدي ما يجب من الغايات .

شيء آخر وهو أنه يُدبّر الأمر أي يهدي عباده إلى ما أرادهم لهم
فهذا تدبير رُوحِي ؛ يُدبّر أمرهم في إمدادهم بما يحتاجون بالهواء
والماء والطعام والشراب والحاجات والمعادن وما إلى ذلك فهذا
التدبير المعيشي ، لكنه أيضاً يُدبّر أمرهم الروحي بإيصالهم إليه ،
أحياناً يبعث إليه من ينصحه ، وأحياناً يبعث إليه من يضغط عليه ،
ويسوق له شِدَّةً ويخيفه ويُرِيه مناماً مُزَعِجاً ، ويَجْمَعُ الله مع إنسانٍ
طَيِّبٍ ويرزقه رِزْقاً وافياً كي يستحي ويَقْتَرَّ عليه في الرزق ويحيطه
بِخَوْفٍ شديدٍ ويطمئنه ، ويُمِرُّه أحياناً ثم يشفيه ؛ فمن الذي يُدبّر
أمره حتى يصل إليه ؟ هو الله .

والحقيقة أن أدق المعاني وهو أن الله يُدبّر أمر عباده أي يهديهم
إليه ، فأحياناً تجد إنساناً أشرك بالله ، وهذا الذي أشرك به يُلْهِمُهُ أن
يتخلى عنه تأديباً لِمَنْ أشرك بالله ، فمن الذي لَقَّنَ هذا الإنسان المشرك
درساً قاسياً ؟ هو الله عز وجل ، فهو تعالى يُدبّر الأمر ؛ يعطي هذا
مالاً ، وذاك علماً ، فالأول ينفعه المال فيعطيه المال ، وذاك ينفعه
العلم فيعطيه العلم ، وهذا ينفعه الذكاء فيعطيه الذكاء ، وذاك يضره

السال يجعله فقيراً ، إن من عبادي من إذا أَغْنَيْتُهُ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دينه ، وإن منهم من إن أَفْقَرْتَهُ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دينه ؛ من يُدَبِّرُ الأمر ؟ ومن الذي يعطي الإنسان الشيء المناسب في الوقت المناسب بِالْكم المناسب ومن النوع المناسب ؟ هو الله جل جلاله .

هناك شيء دقيق بالنسبة لمفهوم المدبّر ، وهو أن الله عز وجل لِمَاذَا خَلَقْنَا ؟ خَلَقْنَا لِنَعْرِفَهُ ونُسَعِدَ بِقُرْبِهِ ، فكل أفعال الله هي سَوَق العباد لهذا الهدف ، مدبّر أي يسوقهم من بداياتهم إلى الغايات التي أَرَادَهَا لهم ؛ هذا معنى المدبّر .

هناك بعض الكلمات يقولها بعض الإخوة لها معنى لطيف : توكّل دَبَّرَ أو لا تُدَبِّر واستسلم لله عز وجل فهو المدبّر . وهو الذي يُدَبِّرُ أمور عِباده ، والحقيقة أن الرّوح الذي جاءنا من السماء هو من التدبير ، وإرسال الرسل من التدبير ، وإلهام الدعاة إلى الله لإيصال الحق إلى الناس هو من التدبير ، وأن تجفّ السماء من التدبير ، وأن تنهمر أمطارٌ غزيرة من التدبير ؛ يدبّر الأمر قال تعالى :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥٠] .

ويقول الله عز وجل في ختام هذه الآيات : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي أتجهلون أن هذا هو الحق المبين ؟ .

قال بعضهم في معنى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الحديد : ٤] .

أي توحّد بالجلال ، بالكبرياء ، في وصف الملكوت ، كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول ؛ هذا لا نعلمه إلا أن

الذي نعلمه هو أنه استوى على العرش ، أحياناً كل شيء جاهر وما علينا إلا الضغط على مفتاح التشغيل وتحرك كل الأمور ، فهذا تخطيط وتشغيل وتهية وفعل ، فمعنى استوى على العرش : يُدبّر الأمر .

أيضاً يُدبّر الأمر أي أن كل الحوادث تصدر عن تقديره وحاصلة بتدبيره ، وهذا شيء أساسي في التوحيد ، وهو أن كل شيء وقع في الكون أرادته الله ولا يقع حادث إلا بأمر الله ومشيته لأنه المدبّر .

هناك معنى إضافي وهو أن الله هو المحدث فلا يقع حادث إلا بأمر الله ، أما المدبّر فيسوق الحوادث إلى أهدافها الصحيحة ، أحياناً تجد حركة عشوائية دون هدف ، فلعَبُ السيارات الكهربائية تمشي دون هدف أما الإنسان فإنه إذا أفلح بسيارته فهناك هدف يريد أن يصل إليه ، فالحركة تعني أن الله هو المحدث . أما إذا قلنا : المدبّر فهذا يعني أن هذه الأحداث تتجه كلها إلى غايات أرادها الله ، أحياناً تجد اهتماماً بليغاً من الأب لدفع ابنه إلى الدراسة فتجده يكافئه مرةً ويؤنبه أخرى ويدفع له ما يشاء من أجل تحصيل التفوق في الدراسة فكل هذه الأفعال المختلفة الصادرة من الأب ، وذات الهدف الواحد هي من أجل تحصيل مستوى في الدراسة .

فالتدبير له معنى بلوغ الهدف . أما المحدث فله معنى الحركة فالحدث له محدث هو الله عز وجل ، أما المدبّر فهو أن يساق هذا الحادث لما خُلق له ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام : « لا ، اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خُلق له » [رواه الترمذي] .

كل إنسان خُلق للجنة فهو ميسرٌ لها ، فإما أن يأتيها طائعاً وإما أن

يُسَاقُ إِلَيْهَا بِالسَّلَاسِلِ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

عَنْ أَبِي غَالِبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ اسْتَضْحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَضْحَكَكَ ؟ قَالَ : « قَوْمٌ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ مُقَرَّرِينَ فِي السَّلَاسِلِ » [رواه أحمد] .

« قوم يُساقون إلى الجنة مقرنين في السلاسل » إما أن تأتيها طائعا مُبَادِرًا ، وإما أن يسوقك الله إليها بالسلاسل بالامتحانات والتأديبات والشدائد .

قال بعض العلماء : « المُدَبِّرُ : لا شريك له تعبدُه ، وما قضى فما أَحَدٌ يَرُدُّهُ وما من شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، وهو الذي ينطق من يخاطبه ، وهو الذي يخلق ما يشاء على ما يشاء إذا التَّمَسَّ يُطَالِبُهُ ، هذا من معاني المدبر قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وفي سورة يونس عليه السلام : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

أحياناً تأتي موجة حرٍّ في الربيع فهناك بعض النباتات لا تنضج إلا بهذا الحر فمن المدبر ؟ هو الله جل جلاله ، ذهبنا مرةً إلى بلدةٍ في محافظة القنيطرة ووجدت أنواعاً من الدِّيدان لا تعدّ ولا تحصى وعددها غير معقول عددها ، فسألت فقيلاً لي : هذا العام لم يأتِ ثلج كافٍ فحينما ينزل الثلج بشكل كافٍ تموت الديدان هناك تدبير إلهي ، وحينما يداهم الحر هناك تدبير إلهي ، وحينما تأتي الرياح هناك تدبير إلهي ، وأحياناً لا بد من تلقيح النباتات فتأتي الرياح اللواقح ، فالحرّ

له وظيفة في إنضاج الثمار ، وهناك برء له وظيفة في قتل الحشرات ، وهناك رياح لها وظيفة في تلقيح النباتات فمن المدبر ؟ الله هو المدبر فهو - تعالى يسوق كل شيء إلى هدفه .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَنُقُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ هذا من التدبير ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ هذا من التدبير ، وقوله : ﴿ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ وملخص كل هذا : من يدبر الأمر ؟ فالخلق تدبير ، والهداية تدبير ، والرزق تدبير ، والمصائب تدبير ، قال تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَنُقُونَ ﴾ ماذا تنتظر ؟ فما دام الله هو المدبر ، فأنت ماذا تفعل ؟ ومن الذي يمنعك من أن تطيعه ؟

أحد العلماء يسأل : أين كانت تكمن السنبلة في الحبة ؟ أحيانا تجد حبة صغيرة ، بذرة خيار ، يقول لك البائع هذه البذرة تنتج خياراً طوله ثمانية عشر سنتيمتراً ، لونه أخضر داكن ، وملمع ، وإنتاجه كثير وغزير ، ومديد ، فهذه الكلمات التي ينطق بها بائع البذور ، لو أمسكت هذه البذرة أين ترى هذه الخصائص ؟ قد تجد عشرين خاصية لبذرة فهل عندما تأتي البذور في الأغلفة أياكون مكتوباً عليها هذه الخصائص ؟ ، فلو أنك فتحت هذه البذرة وقمت بتسريحها ؛ هل ترى هذه الخصائص ؟ ما عليك إلا أن تزرعها وهي تنبت بمواصفات عالية كثيفة وغزيرة ومديدة ، بحجم معين ، وبلون معين ، وبخصائص معينة ، وتقاوم أمراضاً معينة ، فمن جعل هذه الخصائص

في هذه البذرة ؟ الله جلّ جلاله ؛ يدبّر الأمر .

قال : أين كانت تكمن السنبلة في الحبة ؟ وفي النواة أين يكمن اللب واللحاء ؟ فالتّين مثلاً كم تحوي الواحدة من بذرة ؟ وهل تستطيع عدّها ؟ فهناك ما يقرب من عشرة آلاف حبة ، البذرة الواحدة يُمكنُها أن تُنبت شجرة تين بكاملها ، لها ساق مُعَيّن وجذع مُعَيّن ولون مُعَيّن وأغصان مُعَيّنة وشكل مُعَيّن وأوراق مُعَيّنة وطبائع مُعَيّنة فقد تجدها تحمل أوراقاً متساقطة أو دائمة الخضرة ، فكل هذه الخصائص في هذه البذرة التي لا تُرى بالعين وتحوي كل خصائص التّين ، وهذا تين بعلّ وذاك تين أسود وهذا حجمه كبير وذاك حجمه صغير وهذا سكره جارح وذاك سكره قليل ، فكل هذه الخصائص أين هي ؟ هو المدبّر ، وهذه البيضة التي تحوي صفاراً بعد عشرين يوماً تصبح فرخاً صغيراً فيه عينٌ وأذنٌ ومنقار ، وقالوا : هذا الصوص حينما يأتي وقت خروجه من البيضة ينبت على منقاره نتوءٌ كالإبرة تماماً يكسر به البيضة وبعد أن يخرج يضمّر هذا التّوء ويعود المنقار كما هو عليه في الأصل ؛ منقار ينبت له نتوء مدبّب كالإبرة تماماً وبه يكسر البيضة ويخرج ، ولما تنتهي مهمّة هذا المنقار يرجع إلى وضعه الطبيعي .

ومن أوضح آيات التدبير أن الجنين في بطن أمّه ليس لديه تنفّس فالرّئة معطلّة ، عنده دوّرة دمويّة إلا أن التنفّس معطل ، فرئنا عز وجل خلق ثقباً بين الأذنين فالدم بدّل أن ينتقل من الأذنين إلى الرئتين ثم إلى البُطْنين ينتقل من أذنين إلى أذنين لأن طريق الرئتين مسدود ، فما دام الطفل في بطن أمّه فالهواء منعدم ، لكن بعدما يولد الطفل قال الأطباء : فتأتي جلطة تُغلّق هذا الثقب في الوقت المناسب وإلا يصاب هذا الطّفل المولود حديثاً بِمَرَضِ الرّزَق ، فلا يستطيع أن يتحرّك لأن

دمه أزرق ولا يذهب الدم للرتتين لِيطْرَحَ غاز الفحم ويأخذ الأكسجين ، ويبقى في الدم غاز الفحم وبذلك تنعدم القدرة على الحركة ، وأغلب هؤلاء الأطفال يموتون في عشر سنوات تقريباً ما لم تُجرَ لهم عملية باهظة التكاليف ، لإغلاق هذا الثقب بين الأذنين ، فمن المدبّر ؟ الله عز وجل .

وهذا الكائن البشري أين هو في البُوَيْضَة ؟ أين كانت تكْمُن ملامحه ؟ وأين كانت تكمن نبرات صوته ؟ ونظرات عَيْنَيْهِ ، ولفقات جِيدِهِ ، واستعدادات الأعصاب ، ومُورَثات الجنس ؟ أين كانت تكمن كل هذه الصّفات في البُوَيْضَة وفي الحُوَيْن ؟ فمن المدبّر ، ومن الذي أخرجها إلى حَيَرِ الوجود ؟ هل تصدّقون أن على الحُوَيْن ملايين المعلومات المُبرّجة ؟ وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

ويسوق الحوادث إلى غاياتها ، ويسوق الإنسان إلى ما خُلِقَ له ، ويحرّك الشمس والقمر ويولج الليل في النهار ، وينزل الماء من السماء ، وينبت الزرع ، لقد كان وزنك ثلاثة كلغ عند الولادة ، فإذا وزنت نفسك عند الكبر ربما تجدها ثمانين كلغ فكيف تم لك هذا الوزن ؟ ومن حوّل الطعام والشراب والتفاح والخبز والجبن والسكر إلى لحم وعظام ونُسُج وأجهزة ؟ إنه المدبّر .

وهناك أمر آخر في هذا الباب فلو أنك دخلت عالم النحل لَوَجَدْتَ العُجَب العُجَاب أيضاً ؛ ولو دخلت عالم النمل لوجدت العجب العُجَاب ؛ تعقيدات اجتماعية لِحَشَرَة النحل والنمل لا تصدّق ، وشيء

لا يُصَدَّقُ أن تبني هذه النحلة بيتاً بشكل سداسي ، والسداسي هو الشكل الهندسي الذي لا يأخذ فراغات بينية ويكتفى بالسُداسي بأقصر ضلع ، ومعنى ذلك أنه متين كلما طال الضلع ضعفت المتانة ، فهناك مؤاصفات رياضية للشكل السداسي ، فمن الذي ألهم النحلة أن تبني بيتها على شكل سداسي ؟ ومن الذي ألهمها أن تذهب للحقول وتمتصّ رحيق الأزهار ؟ ومن الذي ألهمها رقصة بها تحدّد جهة الأزهار وبعدها وكثافتها ؟ الله جل جلاله . ومن الذي ألهم النحلة أن هذه الزهرة ممتصة الرحيق ، فلا تقع عليها لأنها قد امتصّت منها الرحيق ؟ من الذي يدبّر الأمر ؟ وهل تعتقد أن النحلة لها عقل ؟ لا ، لكنها تقوم بعمل رائع في عقلايته وتعقيداته ، إذاً من الذي يدبر أمر النحلة ؟ هو الله عز وجل .

وفي سورة الرعد : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ .

فالله تعالى كلما أورد التفاصيل وساقها للإنسان أوجزها بكلمة يدبّر الأمر ؛ فخلقه تدبير ، وورقه تدبير ، وهدايته تدبير ، وفي النهاية يدبر الأمر ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴾ ١٥٠ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٤٩-٥٠] .

رجل كان في بستان فرأى قنفذاً يأكل أفعى ، كلما أكل جزءاً ذهب إلى نباتٍ وأكل ورقاً من هذا النبات ، فهذا البستاني كان ذا فضول فقام لهذا النبات واقْتلعه ، فلما عاد القنفذ وأكل جزءاً من تلك الأفعى ذهب ليأكل من هذا النبات فلم يجدّه فمات ! فمن الذي ألهم هذا

القنفذ أن لهذا النبات أثراً متوازياً مع لحم الأفعى ؟ الله جل جلاله ، قال تعالى : **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿١٢﴾** [طه : ٤٩-٥٠] .

وفي قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ ﴾ [الطلاق : ١١٢] .

فقوله : **﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾** ؛ هذا من التدبير ، يجب أن تعلموا أن الله تعالى هو الذي يسوق كل شيء لكل شيء .

من تطبيقات هذا الاسم ؛ إذا رأيت يد الله تعمل في الخفاء فهو المدبّر ، وإذا رأيت يد الله فوق أيديهم فهو المدبّر ، وإذا رأيت أن كل شيء لا يقع إلا منه تعالى فهو المدبّر .

لذلك توكل على هذا المدبّر الحكيم الرحيم العليم القدير ، فهو حكيم في كل تدبيره ، رحيم عليم قدير بيده الأمر كله قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٢٣] .

قال أميه بن أبي الصلت :

حنانيك إن الجن كنت رجاءهم	أرى أدينُ إلهاً غيرك اللهُ ثانياً
وأنت الذي من فضل من ورحمة	بعثت إلى موسى رسولاً مُنادياً
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا	إلى الله فرعون الذي كان طاغياً
وقولا له أنت سؤيت هذه	بِلا وَتَدِ حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أنت رفعت هذه	بِلا عَمَدٍ أرفق إذا بك بانيسا

وقولا له أأنت سَوَّيتَ وسطها منيراً إذا ما جَنَّهُ الليل هادياً
وقولا له من يرسل الشمس غدوة فيُصبح ما مَسَّت من الأرض ضاحياً
وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيُصبح منه البقلُ يهتز راياً
ويُخرج منه حَبّه في رؤوسه ففي ذاك آياتٍ لِمَن كان وإعياً
وإني لو سبحت باسمك ربنا لأكثر إلا ما غفرت خطائياً
فربّ العباد ألق سيباً ورحمة عليّ وبارك في بنيّ وماليا

والحقيقة - والله - فيما يبدو أن كل ما في الكون ينطق باسم المدبر
خلقاً وتَصَرُّفاً ومصيراً ؛ نباتاً وحيواناً وإنساناً وجماداً وشمساً وقمرأً
وكواكبَ ومجرات ومذنبات وليلاً ونهاراً ورزقاً وهداية وتوفيقاً ، أليس
في القرآن الكريم :

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود : ٨٨] .

فمن الذي يستطيع أن يسوق الحوادث إلى غاياتها ؟ هو الله عز
وجل .

ومن ثم فإنه يمكننا أن نستنبط استنباطاً أن الله جل جلاله جعلك
خليفةً في الأرض ، وينبغي أن تدبّر أمورك فأنت أبٌ وعليك أن تدبّر
أمر أسرّتك ؛ بناتك وأولادك وأعمالك ، وأنت طبيب فعليك أن تدبّر
أمر مرضاك ، وأنت محام فعليك أن تدبّر أمر موكلّيك ، فالذي يُهمل
عمله لا يتخلّق بِكَمالات الله .

فالمدبّر يوحى بحكمة بالغة ، أذكر أنني اشترت مرة عنباً من
منطقة باردة وظننته من شكله حُلْو المذاق ، فلما سألت البائع لم لم
يكن حُلْو المذاق ؟ قال : لم يأتنا حرٌّ في هذا العام ، فالحرُّ هو الذي
يرفع كثافة السكر في الفواكه ، فمن المدبّر ؟ إذاً يتضح لكم أنه تعالى

هو المدبّر وأنت خليفته في الأرض ، واللهُ وَكَلَّكَ بِهؤلاءِ الناسِ فعليك أن تُدبّرَ أحوالهم .

تجد أحياناً أباً يعتني بأولاده في أجسادهم وأفكارهم ودراساتهم ودينهم ، هذبهم وعلمهم وأحسن علاقاتهم بغيرهم ، ومنحهم بعض الإمكانيات إلى أن يُزوّجهم ؛ نقول : هذا الأب مُدبّر ، وكذلك الأم فهي مدبرة ترعى أولادها وتخطط لهم وتطبخ لهم وتعتني بأخلاقهم وتُحاسبهم وتراقبهم وتسهر على راحتهم وتعالجهم إن هم مرضوا ، فكما أن الله تعالى مدبّر فإذا وَكَلَّكَ بِأَسْرَةٍ فَكُنْ لها مدبراً ، ووَكَلَّكَ بِطُلابٍ فَكُنْ مدبراً لهم ، جاء لِيَسْتَتِرِي من متجرك فَأَعْطِ له الشيءَ الجيد .

فَمِنَ التطبيقات العملية لهذا الاسم ؛ كما أن الله تعالى دبّر أمر عباده وأنت خليفته في الأرض ، ما عليك إلا أن تدبّر أمر من دونك ، فمدير المدرسة والمستشفى والمؤسسة كل من حوله ومن دونه تحت سمعه وبصره ؛ فلان زوجته حامل فهو يحتاج إلى مُساعدة ، وفلان يحتاج إلى توجيه ، والآخر إلى طبيب ، فأنت إذا كنت في منصبٍ أعلى كُنْ مدبراً ، كما أن الله تعالى يُدبّر أمور عباده ، فهذا من التطبيقات العملية لاسم المدبّر ، وكلما كنت من الطراز الرفيع كنت أكثر إيماناً وإتقاناً ، فإتقان العمل هو التدبير والمؤمن يتقن عمله ، وليكن لك حظك من اسم المدبّر .

الشافى

من أسماء الله الحُسنى الشافى ، ولكن قبل أن نخوض فى دقائق هذا الاسم العظيم لا بد من وقفة متأنية حول موضوع آخر يتّم هذا الاسم ويكتمل المعاني التى سوف تُساق فيه ، المرض فى الأصل ليس من الله لأن الله عز وجل يقول حكاية عن سيدنا إبراهيم :

﴿ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ بِهْدِينِ ۝۷۸ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝۷۹ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ۷۸-۸۰] .

قال الذى خلقنى وأطعمنى ، وما قال الذى أمرضنى ؛ بل قال :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ۸۰] .

فنسب إبراهيم عليه السلام المرض لنفسه .

﴿ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ بِهْدِينِ ۝۷۸ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝۷۹ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝۸۰ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝۸۱ وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء : ۷۸-۸۲] .

أصل المرض خروج عن منهج الله ، وإن صحّ أن نقول هناك مرض للأجسام ومرض للقلوب ، المرّضان بنوعيهما مرض الأجسام ومرض القلوب أصلهما خروج عن منهج الله ، لأن الله تعالى كاملٌ كاملاً مطلقاً فإذا خلق شيئاً فقد خلقه كاملاً ، ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن

تَفْقُوتُ ﴿١﴾ ، من الذي يُخْطِئُ ؟ ومن الذي يُفْسِدُ ؟ ومن الذي يَطْعَى ؟
ومن الذي يظلم ؟ ومن الذي يُسِيءُ ؟ هو مخلوقٌ أودَعَ الله فيه
الشهوات لِيزِقَى بها صابِراً تارةً وشاكِراً تارةً أخرى إلى رب الأرض
والسموات ، وهذه الشهوات إذا أُودِعت في مخلوق ولم يكن هذا
المخلوق مُتَّصِلاً بالله ولم يَسِرْ على منهج الله يفسد .

فالشيء الجامد إذا وضعته في مكانٍ لا يتحرك ، فليس ضرورياً أن
يعلم هذا الشيء الجامد ، أما إذا مشى ولم يكن هناك مِقْوَدٌ فالدِّمار
حتمي ، ومن الذي يحرك الإنسان ؟ شهواته ؛ والإنسان مندفعٌ لِتَلْبِيَةِ
حاجاته وشهواته وهذا الاندفاع يُشَبِّه الحركة ، إنه إندفاعٌ دون منهج
يسير عليه ، ودون مِقْوَدٍ وهو العلم ، ودون اتِّصالٍ بالله وهو الهدى ،
وهذه الحركة دون منهج ودون هدى سَتُدْمِرُ صاحبها ، إذا الإنسان
والجن وحدهما اللذان أودَعَ الله فيهما حُرِّيَّةَ الاختيار وأودع فيهما
الشهوات اقرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

وفي آيات أخرى تجد الجن تشترك مع الإنسان في حمل الأمانة ،
هذان المخلوقان تحملاً الأمانة ، والأمانة نفسُ الإنسان ؛ وعليه أن
يُرَكِّبَهَا وكيف يزكيها ؟ بتعريفها الله وحملها على طاعته ، فالدين
يحمل جانباً سلوكياً وآخر معرفياً وثالثاً جمالياً ، الجانب المعرفي هو
السبب والجانب السلوكي هو الأصل والجانب الجمالي هو الثمرة .

﴿ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [مرد : ١١٩] .

٩٢- الشامي (الإنسان) فيه شهوات وفيه اختيار ولكن مع هذه
 هذا عقلاً ، بمنزلة ميزانٍ دقيق ، وأعطاه على هذا الميزان
 مهيمناً هو الشرع ، فأرسل إليهم الأنبياء ومعهم الكتب ،
 من وجود أنبياء وكتب وشريعة وعقل ، ومع كل هذا
 سان كل شيء وراء ظهره وانطلق مع شهواته بلا منهج وبلا
 بلا كتاب منير ففسد ، ومن مقتضيات حياة الإنسان أن فساد
 لذلك هيئاً له شفاءين ، هيئاً له القرآن الكريم شفاءً لنفسه وهيئاً
 له الأدوية شفاءً لجسمه ، فالشفاء يقتضي المرض ، والمرض في
 الأصل خروج عن منهج الله عز وجل .

فإذا قلنا : إن هناك مرضاً للقلب كالضعينة والحقد والكبر
 والكرهية والأثرة والجحود والإجحاف والظلم هذه كلها أمراض
 القلب ، وهناك مقولة رائعة وهي : إن أمراض القلب ليست
 بأمراض ، بل هي أعراض لمرض واحد ألا وهو الإعراض ؛ إن
 أعرضت عن الله عز وجل تكشفت أمراض القلب ، فكل أمراض القلب
 وكل الصفات الخسيسة في الإنسان هي أعراض لمرض واحد هو
 الإعراض عن الله ، فالإنسان ما لم يتصل بالله عز وجل لن تزكو نفسه
 قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩-١٠] .

فلو أنه أعرض عن الله ولم يطبق منهجه وشرّد عنه شروداً بعيداً ،
 فعندئذ تكون نفسه قد تعلقت بشهوات وأصبحت بأمراض ، والقرآن
 الكريم شفاء لهذه النفس ، فإذا قرأ القرآن عاد إلى الله وسار على
 منهجه ، كذلك هذا الجسم حينما يخالف منهج الله عز وجل المُتمثل

بِتَوْجِيهَاتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْعَالَمِ الْحَسَنِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا وَخَلَقَ لَهُ دَوَاءً ، فَبَحَثْنَا يَتَنَاوَلُ اسْمَ الشَّهِيدِ
اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى ، وَهَذَا الْاسْمُ زَائِدٌ عَلَى الْأَسْمَاءِ
وَالْتَسْعِينَ الْمَشْهُورَةِ وَالتِّي وَرَدَتْ فِيهَا الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ .

الشِّفَاءُ فِي اللُّغَةِ : الْبُرْءُ مِنَ الْمَرَضِ ، يُقَالُ شَفَاهُ اللَّهُ يَشْفِيهِ ،
اِسْتَقَى : اِفْتَعَلَ مِنْهُ ، فَلِلْمُبَالَغَةِ فِي الشِّفَاءِ نَقُولُ : اِسْتَقَى ؛ فَعَدْنَا إِذَا
شَفِيَ وَاسْتَقَى ، وَمِنْ هُنَا نَقُولُ : مَشَفَى وَمُسْتَشْفَى ، وَالشَّيْءُ الَّذِي
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَاضِحاً هُوَ أَنَّ أَمْرَاضَ الْقَلْبِ أخطرُ مِنْ أَمْرَاضِ
الْجِسْمِ ، لِأَنَّ أَمْرَاضَ الْجِسْمِ مَهْمَا تَفَاقَمَتْ وَمَهْمَا كَانَتْ خَطِيرَةً تَنْتَهِي
عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَالْمَوْتُ يُنْهِي كُلَّ مَا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْجِسْمِ ، وَيُنْهِي الْمَرَضَ
وَيُنْهِي الصَّحَّةَ وَيُنْهِي الْقُوَّةَ وَيُنْهِي الضَّعْفَ وَيُنْهِي الْغِنَى وَيُنْهِي الْفَقْرَ
وَيُنْهِي الْوَسَامَةَ وَالْدَّمَامَةَ وَيُنْهِي الذِّكَاءَ وَالْغَبَاءَ . . . يُنْهِي كُلَّ شَيْءٍ ، إِلَّا
أَنَّ أَمْرَاضَ النَّفْسِ خَطُورُتُهَا وَأَثَارُهَا تَبْدَأُ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَمِنْ هُنَا قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] .

فَالْقَلْبُ لَهُ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ شَأْنٌ كَبِيرٌ ، وَالْقَلْبُ مَنْظَرُ الرَّبِّ يَصِفُو
وَيَتَعَكَّرُ وَيَسْمُو وَيَسْفُلُ وَيَكْبُرُ وَيَضْعُفُ ؛ يَكْبُرُ الْقَلْبُ وَلَا تَرَى كِبَرَهُ
فَيَتَضَاعَلُ أَمَامَهُ كُلَّ كَبِيرٍ ، وَيَصْغُرُ الْقَلْبُ وَلَا تَرَى صِغَرَهُ فَيَتَعَاضَمُ عَلَيْهِ
كُلَّ حَقِيرٍ ، قَلْبٌ صَفَا وَآخِرُ انْحِرَافٍ ، وَقَلْبٌ اسْتَعْلَى ، وَقَلْبٌ كَانَ فِي
تَجَلِّيَّاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَلْبٌ عَرَفَ اللَّهَ ، فَلِذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الشَّهِيرَةِ
لِسَيِّدِنَا عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « تَعَاهَدْ قَلْبَكَ » أَنْظِرْ إِلَى قَلْبِكَ عَلَى مَاذَا
يَنْطَوِي ، الْقَلْبُ مَنْظَرُ الرَّبِّ لِذَلِكَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ أَنْ تَتَعَاضَلَ

مع الله مباشرة ، وأن تنظر إلى الله عز وجل وهو ناظرٌ إلى قلبك ؛ هل فيه غِلٌّ لأحد ؟ وهل فيه حِقْدٌ لأحد ؟ وهل فيه ضغينة وكرهية وكِبَر واستِعلاء وأثرة وعجرفة ؟ فكلما طهر القلب تجلّى عليه الرب ، وصدّقوني أنه أسعد الناس من كان قلبه موصولاً ، يُقال مثلاً : إن فلاناً له قلب كبير ، أي قلبٌ موصولٌ بالله ، ومعنى موصول أنّ القلب اضطَبَّح بِصِبْغَةِ الله ، تجد أن من علامات المؤمن إذا رأيته تذكّرت الله ، « أولياء الله تعالى إذا رُؤوا ذكر الله تعالى » [الحكيم الترمذي بسند صحيح من حديث ابن عباس] .

وإذا عاملته أَحَبَّته وَحَدَّثَ ولا حرج عن تواضعه وعن لُطْفِهِ وعن حياته وعن كَرَمِهِ وبَذْلِهِ وعن عطائه وعن حُبِّهِ وعن غَيْرَتِهِ ، فَلِذَلِكَ نَتَفَيَّأ مظلة اسم الشافعي في بحثنا هذا ؛ إنه يشفي أجسادنا ويشفي قلوبنا ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال : « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » [رواه مسلم] .

ولعله معلوم لدى كل مؤمن أنّ هذا الحديث وحده يُعَدُّ من أعظم الأحاديث الشريفة ، لأنه ذو صلة بكل الأمراض قاطبة ، فلو سمعه طبيب ولم يهتدِ إلى تشخيص بعض الأمراض يتَّهم نفسه بالتقصير ، فكأن هذا الحديث يدفع العلماء والأطباء إلى البحث عن الدواء ، ولأن الله عز وجل يقول فيما أخبرنا عنه النبي ﷺ : « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ » فإذا سمع هذا الحديث أيُّ مريض وقرأه يمتلئ قلبه أَمَلًا بالله عز وجل أن يشفيه ، فما من داء خلقه الله إلا وخلق له دواء .

قال العلماء : فإذا أُصِيبَ دواء الداء ؛ أي إذا وُفِّقَ الطبيب إلى تشخيص المرض أولاً ثم وُفِّقَ الطبيب إلى اختيار الدواء المناسب ثانياً

بريء ، ولكن لا بُدَّ من أن يأذن الله عز وجل ، فالمرضى ارتبط من جهة العلم والبحث والدراسة الجادة ، وأن هذا المرض له دواء في مخابر الباحثين والعلماء وارتبط بالله عز وجل لأنه إذا أصيب دواء الداء برىء ، ولكن بإذن الله ، فلا بد من أن يأذن الله حتى يبرأ المريض .

بعضهم قال : « الشفاء هو الدواء لأنه أحد نتائج الدواء » ، يقول العرب : رعيننا الغيث ، والغيث لا يُزعى ولكن رعيننا كلاً سببه الغيث .

فبعضهم قال : الشفاء هو الدواء نفسه وتعريف الشفاء : البرء من المرض ، ثم وُضع موضع العلاج والدواء ، أما استشفى فتعني طلب الشفاء ، والكل يعلم أن الفعل الذي يبدأ بِالْفِ وسين وتاء فيه معنى الطلب ؛ استشفى : طلب الشفاء ، واستغفر : طلب المغفرة ، واستعلم : طلب العلم ، واسترحم : طلب الرحمة .

وقد ورد ذكر الشفاء في مواطن كثيرة من كتاب الله فقال تعالى في سورة التوبة :

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُدُورِهِمْ وَيَتَّخِذُ مِنْهُمْ مَصَدُورًا قَوْمٌ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤] .

معنى ذلك أن المؤمن حينما ينتصر الحق ويغلب ، وحينما يهزم الباطل ويسقط ، ترتاح نفسه وهذه هي فطرة الإنسان السليمة .

وهذا القرآن سماه الله عز وجل شفاء لما في الصدور ، أحياناً تجد أن الكفار أقوياء وأغنياء ويعيشون حياة فوق التصور ، وهم مستهترون ولا يطيعون الله ولا يصلّون ويأكلون الربا ويزنون ، ومع ذلك يلاذهم

جميلة وهم أغنياء ومعيشتهم فيما يبدو راقية وفيها هناة ورغد ، فهذا المنظر يُحدث إحتلال توازن وإذا فتحت القرآن سمعت الله عز وجل يقول :

﴿ لَا يَغْنَىٰ عَنْكَ تَلَابُثُ الْدِينَ كَفَرُوا فِي إِلَٰهِدٍ ۖ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْمُكَادِّ ۖ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمُوتُ لَمَّا عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٨] .

وتفتح القرآن وتجده قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

فترتاح عندئذ وتستعيد توازنك ، تفتح القرآن الكريم تجده قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

فترتاح كذلك ، ترى أن الدنيا جميلة ونضرة وخضرة وكل شيء فيها مغرٍ فإذا فتحت القرآن الكريم تجده قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا لِلْغِيَاةِ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴾ [محمد : ٣٦] .

فالله نبهك ، وكل الأمراض التي تنشأ في نفس الإنسان يعالجها القرآن ويحلها ، أحياناً يكون الإنسان في يدائيه لا يملك شيئاً ؛ لا مالاً ولا بيتاً ولا عملاً ولا دخلاً ، ويبدو أن الطرق مسدودة أمامه ، ولكنه مستقيم في سلوكه مع الله فتبع الآيات في نفسه الآمال الكبار عن

طريق الثقة بربه الذي بيده الخير ، ثم يقرأ القرآن فيجد قوله تعالى
يزيده تفاؤلاً وسكينة :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

فيطمئن ويقرأ قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ
لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ١٤١] .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وهذا كله شفاء لما في الصدور وقوله تعالى :

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيبٍ كَمَن مَّنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص : ٦١] .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَغْرُنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴿١٢﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزِّلَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴾ .

آية تقرأها تجد أنها تشفي النفس من بعض أمراضها ، فزبنا عز
وجل جعل هذا القرآن شفاء لما في الصدور قال تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٥٧] .

فالذي أنزل الشفاء هو الشافي ، المؤمن متوازن والمؤمن ليست عنده مشكلات فكرية ، ولو أنه رأى كافرأ قويا ورأى مؤمناً ضعيفاً ، ولو أنه رأى منحرفاً غنياً ورأى مستقيماً مُتَقَشِّفاً فله موازين خاصة ، قد تجد موازين الناس تدعو للانقباض ، فهناك من يرى أن المال هو الذي يثقل الميزان ، وكذلك الطيش والقوة الرعناء ، أما عند الله فالعمل الصالح فيه راحة الميزان .

لما سقى سيدنا موسى للمرأتين إبتتي سيدنا شعيب ماذا قال ؟ قال تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] .

فَفَهِّمُ من هذه الآية أن الغنى عند الله غنى الأعمال الصالحة ، وأن الفقر هو فقر الأعمال الصالحة . والحقيقة أن حُجْمَكَ عند الله لا يَحْجُمُ أموالك ولكن يَحْجُمُ أعمالك ، والعُمُر لا قيمة له إلا بِمَضْمُونِهِ الصالح ، قد تعيش عمراً قصيراً مُفْعِماً بالأعمال الصالحة ، وقد يعيش آخر عُمُراً مديداً فارغاً من العمل الصالح ؛ فهذه كلها موازين ، والإنسان حينما يختل ميزانه يقع في المتاهات والضيق والتشاؤم والحيرة والاضطراب .

وفي سورة النحل قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۚ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٨-٦٩] .

قال ابن القيم : « هناك شفاءان : شفاء النفوس كلام الله ؛ وشفاء الأبدان العسل » ، لكن لو أن الله عز وجل قال : فيه الشفاء للناس

لَصَارَ الْعَسَلُ شِفَاءً مِنْ كُلِّ مَرَضٍ ، أَمَا وَقَدْ جَاءَ الشِّفَاءُ نِكْرَةً ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ؛ يَعْنِي شِفَاءً مِنْ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ . وَعَلَى كُلِّ فَالْعَسَلُ كَمَا يَقُولُونَ : صَيْدَلِيَّةٌ ثَانِيَةٌ ، فَعَدَدُ الْفَيْتَامِينَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْأَنْزِيمَاتِ الَّتِي فِي الْعَسَلِ لَا تَعْدُ وَلَا تُحْصَى ، وَمَعَ ذَلِكَ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ، وَفِي سُورَةِ فَصَّلَتْ قَالَ تَعَالَى :

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا آجِمًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٤] .

فَقَارِئُ الْقُرْآنِ لَا يَحْزَنُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ مَتَّعَهُ اللَّهُ بِعَقْلِهِ حَتَّى يَمُوتَ ؛ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مَتَّعَهُ اللَّهُ بِعَقْلِهِ حَتَّى يَمُوتَ ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَا يَقِلُّ فِي عَظَمَتِهِ عَنِ عَظَمَةِ الْكَوْنِ قَالَ تَعَالَى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام : ١] .

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لُغَةً غَوْجًا﴾ [الكهف : ١] .

فَهَذَا كِتَابُنَا الْمَقْرَرُ وَمِنْهَجُنَا وَدُسْتُورُنَا وَحَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَالْعَمَلُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَيَرْفَعُنَا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٤] .

الْمَعْنَى الْمُخَالِفُ لِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، إِذَا أَحَدُ أَسْبَابِ فَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ قَرِيبًا مِنَ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ بَعِيدًا عَنْ اللَّهِ فَمَاذَا يَكُونُ حَالُهُ مَعَ الْقُرْآنِ ؟ : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا آجِمًا

لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَغْشَىٰ وَعَرَفَ ۖ قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ وَشَفَعَهُ
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ .

أما إذا كان قريباً من الله عز وجل فإنه يفهم كلام الله كما أراد الله ،
فعلى الإنسان أن يُشَمِّرَ لِيَكُونَ قريباً من الله عز وجل حتى يفهم عن الله
تعالى كلامه ، ومن هنا قال بعض أصحاب النبي ﷺ : « أوتينا الإيمان
قبل القرآن » ، قال ابن عمر : لقد عشت برهة من دهرى وإن أحدنا
يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها
وحرامها وما ينبغى أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن .

. . وعن جندب بن عبد الله قال : « كنا مع النبي ﷺ نحن فتيان
حزائرة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن فازددا به إيماناً » فإذا
اتصلت بالله عز وجل وأقبلت عليه وقرأت القرآن كنت قريباً من
المعاني التي أرادها الله عز وجل ، والقرآن مع ذلك لا تنقضي
عجائبه .

بمناسبة الحديث عن العسل ، فقد ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ
قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ أَحِيَّ اسْتَطْلَقَ بَطْنَهُ - يعني
أصيب بإسهال شديد - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْقِهِ عَسَلًا » فَسَقَاهُ ثُمَّ
جَاءَهُ فَقَالَ : إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْطِطْلَاقًا ، فَقَالَ لَهُ : ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ : « اسْقِهِ عَسَلًا » فَقَالَ : لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ
يَزِدْهُ إِلَّا اسْطِطْلَاقًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ
أَخِيكَ » فَسَقَاهُ فَبَرَأَ . [رواه مسلم] .

قرأت مقالةً علميةً لطبيبٍ مُتَفَوِّقٍ جداً في تحليل هذا الحديث أن

الإسهالات الإنتانية يكون الدواء المناسب لها المواد السكرية ، ففي بداية الأمر يزداد البطن إسهالاً إلى أن تذهب هذه المواد التي سببت الإنتان ، بعدئذٍ تُمسك الأمعاء ما فيها ، ويعود الوضع إلى الشكل الطبيعي ، فقال رسول الله ﷺ :

« صدق الله ، وكذب بطن أخيك » .

هذا الحديث يُمكن أن نقيس عليه أشياء كثيرة ، مثلاً الله عز وجل قال :

﴿ يَمْحُوُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

لو قال لك واحدٌ أنا دفعت صدقاتٍ كثيرة وأنا فقير وما عوّض الله عليّ ، نقول له : صدق الله العظيم وكذبت أيها الإنسان ، لأن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده للمؤمن .

أحد العلماء قال : من دعا إلى الله ولم يُوفّق فكانه يُكذب قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] .

لعلك تظن أن المكافأة على الصدقات وأنها تربو يوم القيامة لا في الدنيا ، نقول : لا . فهذا يكون في الحياة الدنيا في أغلب الأحيان .

إذا دَعَوْتَ إلى الله بِصِدْقٍ وإخلاص وطبقت منهج الله وكانت السريرة كالعلانية ، فلا بد من أن تُوفّق فإن لم تُوفّق فقد صدق الله ، وابحث عن خلل في دَعْوَتِكَ وفي نفسك .

فإذا كان هناك خلل فإما في النيات وإما في المنهج ، وحاشا أن يكون في منهج الله عز وجل أيُّ خلل ، وقبول الأعمال منوط بشرطين :

- أن تكون خالصةً لله تعالى أولاً .

- ثم أن تكون وفق السنة .

فإن كانت خالصة ولم تكن وفق السنة عليك أن تراجع حساباتك ، وإن كانت وفق السنة ولم تكن خالصة عليك أن تراجع حساباتك ، وأنا أقول لكم كلاماً دقيقاً فأنتم مؤمنون ولا أزكي على الله أحداً ، وكل واحد منكم من طموحاته أن يستخديه الله تعالى في نشر الحق ، وأن يُجزي الخير على يديه وأن يستخديه ويستعمله في الخير ، فإذا تحركت حركة سريعة ومكثفة ولم تلق نجاحاً في الدنيا يجب وأقول يجب أن تغزو عدم النجاح إلى ذاتك ، إما إلى خلل في النيات ، وإما إلى خلل في المنهج ، فإذا قلت النيات طيبة والمنهج صحيح ولم أوفق هل تدري أنك وقعت في الكفر ؟ وهو رد آية في كتاب الله ، والإنسان إذا رد آية في كتاب الله فقد كفر والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ .

فإذا لم تنجح الدعوة إنحث عن الخلل وعن التقصير لعل هذا يذكرنا بموقف نبينا عليه الصلاة والسلام يوم بدر ، وهو سيد العالمين وسيد الخلق وأقرب الخلق إلى الله ، فقد وقف قبيل المعركة ورفع يديه إلى السماء حتى بدا بياض إبطيه أو حتى وقع الرداء من أعلى منكبيه ، كما روى ذلك عمر بن الخطاب قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وَتِسْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدَ فِي الْأَرْضِ » ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَاذَا يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَنَاهُ أَبُو بَكْرٍ

فَاخَذَ رَدَاءَهُ فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكِبِيهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَفَى مُيُودِكُمْ يَأْتِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفَاتٍ ﴾ فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ [رواه مسلم] .

وقد يسأل سائلٌ أَيْكون الصديق أكثر ثقة بالله من رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ مُستحيل كيف نُفسّر هذا المَوْقِف إذا ؟ النبي عليه الصلاة والسلام مُتَأدّب مع الله أشد التأدّب ، وكان النبي ﷺ يخشى أن يكون هناك تقصير في الإعداد ؛ وهو يعلم أن الأمر بيد الله ولكن النبي عليه الصلاة والسلام خشي أن يكون هناك تقصير في الإعداد لأن الله عز وجل يقول :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وبعد فإني أتمنى على الله أن تكون هذه الحقيقة واضحة تماماً ؛ العمل لا يُقبل إلا بِشَرْطَيْن : الشرط الأول أن يكون خالصاً ، والشرط الآخر أن يكون صواباً ، فخالصاً ما ابْتَغِي به وجه الله ، وصواباً ما وافق السنة .

دَعَوْتُ إِلَى اللَّهِ فلم تنجح معك الدعوة دَقَق في نياتك ؛ من طلب العلم لِيجاري به العلماء أو لِيماري به السفهاء أو لِيصْرِف وُجوه الناس إليه أدخله الله النار ، قد تقول وأنت صادق : أنا أعلم نفسي حق المعرفة إنني أنطوي على نِيَّة طَيِّبَةٍ خالصة إذا الخلل في المنهج ، لعلك خالفت منهج رسول الله ﷺ فلم تنجح الدعوة ، فكل إنسان إذا

وفي سورة يونس قال تعالى :

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٥٧] .

ألا فاعلم أيها المؤمن أن : من أوتي القرآن فظن أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله ، فالذي يُوتى القرآن تلاوةً وفهماً وتفسيراً وتطبيقاً فقد بلغ قمة المجد ، لأن السيدة عائشة رضي الله عنها سُئلت عن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام فقالت : « كان خلقه القرآن » [رواه مسلم] ، قال تعالى :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان : ٦٣] .

تابع هذه الآيات تجد أنها أخلاق عباد الرحمن فتخلق بأخلاقهم .

وقال تعالى :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : ٢] .

اقرأ القرآن وابحث عن أوصاف المؤمنين فإذا كانت هذه الأوصاف مُنطبقة عليك فاشكر الله عز وجل وإلا فابحث عن الخلل .

النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا عاد مريضاً يدعو له ويقول كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضاً أَوْ أَتَى بِهِ قَالَ : « أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » [رواه مسلم] .

أنت الشافي وحدك ، وربنا عز وجل أحياناً يشفي مريضاً بمرضٍ عُضال وقد كان مُستعصياً ، ولِحكمةٍ بالغةٍ ورحمةٍ غامرةٍ يشفي هذا

المريض شفاءً ذاتياً على الرغم من أن مرضه عُضال ، فمن أجل ماذا ؟
 من أجل ألا تعتقد أن الدواء هو الشافي ، إذ الشافي هو الله ، فالله عز
 وجل يسمح للدواء أن يفعل فعله ، فكل مريض نسي الله ويبحث عن
 الدواء فقط لا يُشفى ، والمريض لا يُشفى إلا إذا اعتقد أن الله هو
 الشافي .

ومعنى آخر من معاني الشفاء : لو أن إنساناً كان منحرفاً ثم تاب
 إلى الله عز وجل فقد شفاه إذا أقبل عليه تائباً ، قال تعالى : ﴿ أَوْ مَن
 كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ
 لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

التوبة تُحيي القلب ، فالله شافي ، ويشفي جسدك ولو أصيب بأي
 مرض ، ويشفي قلبك من كل مرض ، فما عليك إلا أن تبادر إليه
 وتأوي إليه مستسلماً ، قال تعالى :

﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات : ٥٠] .

وما عليك إلا أن تتصل به وأن تتجه نحوه وأن تُخلص له هو
 الشافي يشفي جسدك ويشفي قلبك ، شفاء الجسد مُريح في الحياة
 الدنيا ، لكن شفاء القلب سبب سعادة المرء إلى أبد الأبد . ومن
 هنا تتجلى أهمية الدعاء الشريف : « اللهم ! إهديني فيمن هديت ،
 وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت » [رواه الأربعة] .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضاً أَوْ
 أُتِيَ بِهِ قَالَ : « أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ،
 لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا » [رواه مسلم] .

أحياناً أشعر أن الشفاء يخلقه الله خلقاً ، كما أن المرض يُخلق ،

فقد تجد المرء بعد مرضٍ عُضال يعود كما كان قبل المرض فلا شفاء إلا شفاء الله سبحانه .

اسم الشافي اسمٌ عظيم ، وأنا لا أُقلِّل من قيمة شفاء الجسم ، لأن الإنسان يَحيا بهذا الجسد ، واحفظ قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه الشريف : « واجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا » ، لأن شفاء القلب قمة أنواع الشِّفاء ، وهذا الشِّفاء سبب سعادة المرء إلى أبد الآبدين ، فالْبُطولة أن يكون قلبك مُعافى من كل أمراضه ، لأن القلب المريض لا يستطيع أن يُقبل على الله عز وجل .

* * *

المسخر

من أسماء الله الحُسنى المسخر ، وهو اسم كما تعلمون ليس من الأسماء الشَّعْعة والشَّعِين التي وردت في الحديث الشريف لكنّه زائدٌ على هذه الأسماء .

التسخير هو سِياقةٌ إلى الغرضِ الْمُخْتَصِّ قهراً ، والمُسَخَّر هو الْمُقَيَّد لِلْفِعْلِ . هذا في التعريف اللغوي ، والتسخير هو التذليل ، وكل ما ذل وانقاد وَتَهَيَّأَ فهو مُسَخَّرٌ ، وَسَخَّرَهُ أَي ذَلَّلَهُ وَكَلَّفَهُ ، وكل مقهورٍ مُدَبَّرٍ لا يملك نفسه يُعَدُّ مُسَخَّرًا ، وقبل أن تُتابع الحديث عن موضوع التسخير لابد من حقائق أضْعُها بين أيديكم تُلقِي ضَوْءاً على سِرِّ التسخير .

أَوَّلًا جعل الله الإنسانَ المخلوقَ الأوَّلَ ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

فالإنسان قبل حمل الأمانة ، لذلك كَرَّمَهُ الله ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

لأنّه قبل حمل الأمانة كَرَّمَهُ الله أعظم تَكْرِيم ، وقد كَلَّفَهُ أَنْ يَعْبُدَهُ

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

فأولُ مَقَوِّمَاتِ الْعِبَادَةِ أَنَّهُ سَخَّرَ لَهُ الْكَوْنُ ، فالمُسَخَّرُ هو الله
والمُسَخَّرُ هو الْكَوْنُ ، والمُسَخَّرُ له هو الْإِنْسَانُ ، والشَّيْءُ الْبَدِيعِي أَنْ
الْمُسَخَّرُ له أَكْرَمُ مِنَ الْمُسَخَّرِ ، فَالْكَوْنُ مُسَخَّرٌ أَمَّا الْإِنْسَانُ فَمُسَخَّرٌ لَهُ ،
فَالْإِنْسَانُ مُسَخَّرٌ لَهُ الْكَوْنُ ، والدليل قوله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ١٣] .

فالله عز وجل ذَلَّلَ ؛ فَالْجَمَلُ مُسَخَّرٌ لَنَا وَوَزَنَهُ خَمْسَةَ أَطْنَانِ ،
وَالْفِيلُ وَالْحَوْتَ الْأَزْرَقُ وَالْبَقَرَةُ وَحَيَوَانَاتٌ أُخْرَى ضَخْمَةٌ ، فَلَوْ أَنَّهَا
كَانَتْ مُتَوَحِّشَةً فَهَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَاطَلَ مَعَهَا ؟ وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ مَرَضًا
أَصَابَ بَعْضَ الْبَقَرِ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ
عَنْ إِعْتِلَالٍ دِمَاعِي اسْفَنْجِي ، وَبَتَّيْجَتُهُ صَارَ سُلُوكُ الْبَقَرَةِ عُذْوَانِيًا إِذْ
أَصْبَحَ عِنْدَهَا إِهْتِيَاجٌ عَضَلِي ، فَهَذِهِ الْبَقَرَةُ حِينَمَا جُنَّتْ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ
أَنْ تَنْتَفِعَ بِهَا ، أَحَدُ إِخْوَانِنَا حَدَّثَنِي عَنْ بَقَرَةٍ جُنَّتْ فِي غُوطَةٍ دِمَشْقَ
قَتَلَتْ رَجُلَيْنِ وَعَطَبَتِ الثَّالِثَ ، فَاضْطَرَّ صَاحِبُهَا إِلَى أَنْ يَقْتُلَهَا
بِالرِّصَاصِ ، فَحِينَ يَقُولُ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وَحِينَ يَقُولُ سُبْحَانَهُ :

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس : ١٧٢] .

فإنما يشير إلى نعمة كبرى أنعم بها على الإنسان ، فِنِعْمَةُ التَّسْخِيرِ
نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ جَدًّا ، فَمِثْلًا عَقْرَبٌ صَغِيرٌ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِكَ مِنْهُ تَكَادُ تَخْرُجُ
مِنْ جِلْدِكَ ، وَهَذِهِ الْأَفْعَى تَرْتَعِدُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنْ رُؤْيَيْهَا ، أَمَّا

الجمال فإنك لا تخاف منه ، وكذلك البقرة ، فالتسخير نعمة وهذه الحيوانات سحّرها الله لنا نألفها وتألفنا . أما الحيوانات غير المُسحّرة فإنها تُعرّفنا بقيمة التسخير .

لو أن الله سبحانه وتعالى ركب في الغنم أخلاق الضبع ، فهل نستطيع أن نذبّحها وأن نأكل من لحمها وأن نسحّرها لنا ؟ إذاً فالله عز وجل تكريماً لهذا الإنسان الذي قبل حمل الأمانة سحّر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، والله عز وجل سحّر لنا الحديد ، فكيف سحّره لنا ؟ جعله فلزات ، فلو جعله حديداً صِرفاً لكان من سابع المستحيلات أن نستفيد منه ، لكنه جعله مع التراب ، تُعبئ التراب وتنقله إلى الفرن العالي وهذا الفرن يظهر الحديد وينقيه من الشوائب ، فالحديد مُسحّر ، والبحر مُسحّر ، فكيف سحّره الله لنا ؟ إن في هذا الماء قوّة تدفع نحو الأعلى ، ولولا هذه القوة لما أمكننا أن نركب البحر قال الله عز وجل : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۚ ۝ فَيَأْتِيهِمُ الْآءُ رِيكًا مُّكَدِّبًا ۝ ﴾ [الرحمن : ٢٤-٢٥] .

فهذه السفن كالأعلام فلولا قوة الدفع إلى الأعلى لما كان البحر مُسحّراً لنا ، ومن جعله مالحاً ؟ ملوحتّه تسخير لنا والسّمك كذلك ، كيف تضطاد السمك ؟ توضع الشبكة على شكل جدار والسمك لا يرجع إلى الورا فإذا جذب الصياد الشبكة التي كانت باتجاهه ، جمّع كلّ هذا السمك وكان صيده وفيراً ، ولو أنّ السمكة ترجع القهقري لما أمكنك أن تضطادها فكيف سُحّرت لك ؟ سخرت بهذه الواسطة ؛ إذ ليس في استطاعتها الرجوع ، ولو تدبّرت كل شيء سحّره الله لك لو وجدت أمراً عجباً وتكريماً خصّك الله به . . .

أحياناً تجد كلَّ الأشياءِ أحجامها مُعْتَدِلَةً ، فالثمار دائية فلو كانت الأشجار عملاقة لما أمكنك أن تَجْنِي ثمارها ، ولو كانت هذه الفواكه تحوي كل المواد المُغْذِيَّة ؛ وكان طعمها مُراً ، لكانت بهذه الحال غير مُسَخَّرَةٍ ؛ لكن الله جعل طعمها طيباً وشكلها جميلاً ورائحتها عطرة ومذاقها حلواً ، وفيها معادن وفيتامينات وسُكَّرِيَّات ، وغيرها من الفوائد ، فمَوْضُوعُ التسخير أمر جلِّي واضح ، والكَوْنُ كُلُّهُ مُسَخَّرٌ لَنَا ، وكذلك المِياه مُسَخَّرَةٌ لَنَا ، ومن جعل الماء الأجاج عذبا ومُسْتَسَاغاً ؟ عن طريق التَبَخُّر والأمطار والأنهار والينابيع ، إِنَّكَ لو فَكَّرْتَ في خلق السموات والأرض لَوَجَدْتَ الهواء مُسَخَّراً لَكَ ، فالله جعل نِسَبَ الهواء حكيمةً جداً .

لو رفعت نسبة الأكسجين أكثر لأُخْرَقَ الهواء كل شيء ، ولو كان للهواء حركةٌ عَنيفَةٌ لَدَمَّرَتْ كل شيء ، لكن الله جعل الهواء يتَحَرَّكُ أحياناً حركةً عَنيفَةً ليريك حكمته أثناء سكونه ! فالهواء مُسَخَّرٌ والماء مُسَخَّرٌ والنبات مُسَخَّرٌ والمحاصيل مُسَخَّرَةٌ لَكَ ، والفواكه تُنضِجُ تبعاً ، أما المحاصيل فإنها تنضج في يومٍ واحد ، ولو أن المحاصيل تُنضِجُ تبعاً لَكَانَ من المُسْتَحِيلِ أَنْ تَجْنِي المحاصيل ، ولو أَنَّ الفواكه تُنضِجُ في يومٍ واحدٍ لَكَانَ من المُسْتَحِيلِ أَنْ تُنْتَفِعَ بِهَا ؛ يوجد إلهٌ عَظِيمٌ يُبْدِعُ كلَّ شيءٍ ، وهذا هو معنى سَخَّرَ لك النبات والماء والهواء وهذه الحيوانات .

إذاً : التسخير هو التذليل ، والإنسان أحياناً يَمُرُّ على الأشياء مرور الكرام ، ولا يَنْتَبِهُ لِحِكْمَتِهَا البَالِغَةِ ، فهذا عُثْقُودُ الْعِنَبِ لو أَرَدْتَ أَنْ تَقْطِفَهُ وجذبه نحو الأسفل لِعَصِرَ في يَدِكَ ولما انقطع ، فهو مُصَمَّمٌ

تضميماً رائعاً ، ولكن لو جذبته عند قطفه نحو الأعلى أَصْبَحَ بِيَدِكَ يسر وسهولة ، فمن سَحَرَهُ ؟ وهذا البطيخ كله ماء فَمَنْ جعل له هذه القشرة السميقة ليتمكن نقله من مكان لآخر ، ومن جعله بهذه القشرة الكروية القاسية فلا يسيل ماؤه ؟ الله عز وجل ، فالتسخير قضية واسعة جداً .

وردت مادة المُسَخَّر في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى ، ففي سورة الرعد قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢] .

هل نستطيع أن نحمل هذا السقف بِغَيْرِ أَعْمِدَةٍ ؟ وهل هناك هندسةٌ تُتيح لنا أن نبني سقفاً بِغَيْرِ أَعْمِدَةٍ ؟ مُسْتَحِيلٌ وإذا كان الأمر كذلك لكَلَّفْنَا هذا الكثير ؛ سَقْفٌ بلا أَعْمِدَةٍ ولا جُذُران يُعْتَمِدُ عليها هذا فوق طاقةِ البشر ، فالله هكذا قال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ هذه قوى التَّجاذُبِ فالأرض مربوطةٌ بالشمس بِقُوَّةٍ جَذْبٍ تُساوي مليوني طنٍ ضَرَبَ مليون مليون طن ، أي رقم اثنين أمامه ثمانية عشر صِفْراً ، وهذه القوة تُمَثِّلُ مليون مليون حبل فولاذي ، وقُطْرُ الحبل خُمُسَةُ أمتار وكل حبل يُقاوم من قوى الشدِّ مليوني طن ، وكل هذه القوة لا نراها ، فهل تستطيع أنت أن تسير داخل هذه الدِّعامة ؟ أعوذ بالله ، وهل بإمكانك أن تصنع دِعامَةً لا تُرى وتسير في داخلها ؟ دِعامَةٌ لا تُرى ! هكذا قال الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ .

يعني بِعَمْدٍ لَا تَرَوْنَهَا ، وَأَنَّ الْكُونَ كُلَّهُ مُتَرَابِطٌ بِقُوَى التَّجاذِبِ ، ولولا هذه الْقُوَى لَأَصْبَحَ الْكُونَ كُلُّهُ كُتْلَةً وَاحِدَةً ؛ قُوَى تَجاذِبِ وَقُوَى نَبَذٍ ، حَرَكَةٌ شَكَّلَتْ قُوَى نَبَذٍ ، وَالْجاذِبِيَّةُ هِيَ التَّجاذِبُ بَيْنَ الْكُتَلِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ بِحَسَبِ حُجُومِهَا وَمَسَافَاتِهَا وَأَبْعَادِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أَرْضُنَا مُسَخَّرَةٌ لَنَا فَلَوْ أَنَّهَا تَفَلَّتَتْ مِنْ جاذِبِيَّةِ الشَّمْسِ لَانْتَهَتْ الْحَيَاةُ عَلَيْهَا ، لَوْ أَنَّهَا تَفَلَّتَتْ مِنْ جاذِبِيَّةِ الشَّمْسِ لَأَصْبَحَتْ حَرَارَتُهَا مِثْلَيْنِ وَسَبْعِينَ تَحْتَ الصُّفْرِ ، وَهُوَ يَعْنِي الْمَوْتَ الْمَطْلُوقَ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ .

ما معنى مُسَخَّرَةٌ لَنَا ؟ أَيُّ مَرْبُوطَةٍ بِالشَّمْسِ ، فَبِسَبَبِ هَذَا الْجَذْبِ تَنْحَرِفُ الْأَرْضُ فِي كُلِّ ثَانِيَةِ ثَلَاثَةِ مِيلِيمِتْرَاتٍ بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ حَتَّى يَكُونَ مَسَارُ الْأَرْضِ مُغْلَقًا حَوْلَ الشَّمْسِ ، وَلَوْلَا أَنَّ مَسَارَهَا مُغْلَقٌ حَوْلَ الشَّمْسِ لَمَا سُخِّرَتْ لَنَا ، حَسَنًا ، لَوْ أَنَّهَا دَارَتْ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ وَصَارَ اللَّيْلُ سَاعَةً وَالنَّهَارُ سَاعَةً لَكَانَتْ غَيْرَ مُسَخَّرَةٍ وَلَوْ أَنَّ الدَّوْرَةَ خَمْسُ سِنَوَاتٍ لَصَارَ الزَّمَنُ خَمْسَ سِنَوَاتٍ نَهَارًا وَخَمْسَ سِنَوَاتٍ لَيْلًا وَلَكَانَتْ غَيْرَ مُسَخَّرَةٍ ، الْحَرُّ الَّذِي بِجِهَةِ الشَّمْسِ ثَلَاثُمِئَةِ دَرَجَةٍ فَوْقَ الصُّفْرِ وَفِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى مِثْلَانِ وَسَبْعُونَ تَحْتَ الصُّفْرِ ، لَانْتَهَتْ الْحَيَاةُ عِنْدُنَا ، فَمَعْنَى مُسَخَّرَةٌ أَنَّهَا تَدُورُ ، وَمَعْنَى مُسَخَّرَةٌ أَنَّهَا تَدُورُ بِاعْتِدَالٍ ، وَمَعْنَى مُسَخَّرَةٌ أَنَّهَا تَدُورُ بِمِخْوَرٍ مَائِلٍ ، وَمَعْنَى مُسَخَّرَةٌ خَصَائِصُهَا ثَابِتَةٌ ، فَهَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ .

العلماء يقولون : الشَّمْسُ مُنْقَدَةٌ مِنْذُ خَمْسَةِ آلَافِ مِليُونِ عَامٍ ،

وقالوا : سوف تستمرّ - بحسبِ دراساتهم - إلى خمسة آلاف مليون سنة أخرى ولسان اللهب من الشمس طوله مليون كيلو متراً ، هذه الطاقة من أين ؟ هل توجد مدفأة تعمل بلا وقود ؟ وهل هناك مركبة تسير بلا وقود ؟ وهل يوجد شيء يشتعل بلا وقود ؟ خمسة آلاف مليون سنة مضت ولخمس ألف مليون سنة قادمة وحرارتها في باطنها عشرون مليون درجة وعلى سطحها ستة آلاف ! فمن أين هذه الحرارة ؟ ومن سحرها لنا ؟ ضوء الشمس فيه دفء وثانياً نور وثالثاً تعقيم ؛ إذ يتعقم بشعاع الشمس كل ما يحتاج إلى تعقيم في محيطنا .

وذكر الله سبحانه الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب السيارة ، والتي هي أشرف وأعظم من الكواكب الثابتة ، فالشمس أمامنا مشاهدة ، والقمر أمامنا نراه ، والليل مُسخر ، والنهار مُسخر ، الله تعالى سخر لنا الليل ، فهو سكينتنا لنا وظلام وهُدوء وراحة ونوم وسرّ ، والنهار معاش ، ولولا دورة الأرض حول الشمس لما كان ليلٌ ولما كان نهار .

وفي سورة إبراهيم قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ [إبراهيم : ١٢٢] .

أرأيتم إلى التسخير ؟ جمَعَ اسمَ المُسخر ، والمُسخر والمُسخر له بآية واحدة : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ .

كلمة ﴿لكم﴾ بحثُ عنها في القرآن الكريم ببرنامج خاص

فَوَجَدْتُ أَنَّهَا وَرَدَتْ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَثَمَانِينَ مَرَّةً ؛ أَنْتَ أَحْيَانًا تُقِيمُ مَأْدُبَةً عَلَى شَرَفِ إِنْسَانٍ ، فَهَذَا الْإِنْسَانُ يَجْلِسُ عَلَى هَذِهِ الْمَأْدُبَةِ وَيَأْكُلُ ، فَإِذَا طُرِقَ الْبَابُ وَكَانَ الْقَادِمُ ضَيْفًا تَقُولُ لَهُ هَلُمَّ وَكُلْ مَعَنَا فَيَأْكُلُ ، لَكِنْ هَذِهِ الْمَأْدُبَةُ أُقِيمَتْ خِصِيصِي لِضَيْفِ الشَّرَفِ ، أَمَّا الثَّانِي فَقَدْ أَكَلَ عَرَضًا ، فَكَلِمَةُ ﴿لَكُمْ﴾ تَعْنِي أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ مُسَخَّرٌ خِصِيصِي لَكُمْ ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّكَ عِشْتَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ فَاسْتَعَذْتَ مِمَّا فِيهَا ! بَلْ كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ مُسَخَّرٌ لِلْإِنْسَانِ خِصِيصًا وَكَلِمَةُ ﴿لَكُمْ﴾ تُفِيدُ هَذَا الْمَعْنَى ؛ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ .

طَبْعًا الْفُلُكُ مُسَخَّرَةٌ حَسَبَ قَانُونِ أَرْخَمِيدِسَ ، وَالْأَنْهَارُ مُسَخَّرَةٌ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْجِبَالِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ مُسْتَوْدَعَاتٍ لِلْمِيَاهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ .

فَاللَّهُ هُوَ الْمُسَخِّرُ وَأَنْتَ دَائِمًا مُسَخَّرٌ لَكَ ؛ الْمُسَخَّرُ لَهُ أَشْرَفُ وَأَعْظَمُ مِنَ الشَّيْءِ الْمُسَخَّرِ .

وَوَرَدَ التَّسْخِيرُ أَيْضًا فِي آيَاتِ كَثِيرَةٍ وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ :

فِيمَا رَوَى أَبُو أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ ، وَلَا مُودِعٍ ، وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا » . [رواه البخاري] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان : ٦٣] .

طبعاً ؛ العباد جمعُ عَبْدٍ ، والعبيد جمعُ عَبْدٍ ، ولكن العباد جمعُ عَبْدِ الشُّكْرِ ، ولكن العبيد جمعُ عَبْدِ الْقَهْرِ ، ونحن كلُّنا عبيدُ الله ، بِمعنى أننا مقهورون ، وبمعنى أَنَّ حياتنا مُتَوَقِّفَةٌ على إمداد الله ، وكذلك وجودنا ، وَأَنَّ حياتنا وأرزاقنا لا تقوم إلا بالله ، وأننا بِحاجةٍ إلى الهواء ، ونحن مُفْتَخِرُونَ إلى الله .

إذاً نحن عبيدٌ له ، أما العباد فهم الذين عرفوه وأنوّه طائعين وأحبّوه وأقبلوا عليه وتقرّبوا إليه ، وهذه العبوديّة لله عز وجل لها معنى آخر ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يُخَبِّرنا أَنَّهُ لا يَسْتَغْنِي عن ربِّه أبداً .

قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥٠﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٥١﴾ فَسَنَيَرُّهُ لِنُزْنٍ ﴿٥٢﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٥٣﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٥٤﴾ فَسَنَيَرُّهُ لَعْنَتٍ ﴿٥٥﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿٥٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿٥٧﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿٥٨﴾ [الليل : ٥-١٣] .

بعض الناس يظن أنه يَسْتَغْنِي عن الله فهو بِحُصْنِهِ أو بِغِيَاثِهِ أو بِكُفْرِهِ أو بِجَهْلِهِ يرى أَنَّهُ قويٌّ وَغَنِيٌّ عن الله ، لكن الله سبحانه وتعالى يؤدّبهُ وَيُحَجِّمُهُ ، أما المؤمن فمُفْتَخِرٌ دائماً إلى الله عز وجل ، ولا تَنْسُوا أَنَّ الإنسان حينما يَسْتَغْنِي عن الله بحسب ظنه يَلْقَى أَشَدَّ أنواع التآديب وَلَيَكُنْ كائناً من كان ، ففي بذْرِ أعلن الصحابة الكرام فقرَهُم إلى الله قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَائْتِمَ إِذْ لَقِيَ فَاثَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

ومعنى الذل هنا الضعف والقلّة مع الافتقار إلى الله تعالى ، أما في حُتَيْنٍ فبدا لهم وكأنهم كثرة لانتهزم قال تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ

كَثَرْتُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدِيرِينَ ﴿[التوبة : ٢٥] .

فأنت حينما تستغني ولو كان استغناء خفياً ولو كان اعتداداً بالصحة أو المال أو القوة أو الذكاء ، فهذا كله في ظاهره نوع من الاستغناء ، والاستغناء من لوازمه التخلي ، فالله عز وجل يتولاك أو يتخلى عنك يتولاك إذا افتقرت إليه ، ويتخلى عنك إذا استغنت عنه ، وليس شرطاً أن تقول : أنا مُستغن عن الله ، فحينما تعتمد على شيء من قدراتك الخاصة وتنسى أن الله تعالى سخرها لك وأكرمك بها فهذا أحد أنواع الاستغناء ، وتأديبه سريع ولا سيما المؤمن ، فالله عز وجل لا يسمح للمؤمن أن يغفل عنه لأنه يجبه ولا يسمح له أن يشرك به ، فالله تعالى يخبر أنه أغنى الأغنياء عن الشرك والقلب المشترك لا يقبل الله عليه والعمل المشترك لا يقبله الله .

لذلك أخطر شيء في الإيمان قضية الشرك الخفي ، فالإنسان أحياناً يشعر أنه يملك شيئاً ، قد يشعر أنه يملك المال أو القوة أو الذكاء أو طلاقة اللسان ، فهذا الذي تشعر أنك تملكه هو أحد أسباب الاستغناء عن الله وأحد أسباب الشرك الخفي ، فبمجرد أن تشعر أنك قادر على شيء وأنت تملك قدرة ذاتية إما علمية أو مالية ، وقوة تستعلي بها على الناس ، فالله عز وجل سريعاً ما يؤدّبك ويتخلى عنك ، فهذا التخلي هو التربية ، فكلما كنت أكثر تبحراً في الدين وأكثر توحيداً لله وإخلاصاً له تجعل من نفسك أكثر إفقاراً دائماً ، وهذا الإفطار الدائم يجعل الله منه سبباً لمعوتك .

ورد في الأثر أن النبي داود قال يارب : كيف أشكرك وشكري

لك نِعْمَةٌ منك عليّ؟ وسؤال داود يذكرنا بهذه الحكمة أيضاً: «إذا أراد ربك إظهار فضله عليك، خلق الفضل ونسبه إليك»، بعد حين يشعر الإنسان أنه لا شيء، وكلما ازدادت افتقاراً إلى الله زادك الله إمداداً وقوة وعِلْماً وصِحَّةً و يقيناً وقُدْرَةً على التمييز، وكلما اعتدّدت بقُدْرَاتِكَ الذاتية تخلقى الله عنك؛ كيف أشكرك وشكري لك نِعْمَةٌ منك عليّ؟ فقال الله تعالى: الآن شكّرتني يا داود، لأنّ العَجْزَ عن الإدراك إدراك، وحين يقول الإنسان: سُبْحَانَكَ لا نَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ. فهذا شُكْرٌ، فحينما تَعَجَّزُ عن الشُّكْرِ فَأَنْتَ شَاكِرٌ، وحينما تَعَجَّزُ أَنْ تُعَبِّرَ عن شُكْرِكَ لله عز وجل فَأَنْتَ عِنْدُكَ تَشْكُرُهُ، أما الغافل فهو الكافر.

ولقد ذكرت مراراً أنّ الكَوْنُ مُسَحَّرٌ تَسْخِيرَيْنِ :

- تسخير تعريف .

- وتسخير تكريم .

ورُدُّ فِعْلِ التعريف أن تؤمن به ، ورُدُّ فِعْلِ التكريم أن تشكّره ، فإذا آمَنْتَ به وشكّرتَهُ حَقَّقْتَ الهَدَفَ من وُجُودِكَ ، لذلك يقول الله عز وجل :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا

عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٧] .

وبالمُناسبة بِمُجَرَّدِ أَنْ تَعْرِفَ هذه النعمة أنها من الله فهذا نوعٌ من الشُّكْرِ ، فأهْلُ الدنيا تجد أحدهم يستمع إلى نشرة الأخبار الجوية مثلاً أن مُنْخَفِضًا جَوِّيًّا في طريقهِ إلى الشرق الأوسط ، فإذا لم يَخْطُرْ بِبَالِهِ أَنَّ الله تعالى رَحْمَةٌ منه بِالْبَشَرِ ساق هذه المُنْخَفِضَاتِ لِتَكُونَ في النّهَايَةِ

أَمْطَاراً تَرْوِي الزَّرْعَ وَيَشْرَبُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ وَيَسْقِي بِهَائِمُهُ ، فهذا التصور بِأَنَّ هَذَا مُنْخَفَضٌ يَسِيرُ بِسُرْعَةٍ كَذَا إِلَى الْمَكَانِ الْفُلَانِي وَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ مَعَهُ فَذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الشُّرْكِ ، لِذَلِكَ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَعْتَرِفَ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَحِيطُ بِكَ نِعْمَةً عَظُمَى يَنْبَغِي أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهَا .

اسْتِنشَاقُ الْهَوَاءِ نِعْمَةٌ ، وَكَمْ مِنْ جِهَازٍ فِي الْإِنْسَانِ يَعْمَلُ بِانْتِظَامٍ ، فَمِثْلًا هَذِهِ الْعَيْنُ تَعْمَلُ بِانْتِظَامٍ ، وَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا ، تَرَى الْأَلْوَانَ كُلَّهَا وَالْأَشْيَاءَ بِحُجْمِهَا وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَحْمِيضٍ فَلَمْ تَلَمْ إِلَى أَنْتِظَارٍ حَتَّى تَرَى ، وَلَا أَنَّ الْأَلْوَانَ تَبْدُو لَهَا بِاهِتَةً ، فَالْعَيْنُ الْبَشَرِيَّةُ تُفَرِّقُ بَيْنَ ثَمَانِمِئَةِ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ ، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ دَرَجَتَيْنِ مِنْ بَيْنِ ثَمَانِمِئَةِ أَلْفِ دَرَجَةٍ ، فَهِيَ حَسَّاسَةٌ جَدًّا ، فَالْعَيْنُ نِعْمَةٌ وَالشَّمُّ نِعْمَةٌ وَالسَّمْعُ وَالنَّطْقُ نِعْمَةٌ وَالْقَلْبُ وَالرِّثَانُ وَالْأَوْعِيَّةُ وَالْأَمْعَاءُ كُلُّهَا نِعْمٌ كَذَلِكَ ، فَالْإِنْسَانُ مَغْمُورٌ بِالنِّعَمِ وَكَلِمَا فَكَّرَ فِي هَذِهِ النِّعَمِ أَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَرَوِي عَنْهُ :

« أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي » [رواه الترمذي] .

« أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ » ، وَحَالَةُ الْمُؤْمِنِ دَائِمًا الشُّكْرُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَحَّرَ لَهُ جِسْمَهُ وَأَنْتَ شَيْءٌ غَيْرُ جِسْمِكَ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِنْ تَرْجِعُونَ ﴾ [فصلت : ٢١] .

فَجِلْدُكَ خَلَايَا ، وَالْخَلَايَا نَفْسٌ لَهَا مَسْئُولِيَّةٌ وَتَنْطِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَشْهَدُ ، فَجِسْمُكَ مُسَحَّرٌ لَكَ ، وَعَظْمُ عُنُقِ الْفَخْذِ يَتَحَمَّلُ مِثْلَيْنِ

وخمسين كيلو حُمولة ، فالعظمان يتحملان نصف طن ، وهذا الحوَيْن المَنوي الذي هو كالماء مِن أين جاء بهذه القساوة في العظام ؟ هذا يعني أَنَّ هناك في العظام كُنس قاس فَمَن أعطاه هذه القساوة ؟ فالمواد الكِلْسِيَّة تترسَّب في العظام وبطريقة لا يعلِّمها إلا الله تعالى ، يُصبح هذا العظم قاسياً ، بل إن ميناء الأسنان يأتي بعد الماس في قساوته ، والعظام لها متانة كبيرة .

انظر إلى القصاب يرفع الساطور إلى أعلى ويَهوي به بِكُلِّ قُوَّتِهِ لِيَكْسِرَ عَظْماً من عِظام الخروف ما معنى ذلك ؟ أي أَنَّ الله عز وجل أعطاك هَيْكَلًا عَظْمِيًّا قوياً وعضلاتٍ تَتَحَرَّكُ بها ، ولولا العضلات لما كانت هناك حركة ولا مَشْي ولا تَكَلُّم ولا نُطق ولا تَنَفُّس ولا تَبْضُ قلب وتوقف كُلُّه فالله تعالى أعطاك عضلاتٍ تَتَحَرَّكُ وهَيْكَلًا عَظْمِيًّا هو قِوَامُ جِسْمِكَ وأعطاك الله عز وجل أَجْهَزةً دقيقة جداً .

ولقد ذكرت مرةً أَنَّ في الدِّماغ جِهازاً يَكْشِفُ تَفَاضُلَ وُصول الصَّوْتَيْنِ لِلأُذُنَيْنِ ، فإذا دخل صوتٌ من جهة اليمين قبل جهة الشمال مثلاً بِقَدْرٍ واحدٍ على ألفٍ وسِتْمِئةٍ جزءٍ بالمئة حينها يعلِّم الإنسان أَنَّ الصوت جاء من هنا ، فإذا كان يقود سيارة مثلاً فإنه يَنَحْرِفُ نحو اليسار استجابةً لذلك الصوت ، فهذا جِهازٌ مُعَقَّدٌ جداً وهناك جِهازٌ توازن السوائل ، وجِهازٌ ضبط ، فالإنسان يَنْطَوِي على آلاف الأجهِزة ؛ الغُدَّةُ النُّخَامِيَّةُ وزنها نصف غرام وتُفَرِّزُ اثني عشر هرموناً .

هل علمت أَنَّ التسخير يعني أَنَّ جِسْمَكَ مُسَخَّرٌ لك ، والطعام مُسَخَّرٌ ، والشراب مُسَخَّرٌ ، والأنعام مُسَخَّرَةٌ ، والبحار مُسَخَّرَةٌ ، والأمطار مُسَخَّرَةٌ ، والرياح مُسَخَّرَةٌ ، ولولا الرياح اللِّوَّاح ما أنتجت

النباتات ، ولا أثمرت الأشجار ، قال تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذْلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَشْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢] .

والتسخير كذلك ورد في سورة النحل قال تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل : ١٢] .

فلو أن الله تعالى جعل لكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتاكم بليل تسكنون فيه ؟ ولو أنه جعل لكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتاكم بنهار تنتشرون فيه ؟ إنه الله ، فالليل مسخر والنهار مسخر ، وهذه دورة الشمس والأرض آية صارخة ، وكذلك فلو دارت الأرض على محور مواز لمستوى دورانها لما كان هناك ليل ولا نهار فالدقة التي جعلها الله بينهما تدل على حكمة بالغة وخلق دقيق ، ولو أن المحور عمودي على مستوى الدوران لما كان هناك فصول ، ولكنه مائل وهذا الميلان يُسبب الفصول وهذا هو التسخير قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

فالله جعل القمر نوراً والشمس جعلها سراجاً وهاجاً ، قرأت أن القمر يُعطي ثمانية عشر بالمئة مما تعطيه الشمس فيمكن للقمر أن يؤدي وظيفة إضاءة تُساوي ثمانية عشر جزءاً بالمئة من الشمس ، وذات مرة كنت مسافراً بالطائرة فرأيت في ليلة مقمرة من علٍ بلاداً ، قرى ومدناً وسهولاً ، واستطعت أن أتبين كثيراً من مناظرها على ضوء القمر ، فالقمر مسخر وجعله الله تقويماً للإنسان فالآية الكريمة :

﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَحَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

قد تكون نجمةٌ متألّقة حجمها يزيد مئة مليون مرة على حجم الشمس ، وهناك نجوم تتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما ، وهناك نجوم تبعد عنا ثلاثمئة مليون سنة ضوئية ﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَحَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

وما ذراً (أي : وما خلق) لكم في الأرض مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ، ففي الفواكه تجد لوناً أصفر مع خدّ أحمر ، أو أحمر داكن ، وأخضر غامق أوفاتح ، فالفاكهة ألوانها من آيات الله الدالة على عظمته وألوان الخضر والأشجار والجبال وزرقة البحار ، فهذا كله من فضل الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿وَمَا ذَرَأَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل : ١٣] .

فالبحر أربعة أخماس الكرة الأرضية ، وعمقه في أخفض نقطة اثنا عشر كيلو متراً ، فالكمّ المائي كبير جداً ، فإذا كان أربعة أخماس الكرة الأرضية على عمق متوسط خمسة كيلومترات ، فكم هي كتلة الماء في البحار ؟ فالبحر الأبيض المتوسط يُعدّ بُحَيْرَةً إذا ما قيس بالمحيطات . أما المحيط الهادي والأطلسي وغيرهما فهي محيطات كبيرة جداً قال تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَنْزِكُ الْفُلُوكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل : ١٤] .

فالسّمك مخلوقٌ خِصِّصِي للإنسان ، وهناك مليون نوع من السمك في البحار ، ولولا أنّ الأسماك الكبيرة تأكل الصغيرة لصار البحر كلّهُ أسماكاً وقال تعالى : ﴿ وَنَسَخَرِجُوا مِنْهُ جَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ هذا اللؤلؤ شيء دقيق الصنع والتكوين ؛ هناك حيوانٌ إذا شعر أنّ في محارهِ جسماً غريباً مهما كان دقيقاً أفرز عليه مادّةً فوسفوريّةً كلسيّة يُدافع بها عن نفسه ويُحجّم هذا الجسم الغريب ، وهذه المادة الفوسفوريّة الكلسيّة هي اللؤلؤ ، واللؤلؤ غالٍ جداً قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَنَسَخَرِجُوا مِنْهُ جَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

أغلب البضائع هذه الأيام استيراد وتصدير ، تُثقل عبْر الشُّنن وهناك الآن بواخر وناقلات نفط تَحْمِل مليون طن ؛ مُدُن تسير في البحار ، وهناك الآن معاملٌ لِصُنْعِ الستانلس هي بواخر تأخذ المواد الأولية من أستراليا وفي طريقها إلى الشرق الأوسط تُصنّعها وتبيّعها مُصنّعةً خالصةً ، فالباخر مُدُنٌ تمشي في الماء قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

أذكر مرةً أننا كنا في سَفَرٍ وكان الطريق طويلاً وساحلياً ومن الممكن أن نَقْطَعَهُ في البحر ، كانت تَقِف على مرأى منا بواخر تُستعمل ناقلاتٍ للسيارات ، فيها سيارات كبيرة وشاحنات و(بولمانات) و(تكسيات) تحمل عدداً كبيراً من السيارات ؛ كيف تتحرك هذه الباخرة بهذا العدد ؟ وكيف يَحْمِلها الماء ؟ إذا قلتَ : البترول ؛ قلنا لك : من خلق البترول ؟ الله جل جلاله ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وقال : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنْبِذَ بِكُمْ وَأَنْهَزَا وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٥] .

فالجبال يبدو أنها موزعة توزيعاً دقيقاً جداً ، حيث إن الأرض تدور دَوْرَةً مُسْتَقَرَّةً ؛ تعجد بناءً عمره سبعمئة سنة ليس به بأس ، ولو كانت هناك حركة تلامسه لانهدم ، فالأرض مُتَحَرِّكة وكأنها ساكنة وهذا من آيات الله الدالة على عَظَمَتِهِ ، اسْتِقْرَارُ مُطْلَقٍ مع حركة عجيبة قال تعالى :

﴿أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنْهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل : ٦١] .

من جعلها مُسْتَقَرَّةً ؟ ومن جعل الأشياء تُسْتَقَرُّ عليها ؟ الله جل جلاله قال : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنْبِذَ بِكُمْ وَأَنْهَزَا وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٥-١٦] .

كل شيء له علامة تميزه وتعلن عن حقيقة بواطنه ، إذا كان هناك جُرْثُومٌ في جسم الإنسان ، فإنه ترتفع حرارته ، فارتفاع الحرارة علامة ، وإذا الفاكهة نضجت يَصْفَرُّ لَوْنُهَا وهذا اللون الأصفر علامة ، وأحياناً الزيتون يَسْوَدُ والحب يَشْتَدُّ والعنب يَصْفَرُّ ، وكل شيء خلقه الله عز وجل جعل له علامة تدلّ على باطنه ، حتى الأمراض كلها لها علامات ، ولولا هذه العلامات لما عرف الأطباء الأمراض ، وكل شيء باطن له علامة ظاهرة ، قال تعالى : ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَأْتِجُمُ هُمْ﴾ [النحل : ١٦] .

وقال تعالى :

﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل : ١٨] .

أَيُّ أَنْتُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إِحْصَاءِ النِّعَمِ ، فَلَأَنْ تَكُونُوا عَاجِزِينَ عَنْ شُكْرِهَا مِنْ بَابِ أَوَّلَى ، وَلِلَّذَلِكَ خَتَمْتُ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

وفي سورة الأنبياء قال تعالى :

﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ؕ إِنَّا جُحُومًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

أيضاً هذه الآية وما بعدها تُبَيِّنُ تسخير الله تعالى لهذا النبي الكريم .

وفي سورة الحج قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ؕ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج : ٣٦] .

فهذه الناقة ؛ قرأت عنها بعض المقالات في مجلاتٍ عِلْمِيَّةٍ أنها تستطيع أن تستغني عن الماء ثلاثة أشهر ، فهي تستطيع أن تستهلك ماء خلایاها ، وتستطيع أن تستغني عن الطعام أكثر من ستة أشهر لأن سنامها مُدَخَّرٌ غِذَائِيٌّ لَهَا ، فهذا الحيوان مُسَخَّرٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَا سِيمَا فِي الصَّحْرَاءِ ، أَخْفَافُهَا آيَةٌ ، وَلَهَا رُمُوشٌ تَمْنَعُ دُخُولَ الْغُبَارِ إِلَى عَيْنَيْهَا ، وَعَيْنُهَا آيَةٌ تُرِيهَا الْبَعِيدَ قَرِيباً وَالصَّغِيرَ كَبِيراً ، فَعَيْنُ النَّاَقَةِ كَالْمَكْرُوسُكُوبِ تَمَاماً ، فَعَيْنُهَا آيَةٌ ، وَشَفَتَاهَا آيَةٌ ، وَأَعْضَاؤُهَا آيَةٌ ، وَتَجَلُّسُ جُلُوسَةٍ نِظَامِيَّةٍ وَتَزْتِاحُ ، وَلَهَا ثَفْنَةٌ فِي بَطْنِهَا وَعَلَى يَدَيْهَا وَرَجُلَيْهَا ، جَلَسَتْهَا النِّظَامِيَّةُ تُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ تُحْمَلَ عَلَيْهَا ، وَهِيَ دَانِيَةٌ مِنَ الْأَرْضِ .

وربنا عز وجل يقول :

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] .

آية كريمة ، قال تعالى : ﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ سَعَتِهِ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَائِقَ وَالْمَعَزَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

إن بحثنا يتناول كلّ حركة من حركاتك ؛ ويريك كل ما سخره الله لك من خلال ذلك ، خرجت من المسجد ولبست حذاءك من جلد الأنعام فهذا الجلد مُسَخَّرٌ لنا ، ركبت مركبة تتحرك بالبترول فالبترول مُسَخَّرٌ لنا ، دخلت إلى البيت وشربت كأساً من ماء فالماء مُسَخَّرٌ لك ، ومن جعله عذبا فرائاً ؟ وكان من قبل ملحاً أجاباً فالماء مُسَخَّرٌ لنا ، رأيت زوجتك فمن سَخَّرَها زوجةً مطيعةً لك ، ورأيت أولادك واستلقيت على فراشٍ وثير فمن خلق الصوف ؟ والله هذا الاسم العظيم ، اسم المُسَخَّرِ يدور معك في كلّ ثانية من حياتك ؛ فكيفما تحركت وجذت الأشياء مُسَخَّرَةٌ لك أعظم تسخير ، ألا تستحيي من الله ؟ :

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كلّ ما قدّمت مسؤول تعصي الإله وأنت تظهر حُبّه هذا لعمري في المقال بديع لو كان حُبُّكَ صادقاً لأطعته إن المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ وفي سورة العنكبوت قال تعالى :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] .

وفي سورة لقمان قال تعالى : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان : ٢٠] .

أذكر مرة أنني كنت بالخليج ، وكان هناك سباق للهجن يَعتنون به كثيراً ، ولكن الذي لفت نظري أن الذي يركب على هذه الناقة طفل صغير ، وهذا الطفل من شدة الإهتزاز يتعطب عموده الفقري ورأيت العكس في هذا الموقف ، فالإنسان هنا مُسَخَّرٌ لهذه الناقة ، والأصل أن الناقة هي المُسَخَّرَة للإنسان ، فالإنسان حينما يُسَخَّرُ لمخلوقٍ أدنى منه ما عرف قيمة نفسه وإنسانيته لذلك الله عز وجل قال :

﴿وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

هناك أشياء كثيرة قد ترفضها لأنها لا تُعجبك ولأنك تحتقرها ، إلا أنك إذا رفضت الدين فلأنك تحتقر نفسك قال : ﴿وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

حينما يحتقر الإنسان نفسه يُعرض عن الدين ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ .

وفي سورة الزمر قال تعالى :

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر : ٥] .

وفي سورة الزخرف قال تعالى : ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف : ١٢] .

وهذه لفظة ألفت نظرك إليها فيما سخر الله أيها الإنسان ، لتعتبر وتشكر :

فمن أجل أن تعرف قيمة البترول ؛ سيارة فيها خمسة ركاب وتحميل أغراضاً وأمتعة ، وتسير في طريق صاعد ، فلو أنها وقفت وأُطفِئَ مُحَرِّكُهَا وَكَلَّفْنَاكَ أَنْ تَدْفَعَهَا فِي مَسَارِهَا إِلَى الْأَعْلَى مع رُكَّابِهَا فهل تستطيع ؟ فلو كان هناك خمسة رجال أقوياء لما استطاعوا تحريك هذه السيارة بِطَرِيقِ صَاعِدٍ ، لكن هذا البترول كيف يَنْفَجِرُ وكيف يدفع هذا الوزن الثقيل من المركبة مع ما فيها من ركاب بِطَرِيقِ صَاعِدٍ على نحو ما تعرف وتشاهد ؟ فسبحان الذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ، وإذا رَكِبْتَ باخرة من الذي جعل الماء يُحْمِلُهَا ؟ الله عز وجل ، وكذلك الطائرة في الهواء ، وهناك دعاء قرآني كلما رَكِبْتَ مَرْكَبَةً أو دَابَّةً أو سيارَةً تقول :

كما روى عليُّ الأزدِي أَنَّ ابْنَ عُمَرَ عَلَّمَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجاً إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثاً ثُمَّ قَالَ : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ . [رواه مسلم] .

اسم المُسَخَّر اسم يدور في حياتنا كلها ولك أن تُفَكِّرَ فيه ، في كلِّ ثَانِيَةٍ ، فكلُّ شيء تراه أمامك مُسَخَّرٌ لَكَ ، وكل ما تراه أمامك هو من نِعَمِ الله عز وجل ، وقد سَخَّرَهُ لَكَ ، ولولا أنك ذو شأْنٍ عند الله عز وجل لما سَخَّرَ الْكَوْنُ مِنْ أَجْلِكَ قال تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل : ٥] .

لذلك فمُلِحَّص البحث : « أُحِبُّوا الله لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ ،
وَأُحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ ، وَأُحِبُّوا آلَ بَيْتِي بِحُبِّي » ، فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ عَبْدًا
شُكُورًا .

* * *

المريد

من أسماء الله الحسنى المريد ، ولهذا الاسم خصوصية كبيرة جداً وهو اسم كما يبدو زائداً على الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في الأحاديث الشريفة .

نبدأ بمعنى المريد في اللغة ؛ المريد اسم فاعل من فعل رباعي : أراد يُريد فهو مُريد ، من مادة الرّود ، والرّود معناه الطلب ، أراد أي : طلب ، والفعل راد يرود ، والإرادة أيضاً هي المشيئة ؛ شاء وأراد بمعنى واحد والإرادة من معانيها الفرعية السعي في طلب الشيء .

قال بعض العلماء : « الإرادة في الأصل إرادة مُركبة من شهوة وحاجة وأمل ؛ هدفت أمامك شهوة تُحرّكك وحاجة أنت محتاج إليها » ، شهوة وحاجة وأمل ؛ أو بتعريف آخر ، الإرادة : نزوع النفس إلى شيء ، فمثلاً أردت أن أذهب إلى حلب ، وتاقّت نفسي أو نزعت أو مالت أو اتجهت إلى أن تسافر إلى حلب ، إذا نزوع النفس إلى شيء ما يعني إرادة .

والمعنى الثاني الدقيق : الحُكم على الشيء ، والحقيقة : النزوع إلى الشيء ، وهذا المعنى يليق بالإنسان ، ولكن لا يليق بالواحد

الدَّيَّان ؛ شيءٌ بعيدٌ عنك تتَّجِهْ إليه ، شيءٌ ليس بين يديك تبحثُ عنه ، مكانٌ بعيدٌ تُسافرُ إليه ، ومنصِبٌ رفيعٌ تسعى إليه ، ومكاسبٌ كبيرةٌ تمشي في طريقها ، فالإرادة نزوعُ الإنسان إلى شيءٍ هو معنى أساسي من معاني الإرادة ولكن لا يليق إلا بالإنسان . أما الواحد الديان فلا يُمكن أن نقبل هذا المعنى بالنسبة لله عز وجل ، إذ بالنسبة لله جلّ جلاله ؛ إرادتهُ : أي حُكمهُ ، فإذا أراد الله كذا حكّم على هذا الشيء بكذا قال تعالى :

﴿لَمْ يُعْجَبْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَخِيرُوا مَا بِنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ شَيْئًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد : ١١] .

إذاً : إذا قلنا الإنسان أراد : أي نزعَ إلى شيءٍ واتَّجَهَ إلى شيءٍ وأقبل على الشيء ، وأغلب الظن أن هذا الشيء بعيد عنه ، ولا بُدَّ له من وسيلة ؛ فالله عز وجل مُنَزَّهٌ عن العِلَّةِ الغائِيةِ أي أن يتَّخذَ إلى غاياته وسيلةً ، أما الإنسان فيكْمُلُ ضَعْفَهُ بِوَسِيلَةٍ ؛ فمثلاً من أجل أن يصل إلى بلدةٍ بعيدةٍ يتَّخذُ سيارةً أو طائرةً ، ومن أجل أن يصل إلى الماء يجب أن يخفر البئر ، ومن أجل أن يأكل يجب أن يزرع ، وهذه هي العِلَّةُ الغائِيةُ ، أما ربنا جلّ جلاله فهو مُنَزَّهٌ عن العِلَّةِ الغائِيةِ .

إذاً : من معاني الإرادة نزوع النفس إلى شيءٍ ، وأن هذا الشيء بعيد ولا بُدَّ لكي أصل إليه من وسيلة ، والوسائل لا تُعدّ ولا تُحصى ، فإذا كان النزوع مكانياً فإنه يحتاج إلى مَرَكَبَةٍ ، وإذا النزوع عِلْمياً فهو يحتاج إلى دراسة ، وإذا كان النزوع مالياً فهو يحتاج إلى عَمَلٍ . فالإنسان حينما ينزع إلى شيءٍ يبحث عن وسيلةٍ يُكْمِلُ بها نقصه ، أنا

أريد أن أرى الخَلِيَّةَ ، فأنا عاجز ، فَأَسْتَحْدِمُ الميكروسكوب لأرى الخَلِيَّةَ ، فهنا نَزَعَتْ نفسي إلى أن أرى الخَلِيَّةَ فاحتجت إلى ميكروسكوب ، فَالْنَفْسُ التي نَزَعَتْ إلى شيء تَتَّخِذُ وسيلة ، وهذا من ضعفِ الإنسان . أما ربنا عز وجل فإنه إذا أراد شيئاً حَكَمَ عليه أنه هكذا قال تعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ، فإرادة الله هي الحُكْمُ .

إنَّ أناساً كثيرين تَخْتَلِطُ عليهم الأمور ، الكون فيه أشياء مُسَخَّرَةٌ وأشياء مُخَيَّرَةٌ ، والإنسان مُخَيَّرٌ ، والجماد مُسَخَّرٌ ، والحيوان مُسَخَّرٌ ، وكذا النبات ، فإرادة الله في المُسَخَّرَاتِ هي نفوذ حُكْمِهِ . أما إرادة الله في المُخَيَّرَاتِ فهي تعني السماح لأن الله عز وجل حينما جاء بالإنسان إلى الدنيا حَمَلَهُ الأمانة ، والأمانة من لوازمها حُرِيَّةُ الاختيار ، والفعل بيد الله عز وجل فَكَيْفَ نُوقِفُ بين أَنَّ الفِعْلَ بيد الله وأنَّ الإنسان مُخَيَّرٌ ؟ نقول : إذا تعلَّقت إرادة الإنسان بشيء بمعنى أنه اختار ، تَعَلَّقت إرادة الله بِتَحْقِيقِ هذا الشيء فإرادتهُ سماح ، أَيْعَقَلُ أن يسرق سارقٌ في الأرض خِلافَ مشيئة الله ؟ لا يُمْكِنُ وهل يُعَقَلُ أن الله أمره أن يسرق ؟ قال تعالى :

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٨] .

كيف نُوقِفُ بين المعنيتين ؟ أَيْقَعُ في مُلْكِهِ ما لا يريد ؟ حاشا لله ، هناك شر يقع ، كيف يقع هذا الشر ؟ إرادة الله مع المُخَيَّرِ إرادة سماح ، لكن مع المُسَيَّرِ إرادة أمر ، فإذا اقْتَرَفَ أحدٌ مَعْصِيَةً معنى

ذلك أَنَّ الله تعالى سَمَحَ له وَلِمَاذَا سَمَحَ له ؟ لَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ وَلأنَّهُ جَاءَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَفْعَلَ أَفْعَالاً إِيخْيَارِيَّةً ، وَالإِخْيَارُ يُكْمَلُ عَمَلُهُ ، إِذَا يَلِيقُ بِاللَّهِ عِزُّهُ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ إِرَادَتُهُ فِي الْكَوْنِ إِرَادَةً حُكْمٌ ، إِلَّا أَنْ إِرَادَتَهُ مَعَ الْكَائِنِ الْمُخَيَّرِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِرَادَةً سَمَاحٌ .

وهذا شيء آخر ، وهو معنى من معاني الإرادة ، قال تعالى :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا آلِهَدَةً وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

الله عز وجل يأمركم أَنْ تَكُونُوا مُيسِّرِينَ ، أريد منك كذا يعني أَمْرُكَ بِكَذَا ، فأول معنى عندنا هو : التزوع وهو مُتَعَلِّقٌ بِالْإِنْسَانِ ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي : الْحُكْمُ وهو مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُكْمُ مَعَ الْمُسَخَّرَاتِ أَمْرٌ وَمَعَ الْمُخَيَّرَاتِ هُوَ السَّمَاحُ ، وَالْآنَ هَذَا مَعْنَى فِرْعَوِيٍّ مِنْ مَعَانِي الْإِرَادَةِ أَرَادَ اللَّهُ كَذَا أَيْ أَمْرٌ بِكَذَا .

وإليك معنى آخر من معاني الإرادة وهو الْقَضْدُ قال تعالى :

﴿تِلْكَ الْأَدَارُ الْآخِرَةُ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصص : ٨٣] .

فَالْقَضْدُ وَالْأَمْرُ وَالْحُكْمُ وَالسَّمَاحُ وَالتزوع هذه هي معاني الإرادة . لكن هناك آيات كثيرة في كتاب الله تُوضِّحُ تَفَاصِيلَ هَذَا الْمَعْنَى ؛ يَقُولُ اللَّهُ عِزُّ وَجَلُّ :

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْسَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَبْغًا حَرَبًا كَأَنَّمَا يُصِغَعُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

أنت إذا قرأت هذه الآية لعلك تظن أَنَّ الله شرح صدر إنسان

للإيمان فآمن ، وضيق صدر إنسان آخر فلم يؤمن ، وكأن المعنى يوحى بالجبر ، والحقيقة خلاف ذلك كما قلنا قبل قليل ، إذا أراد الإنسان شيئاً تعلقت إرادة الله بالسماح بأن يفعل هذا الشيء ، إذا أراد الإنسان شيئاً ولأنه مُنح حُرِّيَّة الاختيار ، ولأن الإرادة من صفات الإنسان ، فإذا أراد الإنسان شيئاً تعلقت إرادة الله بالسماح بأن يفعل هذا الشيء إلا أن هناك تحفظاً واحداً وهو أن الإنسان مُخَيَّر أن يفعل ما يشاء ، ولكنه لا يستطيع أن يضرب اختياره على من يشاء ، فله أن يسرق ولكن ليس له أن يسرق ممن يشاء ، يسرق ممن يُسيِّره الله تعالى لسرقته وهذا هو معنى قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

وهذا هو معنى قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعِيٰ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي بَنِيَّاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٤] .

وهناك معنى فرعي آخر يجب أن أضيفه لهذا المعنى ؛ لو أن إنساناً أراد شراً ؛ أراد أن يعصي مثلاً أو أن يأخذ مالا ليس له ، أو أراد أن يفعل فاحشة ، فماذا يفعل معه ربنا سبحانه وتعالى ؟ إن لم تكن هذه الشهوة مُستَحَكِمة ، وإن لم تبلغ هذه الشهوة درجة الحجاب ، فالشهوات تنامي في نفس الإنسان وهناك حدٌ إذا وصلت إليه هذه الشهوة بلغت حد الحجاب وحجبت عن كل شيء ؛ حُبَّك الشيء يُعْمي ويصم ، فإذا بلغ الإضرار على شهوة مُنحرفة درجة عالية جداً تعلقت إرادة الله بهذا العبد بأن يسمح له بأن يفعل ما اختار ، أما إذا كانت إرادته ضعيفة ، فالله سبحانه وتعالى لا يسمح له ، بل يُنبههُ ويحذره

فصار هناك قَصِيَّتَانِ : القضية الأولى أَنَّ الله لَا يُطْلِقُ إِنْسَانًا وَفَقَّ إِرَادَتِهِ إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْحِكْمَةُ الْمُطْلَقَةُ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا الشَّيْءَ ، إِذِ السَّمَاحُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَنْتَ تَرِيدُ وَأَنَا أُرِيدُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ .

إِذَا الْإِرَادَةُ الَّتِي يَرِيدُهَا الْإِنْسَانُ إِنْ كَانَتْ لَيْسَتْ فِي صَالِحِهِ فَرَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَسْمَحُ لَهُ أَنْ يَفْعَلَهَا ، أَمَا إِذَا بَلَغَتْ إِرَادَتُهُ دَرَجَةً عَالِيَةً مِنَ الْإِصْرَارِ فَعِنْدَئِذٍ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَسْمَحُ لَهُ أَنْ يُفْعَلَهَا ، لَا عَلَى مِنْ يَشَاءُ الْإِنْسَانُ وَلَكِنْ عَلَى مِنْ يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكُنْ مَطْمَئِنًا ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا شَرِّيرًا يَبْدُو لَكَ أَنَّهُ مُخَيَّرٌ وَأَنَّهُ طَلِيقُ الْيَدَيْنِ وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَنْ يُسَلِّمَكَ لِأَحَدٍ ، فَهَذَا الشَّرِيرُ طَلِيقُ الْيَدَيْنِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَاءَتْ ، وَاللَّهُ يَسُوقُ ظَالِمًا لِظَالِمٍ وَمُنْخَرِفًا لِمُنْخَرِفٍ أَوْ يَسُوقُ إِنْسَانًا لَا يَعْرِفُهُ لِيُؤَدَّبَ مِنْ يَعْرِفُهُ ؛ إِذَا عَصَانِي مِنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي ، فَالْإِنْسَانُ مُخَيَّرٌ وَالْفِعْلُ فِعْلُ اللَّهِ وَإِرَادَةُ اللَّهِ مَعَ غَيْرِ الْمُخَيَّرِ إِرَادَةُ أَمْرٍ لَأَنَّهُ مُسَخَّرٌ ، أَمَا إِرَادَةُ اللَّهِ مَعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَهِيَ إِرَادَةُ سَمَاحٍ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُخَيَّرٌ ؛ سَمَاحٌ أَنْ يَفْعَلَ حِينَمَا تَغْلُو الشَّهْوَةُ وَيَغْلُو الْإِصْرَارُ إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ الْحِكْمَةُ الْمُطْلَقَةُ تَنْقَلِبُ إِلَى عَمَلٍ ، أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِصْرَارٌ ، فَرَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَصْرِفُ عَنْهُ هَذِهِ الشَّهْوَةَ الْمُنْخَرِفَةَ رَحْمَةً بِهِ ، أَمَا إِذَا أَصَرَّ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ يُطْلَقُ إِلَيْهَا .

وَالْمَعْنَى الثَّانِي : أَنَّهُ حِينَمَا يُطْلَقُ اللَّهُ هَذَا الْعَبْدَ لِفَعْلِ شَيْءٍ مَا يُطْلَقُهُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ أَوْ عَلَى مَنْ يَكُونُ التَّسْلِيْطُ عَلَيْهِ حِكْمَةً فِي حَقِّهِ فَهَذَا هُوَ فِعْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فِي ضَوْءِ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ﴾ .

الإنسان أراد الهدى وأرادهُ ابتداءً بحثاً عن الحقيقة وطلب معرفة الله عز وجل ، وحيثما عُرِيت إرادة الهداية أو إرادة الضلال إلى الله عز وجل هي إرادة جزائية تأتي عَقِب طلب هِدَايَةٍ شخصيٍّ ، أو إضلال جزائي مبني على ضلال اختياري .

القضية دقيقة جداً إذا عُرِيت إرادة الهداية أو إرادة الإضلال إلى الله عز وجل فهي الإرادة الجزائية المبنية على إرادة اختيارية وفي ضوء هذا التفسير : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ﴾ الإنسان أراد الهدى فشاءت إرادة الله أَنْ يَهْتَدِي ؛ كيف يُعِينُهُ الله على هذا الطلب الرفيع ؟ قال : ﴿يُشْرِحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ لأن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن فيشرح الله صدره للإسلام ، وماذا نُسَمِّي هذا الشرح ؟ إنه مَعُونَةٌ من الله تعالى ؛ مثلاً أَبُّ عِنْدَهُ ولدان أحدهما طلب أن يدرس فأفركه بِعُرْفَةٍ خاصّة وأعفاه من بعض المال وشجّعه وكافأه فهذا تشجيع من الوالد لولده . والإنسان حينما يريد الهداية ويصدق في طلبها تتعلّق إرادة الله في أَنْ يَهْتَدِي ، والله يُشَجِّعُهُ على ذلك ، ويشرح صدره للإسلام ، وهذا شيءٌ ثابت فَبِمُجَرَّد أَنْ تَبْحَثَ عن الخير وعن الهداية ، وبِمُجَرَّد أَنْ تَعْمَلَ عملاً صالحاً تشعرُ بِراحَةٍ كبيرة جداً ، وهذه الراحة تشجيعيّة من الله عز وجل ، وقوله تعالى :

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ يُشْرِحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُمْ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

طبعاً يضلُّه الضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري ؛ أراد الضلال فَسَمَحَ الله تعالى له به لأنَّهُ أَصَرَ عليه ، فيجعل صدره ضيقاً

حرجاً وهذا أيضاً تزيية ، لو أنه شرح صدره للضلال لكان الله تعالى مُعيناً لهذا العبد على الضلال أما الأمر فهو عكس هذا ، لو أراد الإنسان الضلال تضيق نفسه وتتعسر أموره ويؤدّب ويُعاتب ويُوبّخ ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

أَعَرَفْتُمْ الآنَ ما حِكْمَةُ اللَّهِ في أَنْ قلوب العباد بين أَصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ؟ الحِكْمَةُ أَنَّ القلبَ إذا كان بين أَصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُ لِصَالِحِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ كما يشاء ، شاء الهُدَى فشرح الله صدره للهدى ، وشاء الضلالة فضيَّقَ الله له صدره .

إذاً : شرح الصِّدْر وتضييق الصدر لِصَالِحِ الْعَبْدِ ، فأنت مُخَيَّرٌ إذا أَصَبْتَ في اخْتِيَارِكَ شَجَعْنَاكَ وَدَعَوْنَاكَ إِلَى مُتَابَعَةِ الْخَيْرِ ، وأما إذا اخْتَرْتَ شيئاً سيئاً وَبَخْنَاكَ وَضَيَّقْنَا عَلَيْكَ من أَجْلِ أَنْ تَكُفَّ عَنْ هَذَا الشَّيْءِ ، فهذه الآيةُ أساسيةٌ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

آيةٌ أُخرى وهي قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُطَهِّرَ كَلِمَاتِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٦] .

قد يبحث الإنسان عن مَوْقِفِ إنسانٍ آخر منه ويقول له : ماذا تريد أن تفعل بي ؟ وماذا تريد مني ؟ فَرَبُّنَا عز وجل يُطَهِّرُ عِبَادَهُ قال تعالى :

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمَيَّلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٢٧] .

يعني إرادته مُتَعَلِّقَةٌ بِهِدَايَتِكُمْ ، فقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ ، هناك معنى دقيق ، ولأنكم مُخَيَّرُونَ فَدَوَّرُ الْمُرَبِّي مع الْمُخَيَّرِ التوضيح ، فالداعية مثلاً بالنسبة للمذعُوبين ؛ عليه أن يتركهم لاختيارهم فهم مُخَيَّرُونَ ؛ يَسْتَجِيبُونَ أو لا يَسْتَجِيبُونَ ، يؤمنون أو لا يؤمنون ، يَسْتَقِيمُونَ أو لا يَسْتَقِيمُونَ ؛ فما دور الداعية في الدعوة إلى الله حيال إنسان مُخَيَّر ؟ عَلَيْهِ أَنْ يُقَنِّعَهُ بِالْإِيمَانِ ، فالإنسان مُخَيَّر ليس عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ، وإنك لا تهدي من أحببت ، ولست عليهم بِمُسَيِّطِرٍ ، وما أنت عليهم بِوَكِيلٍ ، وما يوجد إجبار ، إلا أَنَّ مُهِمَّةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ومُهِمَّةُ الَّذِينَ يَنْوِبُونَ عن رسول الله ﷺ في تبليغ الحق ؛ البيانُ والتوضيح لِتَحْمِيلِ الْإِنْسَانِ عَلَى أَنْ يَقْبَلَ الْحَقَّ .

أحياناً البائع يَغْرِضُ على المشتري بضائع كثيرة ، ولو أَنَّ الْبَائِعَ اسْتَحْسَنَ أَنْ يَبِيعَهُ نوعاً من البضاعة وهي جيّدة جداً وَسِعْرُهَا رخيص وهذا الذي يَشْتَرِي يُحِبُّهُ ، فَإِنَّ الْبَائِعَ يُعِينُهُ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ ويقول له : اختر ما شئت ، هذه هي الأنواع وهذه هي الأسعار ، وأنت مُخَيَّرٌ ، أما البائع الرحيم فيقول له : أنا سَأَنْصَحُكَ خُذْ هذه وهي جيّدة جداً وَسِعْرُهَا مُنَاسِبٌ وعلى الاستعمال متينة ، فالبائع هنا تدخّل ، فربنا عز وجل أَعْطَانَا حُرِيَّةَ الْإِخْتِيَارِ وَأَعْطَانَا عَقْلاً في رُؤُوسِنَا ، وَكُونًا يَنْطِقُ بِوُجُودِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَمَالَتِهِ ، وَأَعْطَانَا شُرْعاً دَقِيقاً وَشَهَوَاتٍ نَزَقَى بِهَا ، وَحُرِيَّةَ اخْتِيَارِ نَشْمَنُ بِهَا عَمَلْنَا ، فَلَوْ تَرَكْنَا لِضَاعِ مَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وعلى الرغم من أَنَّهُ أَعْطَانَا كُلَّ شَيْءٍ فَإِذَا اتَّخَذْنَا قَرَاراً صَحِيحاً

شرح صدورنا وشجعنا وكافأنا وأكرمنا ، وإن اتَّخَذْنَا قَرَاراً خَاطِئاً ضَيَّقَ صَدْرُنَا وَعَسَّرَ أَمْرُنَا وَعَاقَبْنَا وَنَبَّهْنَا ، فالله هو رب العالمين يُرَبِّينَا ، ومن هنا كان القلب بيده من أجل أن يُرَبِّي عَبْدَهُ ، فإذا اتَّخَذَ قَرَاراً صَاحِبِهَا شرح الله صدره ، فإذا أُرِدْتَ أن تعرف ماذا يريد الله جل جلاله منك ؟ فاسمع ما قاله الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمَسِّلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ .

لذلك كن من الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

هذا كلام رب العالمين ، فالله تعالى قال : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمَسِّلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ .

ويطالعنا كذلك شيء آخر ؛ وهو أن الإنسان أحياناً يُحْمَلُ نَفْسُهُ مَا لَا يُطِيقُ ، ويُحْمَلُ نَفْسُهُ مِنَ الْأَعْبَاءِ وَالذُّنُوبِ وَالخَطَايَا مَا لَا يُطِيقُ أَنْ يُوَاجِهَ بِهَا اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فهو لا يدري ، وهو غافل ، فجاءت الآية الكريمة :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] .

قد يحمل الإنسان من الأوزار ما لا يطيق وهو غافل لكن الله يعلم ، فلو أنك رأيت إنساناً يشتري من بلد آخر بضاعة ممنوعاً نقلها إلى داخل البلاد ولن يستطيع إدخالها وبقيت ساكنة تكون من الذين

خانوه ، أما إذا أردت أن تنصحه وتبتهه إلى أن هذه البضاعة غير مسموح أن تنقلها إلى بلدك فقد خففت عنه ، لأنه سيدفع ثمنها وسوف تُصادر من قبل موظفي جمارك بلاده ، فالله عز وجل إذا رأى عبداً يُحمّل نفسه ما لا يطيق من المعاصي والانحراف فهو الآن غافل ، أما حينما يأتيه ملك الموت فإنه يُضعق قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ .

ثلاث آيات في سورة النساء ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُتَوَبَّ عَلَىٰكُمْ ﴾ ، و﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ ﴾ ، و﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ ، يبين لكم كي تتوبوا ، وإذا تبتّم خفف عنكم .

هناك آية أساسية في هذا الموضوع ، يقول الله عز وجل :

﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

الشيء الذي يلفت النظر هو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ فالخير مُراد من قبل الله عز وجل أما الشر فليس مُراداً ، لذلك لم تأت كلمة يُرِدْكَ بِشَرٍ إنما قال : ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ ، مثلاً مدير مدرسة يُمكنه أن يُعاقب طالباً ويُمكن أن يفصله ، لكن الأصل في المدرسة هو تعليم الطلاب وليس طردهم ؛ أردنا من إنشاء هذه المدرسة تعليم الطلاب ، أما إذا شذ طالبٌ نفصله ، فالفضل غير مُرادٍ من قبل مدير المدرسة ، لكن الفصل أحياناً علاجٌ طارئ نستخذه ولا نريده . وهذا الأب تجده يُحب ابنه حباً جماً فإذا أخطأ الولد خطأ كبيراً يحتاج إلى تأديب يضربه ، لكنه يتمنى ألا يضربه ؛

يَضْرِبُهُ لِيُؤَدِّبَهُ ، وهو يتألم أشدَّ الألم حينما يضربه ، فالحِكْمَةُ اقْتَضَتْ أَنْ يَضْرِبَهُ وهذا هو معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّنَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرْذَكَ بِيُرْذِكَ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

يروى عنه عليه الصلاة والسلام : « أَطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ » [رواه البيهقي] ، يعني طول دهركم وهذا من أُنْذَرِ الشواهد ؛ وهو أَنَّ ظَرْفَ الزَّمان قد يأتي له نائب فَدَهْرُكم تنوب عن ظَرْفِ الزَّمان والتقدير يعني : أَطْلُبُوا الْخَيْرَ طَوَالَ دَهْرِكُمْ ، وتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ اللَّهِ ؛ إن طلبتم الخير تَعَرَّضْتُمْ لِنَفَحَاتِ اللَّهِ عز وجل : « إِنْ لَرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ لِنَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا » [متفق عليه] ، فإنَّ الله نفحاتٍ من رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، واسألوا الله أَنْ يَسْتُرْ عَوْرَاتِكُمْ وَأَنْ يَوْمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ ، والرَّوْعَاتُ جُمُوعُ رَوْعَةٍ وهي الْخَوْفُ ، فَنِعْمَةُ الْأَمْنِ لَا تَعْدِلُهَا نِعْمَةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فإذا كان هناك خَوْفٌ وَقَلَقٌ تَنْقَلِبُ مَعِيشَتُهُ إِلَى مَعِيشَةِ ضَنْكٍ وَالله عز وجل قال :

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [فرش : ٤] .

ويقول الله عز وجل في سورة هود :

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ أَنْفُسَ إِلَّا بَازِنَةً فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٥] .

الاستِثْنَاءُ هنا عائدٌ إِلَى الْعُصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّ النَّارَ يَدْخُلُهَا الْعُصَاةُ وَلَا خُلُودَ لَهُمْ فِيهَا ، أما الْخُلُودُ فهو للكفار ، لكن من كان فيه ذرة من إيمان ففي النِّهَايَةِ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ .

قال تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۖ وَأَنْتُمْ

سَكِينُونَ ﴾ [النجم : ٥٩-٦١] .

الإنسان في النهاية إما إلى شقاء أبدي وإما إلى سعادة أبدية ،
وهناك حالات خاصة ؛ مؤمنٌ مُقَصَّر ومات عاصياً يَدْخُل النار ، ولكن
إلى حين ، وهذه الآية هي التي تؤكد هذا المعنى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُفٌّ وَسَعِيدٌ﴾ .

فمن كان في قلبه مثقال ذرة من خير يخرج في النهاية من النار وقد
يبقى ملايين السنين وقد يبقى آلاف ملايين السنين ، لكنه لا يخلد في
النار إلا مَنْ شرد على الله شرود البعير .

وفي سورة النحل قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] .

حتى العلماء قالوا : « كن هي حركة . فيكون حركتان . وهناك
ثلاث حركات ، إلا أن أمر الله تعالى أسرع من هذا وليس فيه زمن ،
فكلمة كن لمُجَرَّد أن تتعلق مشيئة الله في أن يكون شيء هو كائن بلا
تأخر » ، ولكن الأمر تقريب لأذهاننا قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا
أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

التطبيق العملي لهذا الاسم العظيم هو أنك إذا تعاملت مع
الأشخاص فهم مَخْدُودُ القُدَرَات ، فقد يتمنّون أن يُعطوك شيئاً
ولا يستطيعون ، لكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً قال له كن
فيكون ، فإذا كنت مع المرید أو مع الفعال لما يُريد تحقق لك كل
شيء ، واسمع قوله تعالى :

﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] .

وهناك شيء آخر تطالعنا به الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً

أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ [الإسراء : ١٦] .

فالقرية حينما تفسد يعاقب أهلها ، وبعض معاني هذه الآية أن آخر علاج قبل أن يهلك الله هذه القرية يُؤْمَرُ مُتْرَفِيهَا ، فهو آخر علاج وهو علاجٌ مُرٌّ ؛ أن يتأمر المُتْرَفُ الغافل المُنْحَرِفُ .

روي عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ أَمْرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سَمَحَاءَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى ، يَبْنِيَكُمْ فَظَهَرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا ، وَإِذَا كَانَ أَمْرَاؤُكُمْ سِرَارَكُمْ ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بَخْلَاءَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا » [رواه الترمذي] .

المعنى الأول : أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يهلك قريةٍ لِعِصْيَانِهَا وَانْحِرَافِهَا وَاسْتِغْنَائِهَا عَنْ مَنَهِجِ اللَّهِ ، فهناك قراءةٌ بتشديد الميم وهي قراءة علي وأبي العالية وأبي عمرو وأبي عثمان النهدي تُناسِبُ هذا المعنى هي : « أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا » جعلنا مُتْرَفِيهَا أُمراءَ فَفَسَقُوا فيها ، وبالتالي هؤلاء الذين أُمِّرَ عليهم المُتْرَفُونَ وساموهُم سوء العذاب لم يتوبوا ، وقد تَعَجَّبُ أَخْيَانًا مِنْ مِصْيَةِ طَاحِنَةٍ حَلَّتْ بِبَلَدٍ ثم ترى أهلها بعد ذلك أشدَّ تَفَلُّتًا مما كانوا عليه من قبل ، وقد قيل : من لم تُخْذِلِ المِصْيَةُ فِيهِ مَوْعِظَةٌ فَمُصِيبَتُهُ فِي نَفْسِهِ أَكْبَرُ ، فَقَرْيَةُ انْحَرَفَتْ وَاسْتَحَقَّتْ الْهَلَاكَ وَضَلَّتْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ بِحَسَبِ قَوَانِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وآخر علاج : أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فيها ، ولم يتب الذين كانوا متلبسين بالفسق والفجور ، لم يعودوا عن ضلالتهم ، فَحَقَّ عليهم الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا .

والمعنى الثاني : وإذا أردنا أن نُهْلِكَ قَرْيَةً قَبْلَ أَنْ نُهْلِكَهَا نُنْذِرُهَا وَنَأْمُرُ مُتْرَفِيهَا أَنْ يَسْتَقِيمُوا فَلَا يَسْتَقِيمُونَ ، وَلَمْ قَالَ اللَّهُ مُتْرَفِيهَا ؟

الْمُتَرَفُونَ هُمُ الْمُبْذَرُونَ الَّذِينَ يَعِشُونَ لِشَهَوَاتِهِمْ وَالْأَغْنِيَاءُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَالْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ ، وَالتَّرَفُ فِي آيَاتِ ثَمَانِيَةِ اقْتِرَانٍ بِالْكَفْرِ ، وَالتُّرَفُ هُوَ إِنْسَانٌ يَعِيشُ لِلدُّنْيَا فَقَطْ ، وَهَؤُلَاءِ الْمُتَرَفُونَ مَعْقِدُ أَنْظَارِ النَّاسِ ، وَالنَّاسُ تَتَّبِعُ لِلْأَقْوِيَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ ؛ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ، وَهُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً لَا نُهْلِكُهَا ابْتِدَاءً إِنَّمَا نُنْذِرُهَا قَبْلَ أَنْ نُهْلِكَهَا ، وَالْإِنْذَارُ أَمْرُنَاهُمْ أَنْ يَسْتَقِيمُوا مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَنَصِيحَةِ النَّاصِحِينَ وَدَعْوَةِ الدَّاعِينَ وَخُطْبِ الْخُطَبَاءِ وَكُتُبِ الْمُؤَلِّفِينَ أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ؛ أَمْرُنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا .

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْهُ كَثِيرًا مِنْ خِلَالِ الْبَحْثِ أَنَّ تَنْزِيلَ اللَّهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ، بِمَعْنَى : إِذَا خَطَرَ بِإِلَاحِ مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ الضَّلَالَ لِلنَّاسِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ هَذِهِ الْآيَةُ تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ ؛ أَرَادَ الْهَلَاكَ أَوْ أَرَادَ الضَّلَالَ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْإِرَادَةَ إِذَا كَانَتْ مُنْصَرِفَةً إِلَى الْإِنْسَانِ فَهِيَ إِرَادَةُ سَمَاحٍ أَوْ تَأْدِيبٍ ، أَمَّا إِذَا عَزِيَ الْإِضْلَالُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ الْإِضْلَالُ الْجَزَائِي الْمَبْنِي عَلَى ضَلَالٍ اخْتِيَارِي .

وَهُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَعَ وَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يَرِيدُ ، أَمَّا نَحْنُ فَتَتَمَنَّى وَنُرِيدُ وَلَا يُحَقِّقُ مِمَّا نُرِيدُ إِلَّا الْيَسِيرَ ، لِأَنَّا ضَعْفَاءُ وَمَخْدُودُونَ وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ قُدْرَةٌ مَخْدُودَةٌ ، أَمَّا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَرَادَهُ اللَّهُ وَقَعَ ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَعَ أَرَادَهُ اللَّهُ فَالْأَوَّلُ وَاضِحٌ ،

اقرأ قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سُوءَ أَفْلاَ مَرَدٍّ لَمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ .

أما الثاني فأبني شيء وقع أراد الله ، فالعبارة هذه تُعكس أراد ووقع ووقع وأراد ، فإن أراد وقع وإن وقع الشيء أراد الله ، فهذه الفكرة على إيجازها تَمَلُّا قَلْبَكَ رضا ، إنسان ارتكب حماقة كبيرة وسافر بِوَقْتِ مُعَيَّن ، فأصيب بِمُشْكِلَةٍ لا نقول لو لم يُسافر لم يُصَب ، إنما نقول : ما دام هذا الشيء وقع في مُلْكِ الله إذا أرادَه ، فإذا كان مع الجماد أرادَه فِعْلاً ، وَمَعَ الْمُخَيَّرِ أرادَه سماحاً .

لذلك قالوا : لِكُلِّ وَاقِعٍ حِكْمَةٌ ، وقد يكون الإنسان غيرَ حكيم ، لكن ربنا عز وجل لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ يُوظَّفُ شر الناس لخير مطلق ، فالشر لا وجود له إلا في النفوس ، أما في العالم المادي فالشر هو مُداواة ، والشرير يريد أن يفعلَ شيئاً مُزعِجاً ويريد أن يُؤذي ، لكنه لا يُؤذي إلا من يستحق الأذى ، أو لا يُؤذي إلا من يستحق التأديب ، أو لا يُؤذي إلا من يكون إيذاؤه حِكْمَةً بِالْغَةِ ، ففي الواقع المادي لا يوجد شرٌ ، والشر المطلق غير موجود ، والشر من مخلوق مُخَيَّرٍ مقطوع عن الله في نفسه فقط ، أما الأفعال فهي أفعال الله عز وجل ، وكلُّها تُوظَّفُ الشر في الخير المطلق .

لذلك : كُلُّ شيء وقع أرادَه الله ، وهذه المَقُولَةُ تُلغِي كلمة لَوْ وَلِكُلِّ شيء حقيقة ، وما بلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أَنَّ ما أصابَه لم يكن لِخِطئِهِ ، وما أخطأه لم يكن لِإِصْبِيهِ ، وكل شيء وقع أرادَه الله وكل شيء أرادَه الله وقع ، وإرادة الله مُتَعَلِّقَةٌ بِالْحِكْمَةِ المطلقة ، والإنسان أحياناً يريد شيئاً لاحكمة فيه ، والسبب إما أَنَّهُ وقع تحت إغراءٍ شديد فطاش صوابه أو تحت ضَغْطٍ شديد فاختلَّت

رُؤْيَتْهُ ، أو لَأَنَّهُ يَجْهَلُ ، والجهل والإغراء والضغط هذه تلغي حِكْمَةَ الإنسان ، لكن هذه المعاني التي تقع من الإنسان لا تليق بالله عز وجل ، لذلك يجب أن تقول إرادة الله مُتَعَلِّقَةٌ بالحكمة المطلقة ، وحِكْمَتُهُ المطلقة مُتَعَلِّقَةٌ بالخير المطلق . وإذا عَقَلْتَ هذا فالمقولة ستجدها في آخر البحث مريحة ومطمئنة لنفس المؤمن . فإذا نظرت إلى كُلِّ ما يجري في العالم بادئ ذي بدء تشعُر بِرَاحَةٍ كبيرة ، والسبب أَنَّ كُلَّ شيء وقع إرادته الله ، ومعنى أَنَّ الله أرادَهُ : أَنَّهُ لو لم يقع على نحو ما وقع لكان الله تعالى ملوماً في ذلك ، وَلَكان الذي وقع على نَحْوِ آخر نَقْصاً في حِكْمَةِ الله عز وجل فالذي وقع إرادته الله ، والذي أرادَهُ الله وقع ، والإرادة الإلهية مُتَعَلِّقَةٌ بالخير المطلق ، والحكمة المطلقة مُتَعَلِّقَةٌ بالخير المطلق .

وآخر شيء أشير إليه أَنَّ لِكُلِّ واقع حِكْمَةً قد تُكْشَفُ بعد حين ، قد تنشأ مشكلة من سبب بسيط ، والإنسان لِضَعْفِ إيمانه يقول ليت هذا لم يقع ؛ فالله عز وجل أراد شيئاً كثيراً مثلاً السيِّدة عائشة رضي الله عنها كانت في إحدى الغزوات مع رسول الله ﷺ ، فهي كما يروي كُتَّابُ السيرة كانت خفيفة الوزن ، فلما قادوا جَمَلَهَا ظنوها في الهَوْدَجِ وساروا وقد خلفوها وراءهم ، فلما فاتها الجيش التفت أحد الصحابة المُتَأَخِّرِينَ خلف الجيش وهو صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني فرآها فَعَامَلَهَا كَأَمَةٍ وَغَضَّ بصره عنها وسار بها حتى أدرك الجيش ، فأراد المنافقون أن يُثْبِرُوا فِتْنَةً ، وحديث الإفك معروفٌ وهو مذكور في سورة النور ، قد يقول أحدهم لو أَنَّ الذي قاد الجمل تَفَقَّدها ، ولو أَنَّها اسْتَيْقَظَتْ ولولم تَغْفُ لما كان هناك حديث إفك ؛ مُشْكِلَةٌ طويلة عريضة بَقِيَتْ قرابة شهر وبعض أهل المدينة يُرْجِفُونَ

فيها ، والمنافقون وجدوا مادة دسمة جداً ، وتكلموا وأخذوا حُرَّتَهُمْ ، والمؤمنون سكتوا وتألموا ووقعت مشكلة وقتته ، هذا الحديث وهذه القضية الكبيرة سببها غفلة من السيدة عائشة رضي الله عنها ، والذي قاد الجمل ليته تفقدها ، ولما استيقظت وجدت نفسها بعيدة عن الجيش ، صفوان بن المعطل في أعلى درجات الأدب والحياء ، فعل ما ينبغي أن يكون ، فصارت هناك مشكلة ، فماذا قال الله عز وجل ؟ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ لَافٍ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١] .

فالله تعالى إمتحن الناس ، وكانت عملية فرز وهذا هو الأمر الأول ، فالمؤمن ظنَّ بنفسه خيراً والمنافق عبّر عن حقدِهِ وضغيتِهِ وفرجه ، والمؤمن سكت ، والكافر تكلم . والأمر الثاني : لئلا نتوهم أن الوحي قضية متعلقة بالنبى ﷺ وأنه أمر سهل ، فلو أن النبى ﷺ يملك أمر الوحي لحلّ المسألة بدقة واحدة وبآية واحدة ، فالوحي تأخر قرابة شهر ، وليس مع النبى ﷺ أدلة إثبات وليس معه أدلة نفي ، والمنافقون يفرحون ويتكلمون ما يشاؤون ، والنبى عليه الصلاة والسلام يتألم أشدّ الألم ، والسيدة عائشة أصابها مرض شديد ، وأنها مرتبكة وأبوها مضطرب ، وكذلك رسول الله ﷺ في حيرة ؛ أيعقل أن تفعل زوجته ما يقولون ؟ وما شعور الزوج إن تحدثت الناس عن زوجته أنها زانية ؟ وما شعور الدة الفتاة والدة لها ؟ وما شعور المؤمنين ؟ تقول : يارب ! لو أنها ما غفلت لما وقع حديث الإفك كله ؛ فما دام الشيء وقع نقول : قد أرادَهُ الله ، وقد يبدو لك أن شيئاً كبيراً وقع لسبب يسير وهذا السبب الصغير مُقدّر من الله عز وجل ؛ فقد إمتحن

المؤمنين وفرزهم وارزقهم بعضهم وسقط بعضهم وظهت نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، وظهر أن الوحي شيء مُسْتَقِلٌّ عن إرادة النبي ﷺ ولا يملك له جلباً ولا دفعاً ، وتأخر الوحي أربعين ليلة فيه حِكْمَةٌ بالغة ، وقس على هذا كل شيء .

وفي صلح الحديبية أملت على النبي شروط غير معقولة ، وافق عليها النبي ﷺ لكن الصحابة ما ارتاحوا لهذه الشروط ، سيدنا عمر قال : أولسنا مؤمنين ؟ قال النبي : بلى . أوليسوا مشركين ؟ قال النبي : بلى ؛ قال عمر : فعلام نُعْطِي الدِّينَةَ في ديننا ؟! ثم ظهر فيما بعد أن وثيقة صلح الحديبية كانت فيها حكمة ما بعدها حكمة ، وكان فيها سياسة ما بعدها سياسة ، وانعكس الأمر على كفار قُريش .

أردت من هذا كله أن الشيء إذا لم يُعْجِبْكَ فانتظر ولا تتعجل في إبداء رأيك ، وما دام أنه وقع فقد أرادهُ الله ، وقُلْ هذه المقولة : لكل واقع حكمة وقد يكون الذي أوقع هذا الأمر من الناس ليس حكيماً وقد يكون أحمق ومُنْخَرِفاً فلأنه وقع فقد أرادهُ الله ، أما عظمة الله عز وجل فتبدى في أنه يُوطَفُ الأشياء غير الحكيمة في حكمة لا تعلمها أنت ولِحِكْمَةٍ مطلقة .

فإنسان يفحص صدر فتاة تطلب التوظيف ويُعْطِي الفتاة نتيجة فحص فتاة أخرى مصابة بالسل ، فهذه الفتاة حينما تعلم أنها مُصَابَةٌ بهذا المرض ، وقد ابْتَعَدَ عنها أهلها بسبب ذلك ، وعزلوها عنهم ، واسْوَدَّت الدنيا في وجهها ، فهذا الذي أعطى النتيجة مُتَسَرِّعاً ألم يقع في خطأ كبير ؟ بلى ، لكن هذه الفتاة حينما عِلِمَتْ بهذه النتيجة انهارت أعصابها ، ثم أرادت أن تتوب إلى الله عز وجل فَتَابَتْ وَصَلَّتْ

وتَحَجَّبَتْ ثم عَلِمَتْ بعد حين أنها صحيحة وليست مريضة ، فربنا وَظَّفَ خطأً هذا الْمُوظَّفَ في الخير المطلق ، فهذه نقطة دقيقة جداً لكل واقع حكمة وما دام أَنَّهُ وقع فَاطَمَيْنِ ، والله عز وجل لا يريد إلا الخير ، أما الشرُّ المطلقُ في الكون فهو غير موجود ، ولا يُمكن أن يكون مع الله شرٌّ مطلق ، لكن أن يكون شرٌّ نسبي مُوظَّفاً للخير المطلق فهذا موجود .

أخيراً ؛ ابنَ آدَمَ أَطْلُبْنِي تَجِدْنِي فإذا وجدتنِي وجدتَ كلَّ شيء ، وفي بعض الآثار القُدْسِيَّةِ : « أَنْتَ تريد وأنا أريد ، فإذا سَلَّمْتَ لي فيما أريد كَفَيْتُكَ ما تريد ، وإنْ لم تُسَلِّمْ لي فيما أريد ، أَتَعَبْتُكَ فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد » .

* * *

هو الله

و« هو » ضمير عائِل على الله جل جلاله وَلِشِدَّة ظهوره فإذا قلت : « هو » أي هو الله ، وتقريباً لهذا المعنى من أذهانكم نضرب مثلاً : قد يكون في يَنْتٍ أو في مَعْمَلٍ أو في مدرسة ، أو في مُسْتَشْفَى أو في مؤسسة شخصٌ كبير هو كلُّ شيء ، فَلَوْ تَبَيَّعَتْ أقوال من هم دُونُهُ تجدهم يقولون : ذهب ، جاء ، وما أراد ، فكلُّ الأفعال التي يُغْفَلُ فاعِلُها يُقَصَّد منها هذا المدير العام الذي هو كلُّ شيء في هذه الدائرة ، « هو » من أسماء الله الحُسنى ، وهو ضمير غائب يعود على الله عز وجل ، وبِالمناسبة الضمائر لها في اللغة شأنٌ كبير ، فهي أسماء معرفة ، وكلِّكم يعلم أنَّ بعض النُّحاة قالوا :

إِنَّ المعارِفَ سَبْعَةٌ فيها كَمُلُ أنا صالحٌ ذا مَا الْفَتَى ابني يا رجل
« هو » من الأسماء التي تُعَدُّ مَعْرِفَةً سَأَلْتَنِي على مَسَامِعِكُمْ نصاً من
دون ضمائر من أجل أن تعرفوا قيمة الضمائر :

« أُرْسِلَ قَیْصَرٌ مَلِكُ الروم رسولاً إلى عمر بن الخطاب ، لِيَنْظُرَ
الرسول أفعال عمر بن الخطاب ، ويُشاهد الرسول أحوال عمر بن

الخطاب فلما وصل المدينة سأل أهل المدينة : أين ملك أهل المدينة ؟ فقال أهل المدينة : ليس لأهل المدينة ملك بل لأهل المدينة أمير .

فهذا نص غير معقول لأنه لم نستخدم فيه الضمائر أما لو قلنا : أرسل قيصر ملك الروم رسولا إلى عمر بن الخطاب لينظر الرسول أفعاله ويشاهد أحواله ، فلما دخل المدينة سأل أهلها أين ملككم ؟ فقالوا : ليس لنا ملك بل لنا أمير .

شأن بين النص الأول والنص الثاني ، فالأول لا يُحتمل لكثرة التكرار ، على حين أن النص الثاني يخوي ضمائر مُستترة وضمائر ظاهرة ، وأخرى تُشير إلى المتكلم والمخاطب والغائب وضمائر مفردة ومثناة وجمع ، فجاء سليماً ومقبولاً ومريحاً للذوق والفهم .

فالضمير اسم معرفة ، يعود على معرفة أيضاً ، فالذي يُشير إلى معرفة يعدّ معرفة ، « هو » ضمير عائذ على الله جلّ جلاله ومعناه حاضر لا يغيب ، والله جلّ جلاله مع كلّ إنسان بعلمه ، ومع المؤمن بتوفيقه وحفظه وتأيدِهِ ونصرِهِ ، وهذه حقيقة ذكرتها كثيراً حينما يقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ ، « أي معكم بعلمه مع العاصي والفاجر ومع الكافر ومع الملحّد » ، ولكن حينما يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ و﴿ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

هذه معية تأييد وحفظ ونصر وتوفيق ، إلا أن هذه المعية لها ثمن كبير . وقال الله تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ فَأَقْرِضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَلَا تُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿[المائدة : ١٢] .

اذفع الثمن واقبض النتيجة ؛ فأقم الصلاة وآتِ الزكاة وانصُر الحق وكُنْ مع المؤمنين ، فسوف تقطف ثمار هذه الطاعة معيَّة ربك جل جلاله حفظاً وتأيداً ونصراً وتوفيقاً .

قال بعض العلماء : « هو » عند أهل الظاهر مُبتدأ يحتاج إلى خبر لِتَمَّ الجملة ، وعند أهل القلوب لا يحتاج إلى خبر فَهُوَ مُبتدأ وخبر .

إذا جاء إنسان ، وقلنا من الذي جاء ؟ نقول : أحمد ، فأحمد كلمة مُفردة ولكنها تُشير إلى خبر ؛ الذي جاء هو أحمد ، فإذا قلت الله ؛ أي : خالقنا الله ، ومُربينا الله ، ومُبدعنا الله ، ومُوفِّقنا الله ، مُعطينا الله ، ورازقنا الله ، ومُعِزُّنا الله ، فَكَلِمَةُ الله لو جاءت مُفردة تعني خبراً فَكَلِمَةُ (هو) عند أهل الظاهر تحتاج إلى خبر وفي آيات كثيرة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢] .

لكن عند أهل الحقيقة « هو » لا تحتاج إلى خبر ، فهي مبتدأ وخبر لأنها تُشير إلى الله عز وجل .

وبعضهم قال : « هو » الهاء تخرج من أقصى الحلق وهو آخر المخارج في الفم ، والواو تخرج من الشَّفة ، ففيها آخر حرفٍ وأوّل حرف قال تعالى :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

حرف الهاء آخر حرفٍ في الحَنْجَرَةِ ، وحرف الواو أول حرف بين الشَّفَتَيْن وهو اسْتِنْبَاط لطيف .

هناك أشياء كثيرة حول هذا الاسم ؛ قبل أن نَمُضي في الحديث عن تفاصيلها يجب أن أَضَع بين أيديكم الآيات الكثيرة التي وردت فيها كلمة « هو » .

ففي البقرة قال تعالى :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

هُوَ تعود على الله جل جلاله ، وفي فاتحة آل عمران :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] .

وفيها أيضاً قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦] .

ففي أثناء الحديث عن الله عز وجل تقول لأخيك المؤمن مثلاً : هو الذي أَكْرَمَنَا ، وهو الذي أَمَدَّنَا ، وهو الذي وَفَّقَنَا ، وهو الذي أَعْطَانَا ؛ هو ربنا وخالقنا ومُعِزُّنا والمُوفِّق والواحد الأحد ، وفي الكَوْن حقيقة هي أصل كلِّ الحقائق ، ومَوْجُودٌ هو أصل كلِّ مَوْجُود ، وهو : الله عز وجل وأيُّ شيءٍ قَرَّبَكَ إلى الله عز وجل فهو الخير والصلاح والفلاح والنجاح ، وأيُّ شيءٍ أَبْعَدَكَ عنه فهو الشر .

فَمُلَحَّصُ المُلَحَّصِ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وتعالى هو كلُّ شيءٍ ، فأَيُّ شيءٍ قَرَّبَكَ إليه فهو الخير والحق والنجاح والفلاح ، وأيُّ شيءٍ أَبْعَدَكَ عنه

فهو الباطل ، لذلك كثيراً ما يستَخدم المسلم في حديثه اليومي كلمة « هو » هو الله ، قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وقال تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

ومن ثم ؛ فلا بُدَّ من ضرب بعض الأمثلة ؛ لو أنَّ شركة تقدَّمت بِمُنَاقَصَةٍ كبيرة جداً ، وأرادت أن تُعرِّف الشركة بِحُجْمِهَا وقُدْرَتِهَا وإبداعِها وخبرِتها وإمكاناتِها وحِكْمَتِهَا ، وتقدِّم صورةً للمشروع وتقول هذه الشركة : هي التي صنعت هذا المصنع - دَقِّقْ - وهي التي أنشأت هذه المنشأة ، وهي التي بنت هذا الجسر ، وهي التي أنشأت هذا المُسْتَشْفَى ، وهذا السِّدَّ ، وهي التي فعلت كذا ، وهي التي فعلت كذا وكذا ؛ أَعْرِفْتَهَا من هي ؟ أَعْرِفْتَ حُجْمَهَا وإمكاناتِها وقُدْرَاتِهَا ؟ هذا مَثَلٌ للتقريب قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر : ٦٨] .

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

أَعَرَفْتَهُ مِنْ هُوَ ؟ هُوَ اللَّهُ ؛ اللَّهُ هُوَ الرزاق والمخلِّق والبارئ والمُصَوِّر وهو المعز والمذل .

أعوذ وأكرّر تقريباً للحقيقة : في أيّ مكانٍ أو مُجمّع أو دائرة أو مؤسسة قد يكون هناك شخص ملء السمع والبصر وهو كلُّ شيء ولا يُترَم أمرٌ دونه ، وكثيراً ما نستغني عن ذكر اسمه ونقول : « هو » هو الذي أراد ، عَرَضْنَا عليه الأمر فلم يُوافق ، وتقول : سيأتي ، وذَهَبَ ، فمن هو ؟ مِنْ شِدَّةِ ظَهْوَرِهِ أَغْفَلْتَ اسْمَهُ واستعصت عن اسمه بِضْمِيرٍ ؛ فَلِذَلِكَ ؛ اللَّهُ جل جلاله عند المسلم وعند المؤمن حياته ومماته وتوفيّقه وتأديبه ، وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام : ٢] .

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ٣] .

وقال تعالى :

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام : ١٧] .

وهناك آية أخرى :

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] .

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

أَعَرَفْتُهُ من هو ؟ هو القاهر فوق عباده وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ويقول أيضاً :

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحَكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٧] .

لو أَنَّ الإنسان تَبَعَ كلمة « هو » في القرآن الكريم لَجَمَعَ من آيات كثيرة وردت فيها كلمة « هو » بخناً كبيراً ودقيقاً جداً فهو الذي فعل كذا وكذا ؛ هو الحكيم وهو القاهر وهو الرحيم والرزاق والجبار والمُتَكَبِّرُ والمُتَنَبِّه والمُؤَلِّم ؛ أَعَرَفْتُهُ ؟ هو الله جل جلاله ، قال تعالى :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّوْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٠] .

والآيات التي تتحدَّث عن اسم الله « هو » كثيرة كثيرة بل إِنَّ مُعْظَم آيات القرآن الكريم تنطوي على كلمة « هو » . بعد هذا الشرح الطويل هل عَرَفْتَ الله ؟ فإذا قُلْتَ عَرَفْتُهُ فماذا فَعَلْتَ من أَجْلِهِ ؟ هل وَالَيْتَ فيه ولياً ؟ وهل عَادَيْتَ فيه عَدُوّاً ؟ وهل أَعْطَيْتَ الله ؟ وهل مَنَعْتَ الله ؟ وهل غَضِبْتَ الله ؟ وهل رَضِيتَ الله ؟ وهل تَحَرَّكَتَ الله ووقَفْتَ له ؟ وهل تَكَلَّمْتَ الله ؟ وهل سَكَتَ الله ؟ فالثمرة التي ينبغي أَنْ تُقَطِّفَها من

معرفة الله هي الخضوع لله ، وكنت قد ذكرت من قبل أن التسبيح هو التمجيد والتثنية ، ولا معنى للتمجيد وللتثنية دون الخضوع لله عز وجل كما أنه لا معنى أن تطيل الحديث عن كلمة « هو » دون أن تخضع له .

كلمة « هو » ورد كثيراً في سورة الأنعام حتى زاد ذكره على عشرين مرة ؛ ولا بد أن أعرف القراء الكرام وأذكرهم أن أسماء الله الحسنى على نوعين : نوعٌ وردت فيه أحاديث رسول الله ﷺ ، ونوعٌ استنبط من القرآن الكريم في الأنعام مثلاً عشرين مرة وردت كلمة هو وفي الأعراف قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧] .

وها نحن أولاء نقف عند التطبيق العملي ، لو نظرت إلى السماء فرأيت فيها سحباً ممطراً ؛ ماذا تقول ؟ المؤمن يقول : هو الذي أرسل هذا السحاب ، وهو الذي أنزل هذا المطر ، وهو الذي حرّك هذه الرياح وفجّر هذه الينابيع ، وهو الذي أنبت هذا النبات وجعل هذه الأشجار تثمر « هو » فلا يرى المؤمن في حياته إلا الله ، وهذه كما قال عنها العلماء وحدة الشهود ؛ كلما نما إيمانك ترى الله وراء كل شيء ، وكلما ضعف إيمانك تحجب عن الخالق بالخلق ويحجب الإنسان عن المنعم بالنعمة ، فما الفرق بين المؤمن والكافر ؟

الكافر مع النعمة ولكن المؤمن مع المنعم ، والكافر يقول أنا

وفلان وعِلان وزَيْد وعُبَيْد ومال وطعام وشراب وبيت ، أما المؤمن فيقول : هو الذي تَفَضَّل عليَّ بهذا البيت ، وهو الذي مَنَحني هذه الصَّحة ، وهو الذي أعطاني هذا العقل ، وهو الذي أَكْرَمني بهذه الزَوْجَة ، وهو الذي وهَبني هؤلاء الأولاد ومَكَّنني في الأرض ، وهو الذي رزقني ، وهو الذي عَرَّفني ذاته ، وهو الذي دَلَّني عليه فكلُّ شيءٍ « هو » ، والكافر لا يَقْتَضِي يقول : أنا أنا لذلك أنا ونحن ولي وعندي أربعُ كلماتٍ مهلكات وفيها شرك ؛ أنا خيرٌ منه قالها إبليس فأهلكه الله . ونحن أولو قوة وأولو بأسٍ شديد ، قالها قوم بلقيس فأهلكهم الله ، وقارون قال : إنما أوتيته على عِلْمٍ عندي ، فأهلكه الله عز وجل ، وفِرْعَوْن قال : أَلَيْسَ لي مُلْكٌ مِصرَ ، فأهلكه الله عز وجل ، إذا المؤمن يقول : « هو » ، والكافر يقول : « أنا » والمؤمن مع المُنْعِم ، والكافر مع النِّعْمة ، والمؤمن نسب النِّعْمة إلى المُنْعِم ، وتجاوز الخلق إلى الخالق ، وعبر من النظام إلى المُنظَّم ، ودخل من التسيير إلى المُسير ، ورأى النِّهاية والأول والآخر ، ورأى الله أوَّل كلِّ شيءٍ ، ورأى الله جلَّ جلاله نِهاية كلِّ شيءٍ .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، هذه الكلمة لها عند أهل الحقيقة شأنٌ كبير « هو » ، فأحياناً في اللغة العربيَّة قد يُحذف الفاعِل أو يُبْنَى الفعل للمجهول ؛ تقول : كُسر الزجاج ، فالفعل كُسر فاعِلٌ مَبْنِي للمجهول ومتى بُنِيَ الفعل للمجهول ؟ .

قالوا : إذا لم نَعْرِفِ الفاعِل ، أو إذا خِفْنَا على الفاعِل ، أو إذا

خِفْنَا مِنْهُ ، فَإِنْ خِفْنَا مِنْهُ نُخْفِهِ ، وَإِنْ خِفْنَا عَلَيْهِ نَبْنِيهِ لِلْمَجْهُولِ ، وَإِنْ كَانَ مَجْهُولاً نَبْنِيهِ عَلَى الْمَجْهُولِ ، أَمَا فِي الْحَالَةِ الْغَرِيبَةِ جِداً فَإِنَّهُ يُبْنِي الْفِعْلَ لِلْمَجْهُولِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْفَاعِلُ وَاضِحاً ، وَكَانَ وُجُودُهُ صَارِخاً قَالَ تَعَالَى :

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

من الذي خلقه ؟ هل يوجد إله غير الله ؟ لأنَّ الله هو الخالق ولك أن تقول خُلِقَ الإنسان من عَجَلٍ ؛ « فَخُلِقَ » تُشير إلى أَنَّ الْفِعْلَ مَبْنِي لِلْمَجْهُولِ ، وَإِحْدَى الْعِلَلِ لِلْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ شِدَّةُ ظَهْوَرِ الْفَاعِلِ فَشِدَّةُ ظَهْوَرِهِ تَدْعُو لِبِنَائِهِ لِلْمَجْهُولِ ، أَوْ لَخَفَائِهِ نَبْنِيهِ لِلْمَجْهُولِ ، أَوْ أَنَّ نَخَافَ مِنْهُ أَوْ أَنَّ نَخَافَ عَلَيْهِ .

وبعد ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْكُمْ إِذَا قَرَأْتُمْ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَوَقَفْتُمْ عِنْدَ كَلِمَةِ « هُوَ » أَنْ تَتَذَوَّقُوا مَاذَا تَغْنِي « هُوَ » ، هُوَ الظَّاهِرُ وَالْخَالِقُ وَالْبَارِئُ وَالْمَصَوِّرُ وَالْمُعْطِي وَالْمَانِعُ وَالرَّافِعُ وَالْخَافِضُ وَهُوَ الْمُعِزُّ وَالْمَذِلُّ وَهُوَ الْكَرِيمُ وَاللَّطِيفُ وَالْقَهَّارُ وَهُوَ الْجَبَّارُ وَالْمُتَّقِمُ .

لِذَلِكَ ، أَعْطَوْا لِإِنْسَانٍ أُمِّيٍّ مُسَجَّلَةً وَجَعَلُوهَا مَعَهُ دَائِماً وَسَجَّلُوا كَلَامَهُ خِلَالَ أُسْبُوعٍ ، ثُمَّ أَفْرَغُوا هَذِهِ الْأَشْرُطَةَ عَلَى وَرَقٍ وَحَذَفُوا الْكَلِمَاتِ الْمُتَكَرِّرَةَ إِذَا بِهَذَا الْإِنْسَانِ ضَعِيفِ الثَّقَافَةِ ، وَمُحْدُودِ التَّفْكِيرِ وَالتَّجَارِبِ وَالْخِبَرَاتِ ، حَيَاتُهُ رَتِيبَةٌ فَلَا يَتَكَلَّمُ بِأَكْثَرِ مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ كَلِمَةً فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ ؛ ثُمَّ أَعْطَوْا هَذِهِ الْمُسَجَّلَةَ لِإِنْسَانٍ يَحْمِلُ شَهَادَةَ عُلْيَا وَلِتَرْافِقَهُ خِلَالَ أُسْبُوعٍ فِي حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ ، وَفِي بَيْنِهِ وَعَمَلِهِ ، وَفِي لِقَاءَاتِهِ وَفِي الطَّرِيقِ وَفِي السَّفَرِ ، وَأَفْرَغُوا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى وَرَقٍ وَحَذَفُوا الْكَلِمَاتِ الْمُتَكَرِّرَةَ ، فَوَجَدُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُتَقَفَّ يَتَكَلَّمُ فِي

حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةَ بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِئَةِ كَلِمَةٍ ، وَهَذَا تَمَاماً كَمَا لَوْ أُعْطِينَا إِنْسَاناً لَوْنَيْنِ وَقُلْنَا أَرَسُّمَ هَذَا الْمَنْظَرِ الطَّبِيعِيِّ بِرِيشَتِكَ مِنْ خِلَالِ هَذَيْنِ اللَّوْنَيْنِ ، جَمَالٌ عَجِيبٌ جَدّاً يَغِيبُ عَنْ هَذِهِ اللَّوْحَةِ لِقَلَّةِ الْأَلْوَانِ ، أَمَّا لَوْ كَانَ مَعَهُ مِئَةُ لَوْنٍ فَسَوْفَ يُعْطِي كُلَّ زَهْرَةٍ لَوْنَهَا ، وَكُلَّ حَقْلٍ لَوْنَهُ ، وَالشَّفَقَ الْأَحْمَرَ لَوْنَهُ بِالْبُذْرِيخِ ، وَلِلسَّمَاءِ زُرْقَتَهَا ، وَلِلْبَحْرِ أَلْوَانٌ عَدِيدَةٌ ، هَذَا فِيمَا لَوْ أُعْطِينَاهُ أَلْوَاناً كَثِيرَةً ، فَالْمُنْقَفَ ثِقَافَةً عَالِيَةً يَتَحَدَّثُ فِي أَسْبُوعِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِمِئَةِ كَلِمَةٍ .

وبعد ؛ لو طَبَقْنَا هَذِهِ التَّجَرِبَةَ عَلَى مُؤْمِنٍ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ صَادِقاً وَلَنْ أَبَالِغُ إِذَا قُلْتُ : لَوْ سَجَّلْنَا كَلَامَهُ خِلَالِ أَسْبُوعٍ ، فِي إِقَامَتِهِ وَعَمَلِهِ وَفِي بَيْتِهِ وَفِي الطَّرِيقِ ، وَفِي لِقَاءَاتِهِ وَسَهَرَاتِهِ وَفِي نَدَوَاتِهِ وَسَفَرِهِ ، لَوَجَدْنَا أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ تَتَكَرَّرُ فِي أَسْبُوعِهِ آلَافَ الْمَرَّاتِ ؛ يَقُولُ : اللَّهُ أَكْرَمَنِي ، وَاللَّهُ فَضَّلَهَا عَلَيَّ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ، وَاللَّهُ هَدَانِي وَرَزَقَنِي هَذِهِ الْبِنْتَ ، وَاللَّهُ أَكْرَمَنِي بِهَذِهِ الزَّوْجَةِ وَبِهَذَا الْعَمَلِ وَوَفَّقَنِي ، وَهَذَا كَلَامٌ حَقِيقِي وَوَاقِعٌ وَهُوَ شُعُورُ الْمُؤْمِنِ ؛ ضَعُ هَذِهِ الْمُسْجَلَةَ مَعَ إِنْسَانٍ بَعِيدٍ عَنِ الدِّينِ يَقُولُ : أَنَا عَمِلْتُ ، وَفُلَانٌ أَعْطَيْتُهُ ، وَفُلَانٌ خَيْرُهُ مِنِّي ، دَائِماً يَتَكَلَّمُ عَنْ ذَاتِهِ وَعَلَى عَطَايَاهُ وَعَلَى ذَكَائِهِ وَتَفَوُّقِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مُحْجُوبٌ عَنِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ ، فَلَوْ كَلَّفْنَا طَالِباً أَنْ يُلْقِيَ دَرْساً أَمَامَ أَسْتَاذِهِ فَهَذَا الطَّالِبُ يَفْقِدُ تَسْعِينَ بِالمِئَةِ مِنْ قُدْرَاتِهِ ، لِأَنَّ كُلَّ عِلْمِهِ مِنْ أَسْتَاذِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِعِلْمِ أَسْتَاذِهِ أَمَامَ أَسْتَاذِهِ يَسْتَحْيِي ، وَمِنْ هُنَا فَالْمُدْرُسُونَ أحياناً كَثِيرَةً يَفْقِدُونَ جِزْءاً كَبِيراً مِنْ قُدْرَاتِهِمْ التَّدْرِيسِيَّةَ حِينَما يُلْقُونَ دَرْساً أَمَامَ أَسْتَاذِهِمْ ، وَهَذَا شَيْءٌ طَبِيعِي جَدّاً ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : أَنَا فِي حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ يَقُولُ : أَنَا ذَكِيٌّ فَاللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ قَادِرٌ بِسَاعَةٍ وَيَخْشَرُهُ بِالْذِّمَاجِ أَنْ

يسلبه كبره وغروره بل حياته ، والأهل يترجّون كلّ الأشخاص من ذوي النفوذ كي يُدْخِلُوا آبَاهُمْ إلى مُسْتَشْفَى المجانين ، وقد يكون أبوهم من فلتات الزمان بالذكاء ، تتجمّد نقطة دم بالدماغ فيفقد ذاكرته ويصبح يتكلّم كلاماً فيه هذيان ، ويخافون من الفضيحة ويتوسّطون ليدخلوه إلى مُسْتَشْفَى الأمراض العقلية فكَلِمَة : أنا ، فيها تطاول على الله وشرك خفي .

مرة ثانية نقول : المؤمن ينسب النعمة إلى المُنْعِم وينتقل من النعمة إلى المُنْعِم ، أما الكافر فمُحْجوب بالنعمة عن المُنْعِم ؛ لذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه كانت تعظم عنده النعمة مهما دقّت ؛ سأل الواعظ ابن السمّاك أحد الخلفاء الكبار الذين لا تغيب الشمس عن بلادهم وقد حمل كأس ماء ليشربها ، وهو هارون الرشيد الخليفة العباسي ، فقد نظر ذات يوم إلى سحابة فقال يخاطبها : اذهبي أني شئت فسوف يأتيني خراجك أينما نزلت أمطارك ، فهذا الخليفة طلب كأس ماء فقال له ابن السمّاك : يا أمير المؤمنين ! يكف تشترى هذه الكأس إذا مُنعت عنك ؟ قال ينصف ملكي ، قال : فإذا مُنع إخراجك ؟ قال : ينصف ملكي الآخر . فحينما يشرب الإنسان كأس ماء والطريق سالك ، وحينما يُفْرِغُ هذه الكأس والطريق سالك فليذكر أن هذه نعمة كبرى لو مُنِعها لاشتراها بكلّ ما يملك ، وحين ينتقل الإنسان بِقُوّته الذاتية دون أن يُحمّل فهذه نعمة كبيرة جداً ، فالإنسان حينما يفقد الحركة يفقد كرامته عند أقرب الناس إليه ، وعند أعزهم ، فأقرب الناس إليه يتمنى موته ، يارب ! خفف عنه : تقولها زوجته وولده ، فمكانتك من حركتك ، من رزقك ، فهم حولك مضطربون ، ولو حاولت أن تأخذ مالا منهم لكنت ذليلاً ولضعفت مكانتك ، فمكانتك

من حركتك وصيحتك ومن عقلك ومالك ؛ من منحك هذا المال ؟
ومن منحك هذه الصحة وهذا العقل ؟ إنه الله . والمؤمن كلما ارتقى
عند الله يعيش في نعم الله مغموراً بها سعيداً ، ومن عاش في نعم الله
شاكراً ، زاده الله نعماً وسعادة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

فإذا أردت ضماناً لبقاء النعمة وضماناً لازديادها فاشكر الله عليها .
في سورة الحديد يقول الله عز وجل : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴾ .

يُعلّق بعض المفسرين على هذه الآية فيقول : الأول ليس قبله
شيء ، والآخر ليس بعده شيء ، والظاهر ليس فوقه شيء ، والباطن
ليس دونه شيء ؛ لا قبله ولا بعده ولا فوقه ولا دونه ، والأول والآخر
استغراق للزمان ، والظاهر والباطن استغراق للمكان ، والمكان
مُستغرق بالأول والآخر ، وهي حدوده فليس قبله شيء ولا بعده ،
فربنا سبحانه وتعالى هو خالق الزمان وليس فوقه شيء ولا تحته
شيء ، هو خالق المكان ، هذه الآية الدقيقة : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴾ .

استغرقت حدود المكان والزمان ، فالله عز وجل خالق المكان
والزمان ولا يُقال متى كان الله ؟ لأنه خالق الزمان وقوله : ﴿ وَهُوَ يَكُلُّ
شَيْءٌ عَالِمٌ ﴾ تستغرق الحقيقة الكاملة ، قد تجد شخصاً عنده بعض
الحقيقة ، والآخر معظم الحقيقة ، لكن الذي يملك الحقيقة كلها
هو الله ؛ قد تسمع أحياناً قصة انتقي منها أهم الأحداث المهمة

وَرُصِفَتْ بِعُضِّهَا إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ ، لَكِنَّكَ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ كُلَّ مُلَاسَاتِ الْقِصَّةِ ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ ؛ صَدَّقَ أَوْ لَا تُصَدِّقْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ أَحَدٌ يَعْلَمُ الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ حَتَّى وَلَا الْأَنْبِيَاءُ ، وَلَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَعْلَى النَّاسِ مَعْرِفَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ وَالْمُطْلَقَةَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ .

أَحْيَاناً يُتَّهَمُ إِنْسَانٌ وَهَنَاكَ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ تُؤَيِّدُ اتِّهَامَنَا لَهُ ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ عَنْهُ يَعْرِفُهَا اللَّهُ وَحْدَهُ ، فَقَدْ يَكُونُ بَرِيئاً ، لِذَلِكَ مِنَ الْمُحَامَدِ اللَّطِيفَةِ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ مُوجُودٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ يَعْلَمُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ يَقْدِرُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ مُطَّلَعٌ ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ » ، فَهَذَا عِزَاءُ الْمُؤْمِنِ وَأَكْبَرُ عِزَاءٍ لَهُ مِمَّا كَالَهُ النَّاسُ التَّهْمَ ، هُوَ اطمئنانه أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ حَالِهِ ، وَمَا دَامَ اللَّهُ يَعْلَمُ فَلَا يَهْتَمُّ بِأَحَدٍ يَتَهَمُهُ ؛ وَتَرَاهُ يَرُدُّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ مُوجُودٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ يَعْلَمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ يَقْدِرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ مُطَّلَعٌ وَأَنَّهُ سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَهُوَ وَحْدَهُ يَعْلَمُ الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ .

بَعْضُهُمْ قَالَ : إِنَّهُ رَأَى اللَّهَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ : إِنَّهُ رَأَى اللَّهَ فَلَمْ يَرَ أَحَدًا غَيْرَهُ فِي الْوُجُودِ . وَهَذِهِ كُلُّهَا أَقْوَالٌ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعُظْمَى ، حَقِيقَةُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] . تَعْدِيلُ ثُلُثِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِنْسَانُ لَوْ أَلْقَى كَلِمَةً وَسَجَّلَهَا وَاسْتَمَعَ إِلَيْهَا ، يَكُونُ مَعَهُ مَا يُسَمَّى بِالنَّقْدِ الذَّاتِيِّ ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا جَلَسَ مَعَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ يَسْتَنْصِحُهُ ؛ الْأَخُ الْمُؤْمِنُ

مِرَاةً لِأَخِيهِ ، فَهَذَا سَيِّدُنَا عمر بن عبد العزيز اختار أحد العلماء الأتقياء
الوَرَعِينَ وَجَعَلَهُ مُسْتَشَاراً لَهُ وَكَانَ اسْمُهُ عمرو بن مهاجر فقال له : إذا
رَأَيْتَنِي قَدْ مَلْتَ عَنِ الْحَقِّ فَضَعْ يَدَكَ فِي تَلْبَابِي ثُمَّ هُزِّنِي ثُمَّ قُلْ :
ياعمر ما تصنع .

قد تجد أحياناً يُؤَثِّرُ الْمُجَامَلَةُ وَآخِرُ يُؤَثِّرُ الْمُنَاصَحَةُ ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ
الْحَقَّ وَسَطٌ بَيْنَهُمَا ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْمَرْءِ مُجَامَلَةٌ إِطْلَاقاً فَهُوَ مُنْفَرٌّ ،
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ النَّصِيحَةُ فَهُوَ مُنَافِقٌ ، فَأَنْتَ اعْتَدِلْ بَيْنَهُمَا وَالزَّمْ
جَانِبَ الْمُجَامَلَةِ أحياناً ، فَإِذَا قَالَ لَكَ : الْحَرَارَةُ أَرْبَعُونَ وَكَانَتْ خَمْساً
وِثْلَاثِينَ فَلَمْ أَنْ تُجَامِلْهُ وَيُمْكِنُكَ أَلَّا تُسَفِّهَهُ ، إِذْ إِنَّهَا لَا تُقَدِّمُ وَلَا تُؤَخِّرُ
فَهَنَّاكَ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ تَلْقَى فِي الْمَجَالِسِ يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهَا وَيَتَشَادَوْنَ
بِسَبَبِهَا ، وَهِيَ لَا تُقَدِّمُ وَلَا تُؤَخِّرُ فَيُمْكِنُكَ فِي هَذَا أَنْ تُجَامِلَ . فَإِذَا قَالَ
لَكَ : هَذِهِ السَّاعَةُ غَالِيَةٌ مِثْلًا فَقُلْ لَهُ : لَا عَلَيْكَ ، وَلَعَلَّهَا كَذَلِكَ ، ففِي
مَوْضُوعِ الدُّنْيَا لَكَ أَنْ تُجَامِلَ ، أَمَّا إِذَا جَرَى هُنَاكَ طَرْحُ خِلَافِ الْحَقِّ
فَيَجِبُ أَنْ تَنْصَحَ وَأَلَّا تُجَامِلَ ، فَنَحْنُ لَوْ كُنَّا يُحِبُّ بَعْضُنَا بَعْضًا كَمَا
أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُنَّا مُتَنَاصِحِينَ ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ . وَكُلُّ مَنْ
عَزَا شَيْئًا مِنْ قُدْرَاتِهِ لِذَاتِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَتَلَطَّفَ إِلَيْهِ ، وَنَقُولَ لَهُ : لَا تَقُلْ
هَكَذَا ، بَلْ قُلْ : هَذَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَبِتَأْيِيدِ اللَّهِ ؛ حَدَّثَنِي مَرَّةً أَخٌ كَرِيمٌ
وَهُوَ طَبِيبٌ يَعْمَلُ فِي الْمُسْتَشْفَى ، قَالَ لِي : « إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى النِّسَاءِ
الْمُمَرَّضَاتِ وَكَأَنَّهُنَّ رِجَالٌ » فَوَجَدْتُ فِي هَذَا الْكَلَامِ كِبْرًا ؛ إِذْ يَعْنِي أَنَّهُ
لَيْسَ لِأَنُوثَتِهِنَّ عَلَيْهِ تَأْثِيرٌ ، فَلَا يَجِدُ مَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَقْلِبَ نَظْرَهُ فِي
إِحْدَاهُنَّ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا بَالُ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

لقد أمرك الله أن تغض بصرك عن محارم الله ، فلا تقل : أنا عندي إرادة قوّة ، وإني أحب الله ورسوله ، وأنا متمسك ولا أنزعزع ؛ قل : ربي جلّ جلاله أكرمني ومكّني من غضّ البصر ، ومنحني هذه النعمة ولا تقل : أنا أذعو إلى الله ، إنما قل : الله شرفني وسمح لي أن أذعو إليه ، فكلّمنا وحّدث الله وتبرّأت من حولك جاءت عبارتك أخلّى من العسل ، وكلما غفلت عن الله جاءت عبارتك أمر من الحنظل ، فالتوحيد مريح يبعث الاطمئنان النفسي والسكينة لصاحبه ، وأنا لا أقول لك : تواضع فهذه هي الحقيقة ، فأنت لا شيء أبداً أمام الله سبحانه ، فالله هو كلّ شيء ؛ هو الذي أعطاك هذا الذكاء ، ومنحك كل ما أنت به من نعمة .

ذكر لي أحد الإخوة أنّه بِذكاءٍ نادر بحسب زعمه ؛ تمكّن ذات مرة من أن ينجو من ورطة كبيرة جداً ، فقلت له : هذا غلط ، وإنما قل : بتوفيق الله ، والله نجاني وعافاني ، أما إذا قلت بِذكاءٍ كبير فاحذر ، فالله غيور فأنت حينما تغزو شيئاً إلى ذكائك وقدراتك وإنجازاتك فإن ربنا عز وجل لأنه يُحبك فسوف يُؤدبك ، فيسحب من تحت قدميك البساط ، قال أهل الأمثال في هذه المناسبة : « رقصت الفضيلة تيهاً بفضْلِها فانكشفت عورتُها » . فإذا أحسن الإنسان سكت ولم يحدث أحداً كي يبقى مرموقاً موقراً ، ولكنه إذا حدّثهم عن فعله لِيَسْتَعْلِي فقد أساء ، أما إذا أحسن إليك فلا ينبغي أن تسكت ، فهذا من الجحود ، وكان عليه الصلاة والسلام يُحسّن الحسن ويصوّبه ، ويُبجّ القبيح ويوهّنه ، أبو أيوب الأنصاري نزع من لحية النبي ﷺ ريشة وهو يطوف بين الصفا والمروة ، فقال ﷺ : « نزع الله عنك ما تكره » .

أقول لكم نصيحة : إذا فعلت خيراً فينبغي أن تنساه ، وإذا فعل معك خير فينبغي ألا تنساه أبداً ، وهذا من أخلاق المؤمن ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

فهناك من لديه رغبة في إنكار الفضل وطمسه وإغفاله ، أما المؤمن فلا يفعل هذا ، فإذا فعلت مع الناس معروفاً يجب أن تشعر أنك ما فعلت معهم شيئاً ، فهم حينما سمحوا لك أن تفعل لهم هذا المعروف تفضلوا عليك ومكنوك من عملٍ صالح ، وبعض العارفين بالله يقول : هذا الفقير الذي قيل أن يأخذ مني مكن لي هذا العمل في الأرض وإلا فأنا محروم منه ، ويُعطيه ويشكره ، والذي يأخذ فينبغي ألا ينسى ، والذي يُعطي فينبغي أن ينسى ، كلُّ هذا سُقْتُهُ تمهيداً إلى أنك إذا تحدثت أمام إخوانك ولم تعز المحامد والفضائل إلى أصحابها ، يجب أن ينصحك أصحابك بأن تذكر الفضل لأهله ، وإذا فعلت خيراً فقل هو الله المعطي والمانع والمعز والمذل ، والإنسان كلما تأمل في نعم الله عز وجل زادت محبته لله ، وروي في الحديث الشريف : « أجبوا الله لما يَغْذُوكم به من نِعَمِهِ ، وأجِبنِي لِحُبِّ الله ، وأجِبا آلَ بيْتِي لِحُبِّي » .

فمُلَخِّص هذا البحث ؛ راقب نفسك حينما تتكلم ؛ هل تقول أنا أم تقول الله ؟

أذكركم بما أقره لكم كثيراً : أنت في كلِّ دقيقة بين درسين بليغين في كل منهما عظة بليغة ؛ درس بدر ودرس حنين ، فصحابة رسول الله ﷺ في بدر افتقروا إلى الله وقالوا : « الله » فنصرهم الله عز

وجل وتولاهم ، وهُم هُم ، ومعهم النبي ﷺ ، وفي حُنين قالوا : لن نُغلب من قِلَّة ، فتخلى الله عنهم قال تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَآرِحَبَتِهَا وَلَيْسَتْ مُدِيرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥] .

فمُلَحَّصُ المُلَحَّص : إذا قُلْتَ أنا تخلى الله عنك ، وإذا قُلْتَ الله تولاك ، فأنت بين التولية والتخلي ، لكن أحياناً بعض الناس يقول : الله ، بلسانه ويقصد حقيقة نفسه ، فهذا توحيد مُغلَّف بالشرك ، وهناك شرك مُغلَّف بالتوحيد بين المؤمنين ؛ فالمؤمن مُتواضع لله عز وجل قلباً وقالباً شكلاً ومضموناً ومُحتوى وإطاراً فهذا هو المؤمن .

فَلِذَلِكَ « هو » يجب أن تُديرها على لسانك كثيراً ؛ هو الذي أعطاني ، وهو الذي خلقتني ، وهو الذي صَوَّرَني في بطن أمي وأحسن خلقي ، وهو الذي أعطاني هذا الشكل الحسن ، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يقول : « اللهم ! حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي » لرواه أحمد ، جعلك كاملاً وجعل لك السمع والبصر والفؤاد وأجهزة تعمل بانتظام ، فَيَجِب أن تقول في اليوم : « هو » آلاف المرات ، وهو يعني الله لأنه الحقيقة العظمى في الكون ، والحق الصارخ وهو الذي ليس قبله شيء ولا بعده ولا فوقه ولا تحته وهو يعلم كل شيء ؛ جمع الزمان والمكان وكمال العلم .

أسماء الله الحُسنى تشغل حيزاً كبيراً من حيز الإيمان والعقيدة وأصل معرفة الله أن تعرف أسماءه الحسنى وصفاته الفضلى ، وحديثنا

عن أسماء الله الحُسنى حديثٌ مُقْتَضَبٌ ، لأنّ الحديث عن الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

قد يستُخدَم الواحد منا دواة حِبر عامِين أو ثلاثة وكانوا قديماً يبيعون الحبر بعبوات سعة لتر ، وأُغْرِفَ أسرة من نَشَاتِهَا إلى عشرين أو ثلاثين سنة وهذا اللتر يكفي كلَّ أفراد الأسرة لعام أو أكثر ، فكيف إذا كان هناك من الحبر خمسة أمتار مُكعَّبة فكم عالماً يكفي ؟ وكم أسرة تستعمله ؟ ... قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ .

فانظر إلى سعة علم الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [القلم : ٢٧] .

فنحن نتحدَّث عن أسماء الله الحُسنى حديثاً يسيراً ، لكن الله سبحانه وتعالى يعرف صدق التوجه فنرجو خلوص النيات ، وربنا سبحانه لن يحيط به حديث مهما تفرَّع وطال ، ومعرفةُ الخلق له سبحانه معرفةً نِسْبِيَّةً ، وحسبنا صدق التوجه والله الموفق .

* * *

المصطفى

من أسماء الله الحُسنى المصطفى ، فهو اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، وهو زائدٌ على الأسماء الحُسنى التي رويت في حديث رسول الله ﷺ ، والتي بلغت في أحاديثه تسعة وتسعين .

الاضطفاء في اللغة تناول صَفْوِ الشيء ، كما أنَّ الاختيار تناول خِيَرَه ، أن تأخذ أَصْفَى ما في الشيء فهذا اصطفاء ، وأن تأخذ أَخَيْرَ ما في الشيء فهذا اختيار ، وَصْفَوَة الشيء ما صفا وخلص ، والنبي عليه الصلاة والسلام صَفْوَة الله من خلقه ؛ من الذي اصطفاه ؟ المصطفى الله جل جلاله هو الذي اصطفى النبي ﷺ وجعله صَفْوَة خلقه ، وتقول : صفا الجوَّ أي ليس فيه لُطَخَة غَيْم ، سماءٌ صافيةٌ زرقاء ، واصطفاه أخذَ منه صَفْوَه أي خِيَارَه .

ولو اصْطَفَيْتَ الفاكهةَ أَخَذْتَ أَطْيَبَهَا وأَكْبَرَهَا ، إن كان الحجم فيها له ميزة ، أو أَصْغَرَهَا إن كان الصَّغَرُ له فيها ميزة ، أو أَشَدَّهَا زُهْواً إن كان اللون أجمل ما فيها ، والصَّفِي هو الحبيب المُصافي ، وصافاه مُصَافَاةً صدَقَه في الإخاء والمودَّة ، والعسل المُصْفى كما تعلمون الذي أزيل عنه الشمع والقذى ، واصْطَفَيْتَ كذا على كذا أي اخترتَ كذا على كذا ، وهذه بعض معاني الاضطفاء في اللغة .

اضطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده صافياً وقد يكون باختياره من بين عباده الْمُتَّقِينَ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

موضوعنا هذا دقيق دقيق ، لو أن الله سبحانه وتعالى خلق في الإنسان الصِّفَةَ والخِيرة عن غير قصد من الإنسان ، وعن غير إرادة واختيار ، لما كان لكلمة الاضطفاء معنى ، لكن لأن الله خلق الأنفس واحدة بخصائص واحدة ، ومن جِبَلَةٍ واحدة ، ومن فِطْرَةٍ واحدة ، ولأن الله عز وجل خلق البشر جميعاً من طبيعة واحدة ، وخصائص واحدة ، وانطلقوا بِحَسَبِ اختيارهم وأهدافهم ، فإن الله تعالى بعد ذلك اصطفى منهم خيارهم قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

إذاً هناك بالاضطفاء شيء كسبي وشيء وهبي ، وأوضح مثل على ذلك : لو أردنا أن نعيّن إنساناً في وظيفة مرموقة جداً ، وهذه الوظيفة تحتاج إلى لغة وإلى قُدْرَاتٍ وقوة شخصية وإلى ثقافة عامة وإلمام بالعلوم والحقوق ، وأَجْرَيْنَا مُسَابَقَةً واشْتَرَطْنَا فيها إجازة في اللغة الإنجليزية وإجازة في العلوم والحقوق وهَيَّأْنَا مَعِيْنَةً وَمَلَكَاتٍ مَعِيْنَةً وخصائص ، فمن كل هذا الحشد نخُتار من بين المئة شخصاً واحداً ، وهذا كله كسبي كسبه المتسابقون ، أما حينما نخُتار أحدهم ونُعْطِيهِ مُهِمَّةً وَمَرْكَبَةً وراتباً ضَخْماً وصلاحيات كبيرة فهذا وهبي .

في الاضطفاء هناك جانب كسبي وجانب وهبي ، ولو أن الاضطفاء كله وهبي لَفَقَد الاضطفاء معناه ، فَمَثَلًا لو أَعْطَيْنَا الْأَسْئَلَةَ لِطَالِبٍ ثُمَّ طَرَحْنَا السُّؤَالَ عَلَى كُلِّ الطَّلَابِ ، فَإِذَا بِهَذَا الطَّالِبِ يَنَالُ الدَّرَجَاتِ

الثامة ثم عِنْدَئِذٍ نقول : هذا نَصْطَفِيه ! فهذا الاِصْطِفَاءُ لا معنى له ، إذ ليس هناك تكافؤ فُرْصٍ وليس هناك تساوي بين الطلاب ، أما حينما يتساوى الطلاب جميعاً في عدد الأسئلة ونوعيتها ويفوز أحدهم بالدرجة الأولى عن جدارة وأهليّة فعندها نقول : فلان اصْطَفَيْنَاهُ لِيبَاعَ تعليمه في جامعات الغرب .

فهذا الاِصْطِفَاءُ له معنى ، إذاً عندما ينعدم تكافؤ الفُرْصِ ولم يتحقق التساوي بين الأفراد ، ولم تتوفر خصائص مُشْتَرَكَةٌ فالاصْطِفَاءُ لا معنى له ، أكرر : الاِصْطِفَاءُ فيه جانب كسبي وآخر وهبي ، فالجانب الكسبي أنّ الله سبحانه وتعالى علّم من بين خلقه أكثرهم معرفةً ، وأكثرهم استقامةً وتضحيةً وإيثارةً ، وأكثرهم قرباً وأكثرهم إقبالاً فاصْطَفَاهُ وجعله نبياً ؛ لذلك روي عنه عليه الصلاة والسلام :

« إن الله اختارني واختار لي أصحاباً ، واختار لي منهم أصهاراً وأنصاراً ، فمن حفظني فيهم حفظه الله ، ومن آذاني فيهم آذاه الله » .

الاِصْطِفَاءُ فيه جانب كسبي وآخر وهبي ، فإذا أَلْغَيْنَا الكسبي أبْطَلْنَا معنى الاِصْطِفَاءِ ، وإذا أَلْغَيْنَا الوهبي أبْطَلْنَا ميزات الاِصْطِفَاءِ يقول الله عز وجل :

﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

فما معنى هذه الآية ؟ معنى ذلك أنّ الدين صافٍ من كل شائبة ومن كل ريبٍ وشكٍّ وتطرّفٍ وغُلُوٍّ ومن كل بعدٍ عن الحقيقة قال تعالى :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

اختارهم على علم ، أيضاً اصطفى النبي عليه الصلاة والسلام ليكون سيد البشر وخاتم الأنبياء وليكون صفوة البشر ، لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام حبيب الله و خليل الله وصفي الله وخيرة الله من خلقه .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ نَفْسًا رَّغِيْبًا ﴾ [آل عمران : ٤٢] .

فأول اصطفاء صار لدينا واضحاً جلياً ، ولكن هناك اصطفاء ثانٍ فما معنى الاصطفاء الثاني ؟ إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .

قال بعض المفسرين : « الاصطفاء الأول هو اصطفاء القُرب من الله ، والاصطفاء الثاني أن هذه السيدة اختصها الله بأن تُنجب ابنها دون زواج » ، أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله .
وقال تعالى :

﴿ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَةٍ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الاعراف : ١٤٤] .

لو أردنا أن نوسّع الدائرة ؛ فأنت حينما تُخلص الله عز وجل ، وحينما تطلب العلم حبثاً ، وحينما تعمل بما علمت وتتقي الشبهات وتنطلق إلى الله بهمة عالية ، فلعلّ الله يصطفيك ويسمح لك أن تُعرف به وتدعو إليه ، وهذا شرفٌ عظيم ، فالإنسان الصادق إذا دعا إلى الله لا يرى إلا أنّ الله تعالى تفضل عليه وسَمَحَ له أن يدعُو إلى الله ، وأن يتحدث عن الله وإلا كان في وضعٍ آخر .

﴿ قَالَ يَمْسُحْ إِلَى أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلْبِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

هذه آية دقيقة في مفهومها ودلالاتها جداً ، أي أن مهمة العبد تنتهي حينما يُطيع الله عز وجل ثم يتلقى الخير بالشكر والامتنان ؛ تنتهي مهمتك عند الطاعة والشكر وما سوى ذلك فهو من شأن الله لا من شأنك .

﴿ قَالَ يَمْسُحْ إِلَى أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلْبِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

طبق ما أمرك به ، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٦] .

فالإنسان أحياناً يخمل هموم الأرض ، وأحياناً يتمزق ألماً وحسرة لما يصيب المسلمين مثلاً ، ولكن لو عرف أنه ليس مكلفاً إلا أن يطيع الله عز وجل وأن يشكره لَحُلَّتْ مُشْكِلَاتِهِ ؛ أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد .

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٢٣] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ بِهِ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الفتح : ١٠] .

﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [البروج : ٢٠] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] .

وقد يقول أحدهم : ما علاقتنا نحن بهذا البحث ، إذ الاضطفاء

للأنبياء ونحن لسنا أنبياء ولا صديقين ؟ فاستمع وأبشر بقوله تعالى :
 ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
 بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٥] .

لا تجد إنساناً دعا إلى الله إلا وسمّح الله له ؛ فإن كانت دعوته
 صادقة يُوقِّفه ويصرف قلوب الناس إليه ، ومن ثم تهفو إليه القلوب
 وتستفيد منه ، وتنعقد صلّتها بالله عن طريق توجيهه ، فهذا نوعٌ من
 الاضطفاء ، قال تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ
 لَهَا فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ﴾ [النور : ٣٦] .

أيّ أذن الله تعالى أن تُرفع وأذن لمن فيها أن يذكروا اسمه ، دائماً
 الأشياء التي تخصّ الأنبياء يُمكن أن تُوسّع الدائرة لتشمل كل صادق
 ليعمل مثل عملهم ، ولعل الله سبحانه وتعالى يُطلق لسانك ويُلهمك
 الصواب والكلام السديد والحكمة وقلباً متأججاً بالمشاعر الصادقة
 وتهفو إليه القلوب ، كل هذا نوعٌ من الاضطفاء ، وما شاء الله كان
 وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَعْزِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
 الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَةٍ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ
 اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

كل تلك الآيات فعّلها بصيغة الماضي إلا هذه الآية الله (يصطفى)

فَفِعْلُهَا بِصِغَةِ الْحَاضِرِ ، وَهُوَ فَعْلٌ مُضَارِعٌ يَدُلُّ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ ، فَاللَّهُ دَائِمًا يَصْطَفِي ، فَإِذَا كُنْتَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسَمَحَ لَهُمْ أَنْ يَنْطِقُوا بِاسْمِهِ ، وَأَنْ يَنْقُلُوا لِلنَّاسِ الْحَقَائِقَ ، وَأَنْ يَكُونُوا دَعَاةَ هِدَايَةٍ لَا دَعَاةَ ضَلَالَةٍ ، وَمِفَاتِيحَ خَيْرٍ لَا مِفَاتِيحَ شَرٍّ ، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَطَاءَاتِ .

سَمِعْتُ عَنْ الَّذِينَ اخْتَرَعُوا بَرَامِجَ الْحَاسُوبِ وَتَفَوَّقُوا جَدًّا فِي مَجَالِهَا ، كَانَ أَحَدُهُمْ شَابًّا فِي مَقْتَبِلِ الْعُمَرِ يَمْلِكُ مَا يَقَارِبُ التَّسْعِينَ مِلْيَارَ دُولَارٍ ، أَمَا حِينَمَا يَصْطَفِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِتَنْطِقَ بِالْحَقِّ وَلِيَكُونَ عَمَلُكَ فِي خِدْمَةِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ هَذَا الْإِصْطِفَاءَ هُوَ الْعَطَاءُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَرَبُّو عَلَى كُلِّ الْمِلْيَارَاتِ قَالَ تَعَالَى :

﴿ أَلَمْ نَنْشِرْكَ لَكَ صَدْرَكَ ۚ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۚ ۱ ۚ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۚ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ ۲ ۚ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ ۳ ۚ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۚ ۴ ۚ ﴾ [الشرح : ١-٨] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالضُّحَىٰ ۚ ۱ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۚ ۲ ۚ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۚ ۳ ۚ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۚ ۴ ۚ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۚ ۵ ۚ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَخَافَىٰ ۚ ۶ ۚ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۚ ۷ ۚ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۚ ۸ ۚ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۚ ۹ ۚ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۚ ۱۰ ۚ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۚ ۱۱ ۚ ﴾ [الضحى : ١-١١] .

هَذَا إِصْطِفَاءٌ ، وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۚ ﴾ [الحجر : ٧٢] .

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتُهُ ۚ ۱ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۚ ۲ ۚ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

ولم يقل يا محمد! بل خاطبه وناداه يا أيها الرسول! كل هذا اصطفاء ، ولقد أُسْرِيَّ بالنبِيِّ ﷺ إلى بيت المقدس وعُرج به إلى السماء وعِلِم وهو في السماء أنه سيّد الخلق وحبيب الحق ، هذا كله من الاصطفاء ، بل قل : غاية الاصطفاء .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ » [رواه مسلم] .

أما البشارة ، أليس بعد النبي ﷺ علماء أجلاء ، أليس هناك دعاة مُخلصون وفقهاء ومُحدِّثون ، أليس هناك من دعوا إلى الله ، كل هؤلاء بالمعنى الواسع اصطفاهم الله وأجرى على أيديهم الخير وأنطق لسانهم بالحق ، وجعل قلوب الناس تهفو إليهم ؛ هذا نوعٌ من الاصطفاء .

لعلّ من أعظم طموحات المؤمن أن يَصْطَفِيَهُ اللهُ عز وجل لِيَكُونَ دَاعِيَةً إِلَيْهِ ؛ يارب! لقد شَرَّفْتَنِي بِمَعْرِفَتِكَ والدعوة إليك ، فإن عَلِمْتَ صِدْقَ نِيَّتِي فاحفظها لي واحفظني لها ، وإن عَلِمْتَ خِلَافَ ذَلِكَ فعالجني قبل أن أموت ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَطْمَحَ ؛ ما هو دُورُكَ في الحياة ؟ هل هو الأكل والشرب والنوم والراحة واللهو واللعب ؟ أم هو معرفة الله ؟ فلنُشَمِّرْ من أجل أن نُطِيعَهُ ونتقرب إليه ؛ هذه بشارة :

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

هؤلاء الذين عكفوا على العلم وتركوا مؤلَّفَاتٍ قيِّمة تجدها في كل

يُنَبِّتُ ، الإمام النووي رحمه الله تعالى أَلَفَ كِتَاباً بِالْفِقْهِ يُعَدُّ فَرِيداً فِي بَابِهِ وَهُوَ الْمَجْمُوعُ وَأَلَفَ مُغْنِي الْمُحْتَاجِ وَأَلَفَ كِتَابَ الْأَذْكَارِ وَرِيَاضِ الصَّالِحِينَ ، وهذا الإمام الشافعي رضي الله عنه أَوَّلُ مَنْ أَلَفَ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ وَلَهُ كِتَابُ الْأُمِّ وَهُوَ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ الَّذِي يَدِينُ اللَّهُ بِهِ مَلَائِينَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ فِي أَصْقَاعِ الْأَرْضِ ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصْطَفَاهُمْ اللَّهُ وَمَكَّنَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَجَعَلَ لَهُمْ بَصَمَاتٍ وَاضِحَةً فِي الْحَيَاةِ ، فَهَؤُلَاءِ أَيْضاً بِالْمَعْنَى الْمَوْسَعِ مِمَّنْ أَصْطَفَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

إِذَا كُنْتَ مِمَّنْ إِصْطَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَقَدْ عَلِمَ فِيكَ الْإِخْلَاصَ وَالصَّدْقَ وَالْحُبَّ وَالطَّاعَةَ وَالْوَرَعَ فَكُنْتَ مِمَّنْ إِصْطَفَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَاذَا يَنْتَظِرُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ [النمل : ٥٩] .

فَإِذَا كُنْتَ مِمَّنْ أَصْطَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَنْتَ فِي سَلَامٍ ؛ فِي سَلَامٍ مَعَ نَفْسِكَ ، وَفِي سَلَامٍ مَعَ مَنْ هُمْ حَوْلَكَ ، وَفِي سَلَامٍ مَعَ رَبِّكَ ، وَحَيَاتِكَ سَلَامٌ ، وَتَتَقَلَّبُ بَعْدَهَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَتَتَصَلَّى نِعَمُ الدُّنْيَا بِنِعَمِ الْآخِرَةِ .

وَمِنْ تَكْرِمَةِ اللَّهِ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ وَأَصْطَفَى لَهُ أَصْحَابَهُ ، فَإِذَا كُنْتَ تَعِيشُ بِبَلَدٍ وَحَوْلَكَ مُؤْمِنُونَ أَطْهَارُ طَيِّبُونَ وَأَتْقِيَاءُ مُخْلِصُونَ وَمُحِبُّونَ ، فَهَذِهِ حَيَاةٌ مُتَمَيِّزَةٌ وَهَذِهِ الْحَيَاةُ قَدَّرَهَا اللَّهُ لَكَ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ أَسْعَدَ مِنْ مَنْ يَعْيشُ مَعَ أَنَاسٍ يَتَفَاهَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ تَحْدُوهُمْ فِي عِلَاقَاتِهِمْ مَرْضَاةَ اللَّهِ . وَمَعَ مَنْ يَكُونُ عَلَى شَاكِلَتِهِ وَمَعَ الَّذِي يُقَدَّرُ مَا يُقَدَّرُ وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُ ، لَا تُصَاحِبْ مَنْ لَا يُنْهَضُكَ حَالُهُ ، وَلَا يَذُكُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ ، وَلَا تُصَاحِبْ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنَ الْفَضْلِ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ .

فَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْكُبْرَى عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ يَعِيشُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هُوَ طَاهِرٌ بَيْنَ الْأَطْهَارِ وَهُوَ صَادِقٌ بَيْنَ الصَّادِقِينَ وَهُوَ مُجِيبٌ لِّلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَهُوَ بَيْنَ الْمُجِيبِينَ ، فَأَجْمَلُ مَا فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَعِيشَ مَعَ إِنْسَانٍ هُوَ عَلَى شَاكِلَتِكَ يَفْهَمُكَ وَتَفْهَمُهُ ، هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ ، لِذَلِكَ حِينَمَا اخْتَارَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَيِّدَنَا الصِّدِّيقَ لِصُحْبَتِهِ فِي الْهَجْرَةِ بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ .

وَإِذَا كَانَتْ مَوَدَّتُكَ وَحُبُّكَ وَطَاعَتُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهَذَا خَيْرٌ لَكَ ، أَمَا أَنْ تَكُونَ مَوَدَّتَكَ لِإِنْسَانٍ لَيْسَ قَوِيٍّ لَا يَعْرِفُ حُجْمَ تَضَحُّجِيكَ مِنْ أَجْلِهِ فَالْفَرْقُ كَبِيرٌ ؛ ﴿ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ ؟ هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٍ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَجْمَعُ بَيْنَ مُتَضَادِّينَ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمٌ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص : ٦١] .

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة : ١٨] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَنَجَلُّ الْمُشْلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم : ٣٥] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩] .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

فَإِذَا أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِالْكِتَابِ تِلَاوَةً وَفَهْمًا وَتَطْبِيقًا ؛ فَقَدْ أُوتَيْتَ خَيْرًا

كثيراً ، ومن أوتِيَ القرآنَ وظن أن أحداً أوتِيَ خيراً منه فقد حَقَّرَ ما عَظَّمَهُ الله فالقرآنَ غِنَى لا فقر بعده .

من العباد حِيال الكتاب مَنْ هو ظالمٌ لِنَفْسِهِ ، ومنهم مَنْ هو مُقْتَصِدٌ في فِعْل الخيرات ، ومنهم مَنْ هو سابقٌ بِالخيرات بِإِذْنِ الله ، أَتُلاحِظون الاضطفاء ؟

مثلاً لَدَيْنَا مئة طالبٍ على وشك أن يتخرجوا من الجامعة ، ونريد أن نصطفي واحداً منهم ليكون في مَنْصِبٍ رفيع لِيَكُونَ عميدَ كَلِيَّةٍ مثلاً ، أو أستاذاً في الجامعة ، أو رئيسَ المَجْمَعِ العلمي العربي ، فَحِينَما يُصْطَفَى من بين المُتَفَوِّقين فهذه هي الجِهَةُ الكسبية ، وَيُمنَحُ إختصاصات ومكافآت وميزات وهذه الجِهَةُ الوهبية ، وقد ذكرت وأعود وأذكر : ففي الاضطفاء جانبٌ كسبي وإلا لا معنى للاضطفاء ، وفي الاضطفاء جانبٌ وهبي وإلا لا ميزة له عِنْدُنَا .

وفي القرآن الكريم يتحدث الله عن الأنبياء الكرام في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٧] .

الأنبياء مُصْطَفَوْنَ فَهُمْ قِمَمٌ في الكمال ونُخْبَةُ البَشَرِيَّةِ وأعلام المَجْتَمَعِ البشري وملوك البشر هؤلاء الصحابة الكرام ، إنهم ملوك المسلمين بالمعنى الروحي ، والأنبياء والمرسلون صَفوة الله من خَلْقِهِ ، قال تعالى :

﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ص : ٤٥] .

رُؤْيَتُهُمْ عميقة وأعمالُهُمْ طيبة ؛ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ، فهم بِقَدْر ما هم مُتَفَوِّقون في رُؤْيَتِهِمْ بِقَدْر ما هم طيبون في أعمالهم .

عُلُوُّ الهِمَّةِ مِنَ الْإِيمَانِ ، حِينَما يُسَمِّحُ اللهُ لَكَ أَنْ يَصْطَفِيَكَ أَوْ أَنْ يُقَرِّبَكَ أَوْ أَنْ يُلْهِمَكَ أَوْ أَنْ يَجْعَلَكَ تَنْطِقَ بِالْحَقِّ أَوْ أَنْ يَجْعَلَ هِدَايَةَ النَّاسِ عَلَى يَدَيْكَ ، أَوْ أَنْ تَهْفُو قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْإِصْطِفَاءِ ، وَمَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةً ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَتَيَقَّنُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ ، وَالْإِنْسَانُ كَمَا تَعْلَمُونَ يَمُرُّ بِمَرَاكِحِلٍ ثَلَاثَ :

- مَرَحَلَةٌ يُؤَدَّبُ .

- مَرَحَلَةٌ يُتَنَلَّى .

- مَرَحَلَةٌ يُكْرَّمُ .

فَفي مَرَحَلَةٍ يُؤَدَّبُ ، وَفي مَرَحَلَةٍ يُتَنَلَّى ، وَفي مَرَحَلَةٍ يُكْرَّمُ ، وَهَذِهِ الْمَرَاكِحِلُ قَدْ تَتَدَاخَلُ وَقَدْ تَتَمَازِي ، لَكِنْ لَا بَدَّ مِنَ التَّأْدِيبِ وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْعِطَاءِ ، لِأَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

جَنَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَجَنَّةٌ فِي الْآخِرَةِ .

وَأَمَّا التَّطْبِيقُ الْعَمَلِيُّ فَمَا هُوَ مَوْقِفُ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا الْأَسْمِ الْعَظِيمِ الْمُصْطَفِيِّ ؟ فَمَوْقِفُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ يَطْمَحُ فِي إِصْطِفَاءِ اللهِ لَهُ لِيَخْدُمَهُ خَلْقُهُ ، وَمِنْ هُنَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْسِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْسِلُونَ وَيُقْسَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١١١] .

حينما اضطفى الله عبده المؤمن ، فهذا المؤمن باع نفسه لله ، أريد أن أوسّع الموضوع ؛ الأنبياء مُصْطَفَوْنَ والرسل مُصْطَفَوْنَ وهم قِمَمُ البشر وصفوة البشر ، ولكن المؤمنين لهم قدرٌ يسير على قدر إخلاصهم وعلى قدر طاعتهم لله ، فالله يُكَلِّفُ الإنسان أَعْمَالاً يُجْزِيهَا على يَدَيْهِ وَيَرْفَعُهُ بِهَا ، فهذا نوعٌ من الاضطفاء .

أعرف شخصاً قرأ القرآن في الخامسة والخمسين من عمره وحفظه وكان طموحه أن يكون إماماً في مسجد ، وسُبحان الله فلما قرأ القرآن وحفظه وعُيِّنَ إماماً لمسجدٍ جيّد موقعه ورواده كثيرون ، صار يُصلي بالمصلين الصلوات الخمس ، ثم أكرمه الله بأن صار يلقي بعد الصلوات كلمةً على الناس تعظمهم ، هذا طموحه فاضطفاه الله عز وجل ، فالمعايير دقيقة عند الله تعالى وبحسبِ صِدْقِ الإنسان وطاعته لله يضطفيه ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُوكَ بِآمِرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

فالتصبر إذاً طريق الاضطفاء هذا أولاً ، وقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

فتطبيق الأمر والطاعة مع الإخلاص ؛ سبيلٌ إلى الاضطفاء هذا ثانياً ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَدْعُونَ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ ۖ أَتَيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا ﴾ [يس : ٢٠ - ٢١] .

فالترفع عن حُطام الدنيا وعن متاعها ومالها وعن مُكْتَسَبَاتِهَا سبيلٌ إلى الاضطفاء ؛ هذا ثالثاً ، وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

فطلب العلم طريق إلى الاضطفاء ، تصوّر إنساناً درس الابتدائي والإعدادي والثانوي وقال درجات عالية جداً ثم دخل كلية الطب وتخرج بها ، ثم تابع دراسته العليا ، وعاد بأكبر شهادة في العالم ؛ ماذا ينبغي أن يفعل هذا الإنسان بعد أن تخرج ونال الدرجة العليا ؟ ينبغي أن يُطبّب الناس ويفتَح عيادة وإلا فلا معنى لهذه الدراسة .

دَقِّق النظر وتأمل : أنت حينما تطلب العلم فإنك تُوهِّل نفسك لماذا ؟ للدعوة إلى الله ومن الذي سوف يسمَح لك أن تدعو إليه ؟ هو الله ، فالله عز وجل بطريقة أو بأخرى ، على نحو معروف أو غير معروف يُيسِّر لك طريق الدعوة إليه لأنك تعلّمت العلم فصرت مؤهّلاً أن تدعو إلى الله ، فكل إنسان يطلب العلم بإخلاص ويسعى ليطاعته تعالى بإخلاص ويحرص على رضوان الله وعلى القرب منه يضطّفيه الله عز وجل ، ويُجري على يده الخير بل بالتعبير الشائع : « الله جبار الخواطر » .

عندما يتعلم الإنسان يتعلّم علماً صحيحاً ويلزم مجالس العلم ويجلس على رُكْبَتَيْهِ ويطلب العلم فلا بد من أن يضطّفيه الله عز وجل بالمعنى الواسع فيجعلهُ بطريقة ما باباً للخير ، لذلك روي أن من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام : « اللهم ! ارزُقني طيباً ، واستعملني صالحاً » .

حدّثوا عن بعض العلماء بأنه : اشترى كَفَنَهُ والصابون الذي ينبغي أن يُغسَلَ به من بلد ليس فيه مالٌ مُغتَصَبٌ من شِدَّةِ الوَرَع .

فالإنسان عليه أن يدعو : « اللهم ! ارزُقني طيباً ، واستعملني صالحاً » ما معنى : واستعملني صالحاً ؟ أي : الله يضطّفيك لِعَمَلٍ

صالح ، وما معنى الحكمة القائلة : إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيم استعملك ؟ يعني أن الله اصطفاك ، قد تجد شخصاً آتاه الله حكمة يتصرف في ضوئها ، وفهماً دقيقاً وخبرات معينة وعِلْماً ودعوةً وجاهاً وقوةً وطلاقة ، فكل إنسان يُهَيَّئ نفسه لِفِعْلِ الخير ، فالله جل جلاله لابد من أن يجبر كسره ويُجري على يديه فِعْل الخير ، قد تقول : أنا من أنا حتى اصطفاني ؟ أنت إنسان ومُوَهَّل أن تكون من المصطفين ، هذا بالمعنى الواسع ؛ إن قلت بالمعنى الواسع هذا للمؤمنين ، وإن قلت بالمعنى الضيق فهم الأنبياء والمرسلون لأن الله يصطفي من الملائكة رُسُلًا ومن الناس ، فلم يطلق الله تعالى لسانك ويجعل قلوب الناس تهفو إليك ؟ فهذا هو معنى الاصطفاء وهو المعنى الموسع ، فإذا مَنَّكَ الله من بِناء مسجد فهذا نوع من الاصطفاء ، وأن تُطْعِم الناس من مالك الحلال فهذا نوع من الاصطفاء كذلك ، وإذا سَمَحَ لك أن تُعطي وقدَّرَ لك مَنْ يأخذ وسَمَحَ لك ، فهذا كذلك نوع من الاصطفاء ، تكون في بيت من بيوت الله وليس في ملهى من ملاهي الشياطين ، فهذا تكريم واصطفاء .

أنا لا أنسى أنني كنت مدعواً ذات مرة لافتتاح مسجد ، وجلس بجانب مدير الأوقاف الذي سَيَفْتَحُ هذا المسجد ، فقلت له أشكر الله عز وجل على أنه قد قدَّرَ على يدك أن تفتتح هذا المسجد ، إذ هناك من يفتتح الملاهي ودور القمار ، قد تسعى وتهنأ فيكون عملك مع العلماء ، فهناك من يعمل مع الساقطين ومع طبقات أخرى من الناس لهم انحرافاتهم فيشقى بهم ومعهم ، وهناك من يرعى شؤون المساجد فليحمد الله ، وهناك من يرعى شؤون الملاهي ، وآخر يُفكِّر كيف يدعو إلى الله ، وذاك يُفكِّر كيف يدعو إلى الشيطان وإلى المعاصي

والآثام ، فحين يُجَنَّد الإنسان نفسه لِطاعة الله يَصْطَفِيهِ الله تعالى ، فالله إذا أعطى أذهش .

هل تجد إنساناً في الأرض أعزّه الله كالنبي عليه الصلاة والسلام ؟ شيءٌ غير معقول أربعة ملايين إنسان يذهبون إلى الحج كل عام ويزورون النبي عليه الصلاة والسلام ، ويَقِفُونَ أمام مقامه يكون ولم يَلْتَقُوا به ولا سَمِعُوا من كلامه مباشرة ولا نالوا من ماله ، وبينه وبينهم آلاف الكيلومترات ، فما الذي هداهم إلى أن يأتوا إلى مقامه الشريف ؟

وطلب العلم وتبليغه طريق الاضطفاء ، قال تعالى :

﴿ الَّذِيك يُلَاقُونَ رِسَالَتِي اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَاسِبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

فعلبك ألا تخشى إلا الله ، فهذا طريق الاضطفاء ؛ فلا أريد أن يكون كلامي هذا نظرياً وإنما أريده عملياً ؛ كُن طموحاً ، لقد قلت مرة كلمة مفادها : أخياناً يتوهم الإنسان أن الدعاة هم خطباء المساجد دون غيرهم ! لا ... أنت لديك أقرباء وأصدقاء وجيران وزملاء وأولاد وإخوة وأخوات ... ألا تستطيع أن تنصحبهم وأن تجلس معهم وأن تعلمهم ، وبهدية إليهم تكسب ودهم وقلوبهم وإصغاءهم لحديثك ، ولك أن تكون من الْمُصْطَفَيْنِ الأخيار إذا كنت مُخْلِصاً لله الكبير ؛ إذاً طريق الاضطفاء يقوم أولاً على طاعة الله ثم على طلب وصدق نية وإخلاص ، ويحتاج هذا إلى حُبٍّ وإلى شجاعة وإلى جُرْأة فلعلَّ الله تعالى يَصْطَفِيكَ قال تعالى :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَجَعَلُ الْمُتْلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم : ٣٥] .

إنسان همُّه الوحيد أن يُرَسِّخَ الحق في المجتمع ، ويدخل السعادة على المؤمنين ، وآخر هدفه أن يبني مجده على أنقاض الآخرين وغناه على فقرهم وحياته على موتهم وأمنه على خوفهم ، شتانَ بين هذا وهؤلاء ! فلذلك ضَعُ نفسَكَ موضعاً يضطفيك الله . وليس الوليُّ الذي يطير في الهواء ، ولا الذي يمشي على وجه الماء ، ولكن الوليُّ كل الوليِّ أن يجدك الله حيث أمرك ويفقدك حيث نهاك ، فإذا كنت في مجلسٍ وكانت هناك غيبة سكت أو قُمت وفارقت أهل المجلس ، فأنت الآن تتوسَّل أن يضطفيك الله عز وجل والله تعالى من أسمائه المُضْطَفِّي ، فهو إذاً يضطفي ، وإذا اضطفى مؤمناً فهو في سلامٍ معه ، والمؤمن في سلام إذا كان الله عز وجل قد اضطفاه لكن الله قال :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢] .

لا بد من الابتلاء .

اسم المضطفي من أسماء الله الحسنى ، وهذا الاسم مُرتَبَطُ أشدَّ الارتباط بالمؤمنين ، وكلما جهدوا بطاعته والقُوْز بِرِضاه اضطفاهم وكرَّمهم وأجرى على أيديهم الخير ، والغنى الحقيقي أن يجعلك الله مُفتاحاً للخير مغلقاً للشر .

روي عن النبي ﷺ أنه قال :

إن الله عز وجل قال : أنا خلقت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يده الخير وويل لمن قدرت على يده الشر .

* * *

الدِّيَان

من أسماء الله الحُسنى الدِّيَان ، كثيراً ما يقول العلماء في كَلِمَاتِهِمْ : الواحد الدِّيَان ، الذي يدين له الخلق أَجْمَعُونَ ، والدِّيَان هو اسم من أسماء الله الحُسنى وهو زَائِدٌ كما هو معلوم على الأسماء التسعة والتسعين كما ورد هذا في أحاديث رسول الله ﷺ .

في اللغة الدِّين يَكْسِرُ الدال ؛ شيء ، والدِّين شيءٌ آخر ، فالدِّين هو الجزاء والمُكَافَأَةُ ، والدِّين هو العِبَادَةُ ، والعِبَادَةُ خُضُوعٌ لله عز وجل غاية الخُضُوع مع غاية الحب ، وكلُّكم يعلم أنَّ في اللغة عِبَادٌ وعبيد ، العباد جمع عبد الشكر على حين أن العبيد جمع عبد القهر ، وكلُّ إنسانٍ عبدٌ لله عز وجل بِمعنى أنَّ ناصِيَتَهُ بيد الله عز وجل وأنَّه مفهورةٌ في وجوده وفي استِمرار وجوده وفي سلامة وجوده وفي كمال وجوده لله عز وجل ؛ وجودُهُ مُتَوَقَّفٌ على إمداد الله له ، وكذا استِمرار وجوده وسلامة وجوده مُتَوَقَّفَان على حِفْظِ الله له ، وكمال وجوده مُتَوَقَّفٌ على إكرام الله له .

إذا عَبَدَ القهر هو العبد الذي لا يَمْلِكُ من أمره شيئاً ، والعبد الذي هو في قَبْضَةِ الله ، وأقرب شاهد لهذا الكلام أنَّ نُقْطَةً من الدم إذا تجمَّدت في أحد أوعِيَةِ الدِّمَاغِ انْقَلَبَت حياة الإنسان إلى جحيم وصار

طريح الفراش ؛ وإذا تجمدت في مكانٍ آخر يفقد ذاكرته ولا يعرف أولاده ، وفي مكانٍ ثالث يفقد سمعه وبصره ، فالإنسان لا يملك شيئاً ، قال تعالى :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

فهذا عبد القهر فمن هو عبد الشكر ؟ هو الذي عرف الله ابتداءً ، وعرف منهجه اكتساباً ، وأقبل عليه شوقاً ، وخضع لأمره عبوديةً ، فهذا عبد الشكر ، وعبد الشكر يُجمع على عباد ، قال تعالى :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

أما عبد القهر فيُجمع على عبيد ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فصلت : ٤٦] .

فالعباد شيء والعبيد شيء آخر ، والذين يكسر الدال العبادة ويعني الخضوع والطاعة ، والذين الطاعة والحساب ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية : ٢٥-٢٦] .

من الذي يُحاسب ؟ المقهور ، أما القاهر فلا يُحاسب ؛ الموظف إذا فرغ صندوقه يُحاسب لأنه مقهور ، ولماذا الصندوق مكشوف ؛ يُحاسب ويوضع في السجن ، فالذي يُحاسب مقهور دائماً ، فالذين الطاعة والحساب والقهر ، والذين الغلبة والاستغلاء ، والذين الملة والمذهب ، تقول : فلان دينه الإسلام ؛ هذا ما ورد في معاجم اللغة حول كلمة الدين ؛ الجزاء والمكافأة والعبادة والطاعة والحساب والقهر والغلبة والاستغلاء والملة ، أما الديان فهو اسم من أسماء الله

الحُسنَى ، وقيل : هو القهار والحافظ وهو القاضي :
 إذا جَارَ الأمير وحاجِبَاهُ وقاضي الأرض أُسْرَفَ في القضاء
 فَوَيْلٌ ثُمَّ وََيْلٌ ثُمَّ وََيْلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء
 قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] .

الإنسان حينما يتوَهَّمُ أَنَّهُ طليق وَأَنَّهُ يفعل ما يريد ، ففي ثَانِيَةِ
 واحدة تجده في قبْضَةِ الله .

الدِّيَان صِيغَةٌ مُبَالِغَةٌ عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ وصيغة المُبَالِغَةِ إِذَا اقْتَرَنَتْ
 بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى لَهَا معنى خاص ، وصِيغَةُ المُبَالِغَةِ فِي
 أَسْمَاءِ الله عز وجل لَا تُعْنِي الذي نحن نَعْنِيهِ ؛ تقول : بالغ فلان أَيُّ
 يُعْطِي الأشياءَ حُجْمًا زَائِدًا ، وفلان يَزِيدُ عَلَى الحَقِيقَةِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ،
 أَمَّا المُبَالِغَةُ فِي حَقِّ الله عز وجل فَهِيَ التَّعْظِيمُ ؛ فَهِيَ التَّعْظِيمُ الكَمِّي
 وَالتَّعْظِيمُ النُّوعِي .

فَالدِّيَانُ عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ شَدَادَ قَهَّارٍ وَغَمَّارٍ ، وَمَعْنَى الدِّيَانِ الدَّقِيقُ :
 الذي لَا يُضَيِّعُ عَمَلًا ، بَلْ يَجْزِي عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي
 الْأَثَرِ :

« أَنَّهُ مَا أَحْسَنَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ إِلَّا وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى الله فِي الدُّنْيَا أَمْ
 فِي الْآخِرَةِ » .

فَأَيُّ عَمَلٍ لَهُ جَزَاءٌ وَلَوْ كَانَ ابْتِغَاءَ الدُّنْيَا فَلَهُ جَزَاءٌ فِي الدُّنْيَا ؛ أَيُّ
 عَمَلٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، صَالِحًا كَانَ أَمْ طَالِحًا ، صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ، لَوْ أَنَّ
 الْإِنْسَانَ تَرَفَّقَ بِنَمْلَةٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَنَجَّاهَا مِنَ الْغَرَقِ فَهَذَا الْعَمَلُ لَهُ
 جَزَاؤُهُ ، وَلَوْ رَأَى قَشَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَحَمَلَهَا وَوَضَعَهَا فِي جَيْبِهِ فَهَذَا
 الْعَمَلُ لَهُ جَزَاؤُهُ ، وَلَوْ أَنَّهُ قَبَّلَ ابْنَهُ فَهَذَا الْعَمَلُ لَهُ جَزَاؤُهُ ، الدِّيَانُ هُوَ

الذي لا يُضَيِّعُ عَمَلًا ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآخِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٥] .

البرّ لا ينلّ ، والذنب لا ينسى ، والدّيان لا يموت ، اعْمَلْ ما شئت كما تدين تُدان ، كنت مرّةً مع أحد الأصدقاء فازتُكَبَ حادث سَيْر ، خلاصته أنه رجع إلى الوراء دون أن يَنْتَبِهَ وكانت وراءه سيارة فَدَخَلَ في مَوْخَرَتِهَا ، وكسر مصابيحها ، وأتلف بعض أجزائها ، فَتَزَلَّ صاحب السيارة التي ضُرِبَتْ فَنَظَرَ إليه ثم قال : أنا أُسامِحُكَ فاذهب وشأنك مع السلامة ؛ لم أفهم أنا سرّ ما جرى ! فإذا بي أرى من صديقي دُمْعَةً تَنْحَدِرُ على خَدَّيْهِ ، فقلت : لعله رَجُلٌ مَيَسُور الحال سامحك ، هلاً وفَرَزْتُ على جيبك ألف ليرة أو ألفَيْن ؟ فقال : ليس الأمر كذلك ، بل إنني قبل عامَيْن كنت في بِلَدٍ مُجاوِرٍ فصدمتُ مَرْكَبَةً سيارتي وأصابَتْها بِالْعَطَبِ ، وكان صاحب المَرْكَبَةِ الصادمة رَجُلٌ دَيِّنٌ ومعه زَوْجَتُهُ مُحَجَّجَةٌ ، وكذا بناتُهُ ، فما أرذت أن أَفْسِدَ عليهم نَزَهَتَهُمْ فَقُلْتُ له : انْطَلِقْ مع السلامة فأنا أُسامِحُكَ . فذاك العمل لم يضع ثوابه بل بعد عامَيْن جنيت ثواب ما قدمت ، وهو ما رأيته الآن ! وعلى هذا فِقِسْ .

البرّ لا ينلّ ، والذنب لا ينسى ، والدّيان لا يموت ، اعْمَلْ ما شئت كما تدين تُدان ، وما أَكْرَمَ شابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلَّا سَحَّرَ الله له من يُكْرِمُهُ عند سِنِّهِ ، فهذا شابٌّ وقف بِمَرْكَبَةٍ عامَةٍ لِشَيْخٍ كبير قد تدور الأيام وَيَمُضِي على هذا الحادث خَمْسُونَ عاماً ، ولا بد من أن يَقِفَ يوماً شابٌّ بِغَايَةِ الأدب لِهَذَا الشَّيْخِ الذي كان شاباً وَيُقَدِّمُ له آيات التَّبَجُّيل والاحترام ؛ بل إِنَّ الْقَرْضَ يُؤْدِي أضعافاً ، وما قَوْلُكُمْ إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وتعالى وَصَفَ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ على الإطلاق تجاه أي مَخْلُوقٍ

كَائِنًا مِّنْ كَانَ بِأَنَّهُ إِقْرَاضٌ لِّلَّهِ عِزٌّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

حَدَّثَنِي أَخِي أَنَّهُ جَهْدٌ فِي إِقْذَافِ حَيَاةٍ هِرَّةٍ مِنَ الْمَوْتِ ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي كَادَ ابْنُهُ أَنْ يَسْقُطَ تَحْتَ مَرْكَبَةٍ وَتَشْطُرُهُ شَطْرَيْنِ ، لَكِنَّهُ إِنْسَانًا ائْتَدَعَ مِنْ مَحَلِّ تِجَارِي قَرِيبٍ فَأَمْسَكَ ابْنَهُ وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْحَادِثِ ، الْبَرِّ لَا يَبْلَى ، وَالذَّنْبُ لَا يُنْسَى ، وَالذِّيَانُ لَا يَمُوتُ ، إِعْمَلْ مَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، حَتَّى قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ فِيءًا لَّنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءِمَٰنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت : ٤٠] .

﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ هُوَ فِعْلٌ أَمْرٌ يُفِيدُ التَّهْدِيدَ فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ ثَمَنٌ ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَهُ جِزَاءٌ ، إِنَّ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَابًا وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَابًا ، وَمَا مِنْ عَشْرَةٍ وَلَا اخْتِلَاجٍ عِزْقٍ وَلَا خَدَشٍ عَوْدٍ إِلَّا بِمَا قَدِمْتَ أَيْدِيَكُمْ وَمَا يَغْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] .

لَكِنَّا نَرَى حَوَادِثَ كَثِيرَةً مُّتَفَرِّقَةً لَا نَعْلَمُ خَلْفِيَّاتِهَا وَمُقَدَّمَاتِهَا ، وَلَا نَعْلَمُ الْفُضُولَ الْأَوَّلَى مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَقَدْ تَنْتَهَى هَذِهِ الْقِصَّةُ بِحَادِثِ مُؤَلِّمٍ وَبِمُصَابٍ كَبِيرٍ أَوْ بِإِتْلَافِ مَالٍ ، وَقَدْ تَنْتَهَى بِتَذْمِيرِ إِنْسَانٍ ، وَلَكِنْ لَوْ أَنَّ لَكَ نَفْسًا طَوِيلًا وَمُتَابَعَةً دَقِيقَةً ؛ وَتَقَصَّيْتَ أَحْوَالَ مَا يُصِيبُ النَّاسَ ، لَوَجَدْتَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ ، وَلَوَجَدْتَ يَدَ اللَّهِ تَعْمَلُ فِي الْخَفَاءِ ، وَلَوَجَدْتَ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ قَالَ تَعَالَى :

﴿فَلَمَّ تَقَاتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى

وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِلَّا أَنْ اللَّهَ سَمِعَ عَلَيْهِمْ ﴿[الأنفال : ١٧] .

قال العلماء : « الدِّيان في صِفَةِ الله عز وجل هو : المُجَازي ، والذي لَا يُضَيِّعُ عَمَلًا ، بل يَجْزِي بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ » ، وقيل : « هو فَعَال ، من الفعل دان : دانَ الناسَ يدينهم أي قَهَرَهُمْ على الطاعة » ، وهذا القَهْر قَهْرٌ تَرْبَوِي ، فلو افْتَرَضْنَا : ابن مُشَاكِسَ وَأَبَّ حَازِمَ وهذا الأب حَمَلَ ابْنَهُ على الدَّرَاسَةِ إلى أَنْ صار إنسانًا ذا مَكَانَةٍ مَرْمُوقَةٍ في المُجْتَمَعِ ، والأب من رحمته الشديدة حمل ابنه على طاعته ، فهذا الحَمْلُ مُؤَدَّاهُ إلى الخير ، عِنْدَئِذٍ يَنْقَلِبُ الشُّعُورُ بِالقَهْرِ إلى شُعُورٍ بِالرِّضَا وَالامْتِنَانِ .

دَنَتْهُمْ فَدَانُوا ؛ أَخْضَعْتُهُمْ فَخَضَعُوا ، وقد روي في الحديث الشريف .

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْكَبِيرُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ » [رواه ابن ماجه والترمذي] .

دان نَفْسَهُ أي ضَبَطَهَا وَأَخْضَعَهَا ، وَأَلْزَمَهَا كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَحَمَلَهَا على طاعة الله وجعلها مُسْتَقِيمَةً .

العاجز يقول لك : نسأل الله تعالى أَنْ يَرْحَمَنَا وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَنَحْنُ مُقْصِرُونَ ، وَنَحْنُ عبيد إْحْسَانٍ وَلِسْنَا عبيد امْتِحَانٍ ، وَلَا تَسْعُنَا إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ عز وجل ؛ يقول هذا وهو كلامٌ حق لكن يُراد به الباطل ؛ فهو لَا يَخَافُ اللَّهَ ، وَلَا يَنْزَجِرُ وَلَا يَأْتَمِرُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ ، وَلَا يَحْمِلُ نَفْسَهُ على طاعة الله وَلَا يَخْرِصُ على رِضْوَانِهِ ، وهو يُطْلَقُ لشهواتِهِ الْعِثَانِ وَيُزْخِي لِنَفْسِهِ الْحَبْلَ ، وهذا هو الْعَاجِزُ الَّذِي أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى

على الله الأمانى ، الكَيْس من دان نفسه ، والقصة المعروفة .

السَّمَكَاتُ الثلاث التي رآها أحدُ الصيادين ، فقد تَوَعَّد أن يَرْجِع مع صديقِهِ لِيَصْطَاد هذه السَّمَكَات ، فَسَمِعَت السمكات قولَهُما ، قال كاتب القصة : إحدى هذه السمكات كَيْسَة ، والثانية أَكَيْسُ منها ، والثالثة عاجزة ، أما أَكَيْسُهُنَّ فإنها ارْتَابَتْ وَتَخَوَّفَتْ وقالت : العاقل يَحْتَاط للأُمُور قبل وَقوعِها ، ثم إنها لم تَعْرِجْ على شيء حتى خَرَجَتْ من المكان الذي يَدْخُل منه الماء من النهر إلى الغدير ، فَنَجَتْ . وأما الكَيْسَة الاقل عقلاً وذكاءً فَبَقِيَتْ في مكانِها حتى عاد الصيادان ، فَذَهَبَتْ لِتَخْرُج من حيث خرجت صديقتها فإذا بِالْمَكَان قد سُدَّ ، فقالت : فَرَطْتُ وهذه عاقبة التفریط ، غير أن العاقل لا يَقْنَط من منافع الرأي ، ثم إنها تماوَّت فَطَفَّتْ على وَجِه الماء فأخذها الصياد ووضَعها على الأرض بين النهر والغدير ريشما ينتهي فيأخذها ، فَوَثَبَتْ في النهر فَنَجَتْ . وأما العاجزة فَلَمْ تَزَلْ في إقبالٍ وإدبار حتى صِيدَتْ . وهذه السَّمَكَات الثلاث تُمَثِّل ثلاثة نماذج بشَرِيَّة ؛ إنسان يحتاط للأُمُور قبل وَقوعِها ، وإنسانٌ يحتاط لها حين وَقوعِها وإنسانٌ لا يَحْتَاط لها لا قبل وَقوعِها ، ولا حين وَقوعِها ، ولا بعد وَقوعِها .

قال تعالى :

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف : ٢٨] .

روي عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بَيْنَ

رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَذْبَرَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ » ، فَقَالَ : « مَا قُلْتُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » [رواه أحمد] .

« إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ » ، الخُضُوعُ وَالِاسْتِئْثْلَامُ وَالضَّعْفُ وَعَدَمُ السَّعْيِ وَعَدَمُ التَّدْبِيرِ ، وَهَذَا النَّمَطُ الْكُسُولُ وَالْمُسْتَسْلِمُ وَالْمُسْتَخْذِي ، هَذَا النَّمَطُ يَلُومُ اللَّهُ عَلَيْهِ : « إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

لو أَنَّ إِنْسَانًا أُصِيبَ بِمَرَضٍ شَدِيدٍ جَدًّا قَبْلَ الْإِمْتِحَانِ فَمَاذَا يَفْعَلُ ؟ هَذَا قَدَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا تَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ إِلَّا إِذَا غُلِبْتَ عَلَى أَمْرِكَ ؛ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِذْرَاكَ النَّجَاحِ . وَاللَّهُ هَذَا الْحَدِيثَ وَحْدَهُ لَوْ فَهِمَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي شَتَى أَقْطَارِهِمْ وَلَوْ فَهِمُوا أُبْعَادَهُ لَكَانُوا فِي حَالٍ غَيْرِ هَذَا الْحَالِ ، وَيَنْتَفِي عِنْدُئِذٍ عَنْهُمْ الْكَسَلُ وَالتَّوَاكُلُ وَالِاسْتِئْثْلَامُ وَالِانْهِزَامُ وَالْخُضُوعُ ؛ لَيْسَ بِيَدِكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، وَإِنَّمَا بِيَدِ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ ، فَإِذَا كُنْتَ مَعَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ مَعَكَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ بِهِ أَعَانَكَ ، وَإِنْ اسْتَنْصَرْتَهُ نَصَرَكَ ، وَإِنْ اسْتَهْدَيْتَهُ هَدَاكَ ، وَإِنْ اسْتَرْشَدْتَهُ أَرَشَدَكَ ، وَإِنْ اسْتَلْهَمْتَهُ أَلْهَمَكَ :

أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ : مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِي دُونَ خَلْقِي ، أَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ ، فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ بِمَنْ فِيهَا ، إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مَخْرَجًا ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِمَخْلُوقٍ دُونِي ، أَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ ، إِلَّا قَطَعْتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَهْوَيْتِ الْأَرْضَ مِنْ

تحت قدميه ، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ،
وغافر له قبل أن يستغفري .

لذلك قالوا : إذا كان الله معك فَمَنْ عليك ؟ وإذا كان الله عليك
فمن معك ؟ ! .

« الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ » ، أكثر الناس الآن
يعيشون وقتهم ولحظتهم ويومهم وساعتهم ويُعطون أنفسهم
ما تشتهي ، أما الغد فلا يُفكِّرون فيه إطلاقاً ؛ فَمِنْ علامات العاقل
الغد أنه يعيش الغد ، وَمِنْ علامات الأقلّ عقلاً أنه يعيش الحاضر ،
ومن علامات الجاهل أنه يتغنى بالماضي كما قال بعض شعراء بكر بن
وائل :

ألهى بني تغلب عن كلِّ مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
فالجاهل يتغنى بالماضي والأقل عقلاً يعيش لحظته ، والعاقل جداً
يعيش المستقبل .

لذلك هناك من يُخطِّط للمستقبل ، وهناك من تكون حياته رُود
فعلٍ دائماً ، يكون الفعل من خضمه ويُفرض عليه مكان وزمان
الفعل ، ومهمته ردّ الفعل ؛ فهو إنسانٌ ضعيف لا يُخطِّط للمستقبل ،
أما المؤمن فإنه يعيش المستقبل وساعة فراق الدنيا ، وهذه الساعة التي
يُغفل عنها الناس ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] .

أما الصالحون فقد قال أحدهم : والله لو كُشِفَ الغطاء ما اُزدَدت
يقيناً .

فالمؤمن يعيش المُستقبل والمصير ، وهذه الساعة التي لا بد منها مانجا منها أحدٌ ، لا نبي ولا ملك ولا غني ولا قوي ولا ضعيف ولا صحيح ولا مريض ولا عاجز ولا وسيم ولا دميم . . . فالمؤمن يستعد لساعة الموت بالعمل الصالح ؛ بإنفاق عِلْمِهِ ومَالِهِ ووقته وعَضَلَاتِهِ وخِبرَاتِهِ وطاَقَاتِهِ وبِكُلِّ ما يملك ؛ يَسْتَعِدُّ لِهذه اللحظة كي يكون القبر رَوْضَةً من رياض الجنة ، فإن لم يَسْتَعِدِّ للقبر أصبح القبر حُفْرَةً من حُفر النار ، قال تعالى :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] .

حديث ابن عمر : « اللهم دَنِّهِمْ كما يدينوننا » ، أي اجزِهِم بما يُعاملون به مَنْ قَبْلَهُمْ ، طبعاً كلمة : مالك يوم الدين كلمة كبيرة جداً ، فَيَوْمُ الدين يَوْمُ الدِّينونة وأسماء الله الحُسنى كُلُّها مُحَقَّقة في الدنيا . أما اسم العدل فيُحَقِّق في الدنيا ويبدو أَشَدَّ جِلاءً في الآخرة ؛ هناك تَسْوِيَةٌ حِسَابَات ، وهناك غِنًى وفقير ، وهناك مُسْتَعْلٍ ومُسْتَعْلٍ ؛ ومُخْتَالٌ ونصاب وطاغية ، وظالم ومظلوم ، وهناك من يَغْتَصِبُ أموال الناس ، وهناك من يَغْتَصِبُ أغراضهم ؛ وَيَخْتال عليهم بِذِكَائِهِ أو بِقُوَّتِهِ ؛ والمُؤدَّى واحد إما احتيالاً أو قَهراً ؛ فهذا الذي أخذ ما ليس له متى سَبَحَاسَب ؟ .

سَمِعْتُ مرَّةً من أحد الدعاة مثلاً أعجَبَنِي ؛ لو أَنَّ أحداً كان في مَسْرَحِيَّةٍ - ليس هذا من باب الإقرار - ثُمَّ أُرْخِيَ السُّتار قبل انتهاء فصولها لا تجد أحداً قام من مكانه ، لِمَذا ؟ لأنه ما انتهت المَسْرَحِيَّة فكلُّ بداية لها نهاية ، وكلُّ مُقدِّمة لها نتيجة ؛ وهذا الذي اغْتَصَبَ

وسرق أموال الناس بِالْبَاطِلِ متى توزن له الأعمال ؟ إنها توزن يوم الدين ؛ حيث تُؤَفَّى كل نفس ما كسبت ، هذا اليوم إذا غَفَلْنَا عنه فنحن أَشْقَى الْأَشْقِيَاء ، قال تعالى :

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة : ٤] .

هناك سؤال وهو : أَلَيْسَ الله هو مالك الدنيا ؟ وهل معنى مالك يوم الدين أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الدنيا ؟ الجواب : لا . فَهُوَ تعالى يَمْلِكُ الدنيا والدين والآخرة ، لكن في الدنيا تجدُ من يَدَّعي أَنَّهُ مالِكُهَا ، فَهُنَاكَ من يَدَّعي أَنَّ الأمرَ بِيَدِ فلان ، وأساساً مُعْظَمُ الذين وَقَعُوا في الشُّرْكِ الخَفِيِّ يَرَوْنَ الناسَ وَلَا يَرَوْنَ الله عز وجل ، وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَقْوِيَاءَ بِيَدِهِمُ الْحَلَّ وَالْعَقْدَ وَالْعَطَاءَ وَالْمَنْعَ وَالْإِعْزَازَ وَالْإِذْلَالَ ، وَبِيَدِهِمُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ فيما يَبْدُو لهم ، وَهناكَ مَنْ يَدَّعي أَنَّ الأمرَ بِيَدِهِ في الحياة الدنيا وهو الْمُشْرِكُ ، لكن في الآخرة لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعي أَنَّ الأمرَ بِيَدِهِ ، هناك آيَةٌ تُشَبِّهُ هذه الآية قال تعالى :

﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى : ٥٣] .

بِحَسَبِ الظَّاهِر ، إنَّ الْأُمُورَ صَارَتْ إِلَى الله ؛ فَبَيَدِهِ من كانت ؟ كانت بِيَدِ الله أيضاً ، فما معنى هذه الآية إِذَا ؟ في الدنيا الأمرُ بِيَدِ الله وَحْدَهُ وليس لأحد من الْأُمُورِ شيء ، إِلَّا أَنَّ هناك في الدنيا مَنْ يَدَّعي من الناس أَنَّ الأمرَ بِيَدِهِ . أما في الآخرة فيبدو الأمرُ جَلِيلاً أَنَّهُ بِيَدِ الله عز وجل ، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعي أَنَّ الأمرَ بِيَدِهِ فَهِيَ قَضِيَّةٌ نَسَبِيَّةٌ .

إِذَا مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ يَوْمٌ لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ . أما في الدنيا فقد تجد إنساناً قُتِلَ وَآخِرُ قَهْرٍ وَذَاكَ أُخِذَ مَالُهُ وَالْقَوِيُّ هو الذي أَخَذَ ماله ؛ أَوْ

قتل أو قهر إلخ ، والقوي هو الذي قهره . . . هناك في الدنيا قد تجد من يدَّعي أنَّ الأمر بيده ، أما في الآخرة فلا يستطيع أحد أن يدَّعي أنَّ الأمر بيده ، فهو مالك يوم الدين ، وهناك قراءة ملك يوم الدين فالمالك هو الذي يملك ولا يحكم ، والملِك هو الذي يحكم ولا يملك ، والله ملكٌ ومالكٌ يملك ويحكم ، أنت أحياناً تنتفع بشيء ولا تملك رقبته ، وقد تملك رقبته ولا تنتفع به ، والشيء الثالث أنك قد تملكه وتنتفع به ولا تملك مصيره ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملك يوم الدين ، ويملك كلَّ شيء خلقاً وتصرُّفاً ومصيراً .

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يفسِّر معنى قول الله عز وجل ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيقول : لا يملك أحد في ذلك اليوم شيئاً كملكهم في الدنيا ، حيث كانوا يضعون أيديهم على الكثير ويمتلكونه ، ويوم الدين يوم الحساب للخلائق ، وهو يوم الآخرة ، يدينهم بأعمالهم ، إنَّ خيراً فخيرٌ وإنَّ شراً فشرٌ إلا من عفا الله عنه .

العلماء يقولون : « تخصيص الملك بيوم الدين لا ينفي ما عداه » ، وهذه نقطة دقيقة جداً فإذا قلنا : الله مالك يوم الدين لا يعني أنَّه لا يملك الدنيا ، لكن في هذا اليوم يتَّضح لكل إنسان أنَّه تعالى مالك يوم الدين ، أما في الدنيا فيتَّضح للمؤمنين فقط أنَّ الله مالك الدنيا ، فما الفرق بين المؤمن والمُشرك ؟ المؤمن يرى أنَّ الله وحده هو الفَعَّال وحده ، ولكن المُشرك يرى أنَّ آلهة كثيرة تفعل ما تريد .

أيُّما أبلغ : أن تقول مالك أم ملك ؟ قال بعضهم : إنَّ مالك أبلغ في مدح الخالق من ملك ، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك ، فالملك لا يملك لكنَّه يحكم ، فهو لا يملك سمعه ولا بصره

ولا دِمَاغَهُ ولا شَرَايِينَهُ ولا دَمَهُ ولا قَلْبَهُ ولا أَمْعَاءَهُ ، فهو لا يَمْلِكُ شيئاً
لَكِنَّهُ يَحْكُمُ ، فإذا أَرَدْتُ أَنْ تَمْدَحَ إِنْسَاناً فَقُلْ لَهُ : مَلِكُ ، أما إِنْ
أَرَدْتُ أَنْ تَتَنِي عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فَهُوَ تَعَالَى الْمَلِكُ ، قال تَعَالَى :
﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ
تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ سَيِّدِكَ الْغَيْبُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

لذلك الْأَبْلَغُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ تَقُولَ : مَالِكُ يَوْمَ
الدِّينِ ، وَالْأَبْلَغُ فِي مَذْحِ الْإِنْسَانِ أَنْ تَقُولَ مَلِكُ ، فِي الْحَدِيثِ
الشَّرِيفِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَأْخُذُ الْجَبَّارَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضَهُ
بِيَدِهِ وَقَبْضُ يَدِهِ وَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَسْطِطُهَا ثُمَّ يَقُولُ : « أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا
الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ » قَالَ : وَيَمِيلُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى الْمَنْبَرِ
يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ : أَسَاقُطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

كَانَ فِي الْأَنْدَلُسِ مَلِكٌ شَهِيرٌ جَدًّا ، كَانَ مَلِكًا عَلَى أَكْبَرِ مُقَاطَعَةٍ فِي
إِسْبَانِيَا ، اسْمُهُ ابْنُ عَبَّادٍ وَكَانَ ذَا عِزٍّ وَشَأْنٍ وَسُلْطَانٍ ، وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ
يَتَمَشَّى فِي حَدِيقَةِ قَصْرِهِ فَرَأَى بَرْكَاتٍ مَاءٍ وَقَدْ أَثَرَتْ فِيهَا الرِّيحُ فَشَكَّلَتْ
خُطُوطًا مُتَعَارِضَةً وَكَأَنَّهَا زَرَدٌ (كَأَنَّهَا حَدِيدٌ مَزْرُودٌ) ، فَقَالَ هَذَا الْمَلِكُ
وَكَانَ شَاعِرًا : نَسَجَ الرِّيحُ عَلَى الْمَاءِ زَرْدٌ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُتِمَّمَ الْبَيْتَ
مَا اسْتَطَاع ، وَتَعَثَّرَتْ بِهِ شَاعِرِيَّتُهُ ، وَكَانَتْ وَرَاءَهُ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ لَهُ :

نَسَجَ الرِّيحُ عَلَى الْمَاءِ زَرْدٌ أَيِ دِرْعٍ لِقَتَالِ لَوْ جَمَدَ
فَأَعْجَبَ بِهَا وَتَزَوَّجَهَا وَأَكْرَمَهَا أَيَّمَا إِكْرَامٍ ، فَقَدْ صَارَتْ زَوْجَةً

مَلِك ، واشْتَهَتْ يوماً أَنْ تعيش حياة الجوّاري كما كانت قبل أن يتزوجها الملك ، وأن تدوس في الطّين فجاء لها بِمِسْكٍ وكافور ومزَجَهما بِماء الورد ، وجعل من المِسْك والورد طيناً ، وقال هذا هو الطّين فدوسي فيه ، ثمّ جاء ملك من ملوك إفريقيا اسمه ابن تاشفين وغزا إسبانيا ووضع كلّ ملوك دويلات إسبانيا العربية في السّجن (ملوك دُول الطوائف) ، والتاريخ يزوي هذه القِصة فهذا الملك صار سجيناً وصار فقيراً ومُعَذَّباً ، وشكّت بناتُه الجوع ، وزوجتُه العري ، وضاقَتْ به هذه الجارية ذرعاً إلى أن صارت تقسو عليه ، وقالت له مرّة : ما رأيْتُ منك خيراً قطّ ، فقال لها : ولا يوم الطّين ؟! فاستخيت وسكّنت .

لهذا في بعض الأحاديث أَنَّ النّسوة اللاتي رآهن أكثر أهل النار هن من يَكْفُرْنَ العشير إذا أَحْسَنَتْ إلى إحداهنّ الدهر كلّهُ ثم رأَتْ منك شيئاً قالت : لم أَر منك خيراً قطّ ؛ وإنّ قُلْتُ لها كلمة قاسية فلن تنسها إلى الأبد ، أما كلّ الإكرام فإنها تنساه ، أجل تنساه المرأة التي ما عرفت ربّها ، وأيّما امرأة لا تشكر لِزَوْجِها - وهي لا تستغني عنه - لم ترح رائحة الجنّة .

عَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْمُخْتَلَعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ » ، وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ ، لَمْ تَرْحَ رَائِحَةُ الْجَنَّةِ » [سنن الترمذي] .

وروي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

« إني لأبغض المرأة تخرج من بيتها تجر ذيلها تشكو زوجها » .

ومن صفات المرأة المؤمنة أَنَّها سِتيرة .

ورد في الأثر القدسي :

« أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك بيدي ، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرفقة والرحمة ، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع ، أكفكم ملوككم » .

وفي القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُومَ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

فالإنسان يوصف بأنه ملك وفي الحديث قال ﷺ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَةِ مِلْحَانَ فَاتَّكَأَ عِنْدَهَا ثُمَّ ضَحِكَ فَقَالَتْ : لِمَ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحَرَ الْأَخْضَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مِثْلُهُمْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ » فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ » ثُمَّ عَادَ فَضَحِكَ فَقَالَتْ لَهُ : مِثْلُ أَوْ مِمَّ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لَهَا : « مِثْلُ ذَلِكَ » ، فَقَالَتْ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : « أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَسْتَ مِنَ الْآخِرِينَ » . [صحيح البخاري] .

هناك سؤال وهو : كيف نقول مالك يوم الدين ويوم الدين لم يأت بعد ؟ يُجيب الإمام القرطبي عن هذا السؤال فيقول : اعلم أن مالك

اسم فاعل من مَلَكَ ومن مَلَكَ يَمْلِكُ ، واسم الفاعِل في كلام العرب قد يُضاف إلى ما بعده بِمعنى الفعل المُستقبل ، ويكون عندهم هذا كلاماً سديداً ومَعقولاً صحيحاً كَقَوْلِكَ : هذا ضاربٌ زَيْدٌ غداً ، أي سَيَضْرِبُهُ غداً ، واللغة الدارجة كذلك تُشير إلى هذا المعنى .

إذاً إذا قلنا مالِك يوم الدين ، أي الله جلّ جلاله حينما يأتي ذاك اليوم فلا مالِك سِواه ، وعلى كلِّ إنَّ لِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَاباً ، وَلِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَاباً ، واعملوا ما شِئْتُمْ فالبرّ لا يئلى والذنب لا يُنسى واللّيان لا يموت ، إعمل ما شِئت كما تدينُ تُدان ، واللّيان هو الذي لا يُضَيِّع على مخلوقٍ عمله .

لي صديق يُقيم بِلَدٍ عربي له قريبٌ حاله وَسَطٌ من حيث التَّدِين والأخلاق والاستقامة ، وله أولاد أَقلُّ من الوَسَط من حيث البرّ ، وهذا القريب أصيب بِمَرَضٍ قبل وفاته ، فَرَأَى الناس من برِّ أبنائه به الشيء الذي لا يُصَدِّق ، فلا هو يَسْتَحِقُّ هذا البرّ ، ولا أولاده في هذا المُستوى الراقى ؛ فمن الذي جعلهم يُقْبِلون على خِدْمَتِهِ إقبالاً عظيماً ؟ فهو وَسَطٌ في تَدَنُّنِهِ واستقامته وفي أُبُوَّتِهِ ، وأولاده أَقلُّ من الوَسَط في أخلاقهم وتَدَنُّنِهِمْ ، أما حينما مَرَضَ مَرَضاً عُضالاً فقد أَقبلوا على خِدْمَتِهِ إقبالاً مُنْقَطِعَ النظر ، حتى أَصْبَحَتْ خِدْمَتُهُمْ له مضرب المثل ! . فهذا الصديق بقيَ أَشْهُراً يُحَلَّلُ هذا الموضوع إذ يَضَعُ تَفْسِيرَهُ . فكان تَفْسِيرُ هذا الخبر أَنَّ هذا المريض كان باراً بِأبيه فبرّه أولاده ، البرّ لا يئلى والذنب لا يُنسى .

كلُّ عَمَلٍ له جزاؤه إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌ ، اللّيان هو الذي يدين خلقه أي يُخَضِّعُهُمْ أو يُجَازِيهِمْ ويُكَافِيهِمْ أو يَحْمِلُهُمْ على

طَاعَتِهِ أَوْ يُحَاسِبُهُمْ ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُحَاسِبُ ، وَالشَّيْءُ الدَّقِيقُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ أَوْامِرُ تَكْلِيفِيَّةٌ وَأَوْامِرُ تَكْوِينِيَّةٌ .

وهذا أَخٌ كَانَ لَهُ أُخْتُ عَائِشٌ وَبَالِغٌ فِي إِهَانَتِهَا هُوَ وَزَوْجَتُهُ ، وَيَنْفَجِرُ أَمَامَ أَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ عَلَيْهَا وَيُؤْنِبُهَا ، وَهَذِهِ الْأُخْتُ صَابِرَةٌ لَيْسَ لَهَا إِلَّا هَذَا الْأَخُ ، وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي كَانَتْ جَالِسَةً عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَى كُرْسِيٍّ وَزَوْجَتُهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ كَأْسَ مَاءٍ فَرَكَلَ أُخْتَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : ائْتِنِي بِكَأْسِ مَاءٍ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ سَافِرٌ فَوْقَ ضَحِيَّةٍ حَادَثَ فَقَطَّعَتْ رِجْلُهُ الَّتِي رَكَلَ بِهَا أُخْتَهُ مِنْ أَعْلَى الْفَخِذِ ، فَاللهُ هُوَ الدِّيَّانُ ، وَهَذَا رَجُلٌ آخَرُ كَانَ يَقُودُ مَرْكَبَةً فِي الطَّرِيقِ ، فَوَجَدَ كَلْبًا صَغِيرًا يَقْبَعُ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ ، فَفَكَّرَ هَذَا السَّائِقُ أَنْ يُجَرِّبَ بَرَاعَتَهُ فِي الْقِيَادَةِ فَقَطَّعَ يَدِي الْكَلْبِ دُونَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، وَأَطْلَقَ ضَحَكَةً هَسْتِيرِيَّةً ، أَقْسَمَ لِي رَجُلٌ أَعْرِفُهُ وَهُوَ عِنْدِي صَادِقٌ - وَكَانَ يَرْكَبُ مَعَ هَذَا الْإِنْسَانِ - أَنَّهُ فِي الْأُسْبُوعِ الثَّانِيِ ، وَفِي الْيَوْمِ نَفْسَهُ مِنَ الْأُسْبُوعِ التَّالِيِ انْفَجَرَتْ مَعَهُ عَجَلَةُ السَّيَّارَةِ فَأَوْقَفَهَا عَلَى الطَّرِيقِ لِيُصْلِحَهَا ، وَرَفَعَ السَّيَّارَةَ بِجِهَازِ الرَّفْعِ وَفَكَ الْعَجَلَةَ ، وَفِي أَثْنَاءِ فِكِّ الْعَجَلَةِ مِنْ مَكَانِهَا اخْتَلَّ جِهَازُ الرَّفْعِ وَوَقَعَتِ السَّيَّارَةُ عَلَى يَدَيْهِ عِنْدَ الرَّسْغَيْنِ ، وَإِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْمُسْتَشْفَى امْتَوَدَّتْ يَدَاهُ فَاضْطَرَّ الطَّيِّيبُ إِلَى قَطْعِهِمَا ؛ اللَّهُ الدِّيَّانُ ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الدِّيَّانُ ، وَالْبَرُّ لَا يَبْلَى ، وَالذَّنْبُ لَا يُنْسَى ، وَالذِّيَّانُ لَا يَمُوتُ ، اْعْمَلْ مَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانَ .

* * *

العالم

من أسماء الله الحُسنى العالم ، فالعالم اسمٌ من أسماء الله الحُسنى يُضَمُّ إلى الأسماء التَّسْعَةِ والتَّسْعِينَ التي وردت في حديث رسول الله ﷺ .

العالم من مَادَّةِ الْعِلْمِ ، وَالْعِلْمُ إدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مَعَ الدَّلِيلِ ؛ أَكْرَرُ : إدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ بِالدَّلِيلِ . أَوْ هُوَ مَقُولَةٌ مَقْطُوعٌ بِصِحَّتِهَا تَطَابِقُ الْوَاقِعِ عَلَيْهَا دَلِيلٌ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا دَلِيلٌ لَكَانَتْ هَذِهِ الْمَقُولَةُ تَقْلِيداً ، وَلَوْ لَمْ تَطَابِقِ الْوَاقِعَ لَكَانَتْ هَذِهِ الْمَقُولَةُ جَهْلًا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَقْطُوعًا بِصِحَّتِهَا لَعُدَّتْ هَذِهِ الْمَقُولَةُ وَهْمًا أَوْ شَكًّا أَوْ ظَنًّا ، فَالْعِلْمُ لَيْسَ شَكًّا وَلَا ظَنًّا وَلَا وَهْمًا وَلَكِنَّهُ قَطْعِيٌّ ، وَالْعِلْمُ مَا تَطَابَقَ الْوَاقِعُ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ، وَبِشَكْلِ مُخْتَصَرٍ : إدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ بِالدَّلِيلِ .

وَإِنِّي لَا أَبَالِغُ إِذَا قُلْتُ : إِنَّ مِنْ أَخَصِّ مَا يَخْتَصُّ بِهِ الْإِنْسَانُ الْعِلْمُ ، وَأَكْثَرُ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَقِيَّةِ الْمَخْلُوقَاتِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَمَيَّزُ بِقُوَّةِ إدْرَاكِئِهِ ، وَكَرَمَةِ اللَّهِ بِالْعِلْمِ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ عَنِ الْكَرَامَاتِ يُعَدُّ الْعِلْمُ أَعْظَمَ كَرَامَةٍ يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْكَرَامَةَ لَيْسَ فِيهَا خَرْقٌ لِلْعَادَاتِ .

وبعد ، فإنَّ الله عالم يُحِبُّ كُلَّ عالم ، والناس رجلان : عالمٌ ومُتَعَلِّمٌ ولا خيرَ فيمن سَوَاهُمَا ، كُنْ عَالِمًا أو مُتَعَلِّمًا أو مُسْتَمِعًا أو مُجِبًّا ولا تَكُنْ الخَامِسَةَ فَتَهْلِك . فالعلم إدراك الشيء على ما هو عليه بدليل ، لو أنَّ الناس أذركوا الحقائق على ما هي عليها ، لما اختلفوا ولما تحاربوا ولما تخاصموا ولما عاشوا في شقاء ما بعده شقاء .

فالقضية قضية عِلْم بل إن الإنسان الكافر وهو في النار يتلوَّى من الحريق يُنادي ويقول :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] .

فالذي بينك وبين أهل الدنيا هو العلم ، لذلك إذا أُرِدَّت الدنيا فعَلَيْكَ بِالْعِلْم ، وإذا أُرِدَّت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أُرِدَّتْهُمَا معاً فعَلَيْكَ بِالْعِلْم ، والعلْم لا يُعْطِيكَ بَعْضُهُ إِلَّا إِذَا أُعْطِيَتْهُ كُلُّكَ ، فإذا أُعْطِيَتْهُ بعضك لم يُعْطِكَ شيئاً ، وَيَظَلُّ المرء عالمًا ما طلب العلم ، فإذا ظَنَّ أَنَّهُ قد عِلِم فقد جهل .

قال العلماء : العلم عِلْمان : إدراك ذات الشيء ، والحُكْمُ على الشيء ، تقول هذه طاوِلَةٌ ؛ فَأَنْتَ تُدْرِكُ ذات الطاوِلَةِ . أو تقول : هذه الطاوِلَةُ مُتَقَنَّةٌ فَأَنْتَ بهذه العبارة أطلقت حكمك عليها ، إِذَا : فإِذَا أَنْ تُدْرِكَ حقيقة الشيء وَكُنْهُ الشيء وهَوِيَّتِهِ ، وإِذَا أَنْ تخُكِّم على هذا الشيء فالعلم عِلْمان : إدراك الذات ، وإدراك الصِّفَات .

والعلم عِلْمان أيضاً : عِلْم نظري ، وعِلْم عملي ؛ عِلْم تَقْتَبِسُهُ بِالْفَاءِ السَّمْعُ أو إِعْمَالُ الْفِكْرِ أو قِرَاءَةُ الْكِتَابِ أو سَمَاعُ الْمُحَاضَرَةِ . وعِلْمٌ تَسْتَنْبِطُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ ، فالعلم الذي تَسْتَنْبِطُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالْوَاقِعِ الْعَمَلِيِّ هو الْعِلْمُ الْعَمَلِيُّ ، والعِلْمُ الذي تَسْتَقِيهِ مِنَ الدُّرُوسِ

والكُتُب وإلقاء المُحاضرات هو العلم النظري .

والعلم علمان مرة أخرى : عقليّ وسَمعي ؛ إما أن تصل إليه بذاتك وعن طريق التأمل ، وإما أن تُصيخ السَّمع إلى غَيْرِكَ عن طريق التلقي ، فإما أن تُفكّر وإما أن تُصغي ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

تُفكّر ، وتَتَأَمَّل ، وتَتَدَبَّر ، أو تُصغي ، تأخُذه جاهزاً عن طريق السَّمع وتَصْنَعُهُ أنت عن طريق العقل ، فَعِلْمٌ يُؤخذ عن طريق العقل ، وَعِلْمٌ يُؤخذ عن طريق السَّمع ، وَعِلْمٌ تتلقاه نظرياً ، وَعِلْمٌ تستنبطه عملياً ، وَعِلْمٌ أساسه إدراك ذات الشيء ، وَعِلْمٌ أساسه إدراك صفات الشيء .

وبالمُناسبة أقول : هناك قِيَمٌ كثيرة يتفاضل بها الناس ؛ فالمال قِيَمَةٌ تفاضليّة بين البشر ، والوَسامة والذكاء والقوة والوجاهة والنَّسب فهذه كُلُّها قِيَمٌ تفاضليّة ، ولكنَّ الله تعالى لم يَعْتَمِدْها في تنزيل الناس المنازل ، بل إنَّ الله جلَّ جلاله اعْتَمَدَ قيمة العلم ، وهي التي رفع شأنها ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١١] .

وقيل : رُتَبَةُ العلم أعلى الرُّتَب ، والدليل أنَّ أقوى إنسان فيما يبدو لك في الأرض لا يستطيع أن يَتَّخِذَ قراراً إلا إذا سأل الخُبراء ؛ يُؤَلَّفُ لجنة من كبار العلماء في موضوع ما ، ويَطْرَحُ عليهم سؤالاً فَيُعْطُونَهُ خِيَارَاتٍ فَيَخْتَارُ من بين هذه الخيارات ، فَمَنْ الذي يَحْكُمُ

العالم إذاً ؟ هم العلماء ؛ فالذي بيده إصدار القرار يحتاج إلى خبرة العالم .

وقد قال العلماء : « هناك فرق بين أن تُعلِّم وأن تُعلِّم » ، فالإعلام إلقاء الفكرة بسرعة . لكنَّ علْمُهُ : إلقاء الفكرة مع التكرار ومع الإتقان ومع التعليم والتَّخْفِيز .

وقال بعضهم : التعليم تنبيه النفوس لِتَصَوُّر المعاني ، أما التعلُّم فتنبه النفس لِثَلَاثِ المعاني ، فَالتَّنْبَهُ الذاتي تعلُّم ، والتنبه القسري تعليم ، وقد حلَّت نظريات التعلم مكان نظريات التعليم ، فالإنسان لا يتعلَّم إلا إذا أراد أن يتعلَّم . وعُنْصُر الاختيار أساسي جداً في التعلُّم ، لذلك بعض الجامعات الآن تُعلِّم الحقائق لا عن طريق التلقين ، بل عن طريق البحث الذاتي ، والبحث العلمي ينمو في الجامعات المتقدمة .

هذا الاسم العظيم اسم العالم ورد في كتاب الله عز وجل بِصِيغٍ كثيرة ، قال تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن : ٢-١] .

أَيَعْقَلُ أن يُعلِّم الإنسان القرآن قبل أن يُخلَق ؟ قال بعضهم : قُدِّم تعليم القرآن على خلق الإنسان تقديماً رُبِّيّاً لا تقدِّماً زمينياً بمعنى أن الإنسان لا معنى لوجوده دون منهج يسير عليه . فالإنسان الشارد الضائع الذي لا يعلم هو دابةٌ مُتَعَلِّتةٌ ، وقيمة الإنسان بالعلم . دخل على مجلس عمر بن عبد العزيز وفودُ المُهَنِّثِينَ ، وتقدَّمَهُمْ وقدَّعَهُم ، وتقدَّم هذا الوفدُ غلامٌ يافع لا تزيد سنُّه على اثنتي عشرة سنة ، فانزعَجَ الخليفة من هذا الغلام الذي يتقدَّم هذا الوفد فقال :

أيها الغلام اجلس أنت وليتقدّم من هو أكبر منك سناً ، فقال هذا الغلام : أ صلح الله الأمير ؛ المرء بأصغرته : قلبه ولسانه ، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحقّ الكلام ، ولو أنّ الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحقّ منك بهذا المجلس ، فذهش الخليفة .

درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة دخل على هشام بن عبد الملك فانزعج الخليفة وقال لحاجبه ، ما شاء أحد أن يدخل عليّ إلا دخل ، حتى الصبيان ؟! فقال هذا الصبيّ الناشئ : أيها الأمير إنّ دخولي عليك لم يُنقص من قدرك شيئاً ولكنّه شرفني ، أصابتنا ثلاث سنين : سنة أذابت الشحم ، سنة أكلت اللحم ، سنة دقت العظم ، ومعكم فضول مال ، فإن كانت لكم فتصدّقوا بها علينا فإن الله يجزي المتصدّقين وإن كانت لنا فعلام تحبسوها عنا ونحن أولى بها ؟ وإن كانت لله فنحن عباده ، فقال هشام بن عبد الملك : والله ما ترك هذا الغلام لنا في واحدة عذراً .

لذلك قالوا : جمال الرجل فصاحته ، وسيّدنا عمر بن الخطاب عملاق الإسلام والخليفة العظيم كهف العدالة ، كان إذا مشى في الطريق من شدة هيبته تفرّق الناس أمامه ، بل إنّ الصغار إذا رأوه تفرّقوا ودخلوا إلى بيوتهم ، وذات مرة مشى في سكك المدينة ورأى غلماناً صغاراً ، فلما رأوه هربوا إلا واحداً منهم بقي رابط الجأش ، فلما وصل إليه قال : يا غلام لمّ لم تهرب مع من هرب ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لست ظالماً فأخشى ظلمك ، ولست مذنباً فأخشى عقابك ، والطريق يسعني ويسعك ، فأعجب الخليفة بجرأته وحسن كلامه ، ثم إنّ الله عز وجل يقول :

﴿ أَقْرَأَ بِأَسْمَائِكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (١) ﴿ أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٣) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ [العلق : ٥-١] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي مَادَمَ ﴾ ولكرامة الإنسان على الله علَّمَهُ البيان (اللغة) ، والشيء الذي يألَفُهُ الناس لا يثير اهتمامهم لألفته لديهم ، ولا يوقظ فيهم حسَّ تعظيم الله الذي تكرم به عليهم . فأنت باللغة تتَّصل مع كلِّ الناس ، فأنت صباحاً تستمع لِنَشْرَةِ الأخبار وكلِّ ما يجري في العالم فيتجمَّع لديك الكثير من المعلومات ، فمثلاً : هنا سَقَطَت طائرة وهنا مَذْبَحَة وهنا قامت حَرْبٌ أَهْلِيَّةٌ وهنا خُطِفَت طائرة وهنا عُقِدَ مؤتمر وهنا . . . أليس كذلك ؟ بهذه الأذن وبهذا التُّطق يدقائِق مَعْدُودَات أَحَطَت بالمعلومات كغيرك وفي بلاد متعددة ، فاللغة أداة اتِّصال بين أفراد النوع ، ويُمكن أن تُعبِّر عن مشاعرك وعن أفكارك بِاللُّغة قال تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

لا زِلْنَا في مَادَّة عِلْمٍ والاسم هو العالم ، قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وقال تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ٣١] .

فهذه كُلُّهَا أفعال العِلْم التي وردت في القرآن الكريم ، وسيُدُنَا

موسى لما التقى بالبعد الصالح استأذنه في مصاحبته ليتعلم منه على الرغم من نبوته وفضله ، قال تعالى :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف : ٦٦] .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ ادْعُوا فَانْشُرُوا فَاَنْشُرُوا اللَّهَ الَّذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

ومن الجدير أن أذكر هذه الفكرة : وهو أن الله سبحانه وتعالى له أسماء كثيرة فمن أسمائه العليم وعلام الغيوب ، ومن أسمائه العالم ، ولكرامة الإنسان على الله أعطاه قوة إدراكية يُصيح بها عالماً ، ولقد بلغت كشوفات الإنسان العلمية حدًا يفوق الخيال .

فانشتانين هذا العالم الفيزيائي الذي اكتشف ما يُسمى بالنظرية النسبية ، وهي أن الخطوط في الفراغ ليست مُستقيمة لكنها مُنحنية ، وأن كل جسم يسير بِسرعة الضوء يُصبح ضوءاً ، والضوء كُلُّهُ صِفر وحجمه لا نهائي ، فأَيُّ جِسم سار بِسرعة الضوء صار ضوءاً ، بل إنه إن سبق الضوء تراجع الزمن ؛ إن سار الجِسم بِسرعة الضوء صار ضوءاً وتوقَّف الزمن ، فإن قَصُرَ عن الضوء تراخى الزمن ، فلو أمكنك أن تنطلق من موقع معركة اليرموك مثلاً وأن تصعدَ إلى الفضاء الخارجي بِسرعة أعلى من سرعة الضوء بعد حين ترى المعركة وهي تقع ، لأنها حينما وقعت صدر عنها موجات ضوئية إلى الفضاء الخارجي قبل ألف وأربعمئة عام تقريباً ، فلو أنت سبقت الضوء لرأيت هذه المعركة كما هي وكأنها تقع الآن أمامك ، ولو سِرْتَ مع هذه المعركة لصارت هذه المعركة أبدية وتوقَّف الزمن ، ولو قَصُرَتْ عنها

لكانت رَحْلَةً في الفضاء ساعة كَأَلْفِ سَنَةٍ على الأرض ، وهو بعض معاني قَوْلِهِ تعالى :

﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧] .

فإذا رَكِبْتَ مَرْكَبَةً فُضَائِيَّةً وَسِرَتْ بِسُرْعَةٍ أَقَلَّ من الضوء قليلاً عندئذ تساوي الساعة في الفضاء الخارجي مئة عام في الأرض ، فالله عز وجل سَمَحَ لهذا الإنسان أَنْ يَعْلَمَ ، وإنَّ الله عَالِمٌ يُحِبُّ الْعَالِمَ وَرُتَبَةُ الْعِلْمِ أَعْلَى الرُّتَبِ ، فَلِذَلِكَ حينما يُغْفَلُ الإنسان قيمة الْعِلْمِ في حياته أو حين لا يعتني بِإِذْرَاكِهِ ولا يَعْتَنِي بِالْعِلْمِ ولا يَطْلُبُهُ يَهْبِطُ عن مُسْتَوَى إِنْسَانِيَّتِهِ إلى مُسْتَوَى لا يليق به ، والشيء الدقيق أَنَّ :

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ [يوسف : ٧٦] .

يُزَوَّى قبل سِتِّينَ عاماً فيما أذكر أَنَّ أحد شيوخ الأزهر قَدِمَ إلى الشام ، وشيخ الأزهر في مِضْرٍ يُساوي مَرْتَبَةً علمية عالية ، وله أيضاً مرتبة إدارية مرموقة في مستوى رئيس وزارة ، فَجَلَسَ في مجلس الشيخ بذر الدين الحسني العالم المشهور بدمشق ، وكان يَمْلَأُ هذا الكرسي لأنَّ مَرْتَبَتَهُ العلمية العالية ، ومرتبته الإدارية تسمحان له بذلك ، فلما سَمِعَ عِلْمَ الشيخ بذر الدين غَيَّرَ من جَلَسَتِهِ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ .

وأحياناً يكون الإنسان في مجلس لا يستطيع أحدٌ أَنْ يُرَدَّ عليه فَيَتَكَلَّمُ بما يشاء ، فإذا اِكْتَشَفَ أَنَّ في المجلس من هو أعلم منه يسْكُتُ ولسان حاله يقول : سَكْتُ إِجْلَالاً لِعِلْمِكَ ، والإنسان من حِكْمَتِهِ البالغة أَنَّهُ إِنْ كَانَ في المجلس من هو أعلم منه عليه أَنْ يُلْزَمَ

الصف ، فإذا تكلم في حضرة من هو أعلم منه فقد أساء الأدب ، ولكن الذي يعلم قد زنه أدب العلم ، فتراه يُضغي للحديث بِسْمِعِهِ وبِقَلْبِهِ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ .

من الآيات التي وردت فيها كلمة العالم قوله تعالى : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ ، والنبى عليه الصلاة والسلام حدثنا عما يقع في آخر الزمان وعن أحوال أهله فقال :

« إِذَا رَأَيْتَ شُحْحًا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَتَامًا الصَّبْرُ فِيهِمْ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ » [رواه الترمذي] .

وإذا وُسدت الأمور لِغَيْرِ أَهْلِهَا فانتظر الساعة ، وروي أن من علامات قيام الساعة أن يكون المطر قَيْظًا ، والولد غَيْظًا ، ويفيض اللثام فيضًا ، ويفيض الكرام غيضًا ، ومن علامات قيام الساعة أن يُصَدَّقَ الكاذب ، وَيُكَذَّبَ الصادق ، وأن يُؤْتَمَنَ الخائن وَيُخَوَّنَ الأمين . أحاديث كثيرة ثَبَّأَنَا بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قال :

« صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأُسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجُنَّ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا » [رواه مسلم] .

كيف أَنَّهَا كَاسِيَةٌ عَارِيَةٌ ؟ إما أَنَّ ثِيَابَهَا تَشِفُّ عما تحتها فهي كَاسِيَةٌ فيما يبدو ، وَلَكِنَّهَا عَارِيَةٌ لما يشفُّ عما تحت ثيابها ، أو أَنَّهَا ضَيِّقَةٌ

تَصِفُ حُجْمَ أَعْضَائِهَا فِيهِ كَاسِيَّةٌ عَارِيَّةٌ وَمَانِلَةٌ مُمِيلَةٌ ، فَالْعَنُوهُنَّ لِأَنَّهُنَّ
مَلْعُونَاتٌ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ قَالَ تَعَالَى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٦] .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :
« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُذَرِكُوهُنَّ ،
لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا إِلَّا فُشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ
وَالْأَوَجَاعُ النَّبِيُّ لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَوْنَةِ وَجَوْرِ الشُّلْطَانِ
عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا
الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بِغَضِّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ
تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ
بَيْنَهُمْ » . [رواه ابن ماجه] .

أليس هذا الحديث من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ؟
فهذا الحديث من أروع الأحاديث في دقة معانيه ووضوحها وما يشف
عن غيب المستقبل ، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام معنا .

هذا الاسم العالم ورد كثيراً مع الغيب والشهادة فقد قال عز
وجل : ﴿ وَلَمْ يَمَسَّكَ فِي أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١٣] .

عالم الغيب والشهادة فكل ما هو واقع هو من عالم الشهادة ، وكل
ما لم يقع هو من عالم الغيب . فالله سبحانه وتعالى عالم الغيب وعالم
الشهادة ؛ عالم الغيب والشهادة فهناك شيء يغيب عنك لبعد مكانه ،
وهناك شيء يغيب عنك لبعد زمانه ، فأنت الآن في الشام لا تدري

ما هو الآن كائن في حلب ، وفي الساحة الفلانيّة وفي المكان الفلاني لا تدري ما يكون في حلب ؛ فهو من علم عالم الشهادة ولكنه بعيد عنك ، فالذي بينك وبينه مسافات طويلة هو من عالم الغيب غيب الحاضر ، فهناك غيب الماضي هو بُعد زماني ، وغيب المستقبل بُعد زماني ، ولكن غيب الحاضر بُعد مكاني ، فالله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة ، ومن هنا كان سيدنا رسول الله ﷺ إذا سافر دعا بهذا الدعاء : « اللهم ! أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل والمال » ، هو معك لأنه عالم الشهادة ، وهو مع أهلِكَ لأنه عالم الغيب ، فإذا دعا الإنسان بهذا الدعاء قبل أن يسافر يُلقِي الله في قلبه الطمأنينة والسكينة ، لأن الله تعالى كما يقول :

﴿ قَالَ هَٰذَا خَيْرٌ حَفِظْتُ وَأَنَا رَحِمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] .

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المرضة التي مات فيها فقال له يا أمير المؤمنين ! إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عائلة ولا بد من شيء يصلحهم فلو أوصيت بهم إلي أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم إن شاء الله ، فقال عمر : أجلسوني فأجلسوه ، فقال : الحمد لله ، أبالله تخوفني يا مسلمة ؟ أما ما ذكرت من أنني فطمت أفواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عائلة فإنني لم أمنعهم حقاً هو لهم ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم ، وأما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله فجعل الله من أمره يسراً ورزقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غير وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه ، ادعوا لي بني فدعوه ، وهو يومئذ اثنا عشر

غلاماً فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ،
ثم قال : بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم ، يا بني ! إني قد تركتكم
من الله بخير إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق
واجب إن شاء الله ، يا بني ! ميلت رأبي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين
أن يدخل أبوكم النار فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول
أيكم يوماً واحداً في النار قوموا يا بني عصمكم الله ورزقكم ، قالوا :
فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر .

وذكر أن أبا جعفر المنصور قال لعمر بن عبيد عظمي ، قال : بما
رأيتُ ، أو بما سمعتُ ؟ فقال : بل بما رأيتُ ، فقال : توفي عمر بن
عبد العزيز - رحمه الله - وخلف أحد عشر ابناً ، وبلغت قيمة تركته
سبعة عشر ديناراً ، فكفن بخمسة دنانير واشترى له موضع قبره
بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده ثمانية عشر قيراطاً ، ومات
هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابناً فحصل لكل واحد من ورثته
مما خلفه عشرة آلاف دينار ، فرأيت رجلاً من أولاد عمر بن
عبد العزيز قد حمل على مائة فرس في سبيل الله ، ورأيت رجلاً من
أولاد هشام يسأل الناس .

بإمكانك أن تُسافر وأنت مُطمئنٌ إلى سلامة أهلِكَ لأنَّكَ دعوتَ الله
وهو الذي يعلم الغيب والشهادة فيحفظهم في غَيْبِكَ ، قال تعالى :

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّوكَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

أحد مصادر قوة المؤمن أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة ، فقد يُلْهِمُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْاِحْتِيَاظَ مِنْ عَدُوِّهِ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ ؛ يَعْلَمُ الشَّهَادَةَ الَّتِي يَشْهَدُهَا الْمُؤْمِنُ وَيَعْلَمُ مَا يَغِيبُ عَنِ الْمُؤْمِنِ ، مَثَلًا لَوْ كَانَ هُنَاكَ فَرِيقَانِ ، وَكِلَاهُمَا يَكِيدُ لِلْآخَرِ ، وَكِلَا أَعْضَاءِ الْفَرِيقَيْنِ لَا يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُ خَصْمُهُ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ مَعَ اللَّهِ ، فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُ أَعْضَاءُ الْفَرِيقِ الْآخَرِ ، فَيُلْهِمُ الْأَوَّلَ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِتَنْدِيرِ خَصْمِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] .

فإذا كنت مع الله فمن يستطيع أن يكون عليك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ لأن الله مع خصمك يعلم سره ونجواه ويلهمك الصواب في كل موقف وتأخذ لنفسك الحيلة وتحذر ، قال تعالى :

﴿ عَلِمُوا الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ الْكُبْرَ الْمُتَعَالَى ﴾ [الرعد : ٩] .

الله جلّ جلاله هو العليّ الأعلى الوهاب ، قال تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٢] .

وقال تعالى :

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سبا : ٢] .

فإذا تولى إنسان أمراً وغاب عن علمه فيجري على غير بصيرة ، فيقال عنه : جاهل وسبب عمله وضعيف الضبط وما استطاع أن يضبط أموره ، أما الله سبحانه فكل شيء يدخل إلى الأرض يعلمه وكل شيء يخرج منها يعلمه ولا تخفى عليه خافية ، وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبا : ٣] .

وقال تعالى :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

تصوّر أنّك تمشي في بُستان أيام الخريف ؛ كم من ورقة تسقط في الخريف ؟ إذا كان أربعة أخماس الأشجار أشجاراً مُتساقطة الأوراق ، فكَم ورقة تسقط في الخريف ؟ عددها كبير جداً ، والصيغة صيغة قصر . قال تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ فإذا كان يعلم سقوط كل ورقة ؛ ألا يعلم ما يدور في ذهنك ؟ وما تنوي أن تفعل ؟ .

لذلك . . . من الآيات التي تلفت النظر أنّ الحجّ كلّهُ من أجل أن تعلم أنّ الله يعلم أن المؤمنين سيملؤون جنات هذا المكان المقدس ، ويكونون مصدر رزق لسكانه الذين سكنوه وهو غير ذي زرع ، والكون كلّهُ من أجل أن تعلم أنّ الله يعلم ، قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سبا : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

إن الله سبحانه يعلم ما تنطوي عليه النفس البشرية ، وما تُكِنُّ وما تُسِرُّ ، وما يخفى عليها وما تحلم به وما يدفعها وبواعثها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ . وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

وفي الزمر قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وفي سورة الحشر قال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢] .

وفي سورة الجمعة ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة : ٨] .

وفي سورة التغابن ، قال تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [التغابن : ١٨] .

وفي سورة الجن ، قال تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٦] .

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١] .

آيات كثيرة جداً وردت فيها كلمة عالم ، وهناك علام وعليم ؛ علام الغيوب ، سميع عليم ، ويبدو أن أكثر الآيات التي وردت فيها

كَلِمَةُ الْعَالِمِ وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَرَدَّتْ مُقْتَرَنَةً بِعَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَيْ أَنَّ الْغَيْبَ مَا غَاب عَنْكَ ، وَالشَّهَادَةُ مَا تَشْهَدُهُ ، فَإِذَا وَكَلَّتْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ يُدَافِعُ عَنْكَ فِيمَا تَشْهَدُهُ وَفِيمَا هُوَ غَائِبٌ عَنْكَ .

أَمَّا مُلْحَضُ هَذَا الْبَحْثِ أَوْ التَّطْيِيقُ الْعَمَلِيُّ لَهُ فَهُوَ كَمَا يَلِي :

رَاقِبْ نَفْسَكَ ؛ فَلَوْ طَرَقَ بِابِكَ إِنْسَانٌ كَرِيمٌ لَهُ هَيِّئَةِ وَمَكَانَةِ وَعَالِمِ وَوَقُورٍ ، وَدَخَلَ إِلَى الْبَيْتِ فَكَيْفَ سَتَتَصَرَّفُ ؟ سَتَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا حَكِيمًا ؛ تَنْتَقِي أَجْمَلَ الْأَلْفَاظِ وَأَنْتَ تَرْحُبُ بِهِ وَتَحَادِثُهُ ، وَتَرْتَدِي أَجْمَلَ الثِّيَابِ ، وَتَجْلِسُ أَمَامَهُ جُلْسَةً مُؤَدَّبَةً ، فَإِذَا كُنْتَ تَهَابُ رَجُلًا مِنْ بَنِي جِلْدَتِكَ لَهُ مَكَانَةٌ فِي قَوْمِهِ وَتَأَدَّبُ فِي مَجْلِسِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ؟ وَكَيْفَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ؟ وَكَيْفَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ؟ وَكَيْفَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ؟ وَكَيْفَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ؟ وَكَيْفَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ؟ وَكَيْفَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا سَيَكُونُ وَيَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ .

لِذَلِكَ يَرَوِي عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » . وَهَذَا يَخْفِزُ الْمُؤْمِنَ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ رَبِّهِ فِيهِابُهُ وَيَسْتَجِدِّي رَحْمَتَهُ وَتَوْفِيقَهُ .

هَلْ يُمَكِّنُكَ إِذَا كُنْتَ تَرْكَبُ مَرْكَبَةً وَالْإِشَارَةُ حُمْرَاءَ وَالشَّرْطِي وَاقِفٌ ، وَالضَّابِطُ مُوجِدٌ ، وَشَرْطَةُ الدَّرَاجَاتِ مَتَرَبِّصُونَ ؛ هَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَجَاوَزَ الْإِشَارَةَ الْحُمْرَاءَ ؟ لَا . لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَنْ تَنْجُوَ مِنْهُمْ

جميعاً ، فكيف إذا علمت أن الله معك دائماً وأنت في قبضته ، ولن تستطيع أن تفلت من عقابه أبداً .

فيجب أن تعلم أن الله يعلم علماً مطلقاً ، فإذا علمت أن الله يعلم ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ، استقمّت على أمره ، وإن استقمّت على أمره ، سعدت بقربه في الدنيا والآخرة .

* * *

المبين

من أسماء الله الحُسنى المبين ، وهو اسم كما هو معلوم زائد على التسعة والتسعين التي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله جل جلاله في سورة الرحمن : ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن : ٤١] .

البيان هو الإفصاح والتعبير والكشف والإبانة والتوضيح ، ولأنَّ البيان يطرد الشيطان ؛ وُضِّحَ ، بَيِّنَ ، فَصِّلَ ، وَنَّوَّهَ ، وَاشرحَ : ائتِ بالدليل .

لذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان مع زوجته صَفِيَّةَ مرَّ به صحابيَّان أنصاريَّان في الطريق فقال : « على رِشْلِكِما إنها صَفِيَّةٌ » ، قالوا : سبحان الله ! يا رسول الله ؟ قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ » .

« البيان يطرد الشيطان » . وأنا أعْرِفُ أناساً كثيرين تجد أحدهم أكثر مُشْكَلَتِهِ في صِفَتِهِ ؛ يَنْسَكُ وَلَا يُوضِّحُ ، قد يكون بريئاً وطاهراً وسليم الصدر حَسَنَ النَّيَّةِ ، لكنَّ صِفَتَهُ الدائم هو الذي يُثِيرُ حَوْلَهُ الشبهات ؛ إِذَا وُضِّحَ ، بَيِّنَ ، « إنها صَفِيَّةٌ » . سبحان الله ! يا رسول الله ؟ قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي

خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا» .

البيان هو الإظهار ، إظهار المقصود بآبلغ لفظ ، وهو الفهم وذكاء القلب ، بل إن صفة البيان من امتنان الله عز وجل على الإنسان ، ومن أخص خصائص الإنسان البيان والقدرة على التعبير ، والتعبير عن الأفكار وعن التصورات والمشاعر وعن العواطف ، والتعبير عن الحاجات وعن الطموحات ، وكل ما يعتلج في نفس الإنسان من أفكار وتصورات وأهداف ، ومن مشاعر وعواطف وخواطر يمكن أن يعبر عنها ، فالبيان من أخص خصائص الإنسان ، فيمكن أن يعبر عنها بلسانه ، ويمكن أن يعبر عنها بقلمه ، ويمكن أن يصغي إليها بأذنه ، ويمكن أن يفهمها بعقله ، فإذا كان الكلام إلقاءً وتلقياً بقي محصوراً في المتعاصرين ، أما إذا كتبت وقرئ انتقل من جيل إلى جيل ، ومن أمة إلى أمة ، ومن قارة إلى قارة ، لذلك قال تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ .

ثمانية وعشرون حرفاً يمكن أن يصنع منها بلايين الكلمات ، وملايين وملايين الأفكار والمشاعر والمقولات .

من أسماء الله الحسنى المبين . واللغة تذكر أن البينة هي الدلالة الواضحة ، قال تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة : ١] .

هذه الآية إشارة إلى مجيء سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ البينة : الدلالة الواضحة عقلية كانت أم محسوسة ، وفطرية كانت أم واقعية ، وكل مثقف يعلم أن هناك دليلاً فطرياً ودليلاً عقلياً ودليلاً نقلياً ودليلاً واقعياً ، وكنت أكثر الحديث حول هذه الفكرة .

الحق دائرة يتقاطع بها خط النقل مع خط العقل مع خط الفطرة وخط الواقع ، الحق الذي ينبغي أن تعتقد به جاء به النقل الصحيح ، وأيدّه العقل الصريح ، وأطمأنت إليه الفطرة السليمة ، وأكّده الواقع الموضوعي ؛ الحق هو الذي ينبغي أن تعتقده وتؤمن به وأن تدافع عنه ، وأن تُقنّي شبابك من أجله وأن تستهلك عمرك الثمين في سبيله ؛ هو الذي جاء به النقل الصحيح ، وأقرّه العقل الصريح ، وأطمأنت إليه الفطرة السليمة ، وأكّده الواقع الموضوعي . والحق هو الله ، والله من أسمائه الحق ، الله جل جلاله خلق الكون ، فالكون خلقه ، وأنزل القرآن ، والقرآن كلامه ، وجبل النفوس جبلّة خاصّة ، فالفطرة ما جبلنا عليه ، والعقل مقياسٌ أودعه في الإنسان ، وخلق الواقع على نظام دقيق ، فالواقع خلقه ، والقرآن كلامه ، والعقل أداة أودعه فينا ، والفطرة جبلّة جبلنا عليها ، فالحق - ولا بأس أن أكرر - هو الذي يأتي به النقل الصحيح مع العقل الصريح مع الفطرة السليمة مع الواقع الموضوعي .

سُمّي الكلام بياناً لأنه يكشف عن المعنى المقصود ؛ مثلاً طفلٌ صغير دخل في جسمه من قِماطه دبوس فبكى بكاءً مُراً ، فحار أهله في سبب البكاء ساعاتٍ طويلة ، أطعموه فلم يقبل ، وسقوه فلم يقبل ، وحملوه فلم يسكت ؛ لو قال : إنّ في جسمي دبوساً انزعوه مني لانتهى الأمر ، عوّض أربع ساعاتٍ من البكاء ، لكن الطفل الصغير لا يُبين ولا يستطيع أن يُعبّر عن حاجته إلا بالبكاء ، والبكاء لغةٌ ضبابيّة عامّة ؛ فهو يلقي يا ترى أجائع هو أم عطشان أم مُتألّم أم أصابه مَغص هضمي ؟ لا ندرى ؛ فالبيان من أخص خصائص الإنسان .

وقال بعضهم : التَّيَّان هو الكشف والإيضاح والتبيين والتثبت ، وقد وردت مادة البيان والإبانة في مواطن من القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩] .

الإنسان أحياناً يتوهم جهلاً أو تجاهلاً أو تقصيراً في البحث العلمي أو غباءً ؛ يتوهم أنّ الدين لا يقوم على أيّ أساس ، بل إنّ كلّ شيء سوى الدين لا يقوم على أساس ؛ لستم على شيء ولستم على حقيقة ولا على بيّنة ، ولستم على دليل ولا على برهان إلا بالدين ، من أخصّ خصائص الإنسان أنّه يملك الحجة البالغة ، والدليل القاطع ، ويتحرّك وفق مبادئ ، ويتّجه نحو أهداف ثابتة ، ولا يمكن أن يُفاجأ المسلم في وقتٍ من الأوقات بأنه اعتقد خطأ ما دامت عقيدته مُستمدّة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ .

يقولون أحياناً : إنّ فلاناً إيمانه في قلبه ولا يستطيع أن يجهر به ؛ ما قيمة هذا الإيمان إذا بقي على شاكلة أناسٍ مُتعلّتين ؟ وقال : أنا إيماني في قلبي ! هذا كلام غير مقبول ، إنّ الإيمان إذا استقرّ في القلب حقيقة لا بد أن يعبر الإنسان عن وجوده بكلام ينطقه ، أو بسُلوِك يسلكه ، أو بدعوة ينشرها ، أو بعمل يُمارسه ، أو بصدقة يُنشئها ، أو بخير يفعلُه ، وعلامة الإيمان التحرك ، والإيمان حركة ولا يوجد مؤمن سكوني ، والمؤمن لا يكون سلبياً ، وليس هناك مؤمن لا يتمنى

هداية الخلق ، ولا ينحط عن طريقة يُعرّف الناس إلى ربّهم ، لذلك ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى يُعبّر عن إيمانه بحركة وبدعوة وكلام ونُصح وأمر ونهي وإعطاء وبِمنع وبِصلة وبِقطيعة وولاء وبراء ، فلا بد من حركة قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَبَصُرُوا أَوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِكُفْرِهِمْ مِنْ الْآخَرِينَ وَلَمَّا هَاجَرُوا مَا لَكُم مِّن لَّيْسِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ هَاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَضَعُوا كُفْرًا فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ [الأنفال : ٧٢] .

لذلك أن تكتُم علماً ولا تُبينهُ ، يعني أنك وقعت في كبيرة من الكبائر ؛ فكتمان العلم أمر خطير ، وربنا عز وجل وصف دُعائِهِ الصادقين بِصِفَةٍ واحدة ، وهذه الصِّفة تُغني عن آلاف الصِّفات ؛ فالداعية الصّادق لا يخشى إلا الله ، فلو خشي أحداً غير الله لتكلّم بالباطل إرضاءً لمن يخافهُ ، ولَسَكَت عن الحق خوفاً ممن يخافهُ ، فإذا تكلّم بالباطل وسَكَت عن الحق ماذا بقي من دعوته إلى الله تعالى ؟! قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَلْفُفُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَاسِبًا ۝ [الأحزاب : ٣٩] .

أذكر مرةً أني قرأت حدثاً واحداً لكنّه مُعَبَّر ؛ وذو دلالة بالغة ، والي البصرة جاءه كتاب من الخليفة يزيد يأمره بشيء لا يُرضي الله عز وجل ، وكان عنده الإمام الحسن البصري من الأئمة الأعلام ومن التابعين ؛ ووقع هذا الوالي في حيرة ، أَيْتَفَذ أمر يزيد ويُغضب الله عز وجل ؟ أم يرفض أمر يزيد فيرضي الله ويُغضب يزيد ؟ ولعلّه يخلعه من

عَمَلَهُ ، فاستشار الإمامَ الحسنَ البصري ، فقال هذا الإمامَ كَلِمَةً تُكْتَبُ بماء الذهب ، قال : « إِنَّ اللَّهَ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدَ ، وَلَكِنْ يَزِيدُ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ اللَّهِ » ، وفي الحديث الصحيح :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عِلْمُهُ ثُمَّ كَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » [رواه الترمذي] .

لكن بالمقابل لو سُئِلْتَ عن شيءٍ وأنت لا تعلمُهُ قل : لا أَدْرِي بِمِلْءِ فَمِكَ ولا تَسْتَحِ ، لأنَّ نِصْفَ الْعِلْمِ لا أَدْرِي ، أحمد بن سنان قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي قال : كنا عند مالك فجاء رجل فقال : جئتكَ من مسيرة ستة أشهر حملتني أهل بلادي مسألة قال : سل فسأله عنها فقال : لا أحسن قال : فأبي شيء أقول لأهل بلادي قال : تقول : قال مالك لا أحسن .

كُنْ مَوْضُوعِيًّا فهذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يُسأل عن أمر أو مسألة لم ينزل عليه الوحي فيه لا يُجيب وهو سيّد العلماء وسيّد الخلق ، مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عِلْمُهُ ثُمَّ كَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ .

لذلك قال العلماء : « أمانة الأنبياء أمانة التبليغ ، أما أمانة العلماء فأمانة التبیین ، فالأنبياء أمانتهم تبليغ ، والعلماء أمانتهم تبیین » . وفي الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

بيّنات كما قال عليه الصلاة والسلام :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ

قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودَعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبِشِيًّا ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالْوَجَاحِدِ ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَيْفِ حَيْثُمَا انْقَادَ انْقَادًا » [رواه أحمد] .

فَلِلْمُؤْمِنِ مِيزَةٌ قَدْ يَغْفُلُ عَنْهَا ، أَنْتَ عَلَى الْحَقِّ ، وَمَعَكَ الدَّلِيلُ ، وَالْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ ، وَأَنْتَ تَسْتَنِيرُ بِنُورٍ مِنَ اللَّهِ ، وَتَقْرَأُ الْوَحْيَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْوَحْيُ نِدَاءُ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَنْتَ حِينَما تَجْلِسُ إِلَى آلَةٍ بِالِغَةِ التَّعْقِيدِ وَتُحَاوِلُ أَنْ تَفْهَمَهَا مِنْ خِلَالِ تَحْرِيكِ الْأَزْوَاجِ قَدْ تُعْطِلُهَا ، وَقَدْ لَا تَفْهَمُ حَقِيقَةَ عَمَلِهَا وَلَا طَرِيقَةَ اسْتِعْمَالِهَا وَلَا طَرِيقَةَ إِيقَافِهَا وَلَا طَرِيقَةَ صِيَانَتِهَا ، وَقَدْ تَسْأَلُ فَتَأْتِيكَ أَجْوِبَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ ، وَقَدْ تَأْتِيكَ التَّعْلِيمَاتُ فَلَا تَفْهَمُهَا ، وَقَدْ تَسْأَلُ مِنْ عِنْدِهِ مِثْلَ هَذِهِ الْآلَةِ وَيَغْفُلُ عَنْ بَعْضِ حَرَكَاتِهَا ، أَمَا إِذَا جَلَسْتَ إِلَى مُخْتَرِعِهَا وَصَانِعِهَا وَسَأَلْتَهُ فَجَوَابُهُ صَحِيحٌ ، حَقٌّ مِثَّةً بِالْمِثَّةِ .

لِذَلِكَ هُنَاكَ عُلُومٌ تَجْرِبِيَّةٌ ، وَعُلُومٌ دِينِيَّةٌ أَصْلُهَا الْوَحْيُ ، فَالْوَحْيُ قَطْعِيٌّ فِي صِحَّتِهِ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يُبْشَكُ مِثْلَ خَبِيرٍ ، أَحَدُ الْأَطِبَّاءِ وَهُوَ مِنَ الْعُلَمَاءِ اسْتَنْبَطَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ لِلْإِنْسَانَ أَنْ يَشْرَبَ مَا شَاءَ مَعَ الطَّعَامِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

« مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ لَقِيمَاتٌ يَقْمَنُ صُلْبُهُ ، فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ ، فَتُلْتُ لِلطَّعَامِ ، وَتُلْتُ لِلشَّرَابِ ، وَتُلْتُ لِلنَّفْسِ » . [رواه ابن ماجه] .

وبقي هذا الطبيب وهو أستاذ جامعي يؤكد لطلابه خلال عشرين عاماً أنه لا مانع من شرب الماء مع الطعام بالقدر الذي تريد ، على حين أن بقية الأطباء يرددون نظرية درسوها في الجامعات الغربية ، من أن شرب الماء مع الطعام يمدد العصارات الهاضمة ويضعف الهضم ، فلا بد من أن تنتظر ساعات ثلاث حتى تشرب من الماء ما تشاء ، وهذا الأستاذ الذي استنبط من حديث رسول الله هذه الحقيقة يدافع عن رأيه بشكل مختصر .

فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، والنبي ﷺ ينطق عن الوحي والله الخبير . إلى أن ثبت علمياً قبل سنة ونيف وقد نُشر هذا في مجلة أبحاث علمية مرموقة جداً ، أن شرب الماء مع الطعام يُعين على الهضم ، فمهما أكثر من شرب الماء فلا يضر ذلك لأنه يحث العصارات الهاضمة على الإفراز ، والطعام إذا تخلل الماء أمكن للعصارات الهاضمة أن تتغلغل في كل أنحائه وأن تُعين على هضمه ، فالأصل هو الوحي فكل شيء يُخالف الوحي فيه خطأ ؛ بدت لك حقيقته أو لم تبد ؛ فالمؤمن يُصدق الله عز وجل .

قال تعالى :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهْتُمْ فَلَوْبُهِمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمِ يُوقُنُونَ﴾ [البقرة : ١١٨] .

المشكلة حلقة مُفرغة ، فالجاهل ينتظر أن يهديه الله وأن تأتيه مُعجزة ، وأن يرى الله جهرة ، وأن يرى كتاباً أنزل من السماء ، وأن يرجع ميت من قبره فيحدثه : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ

تَأْتِيَنَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٢٠﴾ .

الحقيقة بينها وانتهى الأمر إلى ما هو في وضوح الشمس ، والكون كله ينطق بعظمة الله ، وبوحدانية الله ، وبكمال الله ، والقرآن كله ينطق أنه كلام الله من خلال إعجازه ، والقرآن ينطق أن هذا الذي جاءه الكتاب هو رسول من عند الله ، فالله بين وانتهى الأمر إلى غاية الوضوح ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ عَيْنَا لِلْهَدَىٰ ۖ وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۖ ﴾ [الليل : ١٢-١٣] .

فالله هدى الناس ، وبقي أن تستجيبوا أنتم .

قال تعالى :

﴿ يَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشُرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

بقي لك أن تستجيب ؛ هداك بالكون ، وأعطاك العقل ، وجبلك على فطرة سليمة ، وجعل الحوادث كلها تؤيد كلامه في القرآن ، بل إن حوادث الكون تأويل للقرآن الكريم ، النقطة الدقيقة هنا أنك إذا أردت الهدى وجدته في كل شيء ، وإذا أعرضت عنه لم تجده في أوضح الأشياء ، فهناك من عاش مع النبي ﷺ ؛ ألم ير النبي ﷺ وكماله ومنطقه وأخلاقه ومعجزاته ؟ ألم يقرأ هذا الكتاب الذي أنزل عليه ؟ ومع ذلك لم يؤمن ، وقد يأتي إنسان في آخر الزمان ، ولم ير النبي ﷺ ولم يجلس إليه ولم يستمع إلى أقواله ولم ير معجزاته والنورانيات التي كانت تُشع منه ﷺ ، ومع ذلك يؤمن به ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٧] .

والحقيقة أَنَّ الإنسان كلُّما ارتقى يخاف بعقله ، وكلُّما هبط مُستواه يخاف بعينه ، فالحيوان يخاف بعينه ، والإنسان الذي أنكر إنسانيَّته وعطل عقله ، لا يخاف إلا بعينه ، والكافر متى يَفْزَع ؟ حينما يأتيه ملك الموت ، ومتى يخاف ؟ حينما يقترب أجلُّه ، ومتى يضطرب ؟ حينما تأتيه المُصيبة ، أما وهو في البُخبوحة والرخاء فلا يُبالِي إطلاقاً بهذا الحق ؛ لذلك فالذي يخاف بعينه أقلُّ مرتبةً من الإنسان الذي يخاف بعقله ، أما الذي يخاف بعقله فهو الإنسان العاقل .

وأما الأمر الثاني فقد قال تعالى :

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنْ إِلَهِهِمْ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِّنَ نِّعْمَةِ اللَّهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ لَنَقُولَنَّ مَا تَكُنُونَ قُلُوبُكُمْ يَسْتَلُونَكَ قُلْ اللَّهُ غَنِيُّ عَنَّا وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَّا تَكُنُ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ مِّنْهُ لَتَكُنَّ لَكُم مِّنْهُ لَئِنْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

هناك معنى دقيق جداً ، أحياناً يتناول الإنسان مادة أولية ليصنعها ، فهو لا ينتفع بها إلا إذا صنَّعها ، فالخشب مثلاً : لو اشترى إنسان شجرة ووضعها في البيت ماذا يفعل بها ؟ إِنَّ هذه الشجرة تُشْرَح إلى ألواح ، وتصنع قِطعة أثاث يستخدمها وتُطلى بِطلاء جميل ، فهناك مواد أولية كثيرة جداً ليست لها قيمة بذاتها إلا إذا صنَّعت ، وبعض النبات لا يُؤكل إلا إذا طُبَّخ ، فهذه الآية دقيقة جداً ، يقول الله عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

﴿ لَا يَأْخُذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ أَوْ عَصَيْتُمْ أَوْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهُ فَمَنْ لَّيْسَ بِكُم بِكُفَّارٍ وَلَا نَكَّارٍ فَمَنْ هُوَ كُفَّارٌ فَإِنَّهُ مُجَرَّبٌ وَمَنْ هُوَ نَكَّارٌ فَإِنَّهُ مُجَرَّبٌ وَمَنْ هُوَ شَاكٍ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

أَيْمَنَّاكُمْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ [المائدة : ٨٩] .

يجب على المؤمن أن يتناول هذه الآيات وأمثالها بالدراسة والتفكير فيها ، كي يعقلها ويستفيد منها ، ولتكون مُتَكَّأً للوصول إلى الله عز وجل .

إِذَا عَلَيْكَ **مُهَمَّةٌ** ، فالشمس مَوْجُودَةٌ وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَرَى الشَّمْسَ سَاطِعَةً ، لَكِنَّكَ مُخْتَلَجٌ إِلَى أَنْ تُفَكِّرَ فِيهَا كَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْحَيَوَانَاتِ حِينَمَا الْبَقَرُ وَالِدَوَابُّ وَالْأَنْعَامُ حِينَمَا تَمِيلُ الشَّمْسُ إِلَى الْغُرُوبِ تَتَّجِهَ إِلَى **إِصْطِبْلِهَا** ؛ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْحَيَوَانَ يُدْرِكُ أَنَّ الشَّمْسَ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ أَمَّا الْإِنْسَانُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ مِنْ خَلْقِهَا وَمِنْ كَوْنِهَا وَمِنْ رَفْعِهَا وَمِنْ جَعْلِهَا مُتَلَهَّبَةً ؟ .. وَيَدْرِكُ أَنَّهَا مُضَرٌّ حَرَارَةً لِلْأَرْضِ وَإِنَارَةٌ : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

ومعلوم يقيناً أنّ هناك في الكون آيات لا تُعدّ ولا تُحصى ، وأنّما اِلْتَفَتَ المرء وسار واتّجّه وجلس ونظر رأى الآيات تُحيط به من كلّ جانب ، لذلك فالعبرة أنّ تعكف على هذه الآيات وتُفَكِّر فيها ، ومن هنا قال الله عز وجل :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

هناك آية تحمل العظة ، والدلالة واضحة جداً في سورة النساء ،
يقول الله تعالى :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿النساء : ٢٦﴾ .

البيان الإلهي من ثمرات إرادة الله عز وجل ؛ أحياناً الإنسان يضرب ابنه ولا يريد أن يضربه ، وأحياناً يتناول الدواء وكان يتمنى ألا يتناوله ، فليس كل فعل متوافق مع الإرادة ، فالإنسان يفعل أشياء مضطراً لكن هذه الآية دلالتها دقيقة جداً ؛ فالله يريد ليبين لنا ، وليعرفنا ، وينقلنا من الجهل إلى العلم ، ويخرجنا من الظلمات إلى النور ، ومن الضياع إلى الوجدان ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الشقاء إلى السعادة : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

وقال تعالى :

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٢٧] .

يقول له : لِمَ لا تُصلي يا أخي ؟ فتجد الجواب : إلى أن يهديني الله ، فهذا الكلام مضحك ، وغير علمي ، فالله عز وجل خلقك ليهديك .

الذي أراه أن الله سبحانه وتعالى رحمةً بعباده يُنوعُ لهم أساليب الهدى ، وأودعَ فيهم العقول ليَهْتَدُوا ، وأودعَ فيهم الفطر السليمة لتكون مقياساً لهم لأعمالهم ، وسخرَ لهم السموات والأرض ؛ ليكون هذا الكون مظهراً لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى ، وجعل أفعاله مُتطابقةً مع أقواله كي يحصل الانسجام في الكون ، فالله وعد المُرابي بحرب قال تعالى :

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُورٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَنْظِلُمُونَ وَلَا تَنْظَلُمُونَ﴾ [البقرة : ٢٧٩] .

تجد دائماً وأبداً الذي يجمع المال الحرام يُدمّر ماله ؛ توافق أفعال الله مع كلامه شيءٌ مُهمٌ جداً ، قال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

حياة المؤمن طيبة ، وهو شيء جميل ينوه الله تعالى إليه في القرآن وتؤكداه الدراسة الميدانية ، فإذا اجتمعت مع الشباب المؤمن تجدهم حقاً يعيشون حياةً طيبةً ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى ﴾ [طه : ١٢٤] .

لو تتبعت أحوال أهل الدنيا لوجدتهم يعيشون معيشةً ضنكاً ، تطابق أفعال الله مع كلامه نوع من البيان ، فالكلام نظري والتطبيق عملي .

ويقول الله عز وجل :

﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۚ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة : ١٦١٥] .

كلمة سلام ؛ فالسلام مُريح جداً ، والسلام الذي أرادَهُ الله عز وجل هو السلام الذي من أسمائه تعالى ، لأن الله جلّ جلاله أصل كل سلام في الأرض ، والإنسان قد يسلم مع نفسه فهو مُطمئنٌ إليها ، قال تعالى : ﴿ يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الطَّمِينَةُ ۖ ۚ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ۖ ۚ فَأَدْخُلْ فِي عِبَادِي ۖ ۚ وَأَدْخُلْ جَنَّتِي ﴾ [الفجر : ٢٧-٣٠] .

والإنسان قد يكون في سلام مع من حوله ، وعلاقاته واضحة ،
وصادق ، وأمين ، وليس بينه وبين من حوله مشكلة ، ومُرتاح البال ،
وهو في سلام مع كل من يلوذ به ، والإنسان المطيع في سلام مع
ربه .

من أسماء الله المبين يُبين بأقواله وأفعاله وأنواره وتجليه وخلقه
والفطر والعقول ، والله عز وجل يُعلّمنا دائماً ، ومن هنا قال بعض
العلماء تفسيراً لهذه الآية ولهم فيها وجهة نظر ، قال تعالى :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

يفهمها بعض المسلمين على الشكل التالي : إن اتقيتم الله
يُعلّمكم ، فلو كان المعنى هكذا ، لَجاء النصّ على الشكل التالي :
واتقوا الله يُعلّمكم الله ، جواب الطلب ، أما الآية واتقوا الله
ويُعلّمكم الله ؟ يعني : لم لا تتقون الله ؟ والله يُعلّمكم دائماً ، يُعلّمكم
بالوحي والعقول والفطر وخلقه وأفعاله وأنواره وبآلاف الطرائق .

وفي سورة المائدة يقول الله عز وجل :

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
أَنْظِرْ أَنْ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة : ٧٥] .

والحقيقة أنّ التناقض بين ما يعتقده الإنسان وبين سلوكه
لا يُحتمل ، تجد أناساً يستمعون إلى خطبة في مسجد ، أو إلى كلمة
في عقد قران ، أو إلى موعظة بمناسبة وفاة ويتأثرون بها آنياً ، فإذا
انطلقوا إلى بيوتهم كأن لم يسمعوا شيئاً ، وهذا شيء مُريع ، أن تسمع
للحق وأن تفعل عكسه ، وأن تأتي إلى بيت الله تستمع إلى الآيات

والأحاديث والأحداث وتهمل بيتك ويكون على خلاف ما أمر الله تعالى ، وأن تطلب العلم ولا تعمل به ، وأن تتزيا بزِّي المسلمين ، ولا تفعل ما يفعل المسلمون وأن تدَّعي أنك مؤمن ولم تُدرك حقيقة الإيمان ؛ فهذا هو الذي ورد في هذه الآية قال تعالى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴾ ، أي ينصرفون عما فيها من بيان وإيضاح لحقائق الإيمان .

وفي سورة الأنعام قال تعالى :

﴿ أَوْ يَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .

شيءٌ عظيم ومفيد جداً أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه على النبي ﷺ وفيه كلُّ الحق وفيه البينات والنور والمنهج ؛ ثم من العجيب جداً ألا يأخذ منا كلام الله تعالى مأخذ التطبيق .

وفي سورة الأعراف قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٤] .

من هو المجنون ؟ هو الذي عصى الله تعالى ، فالمجنون الذي نراه في الطريق ليس مجنوناً ، هذا مُبتلى بِعُصَابِ ذَهْنِي أو بِمَسِ شَيْطَانِي ، لكنَّ المجنون حقيقةً هو الذي عصى الله تعالى ، لذلك قال تعالى :

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [الفلم : ٢] .

وقال تعالى :

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْتَوٍ مِنْ رَبِّي وَءَاْنَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ كُفُّوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴾ [هود : ٢٨] .

المؤمن على شيءٍ من الهدى ، والمؤمن مُنْعِمِسٌ في رحمة الله

تعالى ، لكنَّ هذه الرحمة عُمِّيت عن الخلق ، والخلق ماديون يُقَيِّمون كلَّ شيءٍ بِمِقْيَاسٍ مادي ، فأنت مهما كنت على خلقٍ عظيم ، وعلم غزير ، أو على معرفةٍ بالله ، أو على إخلاصٍ شديد ، فلا تُقَيِّم إلا من خلال دخلك عند هؤلاء الماديين .

وفي سورة يوسف عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام :

﴿الرَّيَّةَ أَيَّتَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف : ١] .

المبين يعني : الواضح ؛ ولذلك ليس من المُناسِب أن تفهم كلام الله فهماً لم يرده الله ، علماً بأن القرآن الكريم نزل بِلُغَةِ العرب وِبِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ؛ هناك أناسٌ يتعامون عن المعنى الجَلِّي الواضح ويضرفون عنه النظر ، ويبحثون عن معانٍ لا تُدرَك إلا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ أو بِالتَّكَلُّفِ الذي لا يُحْتَمَل ، ومن أخطاء المُفَسِّرِينَ أن تُؤوَل الآية لِغَيْرِ ما تُفْصِح عنه ، فهذه التأويلات التي ما أنزل الله بِها من سُلْطَان هي التي شَتَّتَت المسلمين وفَرَّقَتهم ، مع أن هذا القرآن نزل بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ؛ بعض القراءات المُعاصرة فَسَّرَت قوله تعالى :

﴿الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف : ٤٦] .

البنون : البِنَاء هل في العالم العربي من يفهم كلمة البنون أنها تعني البِنَاء ؛ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، وهذا القرآن نزل بِلُغَةِ العرب ، فَيَنْبَغِي أن نفهمه وَفْق لُغَةِ العرب .

وفي سورة النحل قال تعالى :

﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل : ٦٤] .

هناك اختلاف أساسه نقص المعلومات ، وهذا اختلاف طبيعي ، لكنّ الوحي يخصُّ هذا الأمر ، قال تعالى :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

وهناك اختلاف أساسه البغي والحسد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِيسُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْوَمٌ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

الاختلاف الأول طبيعي ؛ وهو الاختلاف القائم على نقص المعلومات ، أما الاختلاف الثاني فهو قَدْر أساسه الحسد والبغي والعُدوان ، أما الاختلاف الثالث فاختلاف مخمود ، وهو التنافس في حقل الدين وفي دائرة الحق ، وفي سورة النور قال تعالى :

﴿ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ١٨] .

الحق واضح لكنّ الناس في الدنيا نيام وإذا ماتوا انتبهوا ، وعند الموت يُكشَف الغطاء ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] .

وفي سورة النمل قال تعالى :

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل : ٧٩] .

أيها المؤمن لا تخف ، فإن النبي ﷺ خاطب عدي بن حاتم فقال له : « يا عدي ! هل رأيت الحيرة ؟ فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، ولئن

طالت بك حياة لنتفحن كنوز كسرى ، ولئن طالت بك حياة لترین الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى . فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » قال عدي : فرأيت الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرة بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم عليه السلام : « يخرج ملء كفيه » . [رواه البخاري] .

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وعلامة المؤمن الصادق لو أَنَّ النَّاسَ جَمِيعاً تَنَكَّرُوا لِلدِّينِ وَلَمْ يَغْبُؤُوا بِهِ وَلَمْ يَلْتَزِمُوا بِتَعَالِيمِهِ ، يَكْفِيهِ أَنََّّهُ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَالْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ لَا يَأْخُذُ بِالكَثْرَةِ ، بَلْ هَدَفَهُ الْحَقُّ وَلَوْ قَلَّ نَاصِرُوهُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَإِنْ تُطِيعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ [النجم : ٢٨] .

وقال تعالى في سورة الحديد : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد : ١٧] .

فالآيات تحتاج إلى تفكير وإعمال عقل ، والآيات إن صَحَّ التعبير مواد أولية تحتاج إلى تصنيع ، ولا بد أن تُصنَّعها بعقلك وبفكرِكَ ،

ولا بد أن تتفكر فيها أو أن تتذكرها ، قال تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ ۚ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٦-١٩] .

أحداث العالم كله تتجه لتأكيد ما في القرآن .

لا يغيب عن بالكم أن العالم فيما سبق شرقاً وغرباً ؛ كان شرقاً يؤمن بالمجموع والقيود ، وغرباً يؤمن بالفرد والحرية ، والآن الشرق والغرب عادا إلى الإسلام قهراً لا عبادة ، واضطروا إلى أن يعودوا إلى أصول الدين ؛ فمثلاً هناك بلاد طويلة عريضة عاتية بعيدة حرمت الخمر ، والآن في بعض الجامعات بأمريكا تحرم الاختلاط بين الطلاب والطالبات ، فكلما تقدّم العلم ونضج في البشرية اتجه قهراً إلى تعاليم الدين لا إيماناً ولا تعبداً ، لذلك الشرق والغرب عاد إلى وساطة الإسلام ، والشرق عاد مقهوراً لا مخيراً ، والغرب سيعود كذلك ، وسوف ترون بعد حين أن هذا الدين الإسلام العظيم هو دين المستقبل قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

قال تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ ۚ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٨-١٩] .

حتى الآيات الكونية في القرآن الكريم ، كلما تقدّم العلم تكشففت للعلماء حقائق الإعجاز القرآني العلمي .

من أدعية هذا الاسم الجليل : اللهم أنت المبين للحق ، والهادي إليه ، والموفق لاتباعه ، فاجعل بين أيدينا نوراً من قرآنك ، وهداية

من بيانك ، فإنَّك أنت الحق المبين .

وليس هناك أسعد من إنسان عرف الحق ، ونعمة الهدى أعظم
نعمة ، بل إنَّ بعض العلماء قالوا في تفسير قوله تعالى :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] .

قالوا : تمام النعمة الهدى ، فاللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا
فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه .

* * *

مؤتي الحكمة

مع اسم جديد وأخير من أسماء الله الحسنى ، ومع الاسم الْمُتِمُّ للمئة ، والاسم هو : مُؤْتِي الْحِكْمَةِ ، وهو اسم زائد على الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في حديث رسول الله ﷺ .

أَوَّلُ شَيْءٍ فِي هَذَا الْاسْمِ أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ ، وَيُؤْتِي الْحِكْمَةَ ، وَحَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِلْمَ ، وَرَحِيمٌ يُؤْتِي الرَّحْمَةَ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ اسْتِخْلَافُ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذا الاسم لابد من وَفْقَةٍ قصيرةٍ حَوْلَ الْحِكْمَةِ ؛ الْحِكْمَةُ تَدُلُّ عَلَى التَّرْجِيحِ ، وَلَا تَرْجِيحَ بِلَا مُرْجَحٍ ، يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِي أَوْضَاعٍ كَثِيرَةٍ . وَأَنْتِ اخْتَرْتِ هَذَا الْوَضْعَ الْمُنَاسِبَ ، فَهَذَا الْعَمَلُ اسْمُهُ تَرْجِيحٌ ؛ رَجَّحْتَ هَذَا الْمَكَانَ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ فَهَذَا التَّرْجِيحُ يَحْتَاجُ إِلَى مُرْجَحٍ ، وَأَوْضَحُ مَثَلٍ مِفْتَاحِ الْكَهْرَبَاءِ فِي الْغُرَفِ فَيُمْكِنُ أَنْ يَوْضَعَ فِي أَسْفَلِ الْحَائِطِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَوْضَعَ فِي أَعْلَى الْحَائِطِ ، أَمَا حِينَمَا وُضِعَ فِي مَكَانٍ مُتَعَدِّلٍ يَتَنَاسَبُ مَعَ

طول الإنسان وحركة يديه ، فإننا نقول : هذا المكان فيه حكمة أو فيه ترجيح ، ولا ترجيح بلا مرجح .

ولعل دليل الحكمة من أكبر الأدلة على وجود الله وعلى عظمته ، فمثلاً الطير الصغير الذي في البيضة كيف سيخرج منها ؟ في وقت مناسب جداً ، وفي مكان مناسب جداً ينمو له على منقاره نوء مذبذب ويثقب به جدار البيضة ، وبعد حين يتلاشى هذا النوء ، ويعود منقاره إلى ما كان عليه . ففي الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب وفي الحجم المناسب ، وفي الشكل المناسب ، ظهر هذا النوء ونقول : هذا الترجيح يحتاج إلى مرجح ، والعقل لا يقبل أن هذا الشيء تم وحده .

الماء إذا بردناه - شأنه كشأن أي عنصر - ينكمش حجمه إلى درجة زائد أربعة ، وعندها تنعكس المسألة ، ولولا هذه الخاصة لما كان على الأرض حياة ؛ يتمدد الماء إذا بلغ درجة زائد أربعة ، حكمة مطلقة ولولاها لما قامت حياة ، فالحكمة ترجيح ؛ ولا ترجيح بلا مرجح .

قد يذهب إنسان إلى بلد في أقصى الشمال من الكرة الأرضية وقد تصل الحرارة إلى سبعين تحت الصفر ، كل شيء يمكن أن تغطيه ؛ تغطي يديك ورجليك وجهازك التنفسي وترتدي الألبسة الصوفية والمعطف والقبعة ؛ فكل شيء يمكن أن تغطيه إلا العين إذا غطيها فقدت القدرة على البصر بحجب العين ، والهواء الذي يلامسها في درجة سبعين تحت الصفر ، إذا لا بد من أن يتجمد ماء العين ويفقد الإنسان البصر ؛ فمن أودع في العين مادة مضادة للتجمد ؟ هذه حكمة

مُطْلَقَةً ، ولولا هذه المادَّة لَفَقَدَ كُلُّ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي الْمَنَاطِقِ الْبَارِدَةِ أَبْصَارَهُمْ ، فَلَا تَرْجِيحَ بِلَا مُرْجُحٍ ، وَلَا حِكْمَةَ بِلَا مُحْكِمٍ ، وَلَا حِكْمَةَ بِلَا حَكِيمٍ .

فَاللهُ سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى هُوَ الْحَكِيمُ ، فَهُوَ تَعَالَى حِكْمَتُهُ مُطْلَقَةً ، أَمَا الْإِنْسَانُ فَحِكْمَتُهُ نِسْبِيَّةٌ ، وَأَخْيَانًا يَفْعَلُ فِعْلًا غَيْرَ حَكِيمٍ بِسَبَبِ ضَغْطٍ أَوْ إِغْرَاءٍ أَوْ بِسَبَبِ جَهْلٍ ، فَإِذَا أَنَّهُ تَعَرَّضَ لَضَغْطٍ كَبِيرٍ ، فَتَكَلَّمَ كَلِمَةً غَيْرَ حَكِيمَةٍ ، أَوْ وَقَفَ مَوْقِفًا غَيْرَ حَكِيمٍ ، أَوْ سَلَكَ طَرِيقًا غَيْرَ مَشْرُوعٍ ، أَوْ خَضَعَ لِإِغْرَاءٍ شَدِيدٍ ، فَاخْتَلَّ عَقْلُهُ وَانْسَاقَ مَعَ شَهْوَتِهِ ، أَوْ أَنَّهُ يَجْهَلُ حَقِيقَةَ هَذَا الشَّيْءِ فَيَرْتَكِبُ حِمَاقَةً ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا بَدَأَ لَكَ حَكِيمًا فَهُوَ حَكِيمٌ أَخْيَانًا ، أَمَا الْحَكِيمُ مُطْلَقًا فَهُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الضَّغْطِ وَالْإِغْرَاءِ وَالْجَهْلِ ، فَأَفْعَالُهُ تَعَالَى تُلَاحِظُهَا الْحِكْمَةُ الْمُطْلَقَةُ .

وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَعَ فَلَهُ حِكْمَةٌ ، حَتَّى إِنْهُمْ قَالُوا : لِكُلِّ وَاقِعٍ حِكْمَةٌ ، فِكْرَةٌ مُرِيحَةٌ جَدًّا وَبَسِيطَةٌ ، وَهِيَ أَنَّكَ لَنْ تُعَانِيَ أَزْمَةً نَفْسِيَّةً وَلَنْ تُعَانِيَ حِقْدًا وَلَا ضِيقًا وَلَا كِرَاهِيَّةً وَلَا نَدَمًا ، لَا تَقُولُ : لَوْ أَنَّنِي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَهَذِهِ الْفِكْرَةُ الْبَسِيطَةُ خِلَاصَتُهَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَعَ أَرَادَهُ اللهُ ، لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ لَا يُرِيدُهُ ، وَكُلُّ مَا أَرَادَهُ اللهُ وَقَعَ ، وَأَفْعَالُ اللهِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْحِكْمَةِ الْمُطْلَقَةِ ، وَالْحِكْمَةُ الْمُطْلَقَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْخَيْرِ الْمُطْلَقِ ، وَبِذَا انْتَهَى النَّدَمُ وَالْحِقْدُ وَانْتَهَتْ كَلِمَةُ لَيْتَ .

لَا تَقُلْ : لَوْ أَنَّنِي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ كَلِمَةَ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ . أَتَرَى مَا يَخْذُلُ فِي الْعَالَمِ ، هُنَاكَ شُرُورٌ وَمَجَاعَاتٌ وَأَثَامٌ وَزَلَزِلٌ وَبَرَائِكِينَ تَنْفَجِرُ وَفَيْضَانَاتٍ وَصَقِيعٌ

لا يُحْتَمَل ، وإِتْلَافٌ للمحاصيل وحُرُوبٌ أَهْلِيَّةٌ ، فيجب أن تؤمن ، وهذا الإيمان يَخْتِاجُ إلى جُهدٍ ، أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَعَ لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ مُطْلَقَةً ، وهذه كُلُّهَا للخير المُطْلَق ، ولكنَّكَ ترى رؤيةً محدودةً أَنَّ الشرَّ وَقَعَ مختاراً وتتألم ، ولكنَّ الله يُريدُ من أفعالِهِ كُلِّهَا الخيرَ المُطْلَق .

تَصَوَّرْ أَنَّ غلاماً يَضْرِبُهُ أَبٌ شديد حازم ، وبعد أن ضُربَ أكثر من مرة استقام وأقبل على دراسته ، ثم أَصْبَحَ هذا الغلام الطالب في مُسْتَقْبَلِهِ من أَلَمَعِ الشَّخْصِيَّاتِ ، بالنظر القريب والقصير فهناك قَسْوَةٌ وشرٌّ ، وبالنظر البعيد هناك خير كثير ، فبعد أن ضُبطَ هذا الغلام ودرس وأخذ شهاداتٍ عُلْيَا وشغل مناصِبَ رَفِيعَةٍ وصار دَخْلُهُ وفيراً - من جهة نظر دنيوية - فهذا حينما يَنْعَمُ بِبَحْوَحَةٍ وَمَكَانَةٍ أَجْمَاعِيَّةٍ وَبَيْتٍ مُرِيحٍ ومَرْكَبَةٍ وزَوْجَةٍ وتَبَجِيلٍ من قِبَلِ الناسِ ، سَيَقْبَلُ يدَ أبيه التي ضَرَبَتْهُ يَوْمَ كَانَ صَغِيراً ، فعلى المدى القصير قد يَبْدُو لك الشرُّ ، أما على المدى البعيد فيَبْدُو لك الخير المُطْلَق ، لِذَلِكَ أَيُّ إِنْسَانٍ على وَجْهِ الأَرْضِ من آدَمَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حينما يَقِفُ بين يَدَيِ الله عز وجل يُلَخِّصُ علاقةَ الله به بِكَلِمَةٍ واحدة هي : الحمد لله ، قال تعالى :

﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُدُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس : ١٠] .

أَرَأَيْتَ إلى هذه الفِكْرَةِ ؛ إنها هي الحقيقة وإني بحكم المعاناة والمشاهدة أكاد أقول : إِنَّ تِسْعَةَ أَغْشَارِ الأَمْرَاضِ الْوَيْلَةَ أَسْبَابُهَا نَفْسِيَّةٌ ؛ ضَغْطُ نَفْسِيٍّ وَقَلْقٌ وَخَوْفٌ وَخَيْرَةٌ وَحِقْدٌ ، فَإِنْ آمَنْتَ بِهذه الحقيقة تشفى من كُلِّ أَمْرَاضِكَ النَّفْسِيَّةِ ، ولا ترى إلا أَنَّ يدَ الله تَعْمَلُ

في الخفاء ولا ترى مع الله أحداً وتقول : الله هو كل شيء وبِالتعبير الدارج : ما في إلا الله ، والله كبيرٌ ، وتتعامل معه وحده وتُخلِصُ له وتمَحْضُهُ وُدَّكَ وحُبَّكَ وطاعتَكَ ، وتُقَدِّمُ في سبيله حياتَكَ وشبابَكَ ومالكَ وعِلْمَكَ ولِسَانَكَ وقلمَكَ وخِبرَتَكَ ، وهذا هو الإيمان . فَلَكُلُّ واقعِ حِكْمَةٍ ولكن هذه الرؤية يَضْعُبُ أن تُنْقَلَ بِصورتِها اللَّفْظِيَّةُ ، فالإيمان والسلوك في طريق الإيمان ومُجاهدَةِ النَّفْسِ والهوى ولُزومِ مجالِسِ العِلْمِ وتلاوة القرآن ومَعْرِفَةِ السَّنَةِ والاستِقَامَةِ والعمل الصالح ، وفي نهاية هذا المَطَافِ سَتَرى أَنَّ يَدَ الله وحدها تعمل في الخفاء ، وفي نهاية النُّهاية ترى أَنَّ يَدَ الله فوق أيديهم ، قال تعالى :

﴿ قَالَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلَئِن لَّا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

لذلك لا أَلَم ولا خَوْف ولا قَلَق ، والحكمة أن نضع الشيء المُناسب في المكان المُناسب ، في الحجم المُناسب ، وفي الوقت المُناسب ، وبِالأسلوب المُناسب ، والله هو وحده الحكيم ولا حَكِيم سِواه ، وحكْمَةُ البَشَرِ مُسْتَنْبَطَةٌ من حِكْمَةِ الله ؛ وحينما فتح النبي عليه الصلاة والسلام مَكَّةَ فماذا قال أبو سُفْيَان ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أَوْصَلَكَ وأَحْلَمَكَ وأَكْرَمَكَ ، إنها كلمة لخصت صفات النبي ﷺ الإنسانية ، من فم رجل كان بالأمس العدو الألد .

ومن بعد ، فإن الله عز وجل يقول :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

أجل إنه سبحانه يقول : ﴿ خَيْرٌ كَثِيرًا ﴾ ، الخير الكثير لا يحجم رصيدك المالي ، ولا يبيت فحم ولا بزوجة رائعة ، ولا يدخل كبير ، ولا بصحة جيدة ، إنما الخير الكثير أن تؤتي الحكمة لأنك بالحكمة تسعد ، وبالحكمة تصلح الزوجة السيئة ، وبالحق تفسد الصالح ، وبالحكمة تجلب المال ، وبالحق تبدد المال ، وبالحكمة تكسب الأصدقاء ، وبالحق تفرقهم وتخسرهم : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ، فالله عز وجل حكيم ويؤتي الحكمة .

بعضهم قال : الحكمة ليست كسبية ، فهي لا تكتسب ولكنها تؤتى ، وبعضهم قال : المؤمن حينما يستقيم على أمر الله ويخلص له يكافئه بالحكمة ، وإنني لأستند فيما أقول على قصص من أزواج وزوجات ، ومن إخوة وأخوات ، ومن شركاء ، حُقق ما بعده حُقق ، وانحرف ما بعده انحرف ؛ إنسان يُدمر نفسه بيديه ، ويُخرب بيته بيديه ، ويُدمر سعادته بيديه لعدم وجود الحكمة ؛ كان يتفوه بكلمة غير مناسبة ، وهذا الكلام مؤلم ويحمل نتائج قاسية ، قيل :

إِنَّ القلوب إذا تنافر وُدُّها مثل الزجاجة كسرُها لا يُجبرُ هناك شيءٌ في الأدب يُسمى الشَّطِير ، وهو أن يأتي شاعر فيجعل من شطر البيت الشطر الأول ويصوغُ شطراً ثانياً و شطراً ثالثاً ويأتي بالشطرن الثاني ليجعله شطراً رابعاً :

إِنَّ القلوب إذا تنافر وُدُّها مثل الزجاجة كسرُها لا يُجبرُ فأخذ أحدهم الشطر الأول من هذا البيت ثم جعل من الشطر الثاني شطراً رابعاً ، فقال :

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرُوا وَدَّهَا عِنْدَ الْأَكَارِمِ جَبْرُهَا لَا يَغْسِرُ
وَقُلُوبَ أَرْذَالِ الْأَنَامِ إِذَا التَّوَتْ مِثْلَ الزَّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُجْبِرُ
فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ كَلِمَةٌ تُنْهِي شَرِيكَ ، وَكَلِمَةٌ تُشَرِّدُ أُسْرَةً ، وَمَوْقِفٌ
تَخْسِرُ عَمَلَكَ فِيهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

أَخْيَانًا تَجِدُ إِنْسَانًا يَعْمَلُ عَمَلًا مَرْمُوقًا ، وَلَهُ مَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ ، وَدَخَلَ
كَبِيرٌ ، فَيَخُونُ صَاحِبَ الْعَمَلِ فَيُنْهِي عَمَلَهُ بِسُلُوكِ غَيْرِ حَكِيمٍ ، أَوْ
بِكَلَامٍ لَا حِكْمَةَ فِيهِ ، وَيُصْبِحُ مُتَشَرِّدًا فِي الطَّرِيقَاتِ ، اِرْتَكَبَ حِمَاقَةً
كَبِيرَةً ، وَأَرْجُو مِنْ كُلِّ أَخٍ أَنْ يَصَدِّقَ مَعِيَ فَأَنَا أَصَدِّقُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

فِي بَيْتِكَ قَدْ تَوَتَّى الْحِكْمَةَ وَتَعِيشُ مَعَ الزَّوْجَةِ عُمُرًا مَدِيدًا ، تَسْعَدُ
بِهَا وَتَسْعَدُ بِكَ ، أَمَّا بِالْحَقِّ فَنُطْلَقُهَا وَتَخْسِرُهَا وَتَخْسِرُكَ .

أَخْيَانًا تَجِدُ إِنْسَانًا يَمْلِكُ مَالًا يُبَدِّدُهُ بِأَسَالِيبِ تَافَهَةٍ ، ثُمَّ يَقْعُدُ مَلُومًا
مَحْسُورًا إِذْ بَدَّدَ ثَرَوَتَهُ ، وَأَخْيَانًا يَغْضِبُ الْمَرْءَ فَيُطْلَقُ زَوْجَتَهُ وَيَتَسَكَّرُ
عَلَى أَبْوَابِ الْمُفْتِنِ عَسَى أَنْ يَجِدُوا لَهُ حَلًّا ، فَالَّذِي تَسَاهَلَ مَعَهُ مِنْهُمْ
يَشُكُّ فِي عِلْمِهِ ، وَالَّذِي تَشَدَّدَ عَلَيْهِ يَشُكُّ فِي رَحْمَتِهِ ، وَمَنْ بَابَ إِلَى
بَابٍ ، وَمَنْ مُفْتٍ إِلَى مُفْتٍ ، وَكَانَ يُغْنِيكَ إِلَّا تُطْلَقَ هَذِهِ الزَّوْجَةُ وَأَنْ
تَبْقَى عِصْمَتُهَا بِيَدِكَ ، أَمَّا حِينَمَا طَلَّقَتْهَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ عِصْمَتُهَا بِيَدِهَا
وَأَنْتَ لَا تَذَرِي ؛ فَالْحِكْمَةُ - كَمَا وَرَدَ - عِلْمٌ مُطَبَّقٌ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
قَالَ :

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَمَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى

بَصَرِهِ غَشَوَهُ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ [الجاثية : ٢٣] .

فقد تَحَصَّلُ علماً كبيراً ولا تكون حكيماً ، أما الْحِكْمَةُ فهي أن تستفيد من عِلْمِكَ ، وأن تجعل من عِلْمِكَ علماً عملياً ؛ إذ هناك عِلْمٌ عملي وآخر نظري ، فأنت حينما تستفيد من عِلْمِكَ تكون حكيماً ، فالْحِكْمَةُ حقيقةٌ مُطَبَّقَةٌ في حَيِّزِ الواقع ، والْحِكْمَةُ إصابة الحق ، والحق ما طابق الواقع ، إذ الضلال أن تتوهم شيئاً غير واقعي ، وأن تظن شيئاً غير صحيح ، والمِقياس هو الواقع ، فالْحِكْمَةُ أن تكون واقعياً ، والإنسان إذا ابتعد عن الواقع وقع في الوهم وصارت أفكاره وهمّاً وظناً وشكاً وغلبة ظنٍّ ، أما الْحِكْمَةُ فهي أن تبلغ حدّ اليقين : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ اسمع إلى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ﴾ [لقمان : ١٢] .

الْحِكْمَةُ كُلُّهَا أن تشكر الله ، لأن الله أنعم عليك بِبِنِعْمَةِ الإيجاد ، وأنعم عليك بِبِنِعْمَةِ الإمداد ، وأنعم عليك بِبِنِعْمَةِ الهدى والرشاد ، فالْحِكْمَةُ أن تشكر الله ، والكَوْنُ مُسَخَّرٌ تسخير تعريف ومُسَخَّرٌ تسخير تكريم ، فإن آمنت وشكرت حَقَّقْتَ الْهَدَفَ من وجودك ، أليس الله بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ فَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ مُسْتَمَدَّةٌ من حِكْمَةِ الله ، يُعْطِي الْحِكْمَةَ أو لا يُعْطِيهَا ، والدليل أنه إذا أراد الله إنفاذ أمر أخذ من كُلِّ ذِي لُبٍّ لُبَّهُ ، فهذا أبو لهب لو ذهب إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله لنجا إلى الأبد ، ولما أنزل الله فيه ، قال تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ

حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥١﴾ [المسد : ٥١] .

فَطَرِيقُ الْإِرَادَةِ لِأَبِي لَهَبٍ بِيَدِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلْ ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ أَمْرُهُ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَانْظُرْ حِمَاةَ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الْآتِي كَاوُأَعْلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

فَاللَّهُ يُخَاطِبُ النَّاسَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَالْيَهُودَ ، وَيَقُولُ أَنْتُمْ سُفَهَاءُ وَسَوْفَ تَقُولُونَ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الْآتِي كَاوُأَعْلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

حَسَنًا ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سُمُّوا سُفَهَاءَ ؛ لَوْ فَكَّرُوا قَلِيلًا ثُمَّ سَكَتُوا ، فَلَوْ أَنَّهُمْ سَكَتُوا لَأَبْطَلُوا كَلَامَ اللَّهِ وَرَدَّوهُ ، وَلَكِنْهُمْ تَكَلَّمُوا وَقَالُوا كَمَا أَخْبَرْتَ بِهِ الْآيَةَ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَبِيَدِهِ نَاصِيَةِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَازَ أَمْرٍ أَخَذَ مِنْ كُلِّ ذِي لُبٍّ لُبَّهُ . وَاللَّهُ عِزَّ وَجَلْ طَلِيقُ الْإِرَادَةِ وَلَا شَيْءَ يَقِفُ أَمَامَهُ سُبْحَانَهُ ؛ فَهَذَا السُّفَهَاءُ الَّذِي وُصِفَ بِأَنَّهُ سَفِيهٌ ، وَلَئِنَّهُ سَفِيهٌ سَيَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَوْ أَنَّهُ فَكَّرَ قَلِيلًا وَسَكَتَ لَأَلْغَى مُصَدَّاقَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلَكِنْ حَاشَا وَكَلَّا ، إِذَا الْحِكْمَةُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ أَوْ يُؤْتِي الضَّلَالَ

مَنْ يَشَاءُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ [محمد : ١] .

فَالْكَفَارُ أَعْمَالُهُمْ لَا تُحَقِّقُ أَهْدَافَهَا ، وَلَا تَصِلُ إِلَى غَايَاتِهَا ؛ فَحَرَكَةُ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ عَشْوَائِيَّةٌ ، حَرَكَتُهُ كَبِيرَةٌ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَأْتِيهِ مَلَكٌ

المَوْت ليتوفاه ويخرجه من الدنيا بعد أن بدأت تنظم حياته ويغلو شأنه وبعد ما أخذ يزدد ماله وقد تَمَكَّن بِعَمَلٍ مرموق ، ومكانه وأصحاب وأعوان ، يقول له مَلِكُ المَوْت : قم مستسلماً واصحبنا ، فالحكمة أن تأتي أعمالك مطابقةً لأَهْدَافِكَ ، لكن الإنسان أحياناً يُنَجِّزُ عَمَلًا كبيراً دون أن يكون له غاية في مرضاة الله ، بل تكون غايته سمعة شخصية ، وعلواً في الأرض ، لذا يقول ربنا عز وجل :

﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَاعْمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

يقول الله عز وجل في سورة البقرة :

﴿ فَهَكَذَا هُمْ يَرْجِئُونَ وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

كنت قد ذكرت من قبل أن الله سبحانه قد يؤتي المال لمن يُحِبُّ ولمن لا يُحِبُّ ، فقد آتاه لمن لا يُحِبُّ وهو قارون ، وقد آتاه لمن يُحِبُّ وهو سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فكان من أغنى أغنياء الصحابة فقد جهّز وحده جيش العُسرة ، وهذا ابنُ عَوْفٍ كذلك من أغنى أغنياء الصحابة ، فالله أعطى المال لمن يُحِبُّ ولمن لا يحب ، وأعطى الملك لمن يحب وهو سيّدنا سليمان ، ولمن لا يُحِبُّ وهو فِرْعَوْن ، وَلَكِنَّ العِلْمَ والحِكْمَةَ لا يُعْطِيهِمَا إِلَّا لِمَنْ يُحِبُّ ، قال تعالى في الحديث عن يوسف عليه السلام :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

فالإنسان إذا تلقى العِلْمَ الصحيح وتفقه بكِتَابِ الله وقرأ سُنَّةَ رسول الله ﷺ وسيرته ، وقف على الحق وعرف مَوْقِعَهُ ، ولماذا هو

في الدنيا ؟ ومن أين أتى ؟ وإلى أين سيذهب ؟ وما غاية وجوده وما هيئته ؟ فهذا أوتي الحكمة ، فالمؤمن هدفه واضح وهو مطمئن ، لأنه عرف حقيقة الحياة الدنيا ، وعرف حقيقة الكون ، وحقيقة الإنسان ، وجوهره قال تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

والآية الثانية هي قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

يدعو الإنسان ربه فيقول : يا رب سدّد قولي ووفّقني وألهمني الصواب ، وما من دعاء أرجو أن تدعوا به أحب إلي من هذا الدعاء : اللهم ألهمنا الصواب ؛ قد يقف الإنسان أياماً مواقف نبيلة سليمة ، ويتكلّم الكلمة الصحيحة ، ويتحرّك الحركة المناسبة ، ويغضب في موطن الغضب ، ويحلم في موطن الحلم ، ويُعطي في موطن العطاء ، ويُمسك عندما ينبغي أن يُمسك ، فهذه المواقف المتنوّعة إذا كانت متناسبة مع عللها وأسبابها يشعر براحة ؛ فماذا يُقابل الحكمة ؟ الحمق ، فالحكمة يتبعها راحة ، أما الحمق فيتبعه ندم ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴾ .

ولقد عرف كل مؤمن وسمع بدعاء الصالحين : « اللهم اجعل تدميرهم في تدميرهم » ، فبعض الناس يُفكّر ويُفكّر ، ويُفكّر ويحسب ويجمع وي طرح ويقسم ، ثم يزنكب حماقة تدمره باختياره ، لأنه ركن إلى ذاته واطمأن إليها .

فاعلم علم اليقين أنه : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا ﴿ ، فإذا دخل الإنسان المسجد قد لا يجد مقعداً ولا يتوقع راحة ولا استضافة ، ولكن ما الذي يُعْطيه الله في المسجد عند سماعه خطبة أو درساً ؟ الحكمة ، تجد أنك إذا دخلت المسجد تقول : اللهم افتح لي أبواب رَحْمَتِكَ ؛ تجد نفسك بعد حين وبعد المثابرة على لزوم المساجد أنك في بَيْتِكَ حَكِيم ، وتجد نفسك في تجارتك مَوْفِقاً وتُعْقد صفقة مَعْقولة ، وبِالمُقَابِل تجد من يعرض عن مجالس العلم وتلقي أسباب الحكمة ، يُعْقد صفقة يخسر بها وتهوي به ويُدَمِّر بتدبيره ، فالإنسان حين يكون مع الله فإله معه ، والحقيقة أنت أخذ شخصين : « شَخْصٌ يُلْهِمُهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ صَلَاحَهُ وَخَيْرُهُ ، لأنه انقاد لربه ، وشَخْصٌ يُؤَسَّسُ لَهُ شَيْطَانٌ وَيَأْخُذُ بِنَاصِيَتِهِ الْخَاطِئَةُ » ، فالشيطان يَدُلُّكَ عَلَى الشَّرِّ وَعَلَى الْمَعْصِيَةِ ، وَيُحِبُّ لَكَ الدُّنْيَا ، وَيُلْقِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرِينَ الْبَغْضَاءَ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْحَرَامَ ، قد تجد أشخاصاً كثيرين عندهم زُوجَات من الدرجة الأولى ، ومع ذلك يلهثون وراء سقط النساء ويسقطون في مستنقعات الزنى ، لأنَّ الشيطان يُزَيِّنُ الرَّذِيلَةَ وَالْفُجُورَ بعد أن اختارها لنفسه وَزُهِدَهُ بِزُوجَتِهِ ، فهذا حُمُقٌ وَيُدَمِّرُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، يزهّد بالطاهر والحلال والنقي الذي لا شائبة فيه ، ويلهث وراء الحرام ، والدمار والعار ، كلُّ هذا دليل على عدم وجود الحكمة التي يسلك مسالكها : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴾ .

تجد الإنسان يتسرع دون تحقق ، فإذا به يقع في شرِّ عمله ، وقد يحكم حُكْماً سريعاً على بعض أعماله فيندم على ما فعل ، وقد يكون رُده أكثر مما ينبغي فَيُفْجَرُ الْمَوْضُوعُ ؛ أراد أن يُصْلِحَ فافْسَدَ ، وأن يُرْمِمَ فَدَمَّرَ .

وبعد ، فيا أيها المؤمن كن حكيماً ، من علامة الحكمة فيك أنك لا تندم على فعل أو قول ، والندم يُرافق الحُـمق ، وعدم الحكمة ، وفقد الحكمة يعني أنك مقطوعٌ عن الحكيم ، ولا يوجد لك اتصال بربك ، إذ لو كان هناك إقبال واتصال لآتاك الله من الحكمة ، فالله هو الحكيم ، وأيُّ عبدٍ اتَّصل به يَشْتَقُّ لنفسه من حِكْمَتِهِ ، الربيع بن خثيم رضي الله عنه سُرِقَ بعض ماله فماذا قال ؟ قال : اللهم إِنْ كان غنياً فاغفر له وإن كان فقيراً فأغنه ، وهذا قول حكيم ، يرجو من دعائه هذا العوض من الله ، كما ينم عن صفاء القلب والطوية .

إني أعرف إنساناً فَصَلَ مُوْطَافاً عنده عن العمل وانتَقَمَ منه انتقاماً شديداً ، بل أَدَّى به الأمر إلى قتلِهِ من أجل قِصَّةِ نَافِهَةٍ ؛ غَضِبْتُ شديد حَمَلُهُ على ارتكاب جريمة قتل ، وهذه الجريمة أَوْدَتْ به إلى السَّجْنِ ثلاثين عاماً ، أما لو كان حكيماً لَقَالَ : قَدَّرَ الله وما شاء فَعَلَ ، والله هو الْمُعَوِّضُ ، ولرأى أَن كلَّ ذلك من حِكْمَةِ أَرَادَهَا الله ، فَلَعَلَّهُ أَكَلَ مَالاً حراماً من قبل ، فالله تعالى عَاقَبَهُ وانتهى الأمر به إلى السجن ثلاثين عاماً ، فالشيطان هو الذي يَدْفَعُهُ إلى الحركات العَشَوَائِيَّةِ ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْأَ ﴾ [مريم : ٨٣] .

حركة عشوائِيَّة وطائِشَة ومُؤْذِيَّة وهدَفُها الإيقاع بين الناس ، ذكُرَتْ مرَّةً قِصَّةً فريدة ، كانت امرأةٌ تَعْمَلُ بِالقِضَاءِ ، وكانت مُلَمَّةً بالقوانين ، وكان لها بيتٌ تملكه شركةٌ مع أخيها ، وكان معها وثيقة بِمِلْكِيَّةِ كامل البيت ، فَتَوَهَّمت أَنه بِإمكانِها أَنْ تَأْخُذَ منه البيتَ بِطَرِيقَةٍ ذَكِّيَّةٍ جداً وبِأَسْلُوبٍ يَخْتِاجُ إلى خِبرَةٍ ، والقِصَّةُ طويلة جداً واستطاعت بِمكرها

أن تلقي به في الطريق هو وأولاده وزوجته ، وأن تستولي على ملكية البيت وحدها ، عندها أُصِيبَتْ بِمَرَضٍ خَبِيثٍ في أمعائها وانتهى بها الأمر إلى الموت العاجل ، فكان أخوها الوارث الوحيد لها ، فعاد إلى البيت واستَحَقَّتْ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ؛ من الذي دفعها إلى هذا العمل ؟ فقدانها الحكمة ، فافترسها الشيطان إذ أُخْرِجَتْ أخاها الذي أعطاه نصف ثمن البيت تماماً ، ولكن ما خطر في باله أن يأخذ منها إيصالاً لاطمئنانه إلى علاقة الإخوة ؛ آلاف القصص من هذا النوع .

فالإنسان وهو بعيدٌ عن الله تعالى أحمق ويرتكب حماقة تلو الحماقة ، فإذا به يتدَّمَّرُ بسوء تصرفاته ، فالخلاصة إذا كنت مع الله فأنت في ظل الله ورعايته وحمايته وتربيته ؛ تجد شخصاً حياته متواضعة ، ولكنه حكيم وشخصاً آخر حياته مترفة ، ولكنه موزع النفس مبدد الذهن ، ألا ترى أشخاصاً جمعوا أموالاً طائلة ثم كُشِفَ أمرهم فإذا هم في السجن ، فالقضية هي قضية توفيق من الله عز وجل : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَئِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ .

فالإنسان إذا خرج من بيته فليقل :

« بِسْمِ اللَّهِ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ ، أَوْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » [رواه النسائي] .

فقله حكمة وصواب .

تحدث معك أمور فتقول بعدها ما انتبهت ، لكن الله ألهمني وصحوت من غفلتي ، الفكرة الدقيقة التي أريد أن أنبه إليها : أن تقف

فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ وَأَنْ تُرَاجِعَ الْأَمْرَ وَأَنْ تَتَرَيَّثَ وَأَلَّا تُحْكَمَ عَشَوَانِيًا ، فَكُنْ مَعَ الْحَكِيمِ تَغْدُ حَكِيمًا وَكُنْ مَعَ الْعَلِيمِ تَغْدُ عَلِيمًا وَكُنْ مَعَ الرَّحِيمِ تَغْدُ رَحِيمًا ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَرْتَكِبُ حِمَاقَةً يَكُونُ وَقْتُهَا غَافِلًا ، يَعْنِي أَنَّهُ وَقْتُ ارْتِكَابِهِ لَهَا كَانَ مَقْطُوعًا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

قال تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٨١] .

الحكمة تُؤْتَى تَفْضُلًا مِنَ اللَّهِ الْحَكِيمِ ، وَالْعُلَمَاءُ قَالُوا : « الْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ ، وَالْحِكْمَةُ هِيَ سُنَّةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ إِذْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ أَنْ يُلْهِمَكَ الْحِكْمَةَ ، وَأَلَّا تَقَعَ فِي شَرِّ عَمَلِكَ ، وَأَنْ تَفْعَلَ الشَّيْءَ الصَّوَابَ وَأَنْ يَسُدَّ مَسْعَاكَ ، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا افْتَقَرَ إِلَى اللَّهِ أَلْهَمَهُ الْحِكْمَةَ ، فَإِذَا اعْتَدَّ بِرَأْيِهِ تَخَلَّى عَنْهُ فَوْقَ فِي الشَّرِّ ، وَلَكِنَّكَ إِنْ تَسْتَلِمْهُمُ اللَّهُ يُؤْتِكَ الْحِكْمَةَ ، وَإِنْ تَنْقَطِعَ عَنِ اللَّهِ يَنْفَرُ بِكَ الشَّيْطَانُ وَيُؤَسِّسُ لَكَ ثُمَّ يَرْدِيكَ .

بِرَبِّكُمْ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ يَوْمَ قَتَلُوا ضَحِيَّتَهُمْ أَمَا فَكَّرُوا فِي الْمَصِيرِ ؟ أَرْبَعَةٌ ذَهَبُوا إِلَى صَانِعٍ فِي بَعْضِ الْأَيْبَةِ فِي دِمَشْقَ وَقَيَّدُوهُ وَأَخَذُوا مِنْهُ

ثلاثة عشر كيلو ذهباً ، وبعد أسبوع أُعْدموا في قُرْبَتِهِمْ جميعاً ، هل معقول أن يَخْسِرَ الإنسان نفسه من أجل كَمِيَّةٍ من الذهب تبقى لديه سبعة أيام ؟ لذلك فالمُجْرِمُ غَيِّبٌ ، طبعاً صَعْبٌ أن تَرْتَكِبَ جريمة فالقانون يرصدك ويلاحقك ، ثم إن ربك لبالمرصاد يجزي شر الجزاء .

أَعْرِفَ شَخْصاً اشترى هذا الصخر وأنا أقول دائماً كُلِّمَا كَثُرَتِ الصَّحُونُ عَلَى السَّطُوحِ قَلَّتِ الصَّحُونُ عَلَى الْمَائِدَةِ ، وكلما قَلَّ ماءُ الْحَيَاءِ قَلَّ ماءُ السَّمَاءِ ، وكلما رُخِّصَ لَحْمُ النِّسَاءِ غَلَا لَحْمُ الضَّأْنِ ؛ كان يُصَلِّي الفَجْرَ والعِشاءَ مع أَهْلِهِ ، بَعْدَهَا أَصْبَحَ يَسْهَرُ إِلَى الْخَامِسَةِ صَبَاحاً ، وبذلك صار صغيراً أمام أَهْلِهِ ؛ أَيْنَ الْحِكْمَةُ ؟ .

وأَعْرِفَ رَجُلًا هَوَانَتْهُ أَنْ يَمْشِيَ فِي الطَّرِيقِ الْمُزْدَحِمَةِ وَيُمْتَنِعَ عَيْنُهُ بِالْحَسَنَاتِ ، فَأُصِيبَ بِمَرَضٍ ارْتِخَاءِ الْجُفُونِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى إِنْسَانًا إِلَّا إِذَا أُمْسَكَ جَفَنَهُ بِيَدِهِ ، أَيْنَ الْحِكْمَةُ ؟ هل تُصَدِّقُونَ فَمَنْ هُوَ الْحَكِيمُ ؟ الَّذِي يُطِيعُ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أَطْعُ أَمْرُنَا نَرْفَعْ لَكَ حُجْبَنَا فَلِإِنَّا مَنَحْنَا الرِّضَا مِنْ أَحَبِّنَا
وَلِذَلِكَ بِحِمَانَا وَاحْتَمِي بِجَنَابِنَا لِنَحْمِيكَ مِمَّا فِيهِ أَشْرَارُ خَلْقِنَا
وَعَنْ ذِكْرِنَا لَا يَشْغَلَنَّكَ شَاغِلٌ وَأَخْلِصْ لَنَا تَلَقَّ الْمَسْرَّةَ وَالْهَنَا

اسْمَعْ قِصَصَ النَّاسِ تَرَى الْعَجَبَ ؛ أَزْوَاجٌ مُتَبَاغِضُونَ ، وَأَعْمَالٌ مُنْخَرِفَةٌ وَخُصُومَاتٌ ، فِي الْبُيُوتِ مُشْكِلَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَنُفُورٌ وَعَصَبِيَّةٌ لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الْحَكِيمِ ، فَكَلَامُهُ قَاسٍ وَرُدُودُ فِعْلِهِ عَنِيفَةٌ جَدًّا ، فَلَا حُبَّ هُنَاكَ وَلَا وِثَامٍ وَلَا تَسَامُحٍ وَلَا سُرُورٍ ، تَجِدُ بَيْتًا يَخْوِي كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْحُبَّ ، فَهُوَ بِذَلِكَ خَائٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَالْإِنْسَانُ

بالحكمة يسعد ومن دون الحكمة يشقى ، سَمِعْتُ أَنَّ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ أَلْفَ حَوْلَ هَذِهِ الْآيَةِ كِتَاباً مِنْ دَفْتِهِ إِلَى دَفْتِهِ : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ .

وهناك زُوجَاتُ بِالحِكمة أَصْبَحْنَ أَوْدَّ وَأَرْحَمَ زُوجَاتٍ ، كَانِهْنَ بالود والرحمة أمهات ، وهناك زُوجَاتُ بِالْحُمُقِ أَصْبَحْنَ أَسْوَأَ زُوجَاتٍ كَانِهْنَ ثعابين ، كُلُّ هَذَا مِنَ الزَّوْجِ ؛ فَهَذَا كُلُّ يَوْمٍ يَقْسُو عَلَى زَوْجَتِهِ وَيَغْلَظُ لَهَا الْقَوْلَ ، وَلَيْلَهُ نَهَارُهُ وَرَاءَ عُيُوبِهَا لِيَحِطَّ مِنْ شَأْنِهَا وَيُحَاطَمَهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى أَنْ تُجَابِهَهُ وَتَرُدَّ عَلَيْهِ رَدًّا عَنِيفًا ، فَيَدْمُرُ الْوُدَّ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَنْ تَجِدَ إِنْسَانًا لَهُ كَمَالٌ مُطْلَقٌ ، أَمَّا الْحِكْمَةُ فَإِنَّهَا تَجْعَلُ النِّقْصَ كَمَالًا ، وَالْحُمُقَ يَجْعَلُ الْكَمَالَ نِقْصًا ، فَانْتَبِهْ ؛ اتَّصَالُكَ بِاللَّهِ يُعْطِيكَ الْحِكْمَةَ ، وَذِكْرُكَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِيكَ الْحِكْمَةَ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ تَعْطِيكَ الْحِكْمَةَ ، وَالْبَطُولَةُ أَنْ تَسْعُدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالسَّعَادَةُ أَنْ تَكُونَ مَعَ الْحَكِيمِ ، وَأَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى الْحِكْمَةِ كُلِّ سَاعَةٍ ، بَلْ كُلِّ دَقِيقَةٍ ، وَبَلَا حِكْمَةٍ يَشْقَى الْإِنْسَانُ وَيَرْدَى .

بهذا نكون قد أنْهَيْنا الحديثَ حولَ هذا الاسمِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى الْمَثَّةِ وَاللَّهُ الْمُؤَوَّقُ ، كَمَا انْتَهَيْنَا مِنْ مَجْمَلِ الْبَحْثِ الَّذِي وَفَّقَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ دَرَاةُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى كَمَا مَرَّ بِكُمْ ، وَنَضْرِعُ إِلَى الْمَوْلَى سَبْحَانَهُ بِالنَّفْعِ وَالْقَبُولِ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

* * *

محتوى الجزء الثالث

٥	٧٢- الباعث
٢٧	٧٣- القادر والمقتدر
٤٥	٧٤- الماجد والمجيد
٦٩	٧٥- المحيي المميت
٩١	٧٦- المقدم المؤخر
١١٥	٧٧- المانع
١٣٧	٧٨- المقسط
١٦١	٧٩- الوالي
١٨١	٨٠- الباقي
٢٠١	٨١- الرشيد
٢١٩	٨٢- الوارث
٢٣٥	٨٣- القوي
٢٥٣	٨٤- المتين
٢٧٣	٨٥- الستار
٢٩٣	٨٦- الرب
٣١٣	٨٧- الحافظ
٣٣١	٨٨- الأكرم

٣٤٩	٨٩- المضل
٣٧١	٩٠- عالم الغيب والشهادة
٣٩١	٩١- المدبر
٤٠٧	٩٢- الشافي
٤٢٥	٩٣- المسخر
٤٤٧	٩٤- المرید
٤٦٧	٩٥- هو الله
٤٨٧	٩٦- المصطفى
٥٠٥	٩٧- الديان
٥٢٣	٩٨- العالم
٥٤١	٩٩- المبين
٥٦١	١٠٠- مؤتي الحكمة
٥٧٩	محتوى الجزء الثالث

* * *

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس أطراف الأحاديث والآثار
- فهرس أطراف آثار وأقوال الصحابة
- فهرس الأعلام
- فهرس القبائل والجماعات
- فهرس الأماكن والبقاع
- فهرس القوافي الشعرية
- فهرس المصادر والمراجع
- الفهرس العام

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	رقم الجزء / الصفحة
(١) سورة الفاتحة		
﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَ الرَّحْمَ﴾	١	٥٢٢/١
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	١١٣/٢-٥٢٢/١، ٦٩٣، ٦٩٤-٣/٧٤، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٤
﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	٣	١١٣/٢
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	١١٣/٢-٢٥/١، ٥١٥/٣، ٥١٦
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٠٥/١، ٤٧١-٣/٧، ٣٨٢
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٧-٦	٤٢١/٣
(٢) سورة البقرة		
﴿الْعَر﴾	١	٥٢/٣
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾	٢	٥٦٤/١-٣/٥٢، ٣٧٤، ٤٨٩
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٣	٣٧٤، ٥٢/٣
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى﴾	٧	٤٣٣-٣٥٢/١-٤٣٠، ٣٧٤
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾	١٦-٨	٤٩٠/٣
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ مُعْتِدُونَ بَارِكُمْ﴾	٢١	٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٥
		٣٨٨، ٤٠٩-٢/١٠
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٩	٥٠٧/١

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾	٣٠	١/٥٣، ٥٤، ٦٧، ٤١٨-
		٣/٥٦١
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٣/٥٢٨
﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا بِإِلَآءِ﴾	٣٢	١/٣٣٩
﴿فَلَمَّا أَهبطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾	٣٨	١/٣٨٤-٢/٥٧٣
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِيْ أُوفِ﴾	٤٠	١/٥٠٦، ٥٠٧
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ﴾	٤٥	١/٤٦٧
﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ نَبِيًّا بَعْدَ مَوْتِكُمْ﴾	٥٦	٣/١٩
﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ﴾	٧٣	٣/٨٠
﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوا لَا تَقُولُوا﴾	١٠٤	٢/٤١٨
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ﴾	١١٠	٢/٤٣٨
﴿وَلِلَّهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ﴾	١١٥	٢/٣٠٥
﴿يَدِيْهِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٧	١/٦٨٢، ١/٦٧٩
﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا﴾	١١٨	٣/٥٤٨
﴿وَإِذْ أُنزِلَ إِلَٰهَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾	١٢٤	٣/٥٠٠
﴿وَإِذْ قَالَ إِلَٰهَ رَبِّهِ رَبِّ اجْعَلْ﴾	١٢٦	١/٦٠٤، ٦٠٦، ٦٤١-
		٣/١٢٦، ٣١٠
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِلَٰهَهُ الْقَوَاعِدَ﴾	١٢٧	٢/١٩٤، ١٩٥
﴿رَسًا وَأَنْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾	١٢٩	١/٥٢٧-٣/٥٢٨
﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِّلَّةِ إِلَٰهِهِ﴾	١٣٠	٣/٤٤٤
﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِلَٰهَهُ نَبِيُّهُ﴾	١٣٢	٣/٤٨٩
﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ﴾	١٣٣	٢/٣٢١
﴿فَإِنْ ءٰمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءٰمَنْتُمْ﴾	١٣٧	٢/٤٢١
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ﴾	١٤٢	٣/٥٦٩
﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	١/٤٤٦، ٤٤٧-٢/١٧،
		٤٥٧، ٤٦١
﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ مُّوْمِنٍ﴾	١٤٨	٢/٣٨٢
﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾	١٥٣	١/٦٤٥-٢/٢٥١، ٥٧٤

٧٠٤/١ ١٥٧-١٥٥	﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِبَنِيٍّ مِنَ الْخَوَافِ﴾
٥٤٤/٣ ١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا﴾
٦٠٤/١ ١٦٠	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾
٣٢٢/٢ ١٦٣	﴿وَاللَّهُكَرُّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
٢٤٨/٣-٢٤٨/١ ١٦٥	﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ﴾
٧٢٨، ٧١١/٢ ١٦٩	﴿إِنَّمَا بِأَمْرِكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾
٦١٨/١ ١٨٢	﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٦٢٠، ٥٠٧/١ ١٨٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾
٤٤٠/١ ١٨٤	﴿أَيُّهَا مَآعِدُ وَدَرْ قَمَن كَاك﴾
٥٤٦، ٤٥٠/٣ ١٨٥	﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ﴾
٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٠/٢ ١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾
٢٦١/١ ١٨٧	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ﴾
٤٦٨/٣-٥٨٠، ٥٧٤/٢ ١٩٤	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾
٤١٢/٢ ١٩٥	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٢٧٠/٣-٧١٩/٢ ١٩٧	﴿الْحَيَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَتٌ قَمَن﴾
١٥٤/٣-٦٥٤، ٦٥٢/١ ٢٠١	﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي﴾
٤٦١/٢ ٢٠٧	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾
٥٥٧/٣-٣١/١ ٢١٣	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ﴾
٣٨٨، ٢٧٥، ٢٧٤/٢ ٢١٦	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾
٤٧٣/٢ ٢١٨	﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٦٣٠، ٢٦٩/٢-٤٢٨/١ ٢١٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ﴾
٥٥١، ٥٥٠/٣	
١٢٤/١ ٢٢١	﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّى يُؤْمِنُ﴾
٢٧٠/٢ ٢٢٢	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ﴾
٤٧٢/٢ ٢٢٥	﴿وَلَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُؤِيْ فِيْ آبْنِيْكُمْ﴾
١٠٣، ١٠٢/٢ ٢٣٤	﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ﴾
٤٨٣، ٦٨/٣ ٢٣٧	﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾
٣١٩/٢ ٢٣٨	﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ﴾

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾	٢٤٥	٣٤٣/١، ٣٤٤/٢، ٣٣٩/٢، ٥٠٩/٣-٦٠٧، ٥٨٦
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ﴾	٢٤٧	٥١٩/٣-٣٠٥/٢
﴿فَهَرَمُوهُمْ فَإِذْنُ اللَّهِ وَقَتْلُ﴾	٢٥١	٥٧١، ٥٧٠/٣
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى﴾	٢٥٣	١٩٩/٢
﴿اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٢٥٥	٢٤٢/١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٣٣٥، ٩٦/٢، ٢٥٧، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٦٦، ٣٩٧، ٥١٦، ٥٢١، ٥٣٢، ٥٤٧-٣/٣١٩، ٤٧٠
﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم﴾	٢٥٧	٧٦/٢، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٢٧٩، ٣٢٩، ٦٧٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾	٢٥٨	٤٩١، ٣٩٠/١
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي﴾	٢٦١	٣٠٥/٢
﴿قَوْلٍ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٍ خَيْرٌ﴾	٢٦٣	٦٠٩/٢
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا﴾	٢٦٧	٧٠٥، ٦٠٩/٢
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ﴾	٢٦٨	٣٠٥/٢
﴿بِؤْتَى الْحِكْمَةِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ﴾	٢٦٩	٥٢١/١، ٥٢٨، ٦٤٦- ٢٠٧/٣، ٢٠٨، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٧
﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾	٢٧٦	١٢٣/١-٢/٥٨٦-٣/٤١٨
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾	٢٧٩	٥٥٢/٣
﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا لَهُ﴾	٢٨٢	٦٢٧/١، ٦٣٦-٣/٥٥٤
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٨٤	٢١٧/٢
﴿الرَّسُولُ بِمَا أَنزَلَ إِلَهُ مِنْ﴾	٢٨٥	٢١٠/١
﴿لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٤٣٩/١-٢/٧٣، ٤٥٨- ١٥/٣، ١٧٢، ٣٠٧

(٣) سورة آل عمران

١	٣٦٦، ٣٤٧/٢	﴿الْعَرَّ﴾
٢	٣٦٦، ٣٤٧/٢-١٥١/١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
٣	٤٧٠/٣	
٤-٣	٤٩٨/٢	﴿رَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾
٦	٤٧١، ٤٧٠/٣-٤١٦/١	﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَيْسَ لَهُ شُفَعَاءٌ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾
٧	٤٧١/٣	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾
٨	٢٦٤، ٢٦٢، ٢٦٠/١	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ الْكَافِرُ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ فَذُقُوا حَرَّ النَّارِ﴾
	٢٧٤، ٤٦٥	
٩	٦٥٤/٢	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ أَلَمَسَ فِيهِ الْأُنثَى الْأُنثَى﴾
١٥	٦٧٥/١	﴿قُلْ أُوْثِقْتُكُمْ بِعَهْدِي فَلَا تُؤْخَذُ بِهَذَا كَذِبًا﴾
١٨	٥٨٧، ٥٨٥، ٥٨٤/١	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
	٥٠٠، ٤٧١/٣	
١٩	٥٥٧/٣-٢١٧/٢	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
٢٠	٤٣٩/٢	﴿إِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾
٢٦	١٤٠، ٧٣، ٣٣، ٢٨، ٢٥/١	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَالِ ثَوَابِي﴾
	٢٠/٢-٦٥٥، ٥٦٣، ١٤٩	
	١٢٥، ١٢٤، ١١٧، ١١٤	
	٥١٧، ٥٠٦/٣-١٢٦	
٢٧	٣٥، ٣٤/١	﴿تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ﴾
٣٠	٤٦١/٢	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾
٣١	٤٧٤/٢-٦٩٤، ٢٥٥/١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾
٣٣	٤٩٣، ٤٩١، ٤٩٠، ٤٨٨/٣	﴿إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ طُحَيَّةَ بَنِي إِسْرَافِيلَ أَنْ تَنفُخَ فِي سُورِهَا﴾
٣٥	٣٣٩/٣	﴿إِذْ قَالَتْ أَمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي مَا تَشَاءُ لَكَ رَبِّ﴾
٣٧	٢٧٦/١	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾
٣٨	٤٢١/٢-٢٦٠/١	﴿هَذَا الَّذِي دَعَاكَ رَبُّكَ فَاقْبَلْ﴾
٤٢	٤٩٣، ٤٩١/٣	﴿وَلَاذْقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا﴾

٣٧٨/٣	٤٤	﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ ﴾
٦٨٩/١	٤٨	﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾
٤٠٤/١	٤٩	﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾
٢٠٠/٢	٥٥	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِيَنَّ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾
٣٩٦، ٣٩٥/١	٥٩	﴿ إِنِّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ﴾
٣٠٦، ٣٠٥/٢	٧٣	﴿ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ وَبِكُمْ ﴾
٥٧٥، ٩٥/٣	٨١	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾
٣٢٢/٣-٩٦/٢	٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾
٧٢٩، ٧٢٠، ٧١٨/٢-١٥٤/١	٩٢	﴿ لَنْ نَأْخُذَ بِكُفْرَتِهِمْ حَتَّىٰ تَتَّبِعُوا مِمَّا ﴾
٦١٠/٢	٩٧	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مِنْ ﴾
٥٩٣/٢	٩٨	﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ بِبَيْتِ اللَّهِ وَاللَّهُ ﴾
٨١/٣	١٠٢	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾
٨٧/٢	١٠٣	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
٢٨٧/٣	١٢٠	﴿ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً نَسُوهُمْ وَإِنْ ﴾
٥٥٣، ٥٥٢، ٥١٩، ٧٢/٢	١٢٣	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ ﴾
٤٣٣، ٣٢٩، ٩/٣		
٦٣٧/٢-٥٠٦/١	١٣٣	﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
٦٣٧/٢-٤٦٣/١	١٣٤	﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَائِقِينَ ﴾
٢٠٩/١	١٣٥	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا ﴾
٥٧٠، ٤٥٩/٢-٦٧٣، ٦٠/١	١٣٩	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾
٤١٤/٣-٦٦٦، ٦٦٢		
١١٩	١٤٠	﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ﴾
٦٦٦، ٦٦٢/٢-٧٠٨/١	١٤٦	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَجْدٍ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ ﴾
٦٦٦، ٣٣٥/٢	١٥١	﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
١٠٣/٢	١٥٣	﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ﴾
٣٦٩/٣-٥٥٩/١	١٥٤	﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدْرِ غَيْرِ أَمْنَةٍ ﴾
٨١/٣	١٥٦	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا ﴾
٢١٧/٣	١٥٧	﴿ وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾

١٥٩	١/٥٨٣-٢/٧٠٤-٣/١٨	﴿ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّنَا عَنْهُمْ وَيَتَنَزَّلُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ يَخُوفُ ﴾
٢٠٩		
١٦٠	٢/٥٨٢	﴿ إِن يَصْرِفْهُمُ اللَّهُ فَلَا خَالِيفَ لَكُمْ ﴾
١٦٤	١/٥٢٧	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ ﴾
١٦٩	٢/١٢٨-٣/٣٤٢	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
١٧٣	٢/٢١٧-٣/٢٨٩-٣/٣٠٠	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ ﴾
١٧٤	٢/٢٨٩	﴿ فَأَقْبَلُوا بِبَغْيٍ مِمَّنْ لَّهُمْ قُلُوبٌ ﴾
١٧٥	٢/٨٥	﴿ إِنَّمَا ذَلِكَ الْكَيْدُ لِلشَّيْطَانِ يَحْوِفُ الْوَحْلَاءَ ﴾
١٧٩	١/١٥٠-٣/٥٦٣-٣/٣٦٦	﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ﴾
١٨١	٢/٥٩-٢/٥٠٦-٣/٦٠٧	﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾
١٨٥	١/٣٦٢-٢/٢٦-٣/٨٧	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا ﴾
١٨٩	١/١٢١	﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ ﴾
١٩٠	١/٤٩٨-٣/٥٥١	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِزَتِ ﴾
١٩١	١/١٩٨-٣/٣٠٧	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا ﴾
١٩٢	٣/٣٠٧	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْعِي النَّارَ فَقَدْ ﴾
١٩٣	١/٢١٠-٣/٣٠٧	﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي ﴾
١٩٥-١٩٤	٢/٢٦٧-٣/٣٠٧	﴿ رَبَّنَا وَإِنَّا مَأْمُورُونَ بِأَعْيُنِنَا ﴾
١٩٦-١٩٧	١/٦٠٦-٣/٣١٠	﴿ لَا يَغْرُلُكَ أَفْعَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
٤١٤، ٤١٣		
١٩٨	٣/٣١٠-٣/٤١٣-٣/٤١٤	﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ ﴾
٢٠٠	١/٢٥٣-٣/٧٠٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَبْرًا وَصَابِرُونَ ﴾

(٤) سورة النساء

١	١/٤٩-٢/١٦٥-٣/١٦٧	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾
	١/١٧٠، ١/١٧٢، ١/١٧٣، ١/١٧٤	
	١/١٧٥، ١/١٧٦، ١/١٧٧، ١/١٧٨	
٦	٢/٢١٢-٣/٦٠٧	﴿ وَابْتَغُوا الْيُسْرَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا ﴾
١٧	٢/٦٢٤-٣/٦٣٢	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ﴾

٢٦	٣/٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٥٥٢، ٥٥١	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي يَكْتُمُونَ﴾
٢٧	١/٦٠٥، ٦٠٦-٣/٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٥٥٢	﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَمُنَّ بِكُمْ﴾
٢٨	١/٣٩٨-٣/٤٥٦، ٤٥٧، ٥٩٢، ٥٩٣	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وِثْرَ الْوَلَدَانِ﴾
٣٣	٢/٥٩٢، ٥٩٣	﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى وَمَا تَرَكَ الْوَلَدَانِ﴾
٣٤	١/٣٨٣-٢/٥١٦-٣/٣٢٤، ٣٢٦	﴿الزَّيَّالَ قَوْمًا مَوْتًا عَلَى الْبَيْتِ يَمَّا فَصَلَ﴾
٤١	٢/٥٧٩	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾
٤٣	١/٤٢٨	﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ﴾
٤٥	٢/٨٧	﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ﴾
٤٨	١/٢٠٩-٢/٢٣، ٢٢٥	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ﴾
٥٨	٢/٣٦١	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾
٥٩	٢/٥٧٧	﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾
٦٥	٢/٥٧٧	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾
٧١	٢/٩٩	﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾
٧٧	١/٦٠٦-٣/٢٠٢	﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ﴾
٧٨	٢/١٦١	﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾
٧٩	٢/١٦١، ٥٩٤، ٥٩٥	﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾
٨٥	٢/٢٣٢، ٢٣٣	﴿مَنْ يَشْفَعْ مِنْفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ﴾
٨٦	٢/٢١٥، ٢١٦	﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ فَتَحِيَّةٌ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ﴾
٨٧	٢/٦٥٤، ٥٦٤	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ﴾
٩٩	٢/٦٣٢	﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ﴾
١٠٤	٢/٤٩٦	﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ﴾
١٠٨	١/٣٤١	﴿يَسْتَحْفِقُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفِقُونَ مِنِ﴾
١١٣	١/٣٣٦، ٣٣٩، ٤٨٦-٣/٣٠٦	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾
١١٥	١/٦٩١-٢/٣٢٩	﴿وَمَنْ يُسَاقِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ﴾

٢٠٢/٣-٤٧١/٢	١٢٤	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي﴾
٣٠٨/٢-٥٢٦/١	١٣٠	﴿وَأَنْ يَنْفَرًا يَأْمُرُ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِي﴾
٦٥٤، ٦٤٩/٢	١٤٠	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا
٤١٤/٣-٤٧٧، ٤٥٩، ٢٥٠/٢	١٤١	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ
٥٧٣/٢	١٤٢	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾
٦٥٢، ٤٨١، ٤٨٠، ٤٧٦/١	١٤٧	﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾
٦٥٤-١٥٧/٢، ١٦٩، ٦٩٩،		
٤٣٥/٣-٧٢٣		
٦٣٣، ٦٣٢/٢	١٤٩	﴿إِنْ لَبِذُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوا أَوْ تُعْفَوُا﴾
١٩٥، ١٩٤/٢	١٥٤	﴿وَرَفَعْنَا قُرُونَهُمُ الطُّور﴾
٣٣٥/١	١٦٦	﴿لِيَكُنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾
٣٢٢/٢	١٧١	﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾

(٥) سورة المائدة

٧١٩/٢-٢٦١/١	٢	﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
٤٩٠، ٣٧٤/٣-٦٨٦، ٦٨٥/١	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
٨٥/٢	٥	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
٥٦٠/٣	٦	﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾
١٥١/٣-٧١٧، ١٠٧/٢	٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾
١٢٦/١	١١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
٥٧٣/٢-٦٤٥، ٤٤٢، ٨٨/١	١٢	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾
٤٦٨/٣		
٥٨٢، ٣٠، ٢٩، ٢٨/٢	١٥	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾
٥٥٣/٣		
٥٥٣/٣	١٦	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾
١٧٦/١	٢٢	﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَارِينَ﴾
٢٧٨/٣	٣٣	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
٤٧٤/٢	٣٤	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا﴾

٢٢/١	٣٨	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾
٢١٤، ٢١٣/١	٣٩	﴿مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾
١٩٦/٢	٤١	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾
١٤٩، ١٤٨/٣-٤١٩/٢	٤٢	﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلشَّحَةِ﴾
١٦٣/٢-٥٧٤، ٥٠٧/١	٥٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ﴾
٦٨٣، ٥٠٢، ٣٠٧، ١٨٨		
٢٦٥/٣		
٥٠٦/٢	٦٤	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾
٤٩٤/٣	٦٧	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾
٤٣٩/٢	٧١	﴿وَحَيِّصُوا أَلَّا تَكُونُوا فِتْنَةً فَاعْمُوا﴾
٥٥٥، ٥٥٤/٣	٧٥	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ﴾
٥٥١/٣-٦٣٥/٢	٨٩	﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ﴾
٤٢٨/١	٩٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ﴾
٤٩٣/٢	٩٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾
٤٧٤/٢	١٠١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾
١٧٢/٣	١٠٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾
١٩٦/٢	١١٠	﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾
٢٥٧/١-٤٥٧/٢-٥٦٤/٣-٢٥٠	١١٦	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾
٥٣٤		
٦٤٠، ٥٩٤، ١٧٣/٢	١١٧	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾
٢٩٩/٢-١٤٦، ١٤٥/١	١١٨	﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ﴾
٦٣٣، ٥٩٤، ٤٦٩، ٣٠٠		
٦٩٩/٢	١١٩	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾

(٦) سورة الانعام

٤١٦، ٦٣/٣-٤١/٢-٦٢١/١	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
٤٧٢/٣	٢	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ﴾
٤٧٢/٣	٣	﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾

٢١١/٣	٦	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾
٢٢٢/٢	١١	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا ﴾
٦٥٤/٢	١٢	﴿ قُلْ لِمَنْ نَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٥٣٢/٣-٤٢١/٢	١٣	﴿ وَلَكُمْ مَا سَكَنْ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾
٤٧٢/٣-٣٨٤/٢	١٧	﴿ وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَعْضُ فُلَا كَاشَفَ ﴾
١٠٧/٢-٢٣٧/١	١٨	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَفِيرُ ﴾
٤٧٣/٣-٧٠٣		
٥٩٥، ٥٩٤، ٣٢٢/٢	١٩	﴿ قُلْ أَتَى نَفْسِي أَكْبَرُ شَهْدَةٍ قُلْ ﴾
٥٩٥، ٥٩٤، ٣٩٤/٢	٢٤-٢٣	﴿ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾
٧٠٢/١	٣٤	﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾
٢٩/٣	٣٧	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ ﴾
٤١٣، ٣١٠، ١٣٨/٣-٧٠٠/١	٤٤	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ، فَتَحَنَّا ﴾
٣٠٨/١	٥٠	﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ ﴾
٦٢٤، ٤٧٥/٢	٥٤	﴿ وَإِنَّا جَاءَكَ الْذِّبُ يَوْمُئِذٍ بِحَافِظِنَا ﴾
٤٧٣/٣	٥٧	﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾
٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥/١	٥٩	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا ﴾
٩٢، ٩١/٢-٣٣٨، ٣٠٩		
٤٧٣، ٣٨٤، ٣٨٢/٣-٣٦٠		
٥٣٦		
٤٧٣، ٢٣/٣	٦٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْفَخُ فِيكُمْ بِالْأَيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ ﴾
٨٧/٣-٢٣٣/١	٦١	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ ﴾
٦٨٠/٢-٧٣/٢-٣٧/١	٦٢	﴿ ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ ﴾
٢٢٩، ٢٢٧/٣		
٣٢/٣	٦٣	﴿ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾
٣٢/٣	٦٥	﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ ﴾
٤٢٥/٢	٦٨	﴿ وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَحْضُرُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾
٣٧٣/٣-٥٩٦/٢-٤٣٨/١	٧٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
٣٨٦		

٣١٢/١	٧٥	﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ﴾
٣٠٩/٢	٨٠	﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالِ أَمْحَجُّونِي فِي﴾
١٠٦/١، ٥٧/٢، ٥٢/٣، ٣٣٤، ٢٥١	٨١	﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا﴾
١/٢-٥٦٣، ٢٥١، ٣٣٤	٨٢	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾
٥٢/٣-٦٦٥		
١٩٩/٢	٨٣	﴿وَنِيْلِكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾
١/٢٦٦-٣/١٣٠	٨٤	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾
١/٣٠١-٣/٢٨، ٥٢٨	٩١	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ﴾
١/٣٨٩، ٢-٣٩٠، ٢٨٦، ٢٩٠	١٠٢	﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
١/٩٦-٢/١٠٧، ٢٩٧	١٠٣	﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ﴾
٤٤٨، ٣٩٠		
١١٤	١١٤	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾
١١٦	١١٦	﴿وَلَنْ تُلَاقَ أَكْثَرَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾
١٢٠	١٢٠	﴿وَذَرُوا ظِلْمَهُ الْإِنَّمِ وَيَاطِنُهُ﴾
١٢٢	١٢٢	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا﴾
٤٢٣، ٨٨، ٧٩، ٧٧، ٧٤		
١٢٤	١٢٤	﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾
١٢٥	١٢٥	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشُرْ﴾
٤٥٤، ٤٥٣		
١٢٩	١٢٩	﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الْفَالِغِينَ بَعْضًا﴾
١٣٢	١٣٢	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ وَمَا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ﴾
١٣٣	١٣٣	﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ﴾
١٤٧	١٤٧	﴿فَإِنْ كَذَّبُوا فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾
١٤٨	١٤٨	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ﴾
١٥١	١٥١	﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ﴾
١٥٣	١٥٣	﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾
١٥٧	١٥٧	﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾

٢٣١/٣	١٥٨	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾
٥٧٩، ٥٧٨/١	١٦٢	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾
٥٧٩/١	١٦٣	﴿ لَا شَرِيكَ لَمْ يَذَلِكْ أُرِيتُ ﴾
٢٩٨، ٢٩٧/٣	١٦٤	﴿ قُلْ أَغْبِرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبِّي ﴾
٢٠٠، ١٩٩/٢-٣٣، ٣٢/١	١٦٥	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ ﴾

(٧) سورة الأعراف

٤٤٩/٣	٢٨	﴿ وَإِذَا قُلُوا فَجِئْتُهُ قَالُوا وَجَدْنَا ﴾
٦٧٤/٢	٢٩	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا ﴾
١٧٤/٢	٣١	﴿ يَبْنِي بَادِمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ ﴾
٢٠، ٣٩٦، ٣٩٥، ٣٩٤/١	٥٤	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾
٢٩٩، ٢٩٨، ٢٥٦/٣-١١٨		
٥٧٤، ٢٧١، ٢٧٠/٢	٥٥	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ ﴾
٤٧٤/٣	٥٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا ﴾
١٨/٢	٧٣	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾
٣٠٥، ٣٠١، ٣٠٠/١	٨٩	﴿ رِسْعَ رَبِّنا كُلِّ مَنٍ عَلِمًا عَلَى ﴾
٤٧٧/٢-٢٨٥/١	٩٦	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾
٧١١/١	١٢٦	﴿ وَمَا لَنُفَقِمَ مِنَّا إِلَّا أَتَمًا يَبْكِبُ رَبَّنَا ﴾
٥٩، ٥٨/٢-٧٠٤/١	١٢٨	﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ ﴾
٥٠٠، ٤٩٥، ٤٩٤، ٤٨٩/٢	١٣٦	﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾
٥٠١		
٣٦٣/٣	١٣٨	﴿ وَجُوزًا يَبْنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا ﴾
٣٩/٣-٣٩٧/٢-٢٧٨/١	١٤٣	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾
٤٩٢، ٤٩١/٣-١٩٦/٢	١٤٤	﴿ قَالَ يَمْشِي إِلَىٰ آسَاطِفَيْكَ عَلَى النَّاسِ ﴾
٤٧٩، ٤٧٦/٢-٢٢١/١	١٥٣	﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا ﴾
٣٦٧، ٣٦٦/٣	١٥٥	﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾
٤٨١، ٣٠٩/٢-٤٥٥/١	١٥٦	﴿ وَكَسَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾
٨١/٣	١٥٨	﴿ قُلْ يَتَّبِعْنِي النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﴾

١٧٢	٤٢٧/٢	﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾
١٧٩	٥٩/١	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾
١٨٠	١٩، ٦/١، ٢٠، ٤٤١، ٦٥٧-	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾
	١٠١/٢، ١١٣، ١٥٣، ٤٥٠،	
	٤٨٧، ٥٠٦، ٥٥٩، ٦٧٣-	
	٣٦٨/٣	
١٨٢	٧٠١/١	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾
١٨٣	٣٥٣/١، ٣٥٤، ٧٠١، ٧٠٢	﴿وَأَمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾
١٨٤	٥٥٥/٣	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾
١٨٨	٣٦/١، ٢٩٩، ٣٠٨، ١٦٣/٢	﴿قُلْ لَا أَمْرَ لَكُمْ بِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾
	٣٢٥	
١٩٦	٨٥/٢	﴿إِن رَّيَيْتَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابَ﴾
٢٠٠	٤٢١/٢	﴿وَأَمَّا يَتَذَكَّرُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾

(٨) سورة الأنفال

١	١٤٢/١	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾
٢	٢٥٥/١-٢٢٢/٣	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾
٩	٢٦٩/٢-٢٢٠/٣	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ﴾
١٧	٥٥٥/٢-٢٠/٣، ١٣١/٣	﴿فَلَمْ تَقْسُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾
	٥٦٥، ٥٠٩	
١٩	٥٣/٢، ٥٨٠-٤٦٨/٣	﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَفَدِّجَاءَ كُمْ الْفَسَحُ﴾
٢١	٤١٧/٢، ٤١٨	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾
٢٤	٢١٥/٢-٧٧/٢، ٢٧٢، ٢٧٦،	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾
	٥٨٤-٢٢/٣، ٢٣، ٥٤٩	
٢٩	٢١٦/٣-٤٢٩، ٣٥/٢، ٢١٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾
٣٠	٣٣٠/١-٣٧٨/٣	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾
٣٣	٦٩٨/٢-٣٧٢/٢	﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾
٣٦	٤٩٦/٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾

٦٥٣، ٤٢١/٢	٤٢	﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِ وَهُمْ
٥٨٠/٢-٧٠٨/١	٤٦	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْزِعُوا
٢٤٥/٣	٥٢	﴿ كَذَّابٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ
٤٢٠، ٢٦٩، ٢٦٨/٣-٦٦٢/٢	٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
٥٨٢/٢	٦٢	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْذَرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ لَا
٦٤٨/٢	٦٣	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
٢١٧/٢	٦٤	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْكَافِرَةُ فَتَقُولُ لَا
٤٧٦/٢	٧٠	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْكَافِرَةُ فَتَقُولُ لَا
٥٤٥/٣-٥٧٩/٢-٢٣١/١	٧٢	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَهَاجِرُوا وَجَاهَدُوا

(٩) سورة التوبة

٤١٢/٣	١٤	﴿ فَتِلْكَ نَفْسُ الْكَافِرَةِ الَّتِي أَلْفَحَتْ
١٠٨/٢	١٦	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ لَا يَعْلَمَ
٥٣/٢	٢٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الْخَبْرُ مِنْ كُلِّ شَأْنٍ فَتَكْفُرُ
٢٥/٢-١٧٨/١	٢٤	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
٥٥٣، ٢٤٨، ٧٢/٢-١٣٤/١	٢٥	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ
٤٨٤، ٤٣٣، ٣٢٩، ٩/٣		
٦١٨/٢	٢٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الْخَبْرُ مِنْ كُلِّ شَأْنٍ فَتَكْفُرُ
٤٢/٢	٣٢	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
٥٥٩/٣	٣٣	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ
٧٧/٢	٣٦	﴿ مَعَ الشَّقِيِّينَ
٢٤٥، ٢١٥/١	٣٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الْخَبْرُ مِنْ كُلِّ شَأْنٍ فَتَكْفُرُ
٢١٥/١	٣٩	﴿ إِلَّا تَتُوبَ إِلَىٰ رَبِّكَ لَا تُبَدِّلْ عَذَابَ
٣٧٨، ٦٤/٢-٨٠/٢	٥١	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا
٢١٧/٢	٥٩	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
٦٥/١	٦٢	﴿ يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ
٧٥/٢	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
٧٢٠/٢-٦٥٧، ٦٦٣/١	٧٢	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

٦١٨/١	٧٨	﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾
٥١٥/١	٨٤	﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ﴾
٣٨٦/٣-٥٩٥/٢	٩٤	﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾
٤٢١، ٣٦٠/٢-٦٢٠، ٥٠٧/١	١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾
٣٨٧/٣-٥٩٦/٢-١٠٥	١٠٥	﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ وَعَالِمُ الْغُيُوبِ﴾
٥٣٤		
٤٩٩/٣-٥٨٠، ٤٦٥/٢	١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾
٣٦٥، ٣٥٥/٣	١١٥	﴿وَمَا كُنَّا أَنْ يَضِلُّ قَوْمًا بِعَدْوٍ إِذْ﴾
٥٤٦، ٤٦٢/٢	١١٧	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾
٦٠٠، ٣٤٩، ٢١٤، ٢١٣/١	١١٨	﴿وَعَلَى الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا﴾
٦٠٣، ٦١٠/٢-٦٦٦		
٣٠٩/٣		
٢٥١، ٧٦/٢-٦٤٥/١	١٢٣	﴿يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ أَسْأَلُكُمْ فِي الدِّينِ﴾
٦٤٧/١	١٢٨	﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
٣٠٠، ٢٩٩/٣-٢١٨/٢	١٢٩	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾

(١٠) سورة يونس

٥٢٧/١	١	﴿الرَّحْمَنُ الَّذِي آتَى الْكِتَابَ الْحَكِيمَ﴾
٣٩٩، ٣٩٣/٣	٣	﴿إِنِّي رَجَعْتُكُمْ إِلَى الَّذِي خَلَقَ﴾
٣٠/٢	٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾
٥٦٤/٣-٦٩٥، ١٥٥/٢	١٠	﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سَمْعُكَ اللَّهُمَّ﴾
١٦٢/١	١١	﴿فَنَذَرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾
٦/٣	٢٢	﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
١٦٩/٣-٣١٧، ١٢١، ١٢٠/٢	٢٤	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾
٦١٦، ٦١٥، ٩٠، ٧١/١	٢٥	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَافِ﴾
٣٤٤، ١٨٣/٢-٩٠/١	٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْفَى وَرَبَادَةُ﴾
٥٩٥/٢	٢٩	﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾
٤٠٠، ٣٩٩، ٣٩٤/٣	٣١	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

٣٢	﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَزَقَكُمُ الْحَيَاةَ فَمَاذَا بَعَدَ ﴾	١٧١/١، ٥٥٠، ٥٥٦-٢/٢٠٥
٣٣	﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ لِكُلِّ رِزْقٍ عَلَى الَّذِينَ ﴾	٥٧٣/٢
٤٣	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ ﴾	٥٩٥/٢
٤٩	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾	١٦٣/٢
٥٧	﴿ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْثُفُ مَوْعِظَةٌ مِنْ ﴾	٤٢٢، ٤١٤/٣
٦١	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ ﴾	٥٩٥/٢
٦٢	﴿ أَلَا إِنَّ أَوَّلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٨٠، ٧٤/٢
٦٣	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾	٥٥٧، ٨٦، ٧٨/٢
٦٤	﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾	٨٧، ٨٦/٢
٦٨	﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾	٦١١، ٦١٠/٢
٧٨	﴿ قَالُوا أَإِتَيْنَا لِنُغْنِيَنَّكُمْ وَبَعَدْنَا ﴾	١٩٢/١
٩٠	﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ الْبَحْرَ ﴾	١٦٧/١، ١٨١-٢/١٣، ١٤، ٢٢٣/٢-١٦
٩١	﴿ مَا أَفْنَى وَفَدَّ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾	٢٣١/٣-١٦٧/١
٩٢	﴿ قَالُوا نَحْنُ نَدْعُكَ لِتَكُونَ ﴾	٤٩٤/٢
٩٧	﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾	٥٥٠/٣
١٠١	﴿ فِي أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٦١٧/١
١٠٧	﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ ﴾	٤٧٩/٢، ٤٨٠-٣/١٣٣، ٤٧٢، ٤٥٨، ٤٥٧
١٠٩	﴿ وَأَنْتَ مَا يُؤَخِّرُ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ ﴾	٥٧١، ٥٧٠، ٥٦٩/٢

(١١) سورة هود

١	﴿ الرُّكْبَ أَخَعِمْتَ إِنْ شَاءَ رَبُّكَ ﴾	٥٢٦/١
٣	﴿ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا مِنْكُمْ ثَمَّ نُوْبُوا ﴾	٣٠٤/١
٦	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ﴾	٢٢٩، ٢٢٨، ٩٣/٢
٧	﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٣٢/١
١٢	﴿ فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾	٢٩١/٢
٢٨	﴿ قَالَ يَقُولُ أَبْهَتْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ ﴾	٥٥٥/٣
٣٦	﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ ﴾	١٠٥/٣

٤٥-٤٦	٣٥/١	﴿وَكَادَىٰ نُوحٌ رَبِّكَ فَقَالَ رَبِّ﴾
٥٣	٢٣/١	﴿قَالَ أَوَيْدُهُودُ مَا جَحْتَنَا بِسَيِّئَةٍ﴾
٥٤	٢٣/١	﴿قَالَ إِنِّي أَنشُدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾
٥٥	٢٣/١، ٥٥٦، ١٤/٢، ٢١٧، ٢٥٠، ٢٩١، ٣١٧، ٣٥٩	﴿فَكَيْدٌ فِي جَمِيعَاتِهِ لَا يَظْهَرُونَ﴾
٥٦	٢٣/١، ٥٥٦، ١٤/٢، ٢١٧، ٢٥٠، ٢٩١، ٣١٧، ٣٥٩، ٣٧٤، ٤٧٠، ٤٧١، ٣/٣، ٩٧، ١١٧	﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾
٥٧	٢/٢، ٩٧، ٢١٧	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ﴾
٦١	٢/٢، ٢٦٦، ٢٦٧-٣/٣، ٣٥٠	﴿وَالَّذِينَ تَتَّبِعُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾
٦٦	٣/٣، ٢٤٠، ٢٤٣	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ﴾
٧٣	٢/٢، ٧٠٥، ٧٠٧-٣/٣، ٦٣، ٦٥، ٦٦	﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ﴾
٨٦	٣/٣، ١٨١، ١٨٢	﴿بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ﴾
٨٨	١/١، ٣١٦، ٣١٧، ٤٠٥	﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾
٩٠	١/١، ٦١٨	﴿إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾
٩٣	٢/٢، ١٦٧	﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ مَعْكُمْ رَسُولًا﴾
١٠٥	٣/٣، ٤٥٨، ٤٥٩	﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا﴾
١١٣	١/١، ١٦٩	﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
١١٤	٢/٢، ٦٣٥، ٣/٣، ٢٨٩	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا﴾
١١٧	١/١، ٥٥٢، ٦٢٤	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْفَرَىٰ وَيُظْلِمَ﴾
١١٩	١/١، ٥٠٠، ٤٥٥، ٥٩٧-٢/٢، ٧٢١	﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾
١٢٣	١/١، ٣٨، ٥٥٦، ١٩/٢، ١١٩، ٣١٦، ٥٢٥، ٣/٣، ٢٢٢، ٤٠٨، ٤٠٤، ٤٩٢	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ﴾

(١٢) سورة يوسف

٥٥٦/٣	١	﴿الرَّيَّةَ أَتَيْتُكَ بِكَ الْيَمِينِ﴾
٦٤٢، ٥٢٦/١	٦	﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ﴾
٩٩/١	١٧	﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ﴾
٧١/٢	١٩	﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾
٢٣٤، ١٨١، ١٤٨، ١٤٧/١	٢١	﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ﴾
٣٨٨/٢-٢٣٩، ٢٣٧		
٥٧٠، ٢٢٤، ٢٢٣/٣-٦٤١/١	٢٢	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾
١٨٥/٣-١٦٥/١	٢٣	﴿وَرَوَدْنَاهُ أَلْفَ مَوْفٍ بَيْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾
٥٥٨، ٥٥٧/١	٢٤	﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ﴾
٥٠٢، ٥٠٠، ١٩٢/١	٣١	﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾
٢٤٩/٣-٥٥٢/٢-٤٧٠/١	٣٣	﴿قَالَ رَبِّ النَّجَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا﴾
٤٨١		
٣٢٤، ٣٢٢/٢	٣٩	﴿يَصْنَعِي النَّجَى أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾
٥٩٤، ٥٧٣، ١٨٥/٢	٥٢	﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
٩٩/٢	٥٥	﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾
٦٣/٢	٦٣	﴿قَالَ رَبِّ النَّجَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا﴾
٥٦، ٥٥، ٤٧/٢-١٢٢/١	٦٤	﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ﴾
٥٨٢، ٥٨١/٢-٥٨، ٥٧		
٣٢٠، ٣١٩، ١٢٨، ١١٨/٣		
٥٣٣، ٣٢٢، ٣٢١		
٢٩١/٢	٦٦	﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوَافِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾
٥٧٢/٢	٦٧	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا إِلَهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾
٥٢٠/٢-٥٣٩، ٣١٩/١	٧٦	﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾
٥٣٠/٣		
٢٩٣/٢	٨٦	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنُسْؤِ وَحَرْقِ﴾
٣٢٢/٣-٤٨١/٢	٨٧	﴿بِنُسْؤِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ﴾

٩٠	١/١٦٤، ١٨١-٢/٥٧١	﴿قَالُوا أَوَآتَاكَ لَنَا نَبِيٌّ قَال﴾
١٠٠	٢/٦٢٧	﴿وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ﴾
١٠١	١/٢٨، ٣٠، ٣١-٢/٧٢، ٨٣	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمَنِي﴾
١١٠	٢/٢٧٣	﴿حَقِّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَلَمُوا﴾

(١٣) سورة الرعد

٢	١/٦١٨-٢/١٩٤، ١٩٥	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾
٦	١/٢١٠	﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾
٨	٢/٥٩٦	﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ﴾
٩	١/٦٥٩-٢/٥٩٦-٣/٣٨٧	﴿عَنِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿١﴾﴾
١١	٥٣٥ ١/١٤٣، ١٤٤، ٢٧٣-٢/٦٦	﴿لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾
١٦	٢/١٦٤، ٣٢٤	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ﴾
١٨	٢/٢٧٢	﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ﴾
٢٢	١/٧٠٩	﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾
٢٣	١/٧٠٩	﴿جَنَّتْ عَنْهُمْ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾
٢٤	١/٧٠٩، ٧١٠	﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ﴾
٢٧	٣/٣٦٧	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ﴾
٢٨	١/٨٦، ٦٥٧-٢/٣٣٣، ٣٥٣	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنُطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾
٣٢	١/٦٩٨، ٦٩٩	﴿وَلَقَدْ اسْتَبْرَزَتْ رُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ﴾
٣٣	٢/٣٦٣	﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾
٤١	٢/٢١، ١١٩، ٦٦٨-٣/١٦٧	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا﴾

(١٤) سورة إبراهيم

٧٠٧/٢	١	﴿الرَّكَعَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ
٣١/١	٤	﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾
٤٧٩/٣-٢٤١/٢-٤٧٥/١	٧	﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ
١٥٧، ١٣٨/٢-٤٥٨، ٥٠/١	٨	﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ
٣٦٠/٣-٦١١، ٦٠٢، ٥٩٩		
٢٩٣/٢	١٢	﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ
٨٨/٣	١٧	﴿وَبِأَيِّهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ
٥٤٩/١	٢٢	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّكَ
٢٢/٢	٢٧	﴿يُمِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي
٦٠٦/١	٣٠	﴿قُلْ تَتَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ
٢٠٥/٢	٣١	﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا
٤٣٢، ٤٣١/٣	٣٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
٢٤١، ٩١/٢	٣٤	﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا
٦٢/٢	٣٥	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ
٢٦٧/٣	٣٧	﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ
٧٠٠، ٥٢٦، ٥٠٥/١	٤٢	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ
٤١٣، ١٩٢/٣		
١٩٢/٣-٥٠٠، ٤٩٩/٢	٤٧	﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْدِهِ رُسُلُهُ
٣٢٤/٢	٤٨	﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ
٣٢٤/٢	٥٢	﴿هَذَا بَلَدُ الْفَالَسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ

(١٥) سورة الحجر

٣٢٢/٣-٩٥/٢-٦٩٩/١	٩	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
٣٢٣		
٥٩/٣-٢٨٣/١	٢١	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
٤٣٨/٣-٢٦٥/١	٢٢	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّعَ فَأَنزَلْنَا
٢٣٣/٣-٢٢٥/٢	٢٣	﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ

٥٤٨/٢	٣٩	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾
١١١/١	٤٨	﴿ لَا يَسْأَلُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾
٢٠٧/١، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١	٤٩	﴿ نِعْمَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
٥٠١، ٤٧٦، ٤٧٥/٢-٢٢٣		
٥٠١، ٤٧٦، ٤٧٥/٢-٢١٣/١	٥٠	﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾
٤٩٤/٣-٥٥١/٢	٧٢	﴿ نَعْتَرُكَ بِإِثْمِهِمْ لَعْنِ سَكْرَتِهِمْ يَوْمَهُمْ ﴾
٥٠٠/٢	٧٤	﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا ﴾
٤٩٥/٢	٧٩	﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ وَانْهَمْنَا لِيَامًا مِنْهُمْ ﴾
٥٥٣/١	٨٥	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
١٨٢/٢	٨٨	﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٩٢/٣ ٩٣-٩٢		﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُنَّ أَجْمَعِينَ ﴾

(١٦) سورة النحل

٥٦٤/٢	١	﴿ أَنِ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾
٢٥/٣	٢	﴿ يُزِيلُ الْمَلَكُ يَكَّ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾
٤٤٥/٣	٥	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾
٤٣٩، ٤٣٨/٣	١٢	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ ﴾
٤٣٩/٣	١٣	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ﴾
٤٤٠، ٤٣٩/٣	١٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْيَمْرَ لَنَا كَلَّا ﴾
٤٤١/٣	١٥	﴿ وَالْقَلْبُ فِي الْأَرْضِ رَواسٍ أَنْ تَمِيدَ ﴾
٤٤١/٣	١٦	﴿ وَعَلَّمَنَّا بِالنَّجْمِ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾
٤٤١/٣-٤٠٤/٢-٤٩٢/١	١٨	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾
٤٤٢		
٤٤٠، ٣٣٢، ٢٧٢/٢	٢١	﴿ أَمُوتْ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
٣٢٤/٢	٢٢	﴿ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدًا قَالِذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
٢٣، ٦/٣	٣٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾
٤٥٩/٣	٤٠	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴾
٣٧٠، ٣٦٩/٣	٤٣	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا ﴾

٤٧	٤٦٢/٢	﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّبٍ فَإِنْ رَكِبْتُمْ لَرَاهُ وَفَّ رَحِيمُهُ ﴾
٥١	٣٢٥/٢، ٣٢٦	﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾
٥٣	١٦٣/٢	﴿ وَمَا يَكُم مِّن تَعْمُرٍ فِيمَنَ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا ﴾
٦٠	٧٠٢/٢	﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلٌ ﴾
٦١	٤٥٣/١	﴿ وَلَوْ يَوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ﴾
٦٤	٥٥٦/٣	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ ﴾
٦٥	٧٤/٣، ٣٣٢	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا ﴾
٦٦	٦٥٢/٢	﴿ وَإِنْ لَكُم فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكَّرَ ﴾
٦٧	٤٢٨/١	﴿ وَمِن نَّمْرَاتِ النَّجِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ ﴾
٦٨	٥٦٧/٢، ٤١٥/٣	﴿ وَأَرْسَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّجْلِ أَنْ ﴾
٦٩	٤١٥/٣، ٤١٦	﴿ ثُمَّ كُلِّ مِن كُلِّ النَّارِ فَتَسْلُكِي ﴾
٧٠	٨١/٢	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُؤَفِّقُكُمْ وَيُمْسِكُ مِمَّنْ يَرُدُّ ﴾
٧٥	٣٧/١	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ ﴾
٧٧	٦١٨/١	﴿ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
٩٧	٢٠٠/٢، ٥٧٢، ٥٨٧	﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي ﴾
	٤١٤/٣، ٥٥٣	
١١٢	٣٠٦/١، ٣٠٧، ٤٥٢، ٥٥٢	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ﴾
١١٩	٢٢٠/١، ٦١١	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّنَا لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَنَّمَ ﴾
١٢٠	٧٩/٣	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾
١٢٥	٥٢٧/١	﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾
١٢٧	٧٠٣/١	﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ ﴾
١٢٨	٣٦٢/٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴾

(١٧) سورة الإسراء

١	٣٠٠/٢، ٤٢٠، ٤٢٢، ٥٩٤	﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾
٩	٨٩/١، ٩٠، ٣٨٣	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ ﴾
١١	٣٩٨/١	﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالسُّرِّ دَعَاهُ يُخْفِرُ ﴾
١٢	٢٦٥/١	﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابِ ﴾

١٤	٢/٣٦٤، ٥٩٠، ٥٩١، ٦٣٩-	﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝﴾
	٣/٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١	
١٧	١/٥٠٦-٢/٤٣٩	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ ۝﴾
١٨	٢/٦١٦	﴿ مَن كَانَ يُرِيدِ الْمَاجِلَةَ عَجَلْنَا ۝﴾
١٩	١/٤٧٦-٢/٦٧١	﴿ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا ۝﴾
٢٠	٢/٦٧١، ٧٢٢	﴿ كُلًّا نُّبَدِّهُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِن ۝﴾
٢١	١/٦٦٠-٣/٩١	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ ۝﴾
٢٣	٢/٧٣٠	﴿ ۝ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۝﴾
٢٤	٢/١٨١، ١٨٢، ١٩٣	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ۝﴾
٣١	١/٢٧٩-٢/٩٨	﴿ وَلَا تَقْسِلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَنِي ۝﴾
٣٢	٢/٩٨	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً ۝﴾
٣٣	٢/٩٨	﴿ وَلَا تَقْسِلُوا أَلَنَفْسِ أَلَنِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۝﴾
٣٦	١/٢٢٩	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ ۝﴾
٤٣	٢/٥٠٩	﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝﴾
٧٠	٢/١٣٥، ١٣٧، ٢٠٦، ٤٤٣-	﴿ ۝ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ۝﴾
	٣/٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩	
٧١	٢/٤٧١	﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِأَمْنِهِمْ ۝﴾
٧٤	٢/٦٥	﴿ وَلَوْ لَا أَن نُّبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ ۝﴾
٧٨-٧٩	٣/٢٤	﴿ أَفِيرِ الصَّلَاةِ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ عَسَىٰ ۝﴾
٨٠	٢/٦٨	﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ۝﴾
٨١	١/٥٦٩-٢/١٨٨، ٦٧٦، ٦٧٧	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنْ ۝﴾
٨٥	١/٢٤٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٩-	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ ۝﴾
	٣/٦٩	
٩٧	٣/٣٦٧	﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن ۝﴾
٩٩	٣/٣٣	﴿ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ ۝﴾
١١٠	١/٦٣٧، ٦٠٠	﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ۝﴾
١٢٧	١/٧١١	﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ ۝﴾

(١٨) سورة الكهف

١	١-٦٢١/٣-٦٣، ٤١٦	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾
١٠	٣-٢١٥، ٢١٦	﴿إِذَا أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾
١٢	٣-٢٤	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبْلُوهُمْ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾
١٣	١-٦٣٦/٣-٧، ٢١٣، ٣٠٠	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾
	٣٥٧، ٣٠١	
١٤	٣-٣٠٠، ٣٠١	﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾
١٥	٣-٣٠١	﴿هَتُولَاءِ قَوْمَنَا أَمْخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾
١٧	٣-٢١٦	﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ﴾
١٨	١-٨٠	﴿وَتَحْسَبُهُمْ آتِفَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾
٢١	١-٣٣٩	﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾
٢٦	١-١٢٠/٢-١١٩	﴿مَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يَشْرِكُ﴾
٢٨	١-٣٨٥/٢-٩٩، ١١٠، ٢٣٣	﴿وَأَصِيرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾
	٣-٤٥٦، ٥١١	
٢٩	١-٢٦١	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ﴾
٣٩	٣-٢٤٩	﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾
٤٥	٣-٤٢، ٤٣	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَوَّةِ الدُّنْيَا﴾
٤٦	١-٦٦٢/٣-١٨٦، ١٨٧	﴿الْعَمَالِ وَالَّذِينَ زِينَةُ الْحَيَوَّةِ الدُّنْيَا﴾
	١٨٨، ٥٥٦	
٤٩	١-٣٥٧	﴿يَوَدُّونَا مَالِ هَذَا الْكُتُبِ لَا يَأْتِيهِمْ﴾
٥٨	١-٢٠٧، ٧٠٢/٣-٢٠٩	﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾
٥٩	١-٤٥١	﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾
٦٦	٢-٥٢٠/٣-٥٢٩	﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى﴾
٦٧	٢-٥٢٠	﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾
٨٣-٨٥	٣-١٢٧	﴿وَسَيُلَوِّنَاكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ﴾
٩٠	٣-٢٧٤	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا﴾
٩٩	٢-٦٥٤	﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي﴾

٦٦/١	١٠٣-١٠٤	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾
٦٧/١، ٦٧٦/٢-٥٥٤	١٠٥	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾
٩٦، ٨٠/٣		
٦٧/١	١٠٦	﴿ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ﴾
٤٨٥/٣	١٠٩	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾
١١٠، ٢١/٢، ٢٦٨، ٣١٦، ٣٢٦		﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾
٥٢٦		

(١٩) سورة مريم

٤٠٦، ١٠٩/٢-١٣٣/١	٣	﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾
٢٦٠/١	٥	﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾
١٩٦/٢	١٢	﴿ يَتَّبِعُنِي فَخُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾
٧٢٤/٢	١٤	﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾
٩١، ٧١/١	١٥	﴿ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ ﴾
٨٨/٣	٢٣	﴿ يَلْتَمِسُنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾
٧٢٥، ٧٢٤/٢	٣٢	﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾
٢٣٣، ٢٢١/٣	٤٠	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾
٦٤٩/١	٤٥	﴿ يَتَابَعَتْنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنْسِكَ ﴾
٢٠٠/٢ ٥٧-٥٦		﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِتْمَمَ ﴾
٤٧٩/٢	٥٩	﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ﴾
٢٠٢/٣	٦٠	﴿ وَلَا يَظْلِمُونَ شَيْئًا ﴾
٣٥٧، ١٩٧/٣	٧٦	﴿ وَيَرْبِدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى ﴾
٥٧٣/٣	٨٣	﴿ أَلَمْ نَرَأَنَّكَ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى ﴾
٩٤/٢	٩٣	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١١٥، ٨٩/٢-١٨/١	٩٤	﴿ لَفَدَّ أَحْصَهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾
٣٣٢/٣-٦٤٧، ٥٠٧/١	٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

(٢٠) سورة طه

١٧١، ١١٢/٢-١١٨/١	٧	﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ﴾
------------------	---	---

١٤	٦٩٩، ٢٣٥/١	﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾
١٥	٦٩١، ٣١٩/٢	﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾
٣٩	٣١٨، ١٩٨/٢	﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾
٤٠	٦٣١/١	﴿ ثُمَّ جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ يُمْسِي ﴾
٤٤-٤٣	٤٣١، ١٢٥/١	﴿ أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾
٤٥	٥٨٣/٢-٤٣١، ١٢٦/١	﴿ فَلَا رَيْبَ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ ﴾
٤٦	٥٨٣/٢-٤٣١، ١٢٦/١	﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأُزَعِّفُ ﴾
٤٨-٤٧	١٢٦/١	﴿ فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾
٤٩	٣٤٠/٢-٦٣٥، ٢٤٢، ٨٥/١	﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْسُوْنِ ﴾
٥٠	٤٠٤، ٤٠٣، ٢١١/٣ ٣٤٠/٢-٦٣٥، ٢٤٢، ٨٥/١	﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ
٥١	١٤١/٢	﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴾
٥٢	٣٥١/٣-١٤١، ١٠٠، ٦٠/٢	﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾
٥٥	٦٨٨/٢	﴿ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا
٦٩-٦٦	١٣٠/١	﴿ قَالَ بَلِ الْقَوْلُ أَقْدَارًا جِئْتُمُ ﴾
٧١	١٩٦/٣	﴿ قَالَ مَا مَنَعْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ مَأْذَنَ لَكُمْ ﴾
٧٢	١٩٦/٣	﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا ﴾
٧٣	١٩٧، ١٩٦/٣	﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا ﴾
٨٢	٤٨١/٢-٢٠٨، ٣٣/١	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
٩٨	٣٠٩/٢	﴿ إِسْمًا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
١١١	٣٦٦، ٣٤٧/٢	﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ
١٢٠	٣٤٠، ٣٣٩/١	﴿ فَأَكْثَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوْءُ نَتِجَتَا ﴾
١٢٣	٥٧٣/٢-٣٨٤، ١٠١، ٩٠/١	﴿ قَالَ أَهِيْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
١٢٤	٣٦٦/٢-٥٤٤، ٣١٥، ٢٩٤/١	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
١٢٦-١٢٥	٥٤٤، ٢٩٤/١	﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَىٰ ﴾
١٢٩	٦٩٨، ٤٥٥/١	﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ

١٣١	١٩٧/٣	﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرًا وَابِقًا﴾
١٣٢	٢٧٧/١	﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ﴾

(٢١) سورة الأنبياء

٢٣	٤٦٩/٢	﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾
٢٥	١٧/٣-٥٢٦/٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾
٣٥	٧١٣/١	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾
٣٧	٤٧٦/٣-٣٩٨/١	﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ﴾
٤٢	٦٥/٢	﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
٤٧	٢٠٢، ١٥٦/٣-٢١٦/٢	﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
٥١	٥٣٧/٣	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾
٦٩	١٨٢، ١٦٧، ١٣١/١	﴿قُلْنَا إِنَّا نَارُ كُوفٍ بَرَدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾
٧٠	١٨٢، ١٣١/١	﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾
٧٩	٤٤٢/٣	﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ﴾
٨٢	٣٢٣/٣	﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُّوكَ لَهُمْ﴾
٨٣	٢٦٨، ٢٦٧/٢-٢٠/١	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ﴾
٨٤	٢٦٨، ٢٦٧/٢	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ﴾
٨٧	٤٠٧، ١٤/٢-١٣٢، ٦٤/١	﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضًيًا﴾
٨٨	٢٥٣/٣	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ الْغَدَرِ﴾
٨٩	٢٣٣، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٦/٣	﴿وَرَكْعَتًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾
٩٠	٤٩٩/٢-٢٢١/١	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾
١٠٤	٦٧٤/٢	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ﴾
١٠٨	٣٢٧، ٣٢٦/٢	﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾

(٢٢) سورة الحج

٥	١٩٥/٣	﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ إِنْ كُنْتُ فِي رَبِّ﴾
٧	٢٤، ٥/٣	﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾

٥٩١/٢	١٧	﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
١٣٥/٣-١٦٧، ١٤٩، ٣٣/١	١٨	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي﴾
٧٠٨، ٧٠٧/٢	٢٤	﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِّنَ الْقَوْلِ﴾
٥٥٧، ١٤٤/٢	٣٢	﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمَ شَعْبَهُ اللَّهُ فَإِنِّهَا﴾
٣٢٧/٢	٣٤	﴿وَلَا تَحْزَنُوا لِمَا سَلَمْتُمْ إِنَّمَا كَانَ صَرْفُ الْأَعْيَانِ﴾
٤٤٣، ٤٤٢/٣-٤٨٥/١	٣٦	﴿وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ شُعْبَةٍ﴾
٤٧٧، ٤٥٩/٢-١٠١/١	٣٨	﴿إِنَّا اللَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا﴾
٥٣٥، ٣٨٩/٣		
٢٤٥/٣	٤٠	﴿الَّذِينَ أَخْرَجْنَا مِنْ بُيُوتِهِمْ يَغْتَابُ فِي﴾
٣٧/٢-٥٤٤، ٢٢٩/١	٤٦	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ﴾
٥٣٠/٣	٤٧	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن﴾
٧٠٠/١	٤٨	﴿وَكَايْنٍ مِّن قُرْبَىٰ أَمَلَيْتُمَا﴾
٦٣٣، ٦٣٢/٢	٦٠	﴿ذَلِكَ وَمَن عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِفَ﴾
٤٢١/٢	٦١	﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ النَّاسَ﴾
٥١٦/٢	٦٢	﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾
٧٠٨، ١٠٨/٢	٦٣	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾
٧٠٨/٢	٦٤	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
٤٦٢/٢	٦٥	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي﴾
٢٤٦، ٢٤٥/٣	٧٤	﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرْتُمُوهُ﴾
٤٩٥، ٤٩٣/٣-٦١٨/١	٧٥	﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَأَىٰ مَكْرُسُلًا﴾

(٢٣) سورة المؤمنون

٢٧٧، ١١٢/١	١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٢٧٧/١	٢	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
١١١/٣	٤-٣	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾
٤٤٦/١	٧-٥	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ﴾
٨١/١	١٣	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قُرَارِ مَكِينٍ﴾
٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢/١	١٤	﴿فَوَخَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا﴾
٦٧٩/٢-٤٠٤، ٤٠٢، ٤٠١		
٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧/٣		

٣٥/٣	١٨	﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَاهُ﴾
١٢٠/١	٩١	﴿إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ الْمَاءِ يَخْلُقُ لَكُمْ مَاءً جَدِيدًا﴾
٥٣٥، ٣٨٧/٣	٩٢	﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّنَا عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
٣٥/٣	٩٥	﴿وَأَنَّا عَلَىٰ أَن نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدْ رُؤُونُ﴾
٤٠٧/١١٠٦-٩٩		﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾
٤٠٨، ٤٠٧/١١٠٨-١٠٧		﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَذَابْنَا﴾
٤٠٨/١١١١-١٠٩		﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ﴾

(٢٤) سورة النور

٥٢٦/١	١٠	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾
٤٦٤/٣-٦٣٧/٢	١١	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾
٥٥٧/٣	١٨	﴿وَبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾
٢٨٦/٣	١٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾
٤٦٢/٢	٢٠	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾
٤٢١، ٢٤٨، ٢٤٧/٢	٢١	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَضِلُّوا﴾
٦٣٧، ٤٨٣/٢	٢٢	﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤُلَافُ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾
١٠٨/٢-٤٤٠، ١٦٠/١	٣٠	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾
٢٠٩/٣		
٣٢٥/٣	٣١	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾
٣٠٧/٢-٢٦١/١	٣٢	﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ﴾
٦١٩، ٦١٨/٢	٣٣	﴿وَلِلسَّعْفِ الَّذِينَ لَا يُحِيدُونَ نِكَاحًا﴾
٤١، ٤٠، ٣٧، ٣٢/٢	٣٥	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ﴾
٤٩٣، ١٣٤/٣-١٩٤/٢	٣٦	﴿فِي بُيُوتٍ إِذْنُ اللَّهِ أَن تَرْفَعَ﴾
٦٦٧/٢	٣٩	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْنَاهُمْ كَرَامِ﴾
٧١/٢	٤٠	﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهُمَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾
١١٩/١	٤٤	﴿يَقْلِبُ اللَّهُ الْآيِلَ وَالنَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ﴾
٦٨٨/١	٥٤	﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾
٥٧٣، ٤٧٧/٢	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا﴾

٢٦١/١	٥٦	﴿وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾
٦٨٨، ٦٨٧/١	٦٣	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾

(٢٥) سورة الفرقان

٥٣٨، ٥٣٧/١	٢	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رَمَقْنَاهُ﴾
٥٧٠/٣	٢٣	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾
١٤/٢	٤٣	﴿أَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرِ مَاءً ثَمَرًا لَهُ ثَمَرٌ﴾
٣٤٥/١	٤٦	﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾
٣٤٧/٢	٥٨	﴿وَنَوَكِّلُ عَلَى الْغَابِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾
٣٦٩/٣	٥٩	﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
٥٠٦، ٤٣٢، ٤٢٢/٣-٢٠٦/٢	٦٣	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى﴾
٢٩٦/١	٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾
١٤٣/٣	٦٨	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
٦٣٠/٢	٧٠	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا﴾
٤٥٥/١	٧٧	﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾

(٢٦) سورة الشعراء

٤٩٤/٢ ٥٥-٥٤		﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾
٤٩٤/٢ ٦٢-٦١		﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالُوا أَصْحَابُ﴾
٤٩٤/٢ ٦٦		﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾
٤٤١/١ ٧٧-٧٥		﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾
٣٥/٣-١٦١/٢-٤٤٢/١ ٧٨		﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾
٤٠٧، ٢٩٥		
٣٥/٣-١٦١/٢-٤٤٢/١ ٧٩		﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾
٤٠٧، ٢٩٥		
٢١٨، ١٦١/٢-٤٤٢/١ ٨٠		﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾
٤٢١، ٤٠٧، ٢٩٥، ٣٥/٣		
٢٩٥/٣-١٦١/٢-٤٤٢/١ ٨١		﴿وَالَّذِي يُسَيِّئُ شَأْنِي ثُمَّ يُخَيِّبُنِي﴾
٤٠٧		

٨٢	٤٤٢/١-١٦١/٢-٢٩٥/٣	﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لِي﴾
٤٠٧		
٨٣	٤٤٢/١، ٤٧٣	﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْخَفِيفُ بِالضَّعِيفِ﴾
٨٤-٨٥	٤٤٢/١	﴿وَلَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي﴾
٨٨-٨٩	٥٩/١، ٩٣، ٧٠٨-٢/١١١-٤	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾
٤١٠/٣		
١٩٥	١٣٤/٢	﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾
٢١٣	٣٠٢/١، ٣٥٠، ٣٨٨-	﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
٢١٤	٣١٥/٢، ٣٣٥، ٤٠٨-٣/١٧	
٢١٤	٣٥٠/١-٢/٤٠٨	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
٢١٥	٣٥٠/١-٢/١٨٢، ٤٠٨	﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢١٦	٣٥٠/١-٢/٤٠٨	﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾
٢١٧-٢٢٠	٣٥١/١-٢/٤٠٨، ٤٤٥	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾

سورة النمل (٢٧)

٢٧	٥٧٧/٢	﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾
٢٩	٥٠١/١	﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِيْتُ إِلَىٰ كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾
٣٣	١٨٩/٢-٣/١٠	﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا الْقُوَّةِ وَأَتُولُونَا بَأْسٍ﴾
٤٠	٢٤١/٣	﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا﴾
٥٩	٨٦/١-٣/٤٩٦، ٤٩٧	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾
٦١	١٠٣/١-٣/٤٤١	﴿أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ﴾
٦٢	٢٦٥/٢، ٢٦٩، ٤٠٧-٣/١٢٨	﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾
٦٣	٢١/٢	﴿أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾
٦٤	٦٧٥/٢	﴿أَمَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ﴾
٦٩	٦٢٥/١-٢/٢٢٣	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ﴾
٧٩	٦٠/١، ٣٠١-٢/٢٩٢-	﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾
٥٥٧/٣		
٨٨	٢٩١/١-٤٠٣، ١٠٥/٢	﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ﴾

(٢٨) سورة القصص

٤	١٤٤/٣-١٩٩/٢-٥٢٨/١	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾
٤٥١		
٥	٢٣٣، ١٤٤/٣-١٩٩/٢	﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيكَ اسْتَضَعُّوا ﴾
٦	١٤٤/٣	﴿ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ ﴾
٧	١٣١/١، ١٣٢، ٥٤٣، ٦٣٠-	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ ﴾
	٥٦٧، ٤٧٨/٢	
٨	١٩٨/٢	﴿ فَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ فَأَمْسَكَتْهُ الْيَسْرَاءُ لَهْرًا ﴾
١١	٤٧٨/٢	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ فَبَصُرَتْ ﴾
١٢	٤٧٨، ٣١٨/٢	﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلَ ﴾
١٣	٤٧٨/٢	﴿ وَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُخْتِهِ كَمَا تَفَرَّقَ عَنْهَا ﴾
١٤	٥٢٩، ٢٧٧/١	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْنَا ﴾
١٥	٩٩/٢	﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾
١٦	٢١٢/١	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾
٢١	١١٣/١	﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ ﴾
٢٤	٤١٥/٣-٢٧٨/١	﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا نَارَ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِ ﴾
٢٦	٣٣٩/١	﴿ قَالَتْ لِأُحَدِّثُكُمَا بِمَا أَتَتْهُنَّ ﴾
٣٨	١٨٠/١	﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾
٤٧	٤١٥/١	﴿ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً يَٰمَا ﴾
٥٠	١٨٣/٣-٢٣١/١	﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا ﴾
٥٦	٣٦٣/٣	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ﴾
٦٠	٦٠٧/١	﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَوةَ ﴾
٦١	٤٩٧، ٤١٤/٣-٦٠٧/١	﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَافِيءٌ ﴾
٧٠	٣٨/١	﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ ﴾
٧٢-٧١	٣١٧، ٣١٦/٣-٤٣٧/١	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ ﴾
٧٦	١٢٥/٣-٦٤٢، ٥٢٨/١	﴿ إِنَّ قَدْرِينَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾
٧٨	٣٤٤، ٢٣١، ١٠/٣-١٨٩/٢	﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عَنَانٍ ﴾

٢٠٩/٢	٨٠-٧٩	﴿مَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ﴾
٢٣١، ٢٢٣/٣	٨١	﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ﴾
٤٥٠/٣-١٢٤/١	٨٣	﴿بِذَلِكَ الدَّارِ الْأُخْرَىٰ يُعْمَلُهَا لِلَّذِينَ﴾
٦٨٧/٢	٨٥	﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ﴾
٣٤٥/٢-٥٦٩/١	٨٨	﴿وَلَا تَتَعَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا﴾

(٢٩) سورة العنكبوت

٥٠٤/٣	٢	﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا﴾
٣٨٨/٢	٤	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾
٦١١/٢	٦	﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ﴾
٦٧٥/٢	٢٠	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ﴾
٢٠/٢	٢٢	﴿وَمَا أَنشَأَ بِمَعْجِرَاتٍ فِي الْأَرْضِ﴾
٢٠٢/٣	٤٠	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾
٥٤/٣-٦٦٣، ٦٢٠، ٥٠٧/١	٤٥	﴿أَتُنَلِّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾
٣٢٧/٢	٤٦	﴿وَلَا تُحَدِّثُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا﴾
٣٣٧/١	٤٨	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾
٢٧٥/١	٦٠	﴿وَكَيْفَ يَنْزِلُ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ﴾
٤٤٣/٣-١٦٦/٢-٩٥/١	٦١	﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾
٣٤٤/١	٦٢	﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
١٦٦/٢	٦٣	﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾
٣٣٥/٢	٦٤	﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ﴾
٣٦٥/٣	٦٩	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾

(٣٠) سورة الروم

٣٧٨/٣	٣-٢	﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾
٣٧٨/٣-٣٧/١	٤	﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾
٥٥٣/١	٨	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ﴾
٦٩١، ٦٧٥/٢	١١	﴿اللَّهُ يَسْبِقُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾
٦١٩/١	٢٠	﴿وَمِنْ عَائِدَتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

٦١٩، ٥٨١، ٥٨٠/١	٢١	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾
٦١٨/١	٢٢	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٦١٨/١	٢٥	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾
٦٧٦، ٦٧٥/٢	٢٧	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾
١٩٠/١	٢٨	﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ﴾
٦٢٩، ٣٩٩/١	٣٠	﴿فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾
١٦٣/٢	٣٣	﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا﴾
٣٤٤/١	٣٧	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾
٢٢٧/٢-٢٧٨/١	٤٠	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾
٦١٩، ٣٩١/١	٤٦	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾
٤٩٥، ٤٥٩/٢	٤٧	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا﴾
٣٤٥/١	٤٨	﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبَثِّرُ﴾
٨٠/٣	٥٠	﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾
٣٣٢/٣	٥٤	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾
٢٧٢/١	٥٥	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾

(٣١) سورة لقمان

٣٩٢، ٣٩١/١	١١	﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾
٦٨/٣-٧٠٩، ٦١١/٢	١٢	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ﴾
٣٨٥/١	١٥	﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾
٣٧٣/٢	١٧	﴿بَنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأْمُرْ﴾
٤٠٣، ٤٠٢، ١٣٢/٢	٢٠	﴿الزُّرَّاءَ إِنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾
٤٤٤، ٣٤٤، ٣١١/٣		
٢١/٢	٢٢	﴿وَمَنْ تُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾
٤٧٥/١	٢٥	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾
٦١٢/٢	٢٦	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ﴾
٤٨٥/٣-٥٢٦/١	٢٧	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾
٤٢١/٢	٢٨	﴿وَمَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجَدٍ﴾
٠٢، ٣٨٣/٣-٣٣٤/١	٣٤	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ﴾

(٣٢) سورة السجدة

٣٩٧، ٣٩٤/٣	٥	﴿يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ﴾
٣٨٧/٣-٥٩٦/٢	٦	﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
٥٣٨/١	٧	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾
٨٧/٣	١١	﴿قُلْ بَنُوا لَكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ﴾
٥٥٨/١	١٣	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ﴾
٤٩٧/٣-٥٦١/٢-٦٠٧/١	١٨	﴿أَقَمْنِ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾
٥٠٣		
٣٨٥/٢-٦٥١/١-٦٥٠/١	٢١	﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنِ﴾
٣٠٩/٣		
٥٠١/٢	٢٢	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾
٥٠٠/٣	٢٤	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُوكَ بِآيَاتِنَا﴾

(٣٣) سورة الأحزاب

٢٩١/٢	٣	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
٤٦٠/١	٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُرِهُوا فَتَحْتُمْ﴾
٢٩٠/٢-٤٦٠/١	١٠	﴿إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ فِرْقَتِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ﴾
٤٦١/١	١٢-١١	﴿هَٰذَا لِكَيْ تَبْلُغَ الْمُؤْمِنُونَ وَرَزَّلُوا﴾
٦٨٨، ٢٧٠/١	٢١	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾
٢٩٠/٢-٦١٣/١-٦١/١	٢٣	﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا﴾
١٨٧/٣		
٢٤٦/٣-١٨٢/١	٢٥	﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِفَيْضِهِمْ ثُمَّ﴾
١٧/٣	٢٦	﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾
٣٢٥/٣	٣٢	﴿يَسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْ﴾
٥٧٤/٢	٣٦	﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا﴾
٥٤٥، ٥٠٣/٣-٢١٦/٢	٣٩	﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ﴾
٥٧٩/٢	٤٥	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾
٥٩١، ١٧٣/٢	٥٢	﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ﴾

٧١	١/٤١١، ٦١١-٣/٢٠٤، ٣٤٢	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
٧٢	١/٢٠٨-٢/٢٦٤، ٤٠٨/٣	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
٤٢٥		

(٣٤) سورة سبأ

٢	٣/٥٣٥	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾
٣	٣/٥٣٦	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْنِسْنَا السَّاعَةُ قُلْ
٦	٢/٧٠٩	﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ
١٣	٢/٧١٢	﴿ أَعْمَلُوا أَمْ آدَاءُ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ
٢١	٢/٩٥	﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
٢٣	١/٦٥٩-٢/٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٦	﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ
٢٦	١/٣١٠-٢/٦٥٤	﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
٣٩	٢/٥٢٤	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ
٤٩	٢/٦٧٦	﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ

(٣٥) سورة فاطر

١	١/٣٩٧، ٣٩٩	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
٢	١/١٧٠، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٣	﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ
	٣٠٥-٢/٢١، ١١٨، ١٥٢	
	٣/١٣٢، ٥٣	
٣	١/٢٧٥، ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠١	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نَسِيتَ اللَّهُ عِلَّتِكُمْ
٤٠٤		
٩	٣/٧٤	﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنُفِثُ بِهَا
١٠	١/١٦٤، ٤٠٦، ٦٨٩-٢/١٧	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
١١	١/٣٣٥	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ نَسْفَعُ
١٤	١/٣٨٢-٢/٢٠٤، ٤٠٦	﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ
	٣/٢٠٤، ٢٠٣	
١٥	١/٥٨-٢/٦١٢، ٦١٥، ٧٠٩	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
٢٢	٢/٢٧٢، ٣٣٣-٣/٧٩	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ

٢٨	١٩٣/١، ٢٠٥-٢/٣٣٢	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
٣٢	٢٠٨/١، ٣-٩٩٧	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾
٣٤	٤٧٦/١	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ﴾
٣٨	٣٣٨/١، ٣-٥٣٧	﴿ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٤١	٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣-١	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمِثْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
	٩٧، ٩٦/٢	
٤٣	٥٧٣/٢	﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾
٤٥	٦٩٨، ٦٩٧، ٤٥٣/١	﴿ وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا ﴾

(٣٦) سورة يس

٢-١	٥٢٧/١	﴿ يَسَ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾
١٢	٩٤/٢، ٦٩٩/١	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾
١٤	١٤٨/١	﴿ إِذَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتِّفِينَ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾
٢٠-٢١	٥٠٠/٣	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾
٢٦-٢٧	٩٨/٣	﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قُوِي يَعْلَمُونَ ﴾
٤٠	٧٢/٣	﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾
٥٥-٥٨	٥٨٤/١	﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ ﴾
٥٩	٦٧٦، ٥٨٤/١	﴿ وَامْتَنُوا الْيَوْمَ أَنْهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾
٦٠-٦٤	٦٧٦/١	﴿ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَسْقَى مَا دَمَ أَنْ لَا ﴾
٦٥	٣٦٤/٢، ٦٧٦/١، ٥٩٢-	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ﴾
	٢٧٩/٣	
٦٩	٣٣/٢	﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ ﴾
٧٢	٣٩٩، ٣٩٨/١، ٣-٤٢٦	﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾
٧٩	٦٨٩/٢	﴿ قُلْ يَحْيَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
٨١	٢٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤-	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
	٣٤/٣	
٨٢	٢٩/٣، ٦٨٠/٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ ﴾
٨٣	٢٦/١	﴿ فَتَبْعَنَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(٣٧) سورة الصافات

٣٢٧/٣	٧-٦	﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوْكِبِ ﴾
٣٥٤، ٦٠/٢-٦٩٢/١	٢٤	﴿ وَاقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾
٣٦٤، ٣٦٣		
٢٦٧/٢	٧٥	﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾
١٥/٢ ١٤٤-١٤٣		﴿ قُلُوْا اَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَسِيْحِيْنَ رَبِّ لَيْتَ ﴾
٤٩٥/٢	١٧٣	﴿ وَلَنْ جُندًا لَهُمُ الْغَالِيُونَ ﴾
١٤٦/١	١٨٠	﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

(٣٨) سورة ص

١٤٧/١	٢٣	﴿ إِنَّ هَذَا آخِي لَمْ يَسْعَ وَنَسْعُونَ ﴾
٢٠٩/١ ٢٥-٢٤		﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيكَ إِيَّيَّيْكَ ﴾
٥٥٣/١	٢٧	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾
٦٧٤، ٦٧٠/٢-٧١٢، ٧١١/١	٤٤	﴿ وَخَذَ بِيَدِكَ صِفْقًا فَأَضْرَبَ بِهٖ ﴾
٤٩٨/٣	٤٥	﴿ وَأَذْكُرْ عِنْدَنَا إِتْرَهُمْ وَلِإِسْحَاقَ ﴾
٤٩٨/٣	٤٧	﴿ وَلِأَهْلِهِمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْآخِيَارِ ﴾
١٠/٣-١٨٩/٢	٧٦	﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ ﴾
٥٤٨/٢-٤٠٥، ١٤٦/١	٨٢	﴿ قَالَ فِعْرَإِيكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(٣٩) سورة الزمر

٥٧٣/٢-٤٧٥، ١٢/١	٣	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾
٣٢٧/٢	٤	﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْجِدَ لَكُلًّا لَأَصْطَفَيْنَ ﴾
٤٤٤/٣	٥	﴿ خَلَقَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوَرُ ﴾
٣٦٠/٣-١٣٨/٢-٤٥٨/١	٧	﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى ﴾
٥٢٥، ٤٩٧، ٩٤/٣-٢٠٥/١	٩	﴿ أَمَنْ هُوَ قَتَيْتُ عَائَةَ الْبَيْتِ ﴾
٧٠٦/١	١٠	﴿ قُلْ يَعْجِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ﴾
٥٥٧/١	١٩	﴿ أَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾
٤٢/٢	٢٢	﴿ أَمَنْ سَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾
٣٦٤، ٣٦٣/٣	٢٣	﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا ﴾

٣٨٦/١	٢٩	﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ﴾
٥٤٠، ٣٤١/٢-٢٤٥/١	٣٠	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾
٥٠٠/٢	٣٧	﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ مِنْ مُضِلٍّ﴾
٨٩، ١٩/٣	٤٢	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾
٥٣٧، ٣٨٧/٣-٥٩٦/٢	٤٦	﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٣١/٣	٤٧	﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٢٠، ٢١٩، ٢١٢، ٢٠٧/١	٥٣	﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَيَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
٤٧٠، ٥٠٨، ٤٧٥/٢-٦٢٣		
٤٨١، ٦٢٥		
٢١٣/١	٥٤	﴿وَأَنبِئُوا بِآيَاتِ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ﴾
٤٧٥/٢	٥٦-٥٥	﴿وَأَسْبِغُوا أَحْسَنَ مَا أَنزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ﴾
١٢٤، ١١٨، ٢٠/٢-١٣٨/١	٦٢	﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
٢٥٦/٣-٣٥٨، ٢٩١		
٢٥٨، ٢٥٧/٣	٦٥	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ﴾
٤٩٢، ٢٥٧/٣-٢٠/٢	٦٦	﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾
٤٠، ٣٩، ٣٤، ٢٩/٣-٣٤٦/١	٦٧	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ﴾
٤٢/٢	٦٩	﴿وَأَنشَرَفَتِ الْأَرْضُ بِثَوْرِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾
٣٤٤/٢	٧٣	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾

(٤٠) سورة غافر

٢٢٣، ٢١٨، ٢٠٧/١	٣	﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ﴾
٤٨١، ٤٦٧/٢		
٣١٠، ٣٠٩/٢	٧	﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾
٧٣/٣	١١	﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا آيَاتِنِ وَأُحْيِتْنَا آيَاتِنِ﴾
٥١٦/٢	١٢	﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾
٣٢٧/٢-٢٣٧، ٢٣٤، ٢٣٣/١	١٦	﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾
٢٣٠، ٢٢٦، ٢٢٥/٣		
٢٠٢/٣	١٧	﴿الْيَوْمَ يُخْرِجُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾

١٠٤/٢	١٩	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾
٤٤٠/٢	٢٠	﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾
٢٤٧/٣	٢٢	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ﴾
٥١٤، ١٢/٣-٢٢/٢	٤٦	﴿النَّارِ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾
٤٢١، ٤١٩، ٤١٨/٣	٥١	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
٥٤٦/٢	٥٥	﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ﴾
٤٤٠/٢	٥٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾
٤٢٠، ٤٠٩، ٢٧١/٢	٦٠	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ﴾
٣٠٢/٣-٤٨٦، ٤١٦/١	٦٤	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾
٣٤٧/٢	٦٥	﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾
٤٧٢/٣	٦٨	﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ﴾

(٤١) سورة فصلت

٢٣٤/٢	١٠	﴿وَجَعَلْ فِيهَا رُجْسًا مِنْ فَوْفَهَا وَبَرَكَ﴾
٢٥٠/٣-١٣١/١	١٥	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٧٨/٣	١٩	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾
٢٧٩/٣	٢٠	﴿حَقٌّ إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ﴾
٤٣٦، ٢٧٩/٣-٦٨٩، ٥٩٢/٢	٢١	﴿وَقَالُوا لِمَ لَئِمَّا بِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾
٢٧٩/٣	٢٤-٢٢	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِزُّونَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾
٤١٤/٣-٨٣، ٦١/٢	٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ﴾
٨٣، ٧٦/٢	٣١	﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَبِوِّ الدُّنْيَا﴾
٨٣/٢	٣٢	﴿نَزَّلَا مِنْ عَقُورٍ رَجِيمٍ﴾
٢٣/٣-١٥/١	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾
٦٣٧، ٦٣٦/٢	٣٥-٣٤	﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ﴾
٦١٨/١	٣٧	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ﴾
٨٠/٣، ٦١٩/١	٣٩	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ﴾
٥٠٩/٣	٤٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾
٥٢٦/١	٤٢	﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ﴾

٤٤	٤١٦/٣، ٤١٧	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا فَتَكُونُوا﴾
٤٦	٢١٢/١، ٥٩٥-٢/٢-٤٧١	﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ﴾
٥٣	١٩٧/١-٢، ٥٨٨، ٥٨٩	﴿سَرَّيْهِمْ، إِنَّ بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي﴾

(٤٢) سورة الشورى

٢-١	١٩/٢	﴿حَمْدٌ عَسَىٰ﴾
٤	٢٤٧/٢	﴿لَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾
٦	٩٦/٢	﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾
٩	٨٤/٢	﴿أَيُّ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ﴾
١١	٣٣٧/٢-٥٥/١	﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ﴾
١٩	٤٢٠/١، ٤٢٧-٣/٢٤٤	﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾
٢٣	٢٧١/١	﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ﴾
٢٦	٢٧١/٢	﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾
٢٧	٢٨٦/١، ٣٤٥-٢/٣٨٥	﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا﴾
	١٣١، ٥٩/٣	
٢٨	٨٤/٢	﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَبَابَ مِنْ بَعْدِ مَا قُضُوا﴾
٢٩	٦١٨/١-٢/٦٥٥	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٣٠	٤٥١/١، ٦٢٤-٣/٥٠٩	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ﴾
٣٢	٦١٨/١	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾
٣٤	٢٧٧/٣	﴿أَوْ يُوقِفَهُنَّ يَمًا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾
٣٦	١٩٧/٣	﴿فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعَ الْحَيَوةِ﴾
٤٠-٣٩	١٥٦/٣، ٢٦٩	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ثُمَّ﴾
٤٣	٣٧٣/٢	﴿وَلَكِنْ صَبَرُوا وَعَقَرُوا ذَلِكَ لَعِنَ الْأُمُورِ﴾
٤٩	٢٦٠/١	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ﴾
٥١	٥٢٦/٢-١/٥١٦	﴿وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾
٥٣	٣٨١، ٢٣٧-٢/١٥، ١١٨	﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾
	١١٩-٣/٢٢٢، ٥١٥	

(٤٣) سورة الزخرف

٤٤٥/٣	١٢	﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ﴾
٤٤٥/٣	١٤-١٣	﴿سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا﴾
٤٩٨، ٤٩٧/٢	٢٥	﴿فَانْقَمَتْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾
٥٣/٣-١٩٦/٢	٣٢	﴿أَمَرُ يَقِيمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَنْ قَسَمِنَا﴾
٥٠١/٢	٤١	﴿فَإِنَّمَا نَذِيرُكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾
٤٣/٣	٤٢	﴿أَوْ نُرِيكَ الْآلِى وَعَدْتُهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾
٣٤٤، ١٠/٣-١٨٩/٢	٥١	﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ﴾
٤٩٩، ٤٩٨/٢	٥٥	﴿فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَظَرْنَا مِنْهُمُ فَانْظُرْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
١٩١، ١٣/٣	٧٧	﴿وَنَادُوا بِبَنِيكَ لِيَقْضَ عَلَيْهِمْ﴾
٤٩٢/٣-٢٦٦، ٢١/٢	٨٤	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ﴾

(٤٤) سورة الدخان

٥٠١/٢	١٦	﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾
٨٢/٢	٢٩	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظِرِينَ﴾

(٤٥) سورة الجاثية

٤٢٦/٣-٢٦٤/٢	١٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
٨٥/٢	١٩	﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾
٥٦١/٢-٦٧٨، ٦٠٧/١	٢١	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾
٥٨٧، ٥٦٢		
٥٦٧، ٢٥٧/٣	٢٣	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾
٦٥٤/٢	٢٦	﴿قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُعْصِمُكُمْ﴾
٦٦٢، ١٤٦/١	٣٧	﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(٤٦) سورة الأحقاف

٧٣٠/٢	١٩	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا وَلِيُوقِبَهُمْ﴾
٢٥٩/٢-٦١١/١	٣١	﴿يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا﴾
٣٣/٣	٣٣	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ أَلَمْنَا ﴾

٣٥ ٧٠٢/١

(٤٧) سورة محمد

١	٥٧١، ٥٦٩/٣	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٥-٤	٣٦٦/١-٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٥	﴿ وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلْ وَلِلَّهِ قُلُوبُكُمْ ﴾
٦	٦٣٦/١	﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾
٧	٥٧٣، ٤٧٧/٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ نَصْرِهِمْ ﴾
٨	٣٥٧/٣	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسْأَلُهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾
١١	٨٥، ٧٤، ٧٣/٢	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
١٥	٣٤٧، ٣٤٦/٣	﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا ﴾
١٩	٣١٩، ١٩، ٥/٢	﴿ فَأَعْلَزَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْعَفِرَ ﴾
٣٥	٥٠٨/٣	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴾
٣٦	٤١٣/٣	﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ ﴾
٣٨	٦١٥، ٦١١/٢	﴿ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُخْفِقُوا ﴾

(٤٨) سورة الفتح

١	٣١٣/١	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾
٢	٥٤٦/٢	﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾
٦	٣٦٨/٣	﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُتَنِفِّينَ وَالْمُتَنَفِّينَ ﴾
١٠	٣٧٣-١١٨/٢، ٥٥٥/١	﴿ إِنَّ الَّذِيكَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ ﴾
١٨	٤٩٢، ١٦٤/٣	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ ﴾
١٩	٥٢٦/١	﴿ وَمَعَانِهِ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُ بِهَا وَكَانَ ﴾
٢٥	١٠٥/٣-٤٥٦/١	﴿ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ ﴾
٢٩	١٩٦/٢	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾

(٤٩) سورة الحجرات

٦	١٤٧/٢-٥٦٧/١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ جَاءَهُمْ ﴾
٨-٧	٢١٧/٣	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾
٩	١٥٠/٣	﴿ وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا ﴾

١٣	٥٠٠/١، ٦١١/٢-٥٧٢،	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ﴾
	٧٢٥-٣/٣٤٢، ٣٤٣	
١٥	١/٩٣، ٥٦٤-١٩/٢	﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾
١٦	١/١٢٠-٥٤١/٢	﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
١٧	٦١١/٢	﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلُمُوا قُلْ﴾

(٥٠) سورة ق

١	٦٣، ٦٢/٣	﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾
١٦	٥٨٤، ١٦٩، ٧٧/٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ﴾
١٨	١٦٩/٢	﴿تَمَازِلِفُطٌ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَنِيدٌ﴾
٢٢	٥٥٧، ٥١٣/٣	﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾
٢٩-٢٨	٩٦/٣	﴿قَالَ لَا تَخْضِعُوا لِدَى وَقَدْ﴾
٣٥	٢١/٣	﴿لَمْ مَآ يَتَأَنَّ وَفِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾
٤٣	٢٣٥/١	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾

(٥١) سورة الذاريات

٢١	٢٧٩، ١٩٩/١	﴿وَقَدْ أَنفِصَكُمْ أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾
٢٣-٢٢	٢٧٩/١	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُعَدُّونَ﴾
٥٠	٤٢٣/٣	﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِيمَةٌ ذَرِيرٌ مُبِينٌ﴾
٥٦	٤٢٦، ٥٦/٣-٥٩٧، ٥١/١	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
٥٨	٢٥٠/٣-٢٧٨، ٢٧٥/١	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
	٤٧٢، ٢٦٦، ٢٥٩	

(٥٢) سورة الطور

٦	٢٤٤/١	﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾
٢٨	٧٢٤، ٧٢٣، ٧٢٢، ٧١٢/٢	﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾
٤٨	٧٠/٢-٥٢١، ١٧٠، ١٥٥/١	﴿وَأَمِيرٍ لَكُمْ بَيْنَكُمُ الْفِتْنَةِ وَبَيْنَكُمْ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ﴾
	٣٢٨، ١١٧، ٦٥، ٦٤/٣	

(٥٣) سورة النجم

٢٠٩/٣	٤-٣	﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْمَوْتِ ۖ إِن هُوَ إِلَّا رَحْمٌ يُوحَىٰ﴾
٣٣١/١	٥	﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾
١٩٧/٢	١٨	﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَالِئِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾
٥٥٨/٣	٢٨	﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾
٢١/٣-٥٧٢/٢-٢٧٩/١	٣٩	﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾
٢١/٣-٥٧٢/٢	٤٠	﴿وَأَنْ سَعَيْهِ سَوْفَ يُرَىٰ﴾
٦١٩/٢	٤٨	﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾
٤٥٨/٣	٦١-٥٩	﴿أَفَيْنَ هَذَا اللَّيْلِيِّ تَعْبُونَ﴾

(٥٤) سورة القمر

٣١١/١	١١	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاوُ مُنْهَرٍ﴾
٤٢/٣	٤٢	﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾
٤٣٦، ٤٣٤، ١١٢، ٨٥/١	٤٩	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
٣٢، ٣١/٣-٦٩٩، ٥٣٨، ٥٣٦		
٤٢/٣-١١٣/٢-٢٥/١	٥٤	﴿إِنَّ اللَّيْلِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾
٣٣١، ٢٢٥، ١٩١		
٤٢/٣-١١٣/٢-١٩١	٥٥	﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾
٣٣١، ٢٢٥		

(٥٥) سورة الرحمن

٧٢/٣-٣٦٩/٢-٣٣٩/١	٢-١	﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾
٥٤٢، ٥٤١، ٥٢٦		
٧٢/٣-٣٦٩/٢-٣٣٩/١	٤-٣	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾
٥٤٢، ٥٤١		
٣٠٣، ٣٠٢، ٣٠١/٣	١٧	﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾
٣٠١/٣	١٨	﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
٤٢٧/٣	٢٥-٢٤	﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْتَكَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾

٢٦	٢/٢٥٤، ٣/١٩٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾
٢٧	١/٢٣-٢/١٣٤، ٢٥٤، ٢٥٧-٣/١٩٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣	﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوتُ الْجَبَلِ وَالْإِكْرَارُ﴾
٣٣	٣/٢٤٢	﴿بِمَقْعَرِ الْإِنِّ وَالْإِنِّ إِنْ أَسْطَعْتُمْ﴾
٤٦	١/١٧٠-٢/٨٧، ٣/٤٩٩	﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ خَنَّانٍ﴾
٦٠	١/٢٧٣، ٤٩١-٢/٦٨٣، ٦٩٩	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾
٧٨	١/٢٣٥، ٢-٢/١٣٣، ١٣٤	﴿بِزَكَاةٍ أَسْمَىٰ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
	١٣٧، ٢٥٤-٣/١٦٩، ٢٣٥	

(٥٦) سورة الواقعة

٣-١	٢/١٨١	﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾
٦٠	٢/٣٧٥	﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا عَنِ مَسْئُورٍ﴾
٧٤	٢/٥٤٧	﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾
٧٥-٧٦	١/١٩٧، ٣٣٠	﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَوْعِدِ النَّجْمِ ۖ وَإِنَّهُ﴾
٨٢	٢/٢٣٥	﴿وَيَعْمَلُونَ لَكُمْ آتَاكُمْ تَكْذِبُونَ﴾
٨٧-٨٨	١/٥٥٥	﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عِبرَ مَدِينٍ ۖ تَرْجِعُونَهَا﴾
٩٠-٩١	١/٧١، ٩١	﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَعْصَابِ الْيَمِينِ﴾

(٥٧) سورة الحديد

٣	٢/١١٨، ١١٩، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٩٩-	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ﴾
	٣/٤٦٩، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٠	
٤	١/١١٨، ٤٢٢، ٦٤٥-٢/٧٧، ٤٣٩، ٥٨٠-٣/٣٩٧، ٤٦٨	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾
	٤٧١	
٧	٣/٢٢٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمِعُوا بَيْنَهُمْ وَالْقُرْآنَ وَمَا جَعَلَكُمْ﴾
٩	٢/٤٦٢	﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءِآيَاتِهِ﴾
١٠	٣/٢٢٢، ٢٢٥	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
١٧	٣/٧٤، ٨٧، ٥٥٨	﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ﴾

١٠٤/٢	٢٢	﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾
٦١٦، ٦١٥/٢	٢٤	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾
٢٤٧/٣-٣٥٨/٢	٢٥	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾
٤٢٩، ٣٥/٢-٤١٣/١	٢٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الْوُحُودُ مَأْمُوءَاتُفُوا اللَّهَ ﴾
٢١٦/٣		

(٥٨) سورة المجادلة

٤١٩، ٤١٧، ٤١٦/٢-١٣٠/١	١	﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ﴾
٦٣٣، ٦٣٢/٢	٢	﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾
٤٢٢/١	٧	﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ ﴾
٥٢٩، ٥٢٥/٣	١١	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ﴾
٢٤٨/٣	٢١	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَى أَنَا وَرُسُلِي ﴾

(٥٩) سورة الحشر

٤١٣/٢	٩	﴿ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الذَّارَ وَالْإِيمَنَ ﴾
٤٦٢/٢	١٠	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ ﴾
٣٨٧/٣-٥٩٦، ٥٠٦/٢	٢٢	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ﴾
٥٣٧، ٤٦٩		
٧١، ٥٣، ٤٧، ٩٨، ٢٥/١	٢٣	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ﴾
١١٣/٢-١٧٣، ١١١، ٨٩		
٥٠٦		
٣٩٦، ٣٩٤، ٣٨٩، ٣٨٦/١	٢٤	﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾
٥٠٦/٢-٣٩٧		

(٦٠) سورة الممتحنة

١١٧/٣	٥	﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
٦١٦/٢	٦	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
١٥٥/٣-٧١٧، ٧١٤/٢	٨	﴿ لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقِيلُوكُمْ ﴾
٥٢٦/١	١٠	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة الصف

٥	١-٣٢/٢-٦١٧-٣/٣٦٠	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ﴾
٣٦١		
٨	٢/٤٢	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾
١٤	٢/٣٨٧	﴿فَأَصْحَابُ ظُلُمَيْنِ﴾

سورة الجمعة

١	١/٤٧، ٥٣	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي﴾
٥	٢/٤١٨	﴿مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا النُّورَ ثُمَّ﴾
٨	٢/٥٩٦-٣/٣٨٧، ٥٣٧	﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾

سورة المنافقون

٨	١/١٤٦، ١٥٥، ١٦١، ١٦٤	﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾
٣٧٩، ١٧١		

سورة التغابن

٤	٢/٦٦	﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ﴾
٧	٣/٢٤	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَن يُعَذِّبَهُمُ﴾
٩	٢/٦٥٥	﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ﴾
١٣	٢/٨٠	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
١٤	٢/٥٣٤	﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾
١٨	٣/٣٨٧، ٥٣٧	﴿عَنِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

سورة الطلاق

١	١/٣٨٢	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾
٢	٢/٢١٨	﴿فَإِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ أُمَّتَهُ فَلْيَسْكُوهِنَّ﴾
٣	٢/٢١٨-٣/٢٧١	﴿وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ﴾
١٢	٢٣٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٤١	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنْ﴾
	٢/١٦٧، ٤٣٥، ٥٩١	
	٣/٣٣٢، ٣٨٨، ٤٠٤، ٢٣٦	

(٦٦) سورة التحريم

١٩٦/٢	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾
٣٦/٢	٨	﴿وَأُولَئِكَ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِيهِمْ﴾
١٩٤/٢	٩	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

(٦٧) سورة الملك

٤٠٧/٣	٣	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾
٥٢٥، ٢٤/٣	١٠	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا﴾
١١١، ١١٠/٢	١٤	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
٤٤٠، ١٩٧/٢	١٩	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾
٣١/١	٣٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾

(٦٨) سورة القلم

٥٥٥/٣	٢	﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾
٤٠٦/١	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
١٥١/٢	١٨-١٧	﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُ أَحَبَّ﴾
١٥١/٢	١٩	﴿فَطَلَّ عَلَيْهِ مَلَائِكٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾
١٥١/٢	٣٢-٢٠	﴿فَأَصْبَحَ كَالصَّرِيمِ ﴿٣٢﴾ فَتَنَادَوْا﴾
١٥٤، ١٥١/٢	٣٣	﴿كَذَلِكَ الْمَدَائِبُ وَلَمَذَاتُ الْآخِرَةِ﴾
٤٩٧/٣	٣٥	﴿أَفَتُجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرَمِ﴾
٥٠٤		
٥٦١/٢	٣٦	﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
٢٨٤/٢	٤٢	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ﴾
٢٦٠، ٢٥٩/٣	٤٥	﴿وَأُمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ﴾

(٦٩) سورة الحاقة

١٧١/٢	١٨	﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافَةٌ﴾
١٩١/٣	٢٩-١٩	﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَتْ كُنْتَ يُرْسِيهِ﴾
١٩١/٣	٣٢-٣٠	﴿حَذُوهُ فَتُلَاوُهُ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ لَجَّجِمَ سَلْوُهُ﴾
٥٤٩، ٥٤٧/٢	٣٣	﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

(٧٠) سورة المعارج

٦٦٥، ٦٦٤ / ٢-٣٩٨ / ١	٢١-١٩	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقَ هَلُوعًا﴾ (١) إِذَا مَسَّهُ
٦٦٥ / ٢	٢٢	﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ﴾
٣٠٣، ٣٥ / ٣	٤٠	﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ السُّرُوقِ وَالْمَرْبُوبِ﴾

(٧١) سورة نوح

٤٧٧، ٤٧٦ / ٢-٢٠٨ / ١	١٢-١٠	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَفَاكَ﴾
----------------------	-------	--

(٧٢) سورة الجن

١٣٧ / ٣	١٥	﴿وَأَمَّا الْفَالِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾
٢٨٥ / ١	١٦	﴿وَالَّذِينَ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾
٣٣٧، ٣٠٨ / ١	٢٥	﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبَ مَا تَعْدُونَ﴾
٣٧٦ / ٣-٣٣٧، ٣٠٨ / ١	٢٦	﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عَيْبِهِ أَحَدًا﴾
٥٣٧، ٥٣٢، ٥٣١		
٥٣٢، ٣٧٦ / ٣-٣٣٧، ٣٠٨ / ١	٢٧	﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ﴾

(٧٣) سورة المزمل

٢٩١ / ٢	٩	﴿رَبِّ لِلشَّرِيقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
---------	---	--

(٧٤) سورة المدثر

٦٦٢ / ١	٣	﴿وَرَبِّكَ فَكَّرْ﴾
٧٠٣ / ١	٧	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾
٢١٣ / ١	١٤-١٢	﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِدًا﴾
٣٦٢، ٣٦١ / ٣-١٣٥ / ١	٣١	﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا﴾
١٧٥ / ٣	٥١-٥٠	﴿كَأَنَّهُمْ حُمْرُ مُسْتَقْفِرَةٍ﴾ (١) فَزَتْ مِنْ قَسْوَقَةٍ﴾
٦٥٨ / ١	٥٤	﴿كَذَلَا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ﴾
٦٥٨، ٣٨٨ / ١	٥٦	﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾

(٧٥) سورة القيامة

٦٤٨، ٣٠٤ / ٢	٤	﴿يَا قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُشَوِّىَ بَنَانَهُ﴾
١١٣ / ٣	١٥-١٣	﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِرَمِيمِهِ بِمَا قَدَّمَ﴾

٥٥٩/٣ ١٩-١٦	﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَاجِلَ بِهِ﴾
٣٤٥، ٤٠/٢ ٢٣-٢٢	﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَىٰ هَاهُنَا نَاطِرَةٌ﴾
٧٦/٢ ٣٤	﴿أَوَّلَ لَكَ فَأُولَٰئِكَ﴾
٤٥٦/٢ ٣٩-٣٦	﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾
٤٥٦، ٣٤/٢ ٤٠	﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَنْجِيَ الْكَافِرَ﴾

(٧٦) سورة الإنسان

٥٧٦، ٤٨٦، ٥٢/١ ١	﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنْ﴾
١٩٣، ٤٨/٣	
٦١٦/١ ٣	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَ وَإِنَّمَا كَفَرَ﴾
٣٣٧/٣-٢٧٠/١ ٩	﴿إِنَّمَا نَطْمَعُكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ لَا تَزِيدُ﴾
٤٨٠، ٤٧٩/١ ٢٠	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ظَنَمَ رَأَيْتَ نِعَمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾
٢٣٥/١ ٢٣	﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُكَ الْفَرَجَ أَنْ تَنزِيلًا﴾
٣٦٧/٣ ٣١	﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْغَالِيِينَ﴾

(٧٧) سورة المرسلات

٣١/٣ ٢٣	﴿مَقْدَرًا فَنِعَمَ الْقَائِرُونَ﴾
٦٤٨/٢ ٣٨	﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ﴾

(٧٨) سورة النبأ

٩٤/٢ ٢٩	﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾
---------	---

(٧٩) سورة النازعات

١٥/٢ ٢٣	﴿فَحَسْرَ فَنَادَىٰ﴾
١٣٥، ١٥/٢-٧٠٠، ١٨٠/١ ٢٤٠	﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾
٤٠٩، ٢٤٩/١ ٤١-٤٠	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾

(٨٠) سورة عبس

٧٢٥/٢ ١٦-١٥	﴿يَا أَيُّهَا سَفَرٌ كَرَامٍ بَرٍّ﴾
٥٩٠/١ ٢٣-١٧	﴿قُلِ الْإِنْسَانُ أَتَى الْكُفْرَ﴾
٦١٧، ٤٣٩/١ ٢٤	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾

٧٦/٣	٣١	﴿وَفِيكُمْ وَأَنَا﴾
٤٠/٢	٤٢-٣٨	﴿وَجِئْتُمْ بِذُنُوبٍ مُّسْتَفِرَّةٍ﴾

(٨١) سورة التكويد

٣٥٥/٢	٢-١	﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ
-------	-----	--

(٨٢) سورة الانقطار

٥٣٨، ٤٩٧/١	٥	﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾
١٥٠٢، ٤٩٧، ٤٣٨، ٤٣٥/١	٦	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾
٥٩٠، ٥٣٨، ٥٠٣		
١٥٣٠، ٤٩٧، ٤٣٨، ٤٣٥/١	٧	﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾
٤٨/٣-٥٩٠، ٥٣٨		
١٥٣٨، ٤٩٧، ٤٣٨، ٤٣٥/١	٨	﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾
٤٨/٣-٥٩٠		

٥٧٢/٢	١٤-١٣	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ
٣٧/١	١٩	﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾

(٨٣) سورة المطففين

٦٠، ٥٩/٢	٩	﴿كَيْتَبٌ مَّرْقُومٌ﴾
٤٨٣/٢	١٤	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
٣٤٥، ٢٣١/٢-٦٧٦، ٢٩٣/١	١٥	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْرُونَ﴾
٣٠٧/٢	٢٦	﴿خَتَمَهُمْ مُّسَكًّا وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(٨٤) سورة الانشقاق

٢٨٢/٢	٦	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾
-------	---	---

(٨٥) سورة البروج

٤٩٨، ٤٨٩، ٤٥٨/٢-٣٠/١	١٢	﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾
٣٠٧، ١٤٠، ٣٢/٣-٥٨٨		
١٤٠/٣-٦٧٥/٢	١٣	﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَعِدُّونَ﴾
٥٧٤، ٥٧٣، ٥٧١، ٢٠٧/١	١٤	﴿وَهُوَ الْمُغْشَىٰ عَلَيْهِ الْيَوْمُ الدُّنُودُ﴾
٦٦/٣-٦١٨، ٥٧٦		

١٥	٣/٦٢، ٦٦	﴿ذُرُّ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾
١٦	٢/٥٣٠-٣/٦٦، ١٦٥، ٤٥٩	﴿قَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾
٢٠	٣/٤٩٢	﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾
٢٢-١	٣/٦٦، ٣٢٤	﴿بَلْ هُوَ قَوْلُكَ أَنْ تَجِدَ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾

(٨٦) سورة الطارق

٧-٥	١/٤٣٩، ٦١٧	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾
٨	١/٤٣٩، ٦١٧-٣/٣٤	﴿إِنَّهُ عَنْ رَجِيئِهِ لَعَادٍ﴾
١١-١٢	١/٨٤	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾
١٥	١/٣٣٠	﴿وَهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾

(٨٧) سورة الأعلى

٥-١	١/٦٣٤	﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي﴾
٧-٦	٣/٣١٤	﴿سُقْرَتِكَ فَلَا تَنسَى ﴿١﴾ إِلَّا مَا نَسَا﴾

(٨٨) سورة الفاشية

١٧	١/٤٣٩-٣/٤٤٣	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾
١٨-٢٠	١/٤٣٩	﴿وَرَأَى السَّمَاءَ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾
٢٥	١/٦٧٦-٢/٣٨٢، ٤٨٠	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾
	٦٨٨، ٦٩٠	
٢٦	١/٦٧٦-٢/٤٨٠، ٦٨٨	﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾
	٦٩٠-٣/٥٠٦	

(٨٩) سورة الفجر

١٤	٢/١٦٨	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِاْلْمُرْصَادِ﴾
١٥-١٧	١/٢٩١-٣/١٢٥	﴿فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا أَبْلَاهُ﴾
١٨	١/٢٩١	﴿وَلَا تَحْضُوتُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾
٢٤-٢٦	٢/٦٨٨	﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ يَلَاقي﴾
٢٧-٣٠	٣/٥٥٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ أَرْجَى﴾

(٩٠) سورة البلد

٤٤٥/٢	٧-٦	﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بِلَدًا﴾
٥٩٠، ٥٧٨، ٤٨٦، ٢٥٧/١	٨	﴿أَلَمْ جَعَلْ لَمْ عَيْنَيْنِ﴾
٤٤٥، ٤٤٣، ١٣٧، ١٣٣/٢		
٥٧٨، ٤٨٦، ٢٥٧/١	٩	﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾
٣٤٣/٣-٤٤٥، ١٣٧/٢		
٥٧٨، ٤٨٦، ٢٥٧/١	١٠	﴿وَهَدَيْتُهُ الْجَنَّةَيْنِ﴾
٣٤٣/٣-٤٤٥، ١٣٧/٢		
٤٤٥، ١٣٧/٢	١١	﴿فَلَا أَفْجَحَ الْعَقَبَةَ﴾
١٣٧/٢	١٥-١٢	﴿وَمَا أَدْرِيكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾

(٩١) سورة الشمس

٦٢٩، ٦٢٨/١	٨-٧	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا﴾
٤٠٩/٣-٦٢٩/١	١٠-٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهَا﴾

(٩٢) سورة الليل

٤٣٣، ١٧٩/٣	٧-٥	﴿فَإِمَّا مَنَ أَعْطَىٰ وَآتَىٰ﴾
٤٣٣، ١٧٩/٣	١٠-٨	﴿وَأَمَّا مَن يَخِلْ وَاسْتَغِيْ﴾
٤٣٣/٣	١١	﴿وَمَا يَخِيْ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾
٥٤٩، ٤٣٣/٣	١٣-١٢	﴿إِنَّ عَلَيْنَا الْإِهْدَىٰ ۚ وَإِنَّ لَنَا﴾
١٧/٣	٢٠-١٩	﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ﴾

(٩٣) سورة الضحى

٤٩٤/٣	٤-١	﴿وَالضُّحَىٰ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾
٤٩٤/٣-٧٠٦/٢	٥	﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾
٦٧٠/٢	٦	﴿أَلَمْ يَجْعَلْكَ يَتِيمًا فَتَافَىٰ﴾
٤٩٤/٣-٦٧٠، ٦٥٨، ٦٥٧/٢	٧	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾
٦٧٠، ٦١٩، ٦٠٥/٢-٢٣٩/١	٨	﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾
٤٩٤/٣		
٤٩٤/٣-٤٣٤/٢-٢٣٩/١	٩	﴿فَإِمَّا الْيَنِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾

﴿وَأَمَّا السَّابِلُ فَلَا نَنْهَرُ﴾ ١٠ ٤٩٤/٣-٢٧٦/٢-٢٣٩/١

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ١١ ٤٩٤/٣-٢٣٩/١

(٩٤) سورة الشرح

﴿الَّذِي نَزَّحَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وَوَضَعْنَا ٢-١ ٤٩٤، ٩٣/٣-٦٨٤، ١٩٦/٢

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ٣ ٤٩٤، ٩٣/٣-٦٨٤، ١٩٦/٢

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤ ٢٠١، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٢/٢

٤٩٤، ٩٣/٣-٦٨٤، ٢٥٢

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ٨-٥ ٤٩٤/٣

(٩٥) سورة التين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ١٣٥/٢-٥٣٨، ٤١٦/١

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالْدِّينِ﴾ ٨-٧ ٥٧٠/٢

(٩٦) سورة العلق

﴿أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ٢-١ ٥٢٨/٣-٤٩٧/١

﴿أَفَرَأَى نُفُوسَ الْبَالِغِينَ﴾ ٣ ٣٣١/٣-٤٩٨، ٤٩٧/١

٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٣٣

٥٢٨، ٣٤٧

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤ ٣٣١/٣-٤٩٨، ٤٩٧/١

٣٤٧، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣

٥٢٨

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥ ٥٢٨/٣-٤٩٨، ٤٩٧/١

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَلْبٌ﴾ ٧-٦ ١٣٢/٣

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ١٤ ١٧٩/٢

(٩٧) سورة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ١ ١٤، ٢٨/٣

﴿وَمَا أَدرُكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ٢ ٢٨/٣

(٩٨) سورة البيّنة

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ﴾ ١ ٥٤٢/٣

سورة الزلزلة (٩٩)

- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ٤-١ ٥/٣
 ﴿يَأْنِ رَبُّكَ أَنْزِلَهَا﴾ ٥ ٥/٣-٥٦٧/٢
 ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ ٦ ٥/٣
 ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ ٨-٧ ٦٩٠، ٥٠٨، ٢٠٦/٢

سورة التكاثر (١٠٢)

- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ٧-٥ ٥٦٩، ٥٦٨/١

سورة العصر (١٠٣)

- ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ٢-١ ٦٧٢/١
 ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٣ ٧٠٣، ٦٧٢/١

سورة الفيل (١٠٥)

- ﴿الَّذِ تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١ ٣٧٤، ٢٥٠، ٢٤/٣

سورة قريش (١٠٦)

- ﴿الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ٤ ٤٥٨/٣-٣٣٤/٢-٩٩/١

سورة النصر (١١٠)

- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ ٣١٣/١

سورة المسد (١١١)

- ﴿تَبَّتْ يَدَايَ لِهَبٍ وَتَبَّ﴾ ٢-١ ٥٦٨/٣-٥٠٠/١
 ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ٤-٣ ٥٦٨/٣
 ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ ٥ ٥٦٩/٣

سورة الإخلاص (١١٢)

- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ ٥٢٩، ٥٢٣، ٣٢٧، ٢٠/٢
 ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ٢ ٤٨٠/٣-٥٤٠، ٥٣٨، ٥٣٢
 ٥٤٠، ٥٣٨
 ﴿لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤-٣ ٥٢٣٨، ٥٣٢، ٥٢٩/٢

(١١٣) سورة الفلق

٩٧/٢ ٥-١

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ﴾

(١١٤) سورة الناس

١١٣/٢ ٢-١

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ﴾

* * *

فهرس أطراف الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر

الجزء / رقم الصفحة

- أ -

- ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس
- ابتغوا الرفعة عند الله
- ابن آدم اطلبني تجدني
- ابن آدم إنك إن ذكرتني شكرتني
- أبو بكر في الجنة
- أبيت يطعمني ربي ويسقيني
- أترون هذه طارحة ولدها في النار؟
- أتشفع في حد من حدود الله
- اتق دعوة المظلوم
- اتق الله حيثما كنت
- اتق الله واصبري
- أثبت أحد فإنما عليك نبي
- أحب الأعمال إلى الله أدومها
- أحب ثلاثاً وحيي لثلاث أشد
- أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس
- أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
- احفظ الله يحفظك
- أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها
- أخلفت غازياً في سبيل الله
- ٤١٨، ١٥٦ / ١
- ٥٥٤ / ٢
- ١٥٣ / ١
- ٧١٢ / ٢
- ٨٧ / ٢
- ٢٣٩ / ٢ - ٢٧٧ / ١
- ٤٦٠، ١٢٢ / ١
- ١٠٩ / ٣
- ١٥٦ / ٣
- ٦٣٤، ٣٧٢ / ٢
- ٤٦٤ / ١
- ٣٤٧ / ٢
- ٣١٨ / ٣ - ٧٩ / ٢
- ١٩١ / ٢ - ١٩٣ / ١
- ٥٣٧ / ٢
- ٤٨٣، ٤٤٦، ٤٣٦، ٣٤٦ / ٣
- ١٢٠ / ٢
- ٥١٤ / ١
- ٢٨٨ / ٣

- أدبني ربي فأحسن تأديبي ٣٥٤/١
- أدن اليتيم منك والطفه ٤٣٤/٢
- إذا اشتكت فضع يدك حيث تشتكي ٢٦٨/٣
- إذا اضطجع فليقل : باسمك ربي ١٩/٣
- إذا أقعد المؤمن في قبره أتني ٢٢/٢
- إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفذ فراشه ٨٨/٣-٦٧/٢
- إذا بليتيم بالمعاصي فاستروا ٢٧٨/٣
- إذا دعي أحدكم فليجب ١٠٧/٣
- إذا دعي أحدكم وهو صائم فليقل ١٠٧/٣
- إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ٥٣١/٣
- إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ٤٩٥/٣
- إذا كان أمرؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم ٤٦/٣-٦٥٦/١
- إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ٤٤/٣-٢١٩/٢
- أذهب البأس رب الناس ٤٢٣، ٤٢٢/٣
- أراك لا تستحي من ربك ٢٧٩/٣-٧٨/٢
- أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً ٢٦٣/٣
- أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ١٩٥/٢
- ارفع رأسك يا أخي ١٥٦/١
- ارقبوا محمداً (ﷺ) في آل بيته ١٦٨/٢
- استحيوا من الله حق الحياء ٢٥٦/٢
- استقيموا ولن تحصوا ١٨٦، ١٨٤/٣
- اسقه عسلاً ٤١٧/٣
- اشتر بأحدكما طعاماً فأنبذه إلى أهلك ٣٣٥/٣
- أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ٢٣٦/٢
- اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ٣٧٨، ١٧٠، ١٥٦/١
- اطلبوا الخير دهركم كله ٤٥٨/٣
- أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ٦٥/٣
- أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ١٤٢، ١٤١/٢

- أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة ٦٠٥، ٥٣٤/٢
- اعلم أبا مسعود، الله أقدر عليك ٢٥١، ١٤٠، ٤٣/٣
- اعمل ما شئت كما تدين تدان ٤٥٠/١
- أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ٦٧٧/١
- أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ٥٨٢/١
- أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك ٥٣٨/٣-٤٤١/٢
- أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه ١٦٥/٢
- أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ٢١، ٦/٢
- أفضل الذكر لا إله إلا الله ٢٤/٢
- أفلا تتقي الله في هذه البهيمة؟ ٦٢٠/٢
- اكتب يا زيد غير أولي الضرر ١٥٨/١
- أكثروا ذكر هاذم اللذات ٨٩/٣
- أكرم الناس أتقاهم ٤٩٩/١
- أكرم الناس يوسف بن يعقوب ٤٩٩/١
- أكل ولدك نحلته مثله؟ ١٤٨/٣
- ألا أعلمك كلمات إذا قلتين غفر الله لك ٢٥٤/٣
- ألا تسألوني مم أضحك؟ ٦٩٦/٢
- أنظروا يا ذا الجلال والإكرام ١٤٥/٢
- أما علمت أنني جليس من ذكرني ٥٨٢/٢
- أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد ٩٢/١
- الأمانة غنى ٣٦٠/٢
- أمتهوكون فيها يابن الخطاب؟ ٤٩٥/٢
- أمرني ربي بتسع ٧١٧، ٤٨٦، ٤٤٥، ٣١٢/٢
- أن أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر ٦٩٣/١
- إن التجار هم الفجار ٤٦٩/١
- إن التجار يبعثون يوم القيامة ٤٦٩/١
- أن تعبد الله كأنك تراه ٥٦/٢
- إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد ٤٩٠/٢

- إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله
٤٠٦/١
- إن داود عليه السلام قال فيما يخاطب ربه
٣٤٦/٣
- إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
٢٨٥ ، ٦٩/١
- إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله
١٤٩/٣
- أن رجلاً سأل النبي (ﷺ) غنماً
٥٥٨/٢-١٨٧/١
- إن رحمتي تغلب غضبي
٤٥٣/١
- أن رسول الله (ﷺ) كان إذا استوى
٤٤٥/٣
- إن روح القدس نفث في روعي
٣٥٩/٢
- إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم
٥٤١/٣-٣٦٨/١
- إن الصدقة لتطفئ غضب الرب
٥٥/٣
- إن العبد إذا تصدق من طيب
٣٤٦/١
- إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه
٧٠٧/١
- إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله
٤٥٣/١
- إن قذف المحصنة ليهدم عمل مئة سنة
٢٨٧/٣
- إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين
٣٥٨ ، ٦/٣-٢٨٥/٢-١٣٤/١
- إن لربكم في أيام دهركم لنفحات
٤٥٨/٣
- إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي
٣٠٠/٢-٧١٤/١
- إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها
٤٢/٢-١٢١/١
- إن لله تسعة وتسعين اسماً مئة إلا واحداً
١٨٩ ، ١٤٥ ، ١٧ ، ٩/١-١٨٩-
- ٣٣١ ، ١١٦ ، ٩٢ ، ٨٩/٢
- إن الله اختارني واختار لي أصحاباً
٤٨٩/٣
- إن الله تعالى رفيق يحب الرفق
٤٣٠/١
- إن الله تعالى قد حرم على النار من قال
٢٢/٢
- إن الله تعالى يحب أبناء السبعين
٢٢٢/١
- إن الله تعالى جواد يحب الجود
٤٦٢/١
- إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل
٢٧٧ ، ٢٦٠ ، ١٥٩/٢
- إن الله تعالى خير عبداً بين الدنيا وبين
٣٤٧/٢
- إن الله عز وجل بعثني إليكم
٣٤٨/٢

٢٧٩/٣	- إن الله عز وجل حلیم حی ستر
٥٠٤/٣	- إن الله عز وجل قال : أنا خلقت
١١٤/١	- إن الله عز وجل يقول يوم القيامة
٥٣٣/٢	- إن الله عز وجل يمهل حتى يذهب
٤٢٦/٢	- إن الله قال من عادى لي ولياً فقد
٤٨٥/١	- إن الله كتب الإحسان على كل شيء
٥٠٩/١	- إن الله كريم يحب الكرماء
٥١٠/١	- إن الله لا ينظر إلى صوركم
٩٤/٣	- إن الله ناصر نبيه
٥٧٤/٢	- إن الله هو الحكم
٣٥٨/١	- إن الله المسعر القابض
٢٦١/٣	- إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً
٥١٩/٢	- إن الله يحب معالي الأمور
٥١٢/٣	- إن الله يلوم على العجز
٤٠٧/٢	- إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث
٦٤٦/١	- إن الله يؤتي الدنيا من يحب ومن لا يحب
١٠٨/٣	- إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم
١٩٣-١٤٤/٢	- إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة
١٠١/٣-٣٤٨/٢	- إن من أمن الناس علي في صحبته
٣٥١/١	- إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته
١٣٤/٣	- إن هذا الرجل ليريد غدراً
٨٦/١	- إن هذه القلوب تصدأ
٧١٤/٢	- أن يا داود ذكر عبادي بإحساني
٣٣/٣-٥٩٧/٢	- إن يا عبدي خلقت لك السماوات
٢٠٩/٢	- أن يا عبدي كن لي كما أريد
٤٨٠/٢-٥٦١/١	- أنا بك وإليك
٥١٩/٣-١٢٦/٢	- أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك
١٦٢/٢	- أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر

- أنا ملك الملوك ٢٦/١
- أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت ١/١٨٠، ١٨٦، ٢٣٨، ٢٣٩-
- أنزلوا الناس منازلهم ٢/٢٠٩-٣/٤٦٦
- انصرف الرجل وهو فقيه ٢/١٧٢
- أنفق أنفق عليك ١/٤٥٠
- أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش ١/٢٧٤، ٤٥٠، ٦٢٧
- إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ١/٥٠١
- إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ٢/٣٢٦
- إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ٢/٣١٠
- إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا ١/٤٦٢
- إنما الصبر عند الصدمة الأولى ١/٤٦٤
- إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ١/٤٦٤، ٤٦٦
- أنه رأى جبريل قد سد الأفق ٣/٢٤٢
- إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه ١/٤٧٤
- إنه على ثغرة من ثغر الإسلام ٣/١٥٦
- أنه كانت تعظم عنده النعمة ٣/٤٧٨
- أنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله ٢/٤٨٣
- أنه ما أحسن من مسلم أو كافر إلا وقع أجره ٣/٥٠٧
- إنه يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين ١/٤٨٠
- إنها مشية يبغضها الله ٣/٢٦٦
- إني أكره المرأة تخرج من بيتها تجر ذيلها ٣/٢٧٧
- إني حرمت الظلم على نفسي ٣/٥٧، ١٤١
- إني رسول الله ولن يضيعني الله ١/٤٥٦
- إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم ٢/١٥٦
- إني لأبغض المرأة تخرج من بيتها ٣/٣٢٦، ٥١٨
- إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد ١/٤٣٢
- إني لأرى مقامه في الجنة ٣/١٠٠

- إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي
- إني لست مثلكم إني أبيت يطعمني ربي
- إني لم أنه عن البكاء
- إني والإنس والجن في نبأ عظيم
- إني والجن والإنس
- أوتروا يا أهل القرآن
- أوحى الله تعالى إلى داود
- أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء
- أوصيكم بالأنصار
- أولياء الله تعالى الذين إذا رؤوا
- إياك وما يعتذر منه
- أيما امرأة قعدت على بيت أولادها
- أيما رجل أغلق بابه على امرأة
- الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته
- الإيمان بالله
- الإيمان نصفان
- أيها الناس أنه قد كان لي فيكم إخوة
- أيها الناس إياكم وشرك السرائر

- ب -

- بادروا بالأعمال سبعا
- بارك الله لكما في غابر ليلتكما
- البر حسن الخلق
- البر لا يبلى والذنب لا ينسى
- بسم الله، رب أعوذ بك من
- بعثت أنا والساعة كهذه
- بل هو الرأي والحرب والمكيدة
- بلى
- بش العبد عبد تخيل

١٧١/١

- البيعان بالخيار

٤٨٥/١

- بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش

- ت -

٢٩١، ١٥٧، ١٤٧/٣

- تخلقوا بكمالات الله

٤٣٤/٢

- تضربه مما تضرب به ولدك

٢٨٣/٣

- تعالوا بايعوني

٣١٠/١

- تعجلوا إلى الحج

٣٣٨/٣

- تعس عبد الدرهم

٣٣٨/٣-٢٩/١

- تعس عبد الدينار وعبد الدرهم

٢٣٢/١

- تعلموا من العلم ما شئتم

٢٧٥/٣

- تعوذوا بالله من ثلاث فواقر

٤٠٠/٢

- تفكروا في خلق الله

١٥٩/٣

- تملأ الأرض جوراً وظلماً

٢٠٥/٣

- تنكح المرأة لأربع

- ث -

١٠١/٣

- ثم أخذها عبد الله بن رواحة

- ج -

٤٠٦/١

- جددوا إيمانكم

١٣/٣

- جزاكم الله شراً من قوم نبي

٢٧٢/١

- جعلت لله نداً

- ح -

٤١٦/٢-١٢٩/١

- حرمت عليه

٣٠٠/٣

- حسي الرب من العباد

٤١٤/١

- الحسد يأكل الحسنات

٥٠/٢

- حصنوا أموالكم بالزكاة

٢٣٠/١

- الحلال بين والحرام بين

٢٦، ٢٠/٣

- الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا

- الحمد لله الذي أنقذه من النار ٧١٦/٢
 - الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ٣٥٥/٢
 - الحمد لله على كل حال ٢٠٥/٢
 - الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه ٤٣٢/٣

-خ-

- خذي ما يكفيك وولديك ٤٤٦/١
 - خلقت السماوات والأرض ولم أعني ٢٧٩/١
 - خلقت لك السماوات والأرض ٣٠٣/١
 - خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك ٣٢٦/٣

-د-

- دخلت امرأة النار من جراء هرة ١٤٣/٣-٥٠٣/٢
 - دعا الله باسمه الأعظم ٢٣٦/١
 - دعاكم أخوكم وتكلف لكم ١٠٧/٣

-ر-

- رأس الحكمة مخافة الله ٥٣٤/١
 - رب اغفر لي خطيئتي وجهلي ١١٣/٣
 - رجلان من أمتي بين يدي رب العزة ١٤٧/٣
 - رحم الله امرأة أراهم اليوم من نفسه ٢٦٩/٣
 - ردوا علي الرجل ٢٩٢/٢
 - رضا الرب في رضا الوالدين ٧٢٩/٢
 - الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين ٦٣١/١

-ز-

- زادك الله حرصاً ولا تعد ٤٣٠، ٢٢٧، ٢٢٦/١

-س-

- سبعة يظلهم الله في ظله ٥٢/٢
 - سبقت رحمتي غضبي ٤٥٥/١

- ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ٦٣٥/٢
- سدّدوا وقاربوا واعلموا ٣١٨/٣
- سل ربك العفو والعافية ٧١٤/١
- سلوا الله العفو والعافية ٦٣٦/٢
- السماحة والصبر ٧١٢/١

- ص -

- صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ٥٨٦/٢
- صدق الله وكذب بطن أخيك ٤١٨/٣
- الصلاة المكتوبة إلى الصلاة ٤٨٤/٢
- صنائع المعروف تقي مصارع السوء ٨٢/٢
- صنفان من أهل النار لم أرهما ٥٣١/٣
- صوتان ملعونان في الدنيا ٤٢٤/٢

- ط -

- طلب العلم فريضة ٣٦٩/٣
- الطهور شطر الإيمان ٢٠٦/٣

- ع -

- عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعي ١٧٢/٣ - ٢٣٨/١
- عبدي رجعوا وتركوك وفي التراب ٣٥٠/٢ - ٤٦/١
- عبدي لي عليك فريضة ٦٤٠/١
- عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها ٧٢٤/٢
- عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة ٢١٤/١
- عجبت لأمر المؤمن إن أمره كله خير ١٢٩/٣ - ٦٩٦/٢
- عجبت لها فتحت لها أبواب السماء ٦٦١/١
- عذبت امرأة في هرة حبستها ٣٦٠/١
- عرفت فالزم ٤١٥/١
- عش ما شئت فإنك ميت ٨٩/٣ - ٣٧٩/١
- العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ١٤١/١

- على رسلكما إنها صافية ٤٣٧/٢
- عليكم بالصدق ٧٢٨/٢
- العمرة إلى العمرة كفارة ٧١٨/٢
- عمل قليل في سنة خير من اجتهاد ٦٨٩/١

- غ -

- الغيبة أشد من الزنا ٥٥٨/١

- ف -

- فاتقوا الله واعدلووا بين أولادكم ١٤٩/٣
- فضل كلام الله على سائر الكلام ٣٣٣/١
- فقهوا أخاكم في دينه ١٢٨/١ - ٣ - ١٤٦
- فلا تعطه مالك ٣٦٠/١
- فما زال يحدثنا حتى ذكر باباً من قبل المغرب ٢٥٥/١
- فمن أحب ستي فقد أحبني ٦٨٩/١
- فوالله لا يخزيك الله أبداً ٧٠٦/٢
- في كل كبد رطبة أجر ٤٨٥/١

- ق -

- قاربوا بين أبنائكم ١٤٩/٣
- قال داود فيما يخاطب ربه ٣٦١/١
- قال ربكم عز وجل: لو أن عبادي أطاعوني ٤٠٥/١
- قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ٤٧٩، ٤٧٨/١
- قال الله: أنفق يا بن آدم ٦٢٧/١
- قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي ١٩٢/١
- قال يارب: أي عبادك أحب إليك؟ ٥٠٧، ٤٩٨/٢
- قد أكرمنا الله بتحية خيرة من تحيتك ١٢٧/١ - ٣ - ١٤٥
- قد تركتكم على البيضاء ٤٨٩/١ - ٣ - ٥٤٧
- قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة ٤٤/١
- القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد ٥٧٥/٢

- قل : اللهم ألهمني رشدي ١١ / ٢
 - قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ٤٨٥ / ٢
 - قل : يا من أظهر الجميل ٢١٦ / ١
 - قوم يساقون إلى الجنة مقرنين ٣٩٩ / ٣

- ك -

- كان إذا ظهر على قوم أقام ١٢ / ٣
 - كان خلقه القرآن ٤٢٢ ، ٢٦ / ٣
 - كان الله ولم يكن شيء غيره ٣٧٢ ، ٣٧١ / ٢
 - كان النبي (ﷺ) إذا سلم لم يقعد ١٣١ / ٢
 - كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت ٢٤٠ / ٢
 - كفى بالمرء علماً أن يخشى الله ١٦٠ / ١
 - كل أمتي معافى إلا المجاهرين ٢٨٣ ، ٢٨٠ / ٣
 - كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ٢١٤ / ١
 - كل محدثة بدعة ٦٨٦ / ١
 - كل مصيبة بعدك جلل ٧٩ / ٢
 - كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه ٢١ / ٣
 - كن لي كما أريد أكن لك كما تريد ٣٢١ / ٣ - ٢٠٩ / ٢
 - كنتم ترون أن الله كان يسلط علي ٢٥١ / ٢
 - الكيس من دان نفسه ٣٧٥ ، ٥٣٤ - ٨٩ / ٣
 - كيف بك يا سراقه إذا لبست سوارى كسرى؟ ٥١٣ ، ٥١٠
 ٩٤ / ٣

- ل -

- لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة ١٢ / ١
 - لقد حجرت واسعاً ٣١٢ ، ٣٠٦ / ٢
 - لقد رفعوا إلى في الجنة فيما يرى النائم ٧٢٧ / ٢
 - لقد سأل الله باسمه الأعظم ١٤٥ / ٢
 - لقد لقيت من قومك ما لقيت ٣١١ / ٢

- لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء ٤١١، ٣٧/٣
- لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة ١٣١/٣
- لن تؤمنوا حتى تراحموا ٤٨٤/١
- لن يزال عليك من الله حافظ ٩٦/٢
- لن ينال الدرجات العلا من تكهن ٤٦٤/١
- لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من ٦٠٥/١
- لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد ٦٣٢/٢-٦٠٥/١
- لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها ١١٥/٢
- لله تسعة وتسعون اسماً من حفظها ١١٥/٢
- لله ما أخذ والله ما أعطى ٤٤٣/١
- اللهم اجعل خير عمري آخره ٣٠٥/١
- اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ٢٤٠/٢
- اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً ٢٤٠/٢
- اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ٤٣/٢
- اللهم أحسن خلقي فأحسن خلقي ٤١٥/١
- اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني ٣٨٨/٣
- اللهم ارزقني طيباً واستعملني صالحاً ٥٠١/٣
- اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ٤٣١/٢
- اللهم أرني الحق وارزقني اتباعه ٥٤٤/١
- اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ٥٣٣، ١٥٧، ٦٧/٢
- ١٢٢/٣، ٦٨٧
- اللهم اقم لنا من خشيتك ما يحول بيننا ٢٣٣/٣-٥٦/٢
- اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ٥٥٦، ٤٢٠/٢-٧١٠/١
- اللهم أنت أعلم بي من نفسي ٧٠١/٢
- اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ٤٨٤/٢
- اللهم أنت السلام ومنك السلام ١٤٨، ١٣١/٢
- اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة ٣٢١/٣-٥٥/٢-١١٩/١
- ٥٣٣

- اللهم أنت عضدي وأنت نصيري ٢٠٠/١
- اللهم أنجز لي ما وعدتني ٤١٩/٣
- اللهم إني أسألك رحمة من عندك ٢١٧/٣
- اللهم إني أسألك العافية في الدنيا ٢٨٩/٣
- اللهم إني أسألك العفو والعافية ٦٢٦/٢
- اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ١٥٣/١
- اللهم إني أعوذ بك من جاز سوء ٥٠٤/١
- اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ٢٥٩، ٦٣/٣
- اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ٤١٩/٢
- اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ٥٠٨/٢
- اللهم اهد دوساً وأنت بهم ٤٦٩/١
- اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ٣١١/٢
- اللهم اهدني فيمن هديت ٤٢٣، ١٥٣/٣
- اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي ٤٨٤/٣
- اللهم دنهم كما يدينوننا ٥١٤/٣
- اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ١٥٨/٢
- اللهم فني عذابك يوم تبعث عبادك ٢٦/٣
- اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافيه بها ١٠٩/٣
- اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ٣٣٩/١
- اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ١٣٤/٣
- اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ٣٦٨/٢
- اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا ٦/٣-٢٨٥/٢
- لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ٦٠٩/٢
- لو أهدي إلي كراع لقبلت ١٠٦/٣
- لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ٣٠٨/٣-٢٠٨/٢
- لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر ٣٤٨، ٣٤٧/٢-٣٨٩/١
- ١٠١/٣-٥٣٧
- ٣٣٦/٣
- لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك

- لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك ٥٠٢/٢
- لو لم تذبوا الخشيت عليكم ما هو ١٩٦/١
- لو لم تكونوا تذبون لخفت عليكم ما هو أكبر ١٩١/٢
- ليُّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته ٦٦٧/٢
- ليس أحد أحب إليه المدح من الله ٤٦١/١
- ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله ٥٠٦، ٤٩٥/١
- ليس الشديد بالصرعة ٤٦٤/١
- ليس الغنى عن كثرة العرض ٦٠٥/٢
- ليسأل أحدكم ربه حاجاته كلها ٢٨٩، ٢٧٨/١
- ليشرين ناس من أمي الخمر يسمونها ٤٢٤/٢
- ليكونن من أمي أقوام يستحلون الحر والحرير ٤٢٤/٢

- م -

- ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ ٦٥/٣-١٨٩/١
- ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب ٤٤٩/١
- ما أصاب أحدا قط هم، ولا حزن فقال ٢٠/١
- ما أنصفتني عبدي، أستحي أن أعذبه ٥٠٩/١
- ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله ١٧٧/٣
- ما تظنون أني فاعل بكم؟ ٤٦٩/٢
- ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ٣٣٩/٣
- ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن ١١٦/٢
- ما قال عبد لا إله إلا الله قط ٢٢/٢
- ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ٥٣٤/١
- ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن ٥٤٧/٣
- ما من يوم إلا وينادي يا بن آدم ٢٠/٣
- ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر ١٠١/٣
- ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت ٢٩٨/٢
- ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ٧٢٠/٢

- مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له ١٩/١
- مثل المؤمن مثل السنبلة ٤٤٧/١
- المختلعات هن المنافقات ٥١٨، ٣٢٦/٣
- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ٢٨٦/٣
- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ١١١/١
- من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه ٣٠٨/١
- من أحبنا أحببناه، ومن طلب منا أعطيناه ٥٢١/٢
- من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ ٢٨٢/١
- من ازداد علماً، ولم يزد هدى لم يزد ١٨/٢
- من استعاذ بالله فأعذوه ٦٣٩، ٢٦٩/١
- من أسلم على يد رجل فله ولاؤه ٢٧٨/١
- من أصبح منكم آمناً في سربه ٥٣٥/١
- من أصبح منكم معافى في جسده ٥١/٣-٦٩٧، ٦٠٢/٢
- من تاب إلى الله توبة نصوحاً ٦٢٦/٢
- من تفقه في دين الله كفاه الله ١٧٤/٣
- من تواضع لله درجة رفعه الله درجة ١٩٤/١
- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ٢٩٠/٣
- من خاف أدلج ١٥٤/١
- من خالف الجماعة شبراً خلع ربة الإسلام ٦٩١/١
- من جعل الهموم همّاً واحداً هم المعاد ٣٨٧-٢٨١/١
- من دعي فلم يجب فقد عصى ١٠٦/٣
- من سنّ سنة حسنة فعمل بها ٦٩٦/١
- من سئل علم علمه ثم كتبه ٥٤٦/٣
- من ستر مسلماً ستره الله ٢٩٠/٣
- من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي ٥١٠/٢
- من صنع إليه معروف فقال لفاعله ٢٦٩/١
- من طلب العلم ليجاري به العلماء ٤٢٠/٣
- من غض بصره عن محارم الله أورثه الله ٢١٠/٣

- من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله ٢١٨/٢
 - من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم إني ٢٤/٢
 - من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد ٣٢٧ ، ١٢٠/٣
 - من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ٣٠٣/١
 - من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصداق ٢٧٣/٣
 - من لا يجب الدعوة فقد عصى الله ١٠٦/٣
 - من لعب بالتردشير فكأنما غمس يده ٤٢٩/١
 - من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ١٦٢/٢
 - من لم يشكر النامس لم يشكر الله ٤٩٤ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩/١
 - من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره ٦٩٢/١
 - من ملأ عينه من الحرام ملأهما الله من جمر ٢١٠/٣
 - من يهده الله فلا مضل له ٦٨٦/١
 - المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ٢٧٠ ، ٢٦٩/٣

- ن -

- الناس رجلان : فالمؤمن غرٌّ كريم ٤٩٩/١
 - ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر ٥١٩/٣
 - نزع الله عنك ما تكره ٤٨٢/٣
 - النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ٢١٠/٣

- ه -

- هذا خير لك من أن تجيء ٣٣٥/٣
 - هذان السمع والبصر ١٠١/٣
 - هلا شققت عن قلبه؟ ٣٩٨/٢
 - هلال خير ورشد ٤١٩/١
 - هؤلاء إذا ماتوا لاتصلوا عليهم ٥١٥/١
 - هون عليك فإنني لست بملك ١٦٦ ، ١٩٤ - ١٤٠/٢ ، ١٩٠ ، ٦٨٥
 - هي في النار ٣٦٠/١

- و -

- واجعله الوارث منا ٤٢٤/٣
- واعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل ١٦١/١
- وإن استقبلني بملء السماء والأرض ٤٨٠/٢
- وإن رسول الله (ﷺ) ليضع رأسه تواضعاً لله ١٩٤/١
- وإن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ١٩٣/١
- وإن من عبادي لا يصلحه إلا الفقر ٥٩/٣
- والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ١٠٣، ١٣/٣
- والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه ٣٢٨/٢
- والذي نفسي بيده لو لم تذبوا الذهب ٥٥٨/١
- والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول ٤٩٧/٢
- والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفارق ٤٤٩/١
- وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته ١٧٥/٣
- وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا ٣٠٨/٣، ٧٠٥، ٦٠٩/١
- ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة ٦٤٣، ٤٨٨/١
- ولا ينفع ذا الجد منك الجد ٣٥/١
- والله في عون العبد ما كان العبد ٢٧٣/١
- والله لا يؤمن والله لا يؤمن ١١٣، ١٠٩/١
- والله ما ذمناه صهراً ١٥٠/٣، ٢٢٧/١
- وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم ٥٢٣/١
- ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ٤٢٥/٢
- ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا ٤٤٤/٢
- ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه ٦٢/٣
- ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ٤٦٣/١

- لا -

- لا أحد أحب إليه المديح من الله ٤٦١/١
- لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت ٤٩٢/١

- لا أراك تستحي من ربك خذ أجارتك ١٧٢/٢
- لا أشهد على جور ١٤٩/٣
- لا تعملوا فكل ميسر لما خلق له ٣٩٨/٣
- لا إله إلا الله إن للموت سكرات ٢٤٥/١
- لا إله إلا الله العظيم الحليم ٥٥٤/٢
- لا إله إلا الله العلي العظيم ٢٥٣/٣
- لا إله إلا الله العليم الحكيم ٦٠/١
- لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ١٨٢/١
- لا تجتمع أمتي على ضلالة ٤٥١/٢
- لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ٦٩٢/١
- لا تسبوا أصحابي ٣٤٨/٢
- لا تقي مالك بماله ٢١٣/٢
- لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ٢٨٨/٣
- لا حول ولا قوة إلا بالله ٢٤٩/٣
- لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة؟ ٣٤٠/٣
- لا عدوى ١٤١/١
- لا والله لا أقوم إليه ٣٤٩، ١٤٢/٢-٢٧٢/١
- لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ٣٦٧/١
- لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ١٩١/٢-١٩٤/١
- لا يدخل الجنة نمام ٢١٠/٣
- لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملا ٤٩٢/١
- لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها ٤٤٩/١
- لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ٢٣٩/٢
- لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ٤١٨، ٣٧٨، ١٥٦/١
- لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر ٣٢٦-٢٧٧/٣

- ي -

- يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده ٥١٧/٣
- يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ٥٨٣/٢-١٣٤/١

٤٩٧، ٣٤٢، ٨٦/٢	- يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف
٧٠٧/١	- يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة
٤٦١/١	- يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله
٤٦٧/١	- يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم
٧٢٥/٢	- يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم
٢٨٤/٣	- يا أيها الناس إني قد دنا مني حقوق
٧٠٥/٢	- يا بن آدم مرضت فلم تعدني
٥٦٧/١	- يا بن عمر دينك دينك إنما هو
٦٨٨/١	- يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي
٣٤٥/٣	- يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث
٢٥٦، ٢٥١/١	- يا داود ذكّر عبادي بإحساني إليهم
١٨٦/١	- يا رب عجب لمن يعرفك كيف يرجو
٤٣٤/٣	- يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة
٢٧٠/١	- يا ربعة سلني حاجتك
٦١٨/٢	- يا ربعة سلني فأعطيك
١١/٢	- يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟
٣٦/٢	- يا حنظلة لو كنتم تكونون في بيوتكم كما تكونون
٧٢٩/٢	- يا رب بم بلغ هذا العبد ذلك المكان؟
٢٩٠/٢	- يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً
٦٤٣/١	- يا سعد ارم فداك أبي وأمي
٥٠٧/٢	- يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك
٤٧٨/٢	- يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس
٢٤١/٢	- يا عائشة أكرمي كريمك فإنها ما نفرت عن
٤٧٠/٢-٤٥٨، ٢١٥/١	- يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
١٩٤/٣-٥٤٤	
٣٠٧، ١٣٨/٢-٢١٩، ٥٠/١	- يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم
٤٤٥/١	- يا عثمان أمالك في أسوة حسنة
٥٥٧/٣	- يا عدي هل رأيت الحيرة؟

- يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله
١٣٢ / ٣ - ١٥٣ ، ٢٢ / ٢
- يا قيس إن لك قريباً تدفن معه
٢٥٨ ، ١٨٦ / ٣
- يا معاذ والله إني لأحبك
٦٤٣ / ١
- يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن
٥٣٢ / ٣ - ٩٨ / ٢
- يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
٣٠٧ / ٣
- يا موسى أتحب أن أكون جليسك؟
٤٢٥ / ١
- يا هذال لو سترته بثوبك كان خيراً لك
٢٨٦ / ٣
- يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم
١١ / ١
- يقول الله تعالى : ابن آدم اطلبني تجدني
١٥٣ / ١
- يقول الله سبحانه : الكبرياء ردائي
٥٥٥ / ٢
- يقول الله عز وجل : إن ذكرني في ملأ ذكرته
٤٩١ / ١
- يؤتي الدنيا من يحب ومن لا يحب
٦٤١ / ١
- يؤذيني ابن آدم يسب الدهر
١١٠ / ١

* * *

فهرس أطراف آثار وأقوال الصحابة

طرف الأثر	الصحابي	الجزء / رقم الصفحة
- أ -		
- أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا	عمر بن الخطاب	١٠١/٣
- أحب ما أهدى إليَّ أصحابي عيوبي	عمر بن الخطاب	١٥، ٨/١
- أخذ القليل خير من ترك الكثير	علي بن أبي طالب	١٨٩/١
- أصل الدين معرفته	علي بن أبي طالب	٢٥٤/٣
- اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا	الحسن	٢٣٢/١
- اعلموا ما شئتم أن تعملوا فلن	معاذ بن جبل	٢٣٢/١
- ألا إن الوتر ليس يختم صلاتكم	علي بن أبي طالب	٣٢٨/٢
- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	علي بن أبي طالب	٣٥٩/٢
- أن تعلم أن كل ما يخطر ببالك أو توهمته	علي بن أبي طالب	٣١٩/٢
- إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً	ابن عباس	٦٨/١
- إن المؤمن قوام على نفسه لله عز وجل	الحسن	٣٥٧/١
- أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يرده	علي بن أبي طالب	٦٠٤/٢
- أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها	أبو هريرة	٢٢٤/٣
- ب -		
- بل واطرباه، غداً نلقى الأحبة	بلال	٨٣/٣
- ت -		
- تبارك الذي وسع سمعه الأصوات	عائشة	٤١٧/٢
- تجلى الله لعباده من غير أن يروه	علي بن أبي طالب	٤٠١/٢
- تعاهد قلبك -	عمر بن الخطاب	٤١٠/٣

-ح-

- الحمد لله إذ لم تكن في ديني
عمر بن الخطاب ٦٤/٢
- الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات
عائشة ٤١٩/٢
- الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذا لم تكن
عمر بن الخطاب ٦٣٦/٢
- ذروة الإيمان الصبر للحكم
أبو الدرداء ١٥٠/٢

-ع-

- العجز عن إدراك الإدراك إدراك
أبو بكر الصديق ٤٠٠/٢

-غ-

- الغنى والفقر بعد العرض على الله
علي بن أبي طالب ٣١/١

-ك-

- كفى بالمرء علماً أن يخشى الله
مسروق ٤٠٩/١
- كنا مع النبي (ﷺ) نحن فتيان حزاورة
جندب بن عبد الله ٤١٧/٣

-ل-

- لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه
علي بن أبي طالب ٥٣٧، ١١/٢
- لست بالخب ولا الخب يخدعني
عمر بن الخطاب ٤٤٦/١
- لست بداهية
معاوية ٤٥٣/٢
- لست مطالباً بطلب الرزق ولكنك أمرت
علي بن أبي طالب ٢٧٨/١
- لقد جاء عمير وإنه لأضل من خنزير
عمر بن الخطاب ٤٧٤/١
- لقد وليت عليكم ولست بخيركم
أبو بكر الصديق ٦٩٣/١
- الله هادي السماوات والأرض
ابن عباس ٤١/٢
- اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها
علي بن أبي طالب ٢٥١/٢
- اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل
علي بن أبي طالب ٦١/٣
- اللهم كبرت سني وضعفت قوتي
عمر بن الخطاب ٢٦٨/٣
- لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض
عمر بن الخطاب ٦٩٢/١
- لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة
عمر بن الخطاب ٤٩٠/٢

- م -

- ٤٤ / ١ علي بن أبي طالب
- ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله رداءه
٦٨ / ١ عثمان بن عفان

- ن -

- ٢٩٣ / ٣ علي بن أبي طالب
- الناس ثلاثة: عالم رباني، ومستمع على

- و -

- ٦٣٧ / ٢ أبو بكر الصديق
- والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت
١٢٥ / ٣ علي بن أبي طالب
- والله لو كشف الغطاء ما زددت إلا يقيناً
١٢٥ / ٣ علي بن أبي طالب
- والله ما أحب أن محمداً الآن في مكان الذي زيد بن الدثنة
٢٥٤ / ١
- والله والله لحفر بشرين بإبرتين وكنس أرض
٢٤٩ / ٢ علي بن أبي طالب
- والله والله مرتين لحفر بشرين بإبرتين
٣٣٤ - ٢٦٣ / ٣ علي بن أبي طالب
- ومتى لم يكن
٣٨٩ / ٢ علي بن أبي طالب

- ي -

- ٢٠٨ / ٢ علي بن أبي طالب
- يا بني ما خير بعد النار بخير

* * *

فهرس الأعلام

الاسم	الجزء/ رقم الصفحة
- آ -	
- آدم عليه السلام	٢٤٩/٣-٧١٢/٢-٣٤٠/١
- إبراهيم بن عيلة	٦٤٨/١
- إبراهيم عليه السلام	١٣١/١، ١٦٧، ١٨١، ٣٠٤، ٣٩٠، ٤٦٩، ٤٧٣/٢-١٤١، ٣٢١، ٧٠٨- ٤٩٨، ٢٩٥، ٢٦٧، ١٢٦، ٧٩/٣
- ابن أبي الدنيا	٥٨٨، ٤٨٨، ٢٧٩/١
- ابن الأثير	٥٠٩، ٥٠٨، ١٨٥، ١٨٢، ١٤٥/٢
- ابن إسحاق	١٥٦/٢-١٩٤، ١٢٦/١
- ابن أم مكتوم	١٥٧/١
- ابن بريدة	٥٧٥/٢
- ابن بشران	٧٤/٢
- ابن ناشفين	٢٢٧/١
- ابن تعزي بردي	٣٥/١
- ابن حبان	٢٨٥، ٨٩/٣-٤٤٤، ٢٠/١
- ابن خزيمة	٦٣/١
- ابن الخصاصية السدوسي	٣٤٠/٣
- ابن رجب الحنبلي	١٥٣، ٦٨/١
- ابن الزبير	١٩٥/٢
- ابن سعد	٣٦/٢

٤٧٨/٣-٤٤٧، ٢٣٨/٢-٥٧، ٣٩/١	- ابن السماك
٢٨٦، ٢٨٣/٣	- ابن شهاب
٥١٧/٣-٢٢٦/١	- ابن عباد
٢١، ٩/٢-٦٩١، ٣٨٩، ٣١٠، ٦٨/١	- ابن عباس
٤١، ٤٣، ١٢٠، ١٥٣، ١٥٦، ٢٢٥،	
٢٢٦، ٣٤٨، ٣٦٨، ٥٥٤-١٣٢/٣	
٢١٧، ٣٤٦، ٤١١، ٥١٦	
٥٠٩، ١٥٦/١	- ابن عساكر
١٨٠/٢-٧٠٦/١	- ابن عطاء الله السكندري
	- ابن عمر = عبد الله بن عمر
	- ابن عمرو = عبد الله بن عمر
٥٧٠/٣	- ابن عوف
	- ابن عيينة = سفيان بن عيينة
٤١٥، ٣١٧/٣-٢١، ١٩، ٥/١	- ابن القيم
٢٣٦، ٢٠١، ١٩٤، ١٦٦، ٢٩، ١٢/١	- ابن ماجه
٣٨٦، ٣٧٥، ٣٥٨، ٣٥١، ٣٠٣، ٢٨١	
٩٨، ١٢/٢-٦٧٧، ٥٣٤، ٤١٨، ٤١٤	
٢٦/٣-٥٥٥، ١٩٠، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٠	
٣٣٥، ٣٢٧، ٣٢٣، ١٨٤، ٨٩، ٥١	
٥٤٧، ٥٣٢، ٥١٠، ٣٦٩	
١٠٤/٣-٢٩٨/٢	- ابن المبارك
	- ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
٣٧٥/١	- ابن المقفع
١٥٧/١	- ابن نافع
٢٧٣/٢	- ابن النحوي، يوسف بن محمد التلمساني
١٣١/٢	- ابن نمير
١٦٨/٣	- ابن هبيرة
١٥٦، ٧٩/٢-٤٦٩/١	- ابن هشام

- ابن وهب بن عمير ١٤٤/٣-١٢٧/١
- ابنة ملحان ٥١٩/٣
- أبو إدريس ٢٨٣/٣
- أبو إلياس الألباني ٦٨٧/١
- أبو أمامة ٤٣٢، ٣٩٩/٣-٨٢/٢-٢٧١، ٤١٢/١
- أبو أمية ٢٧٦/٣
- أبو أيوب الأنصاري ٤٨٢/٣
- أبو البخترى بن هشام بن الحارث ١٥٦/٢
- أبو البقاء الرندي ٣٨٠/٢
- أبو بكر الصديق ١٦٧، ١٦٦، ١٣٥، ١٣٤، ٦٥/١
- ٢٥٤، ٢٨٤، ٣٨٩، ٥١٥، ٥١٧، ٥٤٣، ٦٨٧، ٦٩٢، ٦٩٣، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٣٦/٢-٨٧، ١٤٢، ١٩٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٤٠٠، ٤٧٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٣٧، ٥٧٠، ٥٨٣، ٦٣٦، ٦٣٧، ٧٠١، ٩٥/٣، ١٠١، ١٠٢، ١٨٨، ٢٨٨، ٣٠٠، ٤٢٠
- أبو بكرة ٢٢٦/١
- أبو تمام ٣٤٩، ٢٣٢/٣-٤٨٩/٢
- أبو جعفر المنصور ٥٣٤/٣-٥٨٢، ٢٨٨، ٥١/٢-١٥٦/١
- أبو الجلد ٤٤٦/٢-٣٤٠/١
- أبو جهل بن هشام ٤٩٧، ٣٤٢، ٢٢٢، ٨٦/٢-١٦٨/١
- ١٠٤، ١٣/٣، ٥٢٣
- أبو الحارث ١٣٨/١
- أبو حازم ٣٧٩/٢-٦٢/١
- أبو حذيفة ١٥٦/٢
- أبو الحسن القابسي ١٩/١
- أبو الحسن التميمي الأندلسي ٢٨٢/٢

٤٤/١	- أبو الحسين الحمادي القاضي
١٨٠/٢	- أبو حفص
١٥٦/١، ١٦٧، ٤٧١، ٤٨٩، ٤٩٠-	- أبو حنيفة النعمان
٥١٢/٢، ٥١٨، ٦٣٥، ٦٥٨، ٧١٦-	
٢٧٣، ١٧٤/٣	
١٩٢، ٩٢/١، ٢٠١، ٢٣٦، ٣٥٨،	- أبو داود
٤١٩-٢/٢، ٢٤، ٤٨، ١٤٤، ١٥٩، ٢٤٠،	
٣٤٨، ٤٢٦، ٤٣٧، ٥٧٥، ٦٢٠-	
١٠٦/٣، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٣٥	
٢٦٦/٣	- أبو دجانة
١٣١/٣-٤٨٠، ٢١٨، ١٥٠/٢-٤٦٤/١	- أبو الدرداء
٥٤٤، ٤٧٠/٢، ٧٠٨، ٧٠٧، ٤٥٨/١	- أبو ذر
٢٧٠، ١٤١/٣-٦٣٥	
١٤١/٢-٣٣٣، ١١/١	- أبو سعيد
٥٣٣-٧٠٧/٢-٣٤٧، ٣٤٨، ٤٠٧،	- أبو سعيد الخدري
٤١٧، ١٠٧/٣	
١٣٤/٣-٤٤٦، ٢٥٥، ٢٥٤/١	- أبو سفيان
٥٦٥، ١٣٥	
١٠٤/٣	- أبو سفيان بن حرب
١١٣، ١٠٩/١	- أبو شريح
٤٠٤/٢	- أبو صالح
١٢/٣	- أبو طلحة
١١٤/١	- أبو الطيب
٥٣٠/٢	- أبو الطيب المتنبي
٤٦٠/٤	- أبو العالية
٤٢٤/٢	- أبو عامر
١٩/١	- أبو العباس
٦٩٧/٢	- أبو عبد الرحمن البجلي

- أبو عبد الرحمن محمد الصغير ١٤٩/١
 - أبو عبد الله الصغير ١٨٨/٢
 - أبو عبيدة ٢٢٦/٢
 - أبو عبيدة عامر بن الجراح ٦٠١، ١٩٥/٢
 - أبو عثمان ٣٦/٢
 - أبو عثمان النهدي ٤٦٠/٤
 - أبو علي الثقفي ٢٧٤/١
 - أبو عمرو ٤٦٠/٣
 - أبو غالب ٣٩٩/٣
 - أبو الفتح البستي ٧١٥/٢
 - أبو قلابة ٦٩٢، ٤٥٠/١
 - أبو لهب بن عبد المطلب ١٦٨/١، ٤٨٠، ٥٠٠-٢٢٢، ٨٦/٢
 - أبو مالك الأشعري ٥٦٩، ٥٦٨، ٣٦٣/٣
 - أبو مريم السلولي ٤٢٤/٢
 - أبو مسعود ١١٠/٣
 - أبو مسعود الأنصاري ٢٥١، ١٤٠/٣
 - أبو مسعود البدري ٤٣/٣
 - أبو مصعب ١٦٦/١
 - أبو موسى ١٥٨/١
 - أبو موسى الأشعري ٤٨٤، ٣٧٧/١
 - أبو نعيم ١٩٣، ١٤٤/٢-٤٤٥/١
 - أبو هاشم ٢١٤/١
 - أبو هريرة ٥٧٥/٢
 ١١٤، ١١١، ١١٠، ٢٩، ١٧، ٩/١
 ٢١٤، ١٩٢، ١٥٣، ١٤٥، ١٤٢، ١٢١
 ٤٨٤، ٤٧٨، ٣٦٠، ٣٥١، ٣٠٨، ٢٦٩
 ٤٠٦، ٦٢٧، ٥٨٢، ٥٥٨، ٥١٠، ٤٩١
 ٤٦٦، ٤٦٤، ٤٥٥، ٤٥٠، ٤٢٣، ٤١٤

٤٦٩-٢/٢٢، ٤٢، ٥٢، ٦٧، ٨٩، ٩٢،

١١٥، ١١٦، ٣٠٦، ٣٣١، ٤٠٧، ٤٢٦،

٤٤٧، ٤٨٤، ٥٠٣، ٥٣٣، ٥٥٥، ٦٠٥-

٨٨/٣، ١٣٢، ١٤٣، ٢٠٥، ٢٢٤،

٢٩٠، ٣٢٦، ٣٣٦، ٣٣٨، ٤٦٠، ٥٤٦

١٦٢/٢

٢٨٨/٣

٥١٠، ٢٨٥/٣-٤٤٥، ٢٠/١

١٩٥/٢-٤٤٣/١

٢٠/١، ٦٩، ١٢٩، ١٣١، ٢٠١، ٢٤٥،

٢٦٩، ٢٨٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣٤٦،

٣٥٨، ٣٦٠، ٣٧٥، ٤٠٦، ٤١٥، ٤١٨،

٤٤٤، ٤٥٠، ٤٦٩، ٤٩١، ٥٣٤، ٦٧٧،

٦٨٦، ٦٩١، ٧٠٧-١١٧/٢، ١٤٥،

٢٧٧

٢/٢٩٢، ٤٤٧، ٤٨٤، ٤٩٥، ٥٣٣،

٥٣٤، ٦٠٦-١٣/٣، ٢٦، ١٤٢، ١٤٩،

١٥٩، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٣٧،

٣٩٩، ٤٨٤، ٥١٢، ٥٤٧

٥٤٦/٣

١/١٠٦-٢/٤٣٤

٣٢٢/١

٤٤٣/١

١/٢٦٩، ٤٦١، ٤٦٢، ٧٠٥-١٠٩/٣

٢/١٤١-٣/٤٩٨

٧٠٨/٢

٤١/١

٢٨١/١

- أبو هند الداري

- أبو اليسر

- أبو يعلى

- أبي بن كعب

- أحمد

- أحمد

- أحمد بن سنان

- الأحنف بن قيس

- أرخميدس

- أسامة

- أسامة بن زيد

- إسحاق عليه السلام

- إسماعيل

- إسماعيل بن يسار

- الأسود بن يزيد

٤٥٣/١	- أشج عبد القيس
٤٨٥/٢-٢١/١	- الأصمعي
٥٣٣/٢	- الأغزّ
٥٤٢/١	- ألكسي كارليل
٢١٨/٢	- أم الدرداء
٣٢٦/٢	- أم سلمة
٦٩٧/٢	- أم كلثوم
٤٧٨ ، ٢٩٨ ، ٩٢/٢-١٣١/١	- أم موسى
١٢/٢	- أم هانئ
١٦٤ ، ٤١/١	- امرأة العزيز
٣٤٠/٣	- امرأة عمران
٣١٨ ، ٩٢/٢-١٣٢/١	- امرأة فرعون
٢٨٩/١	- امرأة يحيى بن معاذ
٤٠٤/٣	- أمية بن أبي الصلت
٤٩٧ ، ٣٤٢ ، ٢٢٢ ، ٨٦/٢	- أمية بن خلف
٤٥/١	- أمية الشامي
٢٣٦ ، ٢٠١ ، ١٩٦ ، ١٨٧ ، ٤٤/١	- أنس
٧٤/٢ ، ٤٣٢ ، ٤١٤ ، ٣٥٨ ، ٢٧٨	
٧١٦ ، ٥٥٨ ، ٢٧٧ ، ١٩١ ، ١٥٨	
٥١٩/٣	
٨٦ ، ٢٤/٢-٧١٤ ، ٦٨٨ ، ٤٦٤/١	- أنس بن مالك
٤٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٢ ، ١٩٥ ، ١٤٥	
٣٦٩ ، ١٤٧ ، ٢١/٣	
٤١٦/٢-١٢٩ ، ١٢٨/١	- أوس بن الصامت
٦٩٢/١	- أيوب
٧١٢ ، ٧١١/١	- أيوب عليه السلام

- ب -

٢٥٨/١	- بافلوف
١٤٥، ١١٣، ١٠٩، ٢٠، ١٧، ٩/١	- البخاري
٢٧٢، ٢٤٥، ٢٢٦، ٢١٤، ١٨٩	
٤٦٤، ٤٦٢، ٤٤٤، ٣٨٩، ٣٦٠، ٣٣٩	
٧٠٧، ٥٠١، ٤٨٥، ٤٨٠، ٤٧٨	
١٤٢، ٩٦، ٩٢، ٨٩، ٦٧، ٢٢/٢	
٣٤٧، ٣١١، ٣٠٦، ٢١٩، ١٦٨، ١٥٨	
٤٤٧، ٤٢٦، ٤١٩، ٣٧٩، ٣٦٨، ٣٤٨	
٤٤، ١٣/٣، ٧١٦، ٦٠٥، ٥٥٤، ٤٨٤	
١١٣، ١٠٩، ١٠٣، ٨٨، ٦٥، ٦٢	
٢٨٦، ٢٨٠، ٢٧٠، ٢٠٥، ١٨٤، ١٥٦	
٥٥٨، ٥١٩، ٤٣٢، ٣٢٣، ٣١٨	
٥٣٠/٣	- بدر الدين الحسيني
٢٢/٢	- البراء
٢١/٣	- البراء بن مالك
١٥٧/١	- البرمكي
٣٤٥/٣-١٩٦، ١٣٨، ٢٠/١	- البزار
١٥٣/١	- بكير بن فيروز
٤٥٠/١	- بلال
١٠٤، ٨٣/٣	- بلال الحبشي
٢٤١/٣-١٨٩/٢	- بلقيس
٥٥٨، ٤٤٤، ٤١٤، ٢٧١، ٨٦/١	- البيهقي
٢٦١، ١٠٧/٣-٧١٢، ١٩١/٢-٦٩٢	
٤٥٨، ٣٤٦	

- ت -

٢٣٦، ٢٠١، ١٥٦، ١٥٤، ٥٠/١	- الترمذي
٣٦٧، ٣٥٨، ٣٣٣، ٢٦٩، ٢٥٥	

٤٦٩، ٤٥٥، ٤١٨، ٤٠٦، ٣٧٨، ٣٧٥
 ٥٢٣، ٥٣٤، ٦٤٣، ٦٥٦، ٦٧٧، ٦٧٦
 ٦٨٨، ٧١٤ - ١٢/٢، ٢٢، ٢٢، ٤٢
 ٤٣، ١١٦، ١٥٣، ١٥٩، ٢٠٨، ٢٦٠
 ٣٠٨، ٣٢٨، ٣٢٩، ٤١٩، ٥٠٧، ٥١٠
 ٦٠٢، ٧٢٥ - ٢٠/٣، ٢١، ٢٦، ٥٥
 ١٠١، ١٢٠، ١٣٢، ٢١٧، ٢٣٣، ٢٤٢
 ٢٥٤، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٢٣، ٣٢٦
 ٣٩٨، ٤٣٦، ٤٦٠، ٥١٠، ٥١٨، ٥٣١

٥٤٦

١٤١/٣

- تشرشل

١٥٦/١

- تمام

٣٩/١

- توت عنخ آمون

- ث -

١٢/١ - ٣/٢٧٣، ٢٨٨، ٣٢٦، ٥١٨

- ثوبان

٢٤٦/٢

- الثوري

٤٨٠/١

- ثوبية

- ج -

١/٦٦، ٤٦٧، ٥٢٣، ٦٤٣ - ٣/٣٧

- جابر

٤٢٦/٢

- جابر بن سمرة

١/٦٨٦ - ٢/١٤١، ٢١٩، ٤٩٥

- جابر بن عبد الله

١/١٦٨

- الجارود

٣/١٠٤

- جرير بن حازم

٢/٧٢٦

- جعفر

١/٢٥٢ - ٣/١٠٠، ١٠١

- جعفر بن أبي طالب

٣/٤١٧

- جندب بن عبد الله

١/٦١٦ - ٢/٤٤٧ - ٣/٢٦٧

- الجنيد

-ح-

٢٨٢، ٤٣/١	- حاتم الأصم
٢٥٤/٣	- الحارث
٤٤٧/٢	- الحارث المحاربي
٤١٥/١	- حارثة
٣٠٨، ١٩٢، ١٣٨، ٦٦، ٢٠/١	- الحاكم
٢٦٨/٣-٢٧٧، ١٥٩/٢-٤٠٦	
٣٧٧/٣	- الحباب بن المنذر
٥٥٦/٢	- حبيب بن عمرو بن عمير
٧٧/٣	- حبيبة العدوية
٦٨٥، ١٤١، ١٤٠، ١٢٤/٢-٥٨٦/١	- الحجاج
٢٥١، ١٤٠، ٤٣/٣-٦٨٦	
٢١٠/٣-٥١٧، ٥١٥، ٤١٨، ٣٧٨/١	- حذيفة
٢٢١/٢	- حسان بن أبي سنان
١٤٠، ٤٨/٢-٣٥٧، ٢٣٢، ٢٠٥/١	- الحسن
١٠٤/٣-٦٨٥، ٤٧٦	
٣٥٧، ٢٩٣، ١٥٦، ١٥٥، ٤٥/١	- الحسن البصري
٣٢١، ٣٢٠، ١١٩، ١٣، ١٢/٢	
٥٤٦، ٤٤٥، ٣٢٤، ١٦٨/٣-٦٨٦، ٦٠٠	
١٥٩/١	- الحسن بن أحمد الصفار
٦٢٠/٢	- الحسن بن سعد
٦٢٠، ٥١٩/٢	- الحسين بن علي
٤٤٨/١	- حسين خطاب
١١/٢	- حصين
٤١١/٣-٧٢١/٢	- الحكيم الترمذي
٢٨٧/١	- حماد بن سلمة
٣٦/٢	- حنظلة
٢٩٨/٢	- حيوة بن شريح

-خ-

- خالد بن أبي عمران
- خالد بن الوليد
- خديجة
- الخرائطي
- خلف
- خلف بن خليفة
- الخليل بن أحمد
- الخنساء
- حولة بنت ثعلبة
- ٥٦/٢
١٩٥/٢-٥٦٦، ٥٦٥/١
٧٠٦/٢
٤٦٢/١
٤٣/١
٥٧٥/٢
١٠٦/١
٢٥٣/١
٤١٩، ٤١٦/٢-١٦٧، ١٣٠، ١٢٨/١

-د-

- الدارقطني
- الدارمي
- داود
- داود بن علي بن عبد الله بن عباس
- داود الطائي
- داود عليه السلام
- درواس بن حبيب
- الديلمي
- ٢٧٣/٣-٤٦٦، ٢٧١، ١٤٢/١
١٥٣/٣-٦٧٠، ١٦٠/١
٢٥٦، ٢٥١/١
٤٣/٢
٢٩٣، ٢٩٢/١
٢٧٥/١، ٣٦١، ٣٧٨، ٣٩٨، ٥٥٩-
٤٣٤، ٣٤٦/٣-٧١٤، ٧١١، ٦٨٩/٢
٥١٢، ٤٣٥
٥٣٤، ٥٢٧/٣-٧٩/١
٦٨٩/١

-ذ-

- ذو النون المصري
- ٧٨/٣-٢٩٣/٢-٤٥٧/١

-ر-

- الرازي
- ١٦٢، ١٣٨، ١٣٧، ٩٣/٢-٥٨٣/١
٣٨٣، ٢٥٥، ٢٢٩، ١٧٩، ١٧٣
٢٣٢، ٢٠٥/٣-٧٢٢، ٧٠١، ٦٨٩، ٦٤٩

١٤/٣	- راييموند ماودي
٤٧٦/٢	- الربيع بن صبيح
٥٧٤/٢	- الربيع بن نافع
٦٨٤، ٦١٨/٢	- ربيعة
١٤٥/٢	- ربيعة بن عامر
١٩/٣-٢٧٠/١	- ربيعة بن كعب الأسلمي
٤٨٦، ٤٤٥، ٣١٢/٢	- الرشيد = هارون الرشيد
٦٣٥/٢	- رفاعه بن رافع

- ز -

١٠٩/٢-١٣٣/١	- زكريا عليه السلام
١٥٧/١	- الزهري
٩٤/٣-٢٩٠، ٢٨٩/٢-٥٥٩/١	- زيد
١٠١، ١٠٠	
١٩٥/٢-٣٠٣، ١٥٨، ١٥٧/١	- زيد بن ثابت
٧٢٦/٢-٥١٤/١	- زيد بن حارثة
٢٥٤/١	- زيد بن الدثنة
٢٩٨/٢	- زيد بن مهلهل بن زيد الطائفي
٢٩٨/٢	- زيد الخير
٦٦٩/١	- زيد العمي
٢٧٩/٢	- زين العابدين
٢٧٦/٣-٥٥٩/١	- زينب

- س -

٢٧٩/١	- سالم بن أبي الجعد
٤٦٠/٢-٢٨٤/١	- سالم بن عبد الله
٣٢٨/٣	- سراقه
٩٤/٣	- سراقه بن مالك
٢٦٧/٣	- السري

٧٩/٢-٦٤٣، ٤٤٣/١	- سعد
٥٠٩/١	- سعد بن أبي وقاص
٥٨/٣	- سعد بن عبادة
٢٦/٣	- سعد بن هشام
١٣٥/٣	- سعيد بن منصور
١٢٧/٢-٢٨٤، ٩١، ٤٦، ٤٥/١	- سفيان بن عيينة
١٠٢/٣-٣٢٣، ٢٣٦/٢	- سفيان الثوري
١٣٨/١	- سفينة
٦٠٢/٢	- سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري
٤٢٩/١	- سليمان بن بريدة
١٢٤/٢، ٦٢/١	- سليمان بن عبد الملك
٤١، ٤٠/١	- سليمان بن يسار
٥٧٠، ٢٤١/٣-٥٧٧/٢-٤٤٩/١	- سليمان عليه السلام
٣٧٩/١	- سهل بن سعد
٣٧٩، ٣٠٨، ٢٠٨/٢	- سهل بن سعد الساعدي
٣٥١، ٣١٢/٢	- سهل بن عبد الله
٦٨٩، ١٦٠/١	- سهل التستري
٤٠٤/٢	- سهيل
١٠٤/٣-١٤٣/٢-٤٧٤/١	- سهيل بن عمرو

- ش -

٢٣٢/١	- الشاطبي
٢٢٣، ١٥٠/٢-٥٣٩، ١٦٧/١	- الشافعي
٤٩٦/٣-٢٤٩	
٢٧٤، ١٥٩/١	- الشبلي
٤٧٨/٢-٥٣٤، ٤٨٥، ٣٧٥/١	- شداد بن أوس
٥١٠، ٨٩/٣-٤٨٤	
٢٧٥/٣-٥٧٤، ٦٤/٢	- شريح

٢٧٦، ٢٧٥/٣-٣٣٥/١

- الشعبي

٤١٥/٣

- شعيب

٢٩٢/٢-٤٢/١

- شقيق البلخي

٤٩٧، ٣٤٢، ٨٦/٢

- شية بن ربيعة

- ص -

٢٠٥/١

- صالح المري

٢٥٣/١

- صخر

- الصديق = أبو بكر الصديق

١٤٦، ١٤٥/٣-١٢٨، ١٢٧/١

- صفوان بن أمية

٢٥٥/١

- صفوان بن عسال

٤٦٤، ٤٦٣/٣

- صفوان بن المعطل السلمي

٥٤١/٣-٤٣٧/٢-٣٦٨/١

- صفية بنت حيي (رضي الله عنها)

١٢٩، ١٠٤/٣-٦٩٦/٢

- صهيب

- ط -

٣٦٨/٢

- طاووس

٣٧٩، ٢٧١، ٢١٤، ١٨٩، ١٦١، ١٢٨/١

- الطبراني

٥٥٨، ٥١٥، ٤٩٢، ٤٨٤، ٤٦٤، ٤٤٥

٥٨٢، ٤٨٠، ١٦٢، ٨٢/٢-٦٩٢

٥١٩، ٧٢٧، ٧٢٩-٧٢٩/٣-٦٥/٣، ١٤٦

٢٨٥، ٢٢٤

٢٨٥/٣

- الطبري

٤٦٩/١

- الطفيل بن عمرو الدوسي

٢١، ٦/٢-٤٦٢/١

- طلحة بن عبيد الله بن كريز

٤٤٤/١

- الطيالسي

- ظ -

٦٨٥/٢

- الظاهر ببيرس

-ع-

- عائشة (رضي الله عنها) ٤٤/١، ٩٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٩، ١٥٣،
 ٢٤٥، ٢٧٢، ٤٢٥، ٤٤٦، ٤٦١-
 ٧٩/٢، ١٣١، ١٤٢، ١٨٨، ٢٤١،
 ٣١١، ٣٢٣، ٣٤٨، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩،
 ٤٧٢، ٤٨٣، ٥٣٤، ٥٧٠، ٦٠٦، ٦٣٦،
 ٦٣٧-١٣/٣، ٢٦، ١٠٩، ٢٦١، ٢٨٥،
 ٣٠٧، ٣١٨، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٦٣، ٤٦٤
 ٣٢٨/٢ - عاصم بن ضمرة السلولي
 ٢٩٦/٣ - عامر بن عبد الله
 ٢٨٣/٣ - عبادة بن الصامت
 ٥٩٠، ٥٨٨، ٥٨٥/١ - العباس
 ١٥٦/٢ - العباس بن عبد الله بن معبد
 ١٥٦/٢ - العباس بن عبد المطلب
 ١١٠/٣ - عبد الرحمن البرعي
 ٣٠٣/١ - عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان
 ٦٩٦/٢ - عبد الرحمن بن أبي ليلى
 ٤٠/١ - عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
 ٥٤٦/٣-٤٨٩/١ - عبد الرحمن بن عمرو السلمي
 ٢٦٨/٣-٤٢٤/٢-٥٩١، ٤٤/١ - عبد الرحمن بن عوف
 ٤٢٤/٢ - عبد الرحمن بن غنم
 ٥٤٦/٣ - عبد الرحمن بن مهدي
 ٤٥٠/١ - عبد الرزاق
 ١٢٠/٣ - عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي
 ١٩٤/١ - عبد الله بن أبي بكر
 ٦٣/٢ - عبد الله بن أحمد بن حنبل
 ٣٢٨/٢ - عبد الله بن بريدة الأسلمي

٦٩٢، ١٥٦/١	- عبد الله بن بسر
٦٢٠/٢	- عبد الله بن جعفر
١٧٤/٣	- عبد الله بن الحارث بن جزء
١٠١٤، ٥١٥، ٧٢٦/٢-٧٢٧، ١٠٠/٣	- عبد الله بن رواحة
١٠١، ١٤٠، ١٥٨	
٢٢٠/١	- عبد الله بن الزبير
٥١٩/٣	- عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري
٢٤٩/٣	- عبد الله بن علقمة بن وقاص
١٨٦، ١٣٤، ٢٦٩، ٣٦٠، ٤٦٨	- عبداه بن عمر
٤٨٨، ٥٦٧، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٦١	
٥٦/٢، ١٧٥، ٢٢٢، ٥٦٥، ٧٢٩	
١٠٦/٣، ٢٨٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٤١٧	
٤٤٥، ٥١٤، ٥٣٢	
٣٢٦/٣-٧٢٩، ٦٩٧، ٤١٩، ٢٤٠/٢	- عبد الله بن عمرو
٥١٧، ٤٩٥/٣	- عبد الله بن عمرو بن العاص
٢١/١	- عبد الله بن مالك
١٨٠، ١٤٥/٢	- عبد الله بن المبارك
٥٠٥، ٢١٦/١	- عبد الله بن محمد القحطاني
٢٠/١، ٣٨٧، ٦٨٩، ١١٦/٢، ١٤٠	- عبد الله بن مسعود
١٩٠، ١٩١، ٢٥٦	
٣٨٨/٣	- عبد الله بن يزيد الحظمي النصاري
١٢٠/٢	- عبد الملك بن عمير
٥٥٦/٢	- عبد ياليل
٢٢/٢	- عتيان بن مالك
١٣/٣	- عتبة
٤٩٧، ٣٤٢، ٨٦/٢	- عتبة بن ربيعة
١٩٥، ١٤١/٢-١٦٨، ٦٨، ٦٤/١	- عثمان بن عفان
٥٧٠، ٣٣٩/٣-٦٨٦، ٣٤٨، ٣٤٧	

- عثمان بن مظعون

٤٤٥/١

- عدي بن أرطاة

٥٤٣/٢-٣٣٩/١

- عدي بن حاتم

٥٥٨، ٥٥٧/٣

- عدي بن الرعاء الغساني

٨٢/٣-٢٧٢/٢

- العرياض بن سارية

٥٤٦/٣-٤٨٩/١

- عروة بن الزبير

١٤٦/٣

- العز بن عبد السلام

٦٨٥/٢

- عزيز معمر

٥٧١/٢

- عطاء بن مسلم

٢٨٥/٣

- عطاء بن يسار

٤٠/١

- عفان

٣٠٧/٣

- عفان بن مسلم

٢٨٧/١

- عكرمة بن أبي جهل

٦٣٨/٢-١٦٨/١

- علقمة بن وقاص

٢٤٩/٣

- علي الأزدي

٤٤٥/٣

- علي بن أبي طالب

٥١٨، ٢٧٨، ١٦٨، ٤٤، ٣١/١

٢٥٠، ٢٤٩، ٢٠٨، ١٤١، ١٠/٢

٣٧٥، ٣٥٩، ٣٢٨، ٣١٩، ٢٥١

٦٥٧، ٦٠٤، ٥٣٧، ٤٠١، ٣٨٩/٢

٢٥٤، ١٥٨، ١٢٥، ٦١، ٢٢/٣-٦٨٦

٤٦٠، ٣٣٤، ٢٩٣، ٢٧٤، ٢٦٣

٧/١

- العماد الأصفهاني

٥٨٦/٢

- عمار بن ياسر

- عمر بن الخطاب

١٥٦، ١٣٠، ١٢٧، ٣٤، ١٥، ٨/١

٣٦٧، ٢٥٣، ٢٢٤، ١٦٨، ١٦٧

٥١٦، ٥١٥، ٤٧٤، ٤٥٦، ٤٤٦، ٤٤٥

٧٠٩، ٧٠٦، ٦٩٢، ٥٩١، ٥٦٦، ٥٦٥

١٥٠، ١٣٠، ٩٤، ٨٦، ٨١/٢-٧١١

١٥٦، ١٩٢، ١٩٥، ٢٢٢، ٣٤٧، ٤٣٨،
 ٤٨٥، ٤٩٠، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٨٩،
 ٦٠٣، ٦٣٦، ٦٥٧، ٦٩٦، ٦٩٧،
 ١٣/٣، ٩٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤،
 ١١٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٨،
 ١٧٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٤،
 ٢٨٥، ٢٨٨، ٤١٠، ٤١٩، ٤٦٥، ٤٦٧،
 ٥٢٧، ٤٦٨

٢/٥٠، ٥١، ٢٢١، ٢٨٧، ٢٨٨، ٤٢٥،
 ٥٤٣، ٥٦٩، ٥٨١، ٥٨٢-٣/٣٣٣،
 ٤٨١، ٥٢٦، ٥٣٣، ٥٣٤

٢/١٢، ١١٩، ٣٢٠

٢/١١

٣/١٤٨، ١٤٩

١/١٢٦-٣/١٣٥

١/١٢٦

١/٢١٥

١/١٦٣

١/٣٤-٢/٤٥٣

٢/٥١، ٢٨٨، ٥٨٢-٣/٥٣٤

٣/٥١٣

٣/٤٨١

١/١٢٧، ١٢٨، ٤٧٤-٣/١٤٤، ١٤٥

١٤٦

٢/٢٩٢-٣/٥١١

٢/٧١٦

١/١٠٠، ١٤٥، ٢٢٧، ٢٧٩، ٤٥٧-

٢/١٧٣، ٢٩٩، ٥٩٤-٣/٥٤٢

- عمر بن عبد العزيز

- عمر بن هبيرة

- عمران بن حصين

- عمرة بنت رواحة

- عمرو بن أمية الضميري

- عمرو بن حجاج بن كعب

- عمرو بن شعيب

- عمرو بن شيبة

- عمرو بن العاص

- عمرو بن عبيد

- عمرو بن كلثوم

- عمرو بن مهاجر

- عمير بن وهب

- عوف بن مالك

- عيسى بن موسى

- عيسى عليه السلام

-غ-

الغزالي - ٢٠٥/١، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٥٩، ٤١٢،
٤٢٧، ٤٩١، ٥٢٩، ٥٣٩-٣/٣١٧

-ف-

فاطمة بنت محمد ﷺ - ٣/١٠٩، ٣٤٥
الفتح بن شخرف - ١/٤٤
فتح الموصلي - ١/٣٧٧
الفرزدق - ١/٢١-٢/٢٧٦-٣/٢٤٥
فرعون - ١/١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٦٧،
١٨٠، ٢٣٤، ٤٣٢، ٦٤٢، ٧٠٠-
٢/١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٤١،
١٩٨، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٨٣، ٦٨٦-
٣/١٠، ١٢، ٤٠٤، ٥٧٠
فرقد السبحي - ١/١٦١، ١٣٩
الفضلي بن العباس - ٣/٢٨٥، ٢٨٤
الفضيل - ٢/١٥٠، ٥٠٢
الفضيل بن عياض - ١/١٤٠-٢/٥٣

-ق-

قارون - ١/٥٢٨، ٥٢٧-٢/١٨٩، ٢٠٩-
٣/١٠، ١٢٥، ٢٢٢، ٥٧٠
قتادة - ١/٤١٩، ٤٤٩-٣/١٣، ١٠٣
القشيري - ١/٥٣٢، ٣٥٤-٢/٢٤٦
قيس - ١/٥١
قيصر - ١/١٣٥، ١٨٢-٣/٤٦٧، ٤٦٨
قيس - ٣/١٨٦، ٢٥٨

- ك -

٥٥٨، ٩٤/٣ - ١٢٠/٢ - ١٨٢، ١٣٥/١	- كسرى
٤٤٥/١	- كعب

- م -

٥٩٠، ٥٨٩، ٥٨٥/١	- المأمون
٢٨٣/١	- مالتوس
٣٢٣/٣ - ٢١/٢ - ١٥٨، ١٥٧/١	- مالك
٥٤٦، ٣٩٧	
٤٧٢، ٢٦/١	- مالك بن دينار
٧٢٦، ٧٠٨/٢	- مالك بن فهم الأزدي
٥١٨/٢	- مالك بن مغول
٢٧٥/٣	- مجالد
٣٥٨/٢	- مجاهد
٧٩/٣	- محمد بن حازم الباهلي
٣٤٨/٢	- محمد بن الحنفية
٣٩/١	- محمد بن صبيح أبو العباس الواعظ
٦٣/٢	- محمد بن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن علم
٣٣٧/٢	- محمد بن كعب
٤٤٦/٢	- محمد بن المنكدر
١٦، ١٠/١	- محمد راتب النابلسي
١٥/١	- محمد غياث المكتبي
٦٣/١	- محمود بن عبيد
١٠٩/٣	- المرأة المخزومية
٢٤٥/٣	- مربع
٣٠٣/١	- مروان
٢٩٨/٢	- مروان بن محمد
٨٨/٣	- مريم عليها السلام

٤٠٩ ، ١٦٠ / ١	- مسروق
٦٣٧ ، ٤٨٣ / ٢	- مسطح
٥٥٦ / ٢	- مسعود بن عمرو بن عمير
١٨٧ ، ١٥٣ ، ١٣٤ ، ١١٤ ، ٥٠ ، ٩ / ١	- مسلم
١٩٣ ، ٢٧٣ ، ٢١٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣	
٤٥٣ ، ٤٤٤ ، ٤٢٩ ، ٤٢٣ ، ٣٦٨ ، ٣٦٠	
٥٦١ ، ٥٥٨ ، ٥١٠ ، ٤٨٥ ، ٤٦١ ، ٤٥٨	
٨٩ ، ٨٦ ، ٦٧ / ٢ - ٧٠٧ ، ٦٩٦ ، ٦٩٣	
٢٣٩ ، ١٩١ ، ١٥٨ ، ١٣١ ، ١١٥ ، ٩٢	
٤٠٧ ، ٤٠٤ ، ٣٤٢ ، ٣٢٨ ، ٣٠٨ ، ٢٨٥	
٥٤٥ ، ٥٣٣ ، ٥٠٣ ، ٤٩٧ ، ٤٧١ ، ٤٢٦	
٦ / ٣ - ٧٢٨ ، ٧٠٥ ، ٦٩٧ ، ٦٠٩ ، ٥٥٨	
١٠٦ ، ١٠٣ ، ٦٣ ، ٥٨ ، ٤٣ ، ٣٧ ، ١٣	
١٩٥ ، ١٧٦ ، ١٤٣ ، ١٤٠ ، ١٢٢ ، ١٠٧	
٣٢٣ ، ٢٨٣ ، ٢٦٩ ، ٢٥٩ ، ٢١٠ ، ٢٠٦	
٤٢٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢٠ ، ٤١٧ ، ٤١١ ، ٣٥٨	
٥٣١ ، ٤٩٥ ، ٤٤٥	
٥٣٣ / ٣ - ٥٨١ ، ٢٨٧ ، ٥٠ / ٢	- مسلمة بن عبد الملك
	- المسيح = عيسى عليه السلام
١٥٧ / ١	- مطرف
١٩٦ / ١	- مطرف بن عبد الله
٥٠١ ، ٤٤٣ / ١	- معاذ
٤٩٢ / ١	- معاذ بن أنس
١٩٥ / ٢ - ٦٤٣ ، ٢٣٢ / ١	- معاذ بن جبل
٦٣٥ / ٢	- معاذ بن رفاعه بن رافع الأنصاري
٥٢٣ / ٢	- معاذ بن عمرو بن الجموح
٢٤٩ / ٣ - ٤٥٣ / ٢	- معاوية بن أبي سفيان
١٨٢ / ١	- معتب بن قشير

٤٨٩/٢	- المعتصم
٣٤٩/٣	- المعتصم، محمد بن هارون الرشيد
٥٦٤/١	- المعري
٦٩٦/١	- المنذر بن جرير
١٠٠/١، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٦٧،	- موسى عليه السلام
٢١٢، ٢٣٤، ٢٧٨، ٢٨٦، ٣٤٠،	
٤٢٥، ٤٣٢، ٥١٨، ٦٤٢-١٧/٢، ٩٩،	
١٤١، ١٩٨، ٢٣٩، ٣١٢، ٣١٨، ٤٩٤،	
٤٩٥، ٥٨٣، ٦٨٦، ٧١٢، ٧٢٩-	
٣/٣٦٣، ٤٠٤، ٤١٥، ٥٢٩	

- ن -

٤٨٩/٢	- النابغة الذبياني
١٠٦/٣	- نافع
١/٢٣٦، ٢٦٩، ٤٦١، ٦٣٩-٣/٢٦،	- النسائي
٢٤٩، ٢٧٩، ٣٢٦، ٣٤٥، ٥٧٤	
١/٢٣٠-٣/١٤٨، ١٤٩	- النعمان بن بشير
٣٩٠/١	- النمروذ
٤٩١/٢	- النمروذ
٣٥١/١	- النواس بن سميان الأنصاري
٤٧٧/٢	- نوح عليه السلام
٣/١٥٢، ١٧٦، ٤٩٦	- النووي

- ه -

٧٢٠، ٧٠٨/٢	- هاجر
١/٣٩، ١٥٧، ١٥٨، ٤٣١، ٥٨٣-	- هارون الرشيد
٢/٢٣٨-٣/١٣٧، ٤٧٨	
١/١٢٥، ٤٣٢، ٥٨٣-٣/٤٠٤	- هارون عليه السلام
٢/٥٧٤	- هانيء

- هشام
٢٨٤/١
- هشام بن عبد الملك
٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١
٥٨٢-٥٨٣/٣
- هند بن عتبة
٤٤٦/١
- هود عليه السلام
٢٣-٢٤/١
- الهيثم بن عدي الطائي
٢٧٥/٣

- و -

- وحشي
٤٧٤/١
- وكيع
٢٩٩، ٢٩٨، ٣٩/٢
٩/١
- الوليد بن مسلم
٤٤٦/٢-٣٤١/١
- وهب بن الورد
١٠٥/١
- وهيب بن الورد

- ي -

- يحيى بن حسان
١٤٥/٢
- يحيى بن محمد
١٣٨/٣-٤٨٢/٢
٣٥٧/١
- يحيى بن المختار
٢٨٩/١
- يحيى بن معاذ
٩٢/١
- يحيى عليه السلام
٥٤٦، ٥٤٥، ١٦٨/٣
يزيد
١٢٤/٢
- يزيد بن أبي مسلم
٣٢٠، ١٢٠، ١١٩، ١٢/٢
- يزيد بن عبد الملك
٥٧٤/٢
- يزيد بن المقدام بن شريح
٢٠٧/٢
- يزيد بن المهلب
١٣٨/٣-٤٨١/٢
- يعقوب بن يوسف الكوفي
٤٩٨/٣-١٤١/٢-٤١/١
- يعقوب عليه السلام
٤٤٩/١
- يوسف بن يعقوب عليه السلام

- يوسف عليه السلام

١٨١، ١٦٧، ١٦٤، ٤٢، ٤١، ٢٨/١

٢٣٤، ٤٧٠، ٦٤٢-٢/٢، ٦٣، ٧١، ٧٣

٣١٨، ٣٨٨، ٤٣١، ٥٥٢، ٥٧١-

٤٨١، ٣٢٢، ٢٤٩، ١٨٥/٣

- يونس عليه السلام

١٣٢/١-٢/١٤، ١٥، ١٦، ٤٠٧-

٢٥٣/٣

* * *

فهرس القبائل والجماعات

- آ -

٣٨٠ / ٢

- الآراميون

٣٨٠ / ٢

- الآشوريون

١٣٨ / ٣

- آل برمك

- أ -

٦٢١ / ١

- الأتراك

١٢٧ ، ٣٨٦ ، ٥١٤ ، ٤٣٧ / ٢

- الأنصار

٦٢٠ - ٣ / ١٤٥ ، ١٨٤ ، ٣٣٥

- ب -

٥١٣ / ٣

- بكر بن وائل

١٢٥ / ١ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ - ٢ / ١٧ ،

- بنو إسرائيل

٤٩٤ ، ١٩٨

٥١٣ / ٣

- بنو تغلب

٢٧٥ / ٣

- بنو تميم

٢٧٥ / ٣

- بنو حنظلة

٧٩ / ٢

- بنو دينار

٥٣٣ / ٣ - ٥١ / ٢

- بنو عامر

٣٧٦ / ٣

- بنو لحيان

٢٦٨ / ٣

- بنو مخزوم

١٥٨ ، ١١٨ / ٣ - ١٢٦ / ١

- بنو النضير

١٥٦ / ٢

- بنو هاشم

- ت -	
٦٨٥ / ٢	- التتار
- د -	
٤٦٩ / ١	- دوس
- ذ -	
٣٧٦ / ٣	- ذكوان
- ر -	
٣٧٦ / ٣	- رعل
٤٦٨ ، ٤٦٧ ، ٤١ / ٣ - ٣٨٠ / ٢ - ٣١٢ / ١	- الرومان / الروم
- ص -	
٣٨٠ / ٢	- الصليبيون
- ط -	
٢٩٨ / ٢	- طيء
- ع -	
٤١٢ / ٣ - ٣٨٠ ، ٢٠٧ ، ١٨٨ / ٢ - ١٤٧ / ١	- العرب
٥٥٦ ، ٥٢٠	
٣٧٦ / ٣	- عصية
- ق -	
٤٤٥ ، ١٩٤ ، ١٦٦ ، ١٢٨ ، ١٢٧ / ١	- قريش
٥٥٢ ، ٤٦٨ ، ٥٨ / ٢ - ٧٠٢ ، ٤٦١ ، ٤٥٦	
١٤٤ ، ١٠٩ ، ١٠٤ ، ١٢ / ٣ - ٦٨٥ ، ٥٨٦	
٤٦٥ ، ٢٤٦ ، ١٤٦ ، ١٤٥	
- م -	
٥٣٢ / ٣ - ٦٩٧ ، ٩٨ / ٢	- المهاجرون
- ي -	
٥٦٩ ، ١٥٩ ، ١٤٠ / ٣ - ٧١٦ / ٢ - ٢٣٨ ، ١٣٥ / ١	- اليهود

فهرس الأماكن والبقاع

- آ -	
٣٣٨/٣-١٠٥/١	- آسيا
٤٧٩/١	- آلاسكا
- أ -	
٤١، ٤٠/١	- الأبواء
٥٠/٣-٣٤٧، ٣١١، ١٤٣، ٧٩/٢-١٣٤/١	- أحد
١١٩/٣	- إدلب
٦٩٦، ٦٠٣/٢-٥١٦/١	- أذربيجان
٤٧٨/١	- الأردن
٥٣٠/٣-٦٠٦/٢-٢٢٣، ٢٢٢/١	- الأزهر
٥١٨، ٥١٧/٣	- إسبانيا
٢٦٤/٣	- إستانبول
٢٣٨، ٤٠/٣-٦٤٢، ٥٥٠/٢-٤٧٨، ١٠٥/١	- أستراليا
٦٣٥/١	- الأطلسي
٤٠/٣-٥٠١/٢-٤٥١/١	- أغادير
١٢٣/٢-٤٧٨، ٤٧٧، ٢٢٧، ١٠٥/١	- إفريقية
٥١٨، ٢٣٨/٣	
٢٣٧، ٤٠/٣-٦٨٢/٢	- ألمانيا
٣٩١، ٣٢٥/١	- الأمازون
٤٧٨، ٤٦٨، ٣٥٣، ٣٣٦، ١٠٨، ١٠٥/١	- أمريكا
٣٠٢، ١٨٦، ١٢٢/٢، ٦٥٣، ٦٣٥، ٦٠٠	

٥٥٠_٣/٣٦، ٤٢، ٨٦، ١٢٦، ٢٣٨،	
٥٥٩، ٣١٦، ٢٤١	
٥١٧/٣-٣٨٠، ١٨٨/٢، ٢٢٦، ١٤٩/١	- الأندلس
٤٧٦١	- أنقرة
٣٣٦/١	- إنكلترا
١٠/٣	- الأهرامات
٢٩/١. ١٠٥، ١٣٦، ٣١٧، ٤٤٣، ٥١٣،	- أوربة
٦٠٠_٢/٤٩، ٢١١-٣/١٠٨، ١٢٦،	
٤١/٣، ٤٣/١	- إيطاليا
- ب -	
١٠٣/٣	- الباب الصغير
٥٥٠/٢	- باكستان
٤٣٩/٣	- البحر الأبيض المتوسط
٤٥١/١	- البحر الأطلسي
٣٢٩/١	- بحر الشمال
٤٧٧/١	- البحصة
١٤٣، ٨٦/٢-٢٢٧، ١٣٤، ١٢٨، ١٢٧/١	- بدر
١٠٤، ١٠٣، ١٣، ١٢/٣-٥٥٢، ٤٩٧، ٣٤٢	
٣٧٧، ٣٢٩، ٢٨٣، ١٤٩، ١٤٥، ١٤٤/٣	
٤٨٣، ٤١٩	
٦٤٢/٢-٦٣٥/١	- البرازيل
٥٥٢/٢	- برج الروس
٣٥٢/١	- برلين
٢٤٦، ٤١/٣	- برمودا
١٤١، ١٢١، ٣٦/٣-٦٨٢، ٣١٩، ٢١٥/٢	- بريطانيا
٢٢٠، ١٤١، ١١٩، ١٢/٢-٥١٨/١	- البصرة
٥٤٥/٣، ٦٨٥، ٣٢٠	

- بغداد ٢٦٧/٣-٥٨٩، ٥٨٧، ٥٨٥، ١٦٣، ٣٩/١
- بئر معونة ٣٧٦/٣
- البيت ٤٨١/٢
- البيت الحرام ١٣٨/٣-٥٨٣/١
- بيت المقدس ٤٤٥، ٢٤٢، ٢٤١/٣، ٤٢٠، ١٤٥/٢
- بيروت ٤٧٧/١
- ت -
- تركيا ١٨٩/٣
- تشيكوسلوفاكيا ٦٢٠/١
- تفتاز ١١٩/٣
- ج -
- جامع العثمان ١٤، ١١، ٦/١
- جامع النابلسي ٧١٣، ٥٢٤، ٣٠٩/١
- جامع الورد ٥٤٥/١
- الجامعة الأمريكية ٦٧/٣-٦٠٩/١
- جبال الألب ٦٦٤/١
- جبال الهيمالايا ٢٣٨/٣-٦٦٤/١
- جبل الشيخ ٦٦٤/١
- جبل فيزوف ٤١/٣
- جبل فاسيون ٣٩/٣-٤٣٩/٢-٦٦٤/١
- جزر الأنتيل ٤١/٣
- الجزيرة ٦٦/٣-٥٨٦، ٥٨/٢-١٣٤/١
- جزيرة أرواد ٦٥/٣
- الجزيرة العربية ١٣٥/١
- جنوب إفريقيا ٦٨٢/٢
- جنوب شرق آسيا ٤٧٨/١

-ح-

٣٣٤ ، ٢٦٣ / ٣ - ٦٠٤ ، ٢٤٩ / ٢

- الحجاز

١٤٥ / ٣ - ١٢٨ / ١

- الحجر

٤٦٥ / ٣ - ٧٠٢ ، ٤٥٦ / ١

- الحديبية

١٦٦ / ١

- الحرم النبوي

٤٧٧ ، ٣١٧ / ١

- الحريقة

٦٧ / ٣

- الحسكة

٣٩ ، ٢٨ / ٣ - ٣٧٠ / ٢ - ٥٤٩ ، ٤٧٦ / ١

- حلب

٥٣٣ ، ٤٤٧ ، ١٧٧

٣٧٠ / ٢ - ٤٧٦ / ١

- حماة

٣٦١ ، ٢٠٧ / ٣ - ٣٧٠ / ٢ - ٤٧٦ ، ٣٦٦ / ١

- حمص

٤٨٤ ، ٤٨٣ ، ٣٢٩ / ٣ - ١٣٣ / ١

- حنين

٦١٤ / ٢

- حي خورشيد

٥٥٧ / ٣

- الحيرة

-خ-

٤٤٤ ، ٦٠ / ٣ - ٦٩٦ ، ٣٦٠ ، ٢١٥ ، ١٢٢ / ٢

- الخليج

٢٤٦ / ٣ - ١٤٣ / ٢ - ٤٦٧ ، ٤٦٠ ، ١٨٢ ، ١٣٤ / ١

- الخندق

-د-

١٥ / ١

- دار المكتبي

٥٤٩ / ١

- درعا

٤٨٧ / ١

- دمر

١٣٧ ، ١٣٦ ، ٨٩ ، ٦٨ ، ١٤ ، ١١ ، ٨ ، ٦ / ١

- دمشق

٣٢٤ ، ٢٩٨ ، ٢٦٥ ، ٢٤٨ ، ٢٠٢ ، ١٨٥ ، ١٦٥ ، ١٣٩

٥٨٦ ، ٥٧٩ ، ٥٥٤ ، ٥٤٥ ، ٥٠٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦ ، ٤٤٨

١٩٣ ، ٧٤ / ٢ - ٦٨٢ ، ٦٥١ ، ٦٣٠ ، ٥٩٠ ، ٥٨٨

٣ / ٣ - ٦٨٣ ، ٦٤٧ ، ٤٩٢ ، ٤٥٦ ، ٤٣٩ ، ٣٠٢ ، ٢٠٥

٢٨٢ ، ٢٦٤ ، ٢٣٨ ، ٢١٠ ، ٢٠٥ ، ١٧٣ ، ١٥٤ ، ٣٩

٥٧٥ ، ٥٣٠ ، ٣٨٣ ، ٣٧٧ ، ٣٧٢ ، ٣٤١

١٢١/٣	- الدول العربية
٦٨٢/١	- دوما
- ر -	
١٢٣/٢ - ٤٧٨/١	- روسيا
٤٨٥/٢	- الروضة الشريفة
- ز -	
٧٢٠/٢	- زمزم
- س -	
٥٠١/٢	- الساحل الأطلسي
٣٤١/٣	- ساحة المرجة
٢٤٢، ٢٤١/٣	- سبأ
٢٤١/٣	- السد العالي
٣٣٦/١	- السوربون
٢٣٨/٣ - ٦٩٦، ٣١٩/٢ - ٧/١	- سورية
٦٢٦/١	- سوق البزورية
٢٣٠/٣ - ٣٧٩، ٨٢/٢	- سوق الحميدية
٢٣٧/٣	- السويداء
٤٧٩/١	- سيبريا
- ش -	
٤٧٧/١	- شارع الحمراء
١، ٤٤، ٢٥٥، ٤٨٧، ٤٩٥، ٥٠٦، ٦٠٠، ٦٣٠، ٦٨٥، ٦٠١، ٤٥٦، ١٤٠/٢ - ٧٠٩، ٧٠٦، ٧٠٥	- الشام
٥٣٢، ٥٣٠، ٣٧٢، ٣١٧، ٢٦٥، ٢٤٣، ٢٢٩/٣	
٦٩٥/٢	- شرق آسيا
٤٣٥/٣	- الشرق الأوسط

٤٥١/١

- شمال إفريقية

- ص -

٢١٠/٣-٦٨٣/٢-٤٧٧/١

- الصالحية

٢٢٢، ٢٠١/١

- الصعيد

٤٨٢/٣

- الصفا

٥٥٠، ٢٢٦/٢

- الصين

- ط -

٣١١، ٣٠٠، ٢٨٩/٢-٧١٤، ٧١١، ٧١٠/١

- الطائف

٩٣/٣-٥٩٤، ٥٥٦، ٤٢٠، ٤١٩

٢٦٨/١

- طرابلس الشام

٦٥/٣

- طرطوس

٣١٢/٢

- طور سيناء

- ع -

٥٥٦، ٨٥/٣

- العالم العربي

٦٨٣/٢-٥١٦، ١٥٧/١

- العراق

٦/٢-٦١١/١

- عرفة

٢٨٣/٣-٣١١/٢

- العقبة

١٦٧/١

- عكاظ

- غ -

٣٢٨/٣-١٣٤/١

- غار ثور

١٨٨/٢

- غرناطة

٤٢٦/٣-٣١٨/٢-٣٥٨/١

- الغوطة

- ف -

٦٤٢، ٦١٢، ٤٧٣، ٤٥٦/٢-٦٣٥، ٤٧٧/١

- فرنسا

٥٥٠/٢

- الفلبين

- ق -

٢٥٣/١	- القادسية
٣٤١/٣	- القامشلو
٦٨٢، ٢٢٣، ٣٩/١	- القاه
٤٧٨/١	- قبرص
٦١٤/٢	- القدم
٣١١/٢	- قرن الثعالب
١٨٨/٢	- قصر الحمراء
٤٧٧/١	- القطب الجنوبي
٤٧٩، ٤٧٦/١	- القطب الشمالي
٣٩٩/٣	- القنطرة

- ك -

٥٥٨، ٥٥٧/٣-٥٥٦/٢-٢٨٤/١	- الكعبة
٦٤٢/٢	- كندا

- ل -

٣١٠/١	- اللاذقية
٤٨٧، ٤٧٨، ٣٥٣، ٣٠٧، ٣٠٦/١	- لبنان
٦٧/٣-٣٤٣، ٢١٤/٢	
١٢١/٣-٧٤/٢	- لندن

- م -

٤٩٥/٢	- متحف مصر الفرعوني
٤٣٩، ٤١/٣-٦٨٢/٢	- المحيط الأطلسي
٦٤٣/٢	- المحيط الجنوبي
٤٣٩/٣-٣٠٤/٢-٩٧٦/١	- المحيط الهادي
١٦٦، ١٥٧، ١٣٤، ١٢٧، ٤٤، ٤١، ٤٠/١	- المدينة المنورة
٥٣٨، ٢٥٣، ٢٤٥، ٨١/٢-٧٠٥، ٥٩١، ٢٧٧	
٦٣٧، ٦٣٦، ٦٠٣، ٥٨٦، ٥٧٠، ٥٥٠	

٤٦٨ ، ٤٦٣ ، ٢٢٤ ، ١٤٥ / ٣	- المدينة المنورة
٤٨٢ / ٣	- المروة
٢١٠ / ٣	- المزة
٦٥٣ / ٢	- مسجد الشيخ عبد الغني النابلسي
٤٧٨ ، ٢٢٢ ، ١٨١ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٤١ ، ٤٠ / ١	- مصر
١٥٧ / ٣ - ٦٨٣ ، ٦٨١ ، ٥٧١ ، ١٢٣ ، ٧١ / ٢	
٥٣٠ ، ٢٤١	
٤٠ / ٣ - ٥٠١ / ٢ - ٤٥١ / ١	- المغرب
٤٥٦ ، ٣١٤ ، ١٩٤ ، ١٣٤ ، ١٢٨ ، ١٢٧ / ١	- مكة المكرمة
٢٤٥ ، ١٥٦ ، ١٤٣ ، ٥٨ / ٢ - ٧١١ ، ٧٠٢ ، ٥٦٥	
٩٣ / ٣ - ٦٨٥ ، ٦٣٨ ، ٦٢٠ ، ٤٦٨ ، ٤٢٦ ، ٤٢٠	
٥٦٩ ، ٥٦٥ ، ١٤٦ ، ١٤٤ ، ١٠٥ ، ٩٤	
١٠٠ / ٣ - ٢٥٢ / ١	- مؤتة
٤٧٦ / ١	- موسكو
١٣٨ / ٣ - ٤٨٢ / ٢	- الموصل
٤٤٨ / ١	- الميدان
- ن -	
٢٠١ / ١	- النمسا
٦٣٥ / ١	- نهر الأمازون
٣٠٥ / ١	- نهر بردى
٣٥ / ١	- النيل
- ه -	
٤٨٧ / ١	- الهامة
٢١٥ ، ٢١٤ / ٣ - ٦١٧ ، ٥٥٠ ، ٤٥٦ ، ٢٢٧ / ٢	- الهند
٦٨٢ / ٢	- هولندا
- و -	
٦٨٥ ، ١٤٠ / ٢	- واسط

-ي-

١٢٧/٣-٦٤٢/٢-٤٧٨/١

-اليابان

١٥٦/٢

-اليمامة

٢٤٢،٢٤١/٣-٥٠١/١

-اليمن

* * *

فهرس القوافي الشعرية

القافية	الشاعر	الجزء / رقم الصفحة
- قافية الهمزة -		
العلماء	-	٣٣٧ / ١
أشياء	-	٥٢٩ / ٢
النساء	-	٦٤٢ / ٢
العلماء	-	٦٤٢ / ٢
الحياة	-	٢٥٣ / ٣
الثناء	-	٢٥٣ / ٣
الأحياء	عدس بن الرعلاء الغساني	٨٢ / ٣ - ٢٧٢ / ٢
الأحياء	-	٢٢ / ٣
القضاء	-	٥٠٧ ، ١٣٩ / ٣ - ٤٨٢ / ٢
السماء	-	٥٠٧ ، ١٣٩ / ٣ - ٤٨٢ / ٢
الرائي	الحلاج	٣٥٨ / ٣
بالماء	الحلاج	٣٥٨ / ٣
- قافية الباء -		
غضاب	-	٣٢٣ / ٢ - ٦٥ / ١
خراب	-	٣٢٣ / ٢ - ٦٥ / ١
تراب	-	٣٢٣ / ٢ - ٦٥ / ١
سراب	-	٣٢٣ / ٢
تحجب	-	٥٣٢ / ٢ - ١٥٦ / ١
يغضب	-	٥٣٢ / ٢ - ١٥٦ / ١

٣٥٣/١	-	يعربُ
٣٠٦/٢	المعافى بن زكريا	الأدبُ
٣٠٦/٢	المعافى بن زكريا	وهبُ
٣٤٩/٣	أبو تمام	الحسبُ
٣٠٧/٢	-	السببُ
٣٠٧/٢	-	السببُ
٤٤٧/٢	أحمد	رقيبُ
٤٤٧/٢	أحمد	يغيبُ

- قافية التاء -

٤٥/١	-	ميتا
٤٥/١	-	بيتا
٦٧٣، ٣٧٧، ١٤٩، ٦٤، ٣٣/١	-	ويثبتُ
٦٦٧، ٢٠٤/٢		
٦٧٣، ٣٧٧، ١٤٩، ٦٤، ٣٣/١	-	ميتُ
٦٦٧، ٢٠٤/٢		
٧٢٦/٢-٥١٤/١	عبد الله بن رواحة	صليتُ
٧٢٦/٢-٥١٤/١	عبد الله بن رواحة	هديتُ
١٠١/٣-٧٢٦/٢	عبد الله بن رواحة	شقيتُ
١٠١/٣	عبد الله بن رواحة	لقيتُ

- قافية الجيم -

٢٠٩/٢-٤٦٠، ٤٣/١	-	المخرجُ
٢٧٤، ٢٠٩/٢-٤٦٠، ٤٣/١	-	لا نفرجُ
٣١٦/١	-	أوتجي
٣١٦/١	-	مرنجُ
٢٧٣/٢	ابن النحوي	بالبلجِ
٢٧٣/٢	ابن النحوي	السرَجِ
٢٧٣/٢	ابن النحوي	تجي

٢٧٣/٢	ابن النحوي	المهج
٢٧٣/٢	ابن النحوي	الأرج
٢٧٣/٢	ابن النحوي	اللجج
٢٧٣/٢	ابن النحوي	حرج
٢٧٣/٢	ابن النحوي	درج
٢٧٤/٢	ابن النحوي	عوج
٢٧٤/٢	ابن النحوي	بالمسج
٢٧٤/٢	ابن النحوي	الحجج
٢٧٤/٢	ابن النحوي	فجع
٢٧٤/٢	ابن النحوي	ولج
٢٧٤/٢	ابن النحوي	العرج
٢٧٤/٢	ابن النحوي	الفرج

- قافية الدال -

٤٩٨/١	-	تمردا
٦٥٥/١	-	تنادي
٦٥٥/١	-	رماد
٤٨٩/٢	النابعة الذبياني	بالمسد
٥١٧/٣	-	جمد

- قافية الراء -

١٩٩/١	-	الأكبر
٢٩٦/٢-٥٥١، ٣٠٦/١	-	تأخير
٢٩٦/٢-٥٥١، ٣٠٦/١	-	العقاقير
٣٣٨/٢	-	وعر
٣٣٨/٢	-	غمر
٣٣٨/٢	-	غر
٣٣٨/٢	-	سر
٣٣٨/٢	-	النمر

٣٣٨/٢	-	الكفرُ
٣٣٨/٢	-	السجرُ
٥٦٧، ٥٦٦/٣	-	لا يجبرُ
٥٦٧/٣	-	لا يعسرُ
٧١٦/٢-٤٨٩، ٤٧١/١	-	ثغرُ
٤٩٩/١	-	كالحجرِ
٨٢/٣	-	القدرِ
٤١٥/١	-	قبرها

- قافية السين -

٥٠٠/١	-	المجوسِ
٢٤٩/٢	الشافعي	أمسِ
٢٤٩/٢	الشافعي	شمسِ
٢٤٩/٢	الشافعي	خرسِ
٢٤٩/٢	الشافعي	فلسِ
٢٤٩/٢	الشافعي	قلسِ
٢٤٩/٢	الشافعي	نحسِ

- قافية الصاد -

٣٩/٢	-	المعاصي
٣٩/٢	-	لعاصي

- قافية الضاد -

٧٠٠، ٢٠٩/٢-٤٢/١	-	القضا
٧٠٠، ٢١٠/٢-٤٢/١	-	مضى
٧٠٠، ٢١٠/٢-٤٢/١	-	رضا
٧٠٠، ٢١٠/٢-٤٢/١	-	الفضا
٧٠٠، ٢١٠/٢-٤٢/١	-	معترضا
٧٠٠، ٢١٠/٢-٤٢/١	-	مضى

- قافية العين -

٤٤٣/٣-١٥٩/١	-	بديعُ
٤٤٣/٣-١٥٩/١	-	يطيعُ
٦٢١/٣-٢٠٠/١	-	أضرعُ
٢٠٠/١	-	أقرعُ
٢٦٠/١	-	شنيعُ
٢٦٠/١	-	مطيعُ
٢٤٥/٣	الفرزدق	مربعُ
٥٦/١	-	معي

- قافية الفاء -

٢٤٤/٢	-	أنوقفِ
٢٤٤/٢	-	استنكفِ

- قافية الكاف -

٤٤٧/٢	ابن السماك	ثانيكا
٤٤٧/٢	ابن السماك	مساويكا
٥٨٣، ٣٥١/٢-١٩٥، ١٧١/١	-	طمعكُ
٥٨٣، ٣٥١/٢-١٩٥، ١٧١/١	-	منعكُ
١٥٩/١	-	تضعكُ
٣٥١/٢-١٩٥/١	-	جمعكُ
٣٥١/٢-١٩٥/١	-	رفعكُ
٣٥١/٢-١٩٥/١	-	تفعكُ
١٩٥/١	-	شيعكُ
٣٥١/٢-١٩٥/١	-	ولعكُ
١٩٥/١	-	قطعكُ
٣٥١/٢-١٩٦/١	-	وجعكُ
٣٥١/٢-١٩٦/١	-	زرعكُ
١٩٦/١	-	اخترعكُ

١٩٦/١	-	طبعك
١٩٦/١	-	تبعك
١٩٦/١	-	صنعك
١٩٦/١	-	سمعك
٣٥١/٢	-	دفعك

- قافية اللام -

٢٢٥/٣-٤٦٤/١	-	البطل
١٥٠/٢	-	عدلوا
١٥٠/٢	-	فعلوا
١١٤/١	أبو الطيب المتنبي	بالعليل
١٨٨/٢-١٤٩/١	عائشة	الرجال
٢١٢/٢	-	حصل
٤٦٧/٣	-	رجل

- قافية الميم -

٥٦٤، ٩٣/١	-	إليكما
٥٦٤، ٩٣/١	-	عليكما
١٣٨/٣	-	نمّ
٢٤٨/١	-	الخيّام
٢٤٨/١	-	الكرام
٢٧٦/٢	-	نعم
٣٧٧/٢	-	الأجسام
٢٣٢/٣	أبو تمام	البهائم
٢٧٠/٣	-	لا يرحم
٥١٣/٣	-	كلثوم

- قافية النون -

٥٧٦، ٦٥/٣-١٩٥، ٣٣/١	-	أحبنا
٥٧٦، ٦٥/٣-١٩٥، ٣٣/١	-	خلقنا

١٥٣، ٦٥/١	-	لغيرنا
١٥٣، ٦٥/١	-	جئتنا
١٥٣/١	-	بحبنا
١٥٣/١	-	بقربنا
٥٧٦/٣-١٩٥/١	-	الهنأ
٦٥/٣-١٩٥/١	-	بأمرنا
٦٥/٣	-	وجهنأ
٥٧٤/١	-	جهلتنأ
٥٧٤/١	-	هجرنا
٢٧١/١	-	محبنا
١٠٠/٢	-	آذأنأ
١٠٠/٢	-	إنسانأ
١٧٤/٢	-	جمعنأ
١٧٤/٢	-	وعدنأ
١٧٤/٢	-	كتأبنأ
٢٨٢/٢	أبو الحسن النميري الأندلسي	غنى
٢٨٢/٢	أبو الحسن النميري الأندلسي	أنأ
٦٢١، ٤٠٨/٢	-	غنى
٦٩٨/٢	-	دعوتنأ
٦٩٨/٢	-	مثلنأ
٦٩٨/٢	-	كتأبنأ
٦٩٨/٢	-	جمعنأ
٦٩٨/٢	-	وعدنأ
٣٨٠/٢	أبو البقاء الرندي	إنسانُ
٣٨٠/٢	أبو البقاء الرندي	أزمنُ
٣٨٠/٢	أبو البقاء الرندي	شأنُ
٥٣٠/٢	المتنبى	السفنُ
٧١٥/٢	-	إحسنُ

١١٠/٣	عبد الرحمن البرعي	فلائُ
١١٠/٣	عبد الرحمن البرعي	العنائُ
١١٠/٣	عبد الرحمن البرعي	السنائُ
١١٠/٣	عبد الرحمن البرعي	العوائُ
٣١٩/٣	-	أمانُ
٣١٩/٣	-	عنائُ
٥٠٥، ٢١٦/١	عبد الله بن محمد الفحطاني	يلقاني
٥٠٥، ٢١٦/١	عبد الله بن محمد الفحطاني	بهوانِ
٥٠٥، ٢١٦/١	عبد الله بن محمد الفحطاني	طغيانِي
٢١٦/١	عبد الله بن محمد الفحطاني	لساني
٧٢٦، ٧٠٨/٢-٤٩٨، ٢٧١/١	مالك بن فهم الأزدي	رمانِي
٧٢٦، ٧٠٨/٢-٤٩٨، ٢٧١/١	مالك بن فهم الأزدي	هجانِي
٧٠٨/٢	مالك بن فهم الأزدي	جفاني
١٩٠/٢	-	الأعينِ

- قافية الياء -

٤٠٤/٣	أمية بن أبي الصلت	ثانيا
٤٠٤/٣	أمية بن أبي الصلت	مناديا
٤٠٤/٣	أمية بن أبي الصلت	طاغيا
٤٠٤/٣	أمية بن أبي الصلت	هيا
٤٠٤/٣	أمية بن أبي الصلت	بانيا
٤٠٥/٣	أمية بن أبي الصلت	هاديا
٤٠٥/٣	أمية بن أبي الصلت	ضاحيا
٤٠٥/٣	أمية بن أبي الصلت	رابيا
٤٠٥/٣	أمية بن أبي الصلت	واعيا
٤٠٥/٣	أمية بن أبي الصلت	خطايا
٤٠٥/٣	أمية بن أبي الصلت	وماليا

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- تفسير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
- ٣- تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .
- ٤- تفسير القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ، ط ٢ ، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني .
- ٥- صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ط ٣ ، تحقيق د . مصطفى ديب البغا .
- ٦- صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق فؤاد عبد الباقي .
- ٧- سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وآخرين .
- ٨- سنن أبي داود ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ٩- سنن ابن ماجه ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق فؤاد عبد الباقي .
- ١٠- سنن النسائي الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .
- ١١- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
- ١٢- موطأ الإمام مالك ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

- ١٣- سنن الدارمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي .
- ١٤- مصنف عبد الرزاق ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ط ٢ ، حبيب الرحمن الأعظمي .
- ١٥- مصنف ابن أبي شيبة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ط ١ ، كمال يوسف الحوت .
- ١٦- صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ١٧- صحيح ابن خزيمة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي .
- ١٨- المعجم الكبير ، الطبراني ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ط ٢ ، تحقيق : حمدي السلفي .
- ١٩- المستدرک علی الصحیحین ، الحاكم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م ، تحقيق عبد القادر عطا .
- ٢٠- شعب الإيمان ، البيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ ، ط ١ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
- ٢١- مسند الشهاب ، القضاءي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، ط ٢ ، تحقيق : حمدي السلفي .
- ٢٢- الجامع الصغير ، السيوطي ، دار طائر العلم ، جدة ، تحقيق : عبد الرؤوف المناوي .
- ٢٣- كشف الخفاء ، العجلوني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط ٤ ، تحقيق : أحمد القلاش .
- ٢٤- الزهد ، عبد الله بن المبارك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

- ٢٥- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، محمد السيد درويش الحوت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، تحقيق : خليل الميس .
- ٢٦- الفردوس بمأثور الخطاب ، الديلمي الهمذاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ط ١ ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول .
- ٢٧- علل الدارقطني ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ط ١ ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله .
- ٢٨- تلخيص الحبير ، ابن حجر ، المدينة المنورة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني .
- ٢٩- فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، ١٣٧٩هـ .
- ٣٠- شرح صحيح مسلم ، النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .
- ٣١- السيرة النبوية ، ابن هشام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ط ١ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
- ٣٢- الطب النبوي ، ابن القيم ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق .
- ٣٣- زاد المعاد ، ابن القيم ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية ، بيروت - الكويت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ط ١٤ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط .
- ٣٤- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧م .
- ٣٥- مجمع الزوائد ، أبو بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ١٤٠٧هـ .

- ٣٦- شرح العمدة ، ابن تيمية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٣هـ ، تحقيق : د . سعود صالح العطيشان .
- ٣٧- الطب النبوي ، ابن قيم الجوزية ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق .
- ٣٨- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، تحقيق : عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي .
- ٣٩- المستطرف في كل فن مستظرف ، أبو الفتح الأبهسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ط ٢ ، تحقيق د . مفيد محمد قميحة .
- ٤٠- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي .
- ٤١- موسوعة النباتات المفيدة ، فريد بابا عيسى ، دار عكرمة ، دمشق ، ٢٠٠٢م .
- ٤٢- روائع الطب الإسلامي ، القسم العلاجي ، الجزء الأول ، دار المعاجم ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- ٤٣- الأنوار في شمائل النبي المختار ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : إبراهيم اليعقوبي ، دار المكتبي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩م .
- ٤٤- الطب الوقائي بين العلم والدين ، د . نضال عيسى ، دار المكتبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .
- ٤٥- أساسيات علم المفاصل ، أنس القطيفاني - دانة الفقير ، جامعة دمشق ، ١٩٩٩م .
- ٤٦- إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية ، محمد مختار عرفات ، دار اقرأ ، ط ١ ، ٢٠٠٣م .
- ٤٧- اعرف جسدك ، سلسلة الثقافة العامة ، ترجمة العقيد ماجد العظمة ، سلسلة الثقافة العامة .
- ٤٨- اعرف نفسك ، د . فاخر عاقل ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٩٧٤م .

- ٤٩- الأسودان التمر والماء ، د . حسان شمي باشا ، دار المنارة (السعودية) ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- ٥٠- الأمراض الشائعة ، د . محيي الدين طالو العلي ، دار ابن كثير ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- ٥١- الأمراض النفسية وعوامل الشد إلى الخلف ، د . مأمون حموش ، دار المأمون ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- ٥٢- الإنسان بين العلم والدين ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، ط ٥ ، ١٩٨٩ م .
- ٥٣- الإنسان ومعجزة الحياة ، د . خلوق نورباقي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، ترجمة أورخان محمد علي .
- ٥٤- الإيدز والأمراض الجنسية ، د . محيي الدين طالو العلي ، دار ابن كثير ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
- ٥٥- الإيدز وباء العصر ، د . محمد علي البار - د . محمد أيمن صافي ، دار المنارة ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ٥٦- الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوت ، د . حسان شمسي باشا ، دار المنارة (السعودية) ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ٥٧- الانفجار الكبير أو مولد الكون ، أميد شمشك ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، ترجمة أورخان محمد علي .
- ٥٨- البدانة والسمنة ، د . حلمي رياض جيد ، دار المعارف ، ١٩٦٩ م .
- ٥٩- التغذية والنمو ، د . محمد غسان سلوم ، جامعة دمشق ، ط ٤ ، ١٩٩٤ م .
- ٦٠- الجديد في أمراض التدخين ، د . نضال عيسى ، دار المكتبي ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
- ٦١- الجنين المشوه والأمراض الوراثية ، د . محمد علي البار ، دار القلم - دار المنارة ، ط ١ ، ١٩٩١ م .

- ٦٢- الحجة السوداء بين الدين والطب ، د . عبد الرحمن النجار ، دار علوم القرآن ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- ٦٣- الختان بين الطب والشرعية ، د . عبد الرحمن القادري ، دار ابن النفيس ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٦٤- الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم ، د . أحمد جواد ، دار السلام (القاهرة) ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ٦٥- الدخان أحكامه وأضراره ، عبد الكريم محمد نصر ، ١٩٩٦ م .
- ٦٦- الدليل الطبي والفقهى للمريض في شهر الصيام ، د . حسان شمس باشا ، دار السوادي (جدة) .
- ٦٧- الدماغ بنيتة ووظائفه ، عمران المقداد ، جامعة دمشق ، ١٩٨٦ م .
- ٦٨- الدين في مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، دار النفائس ، ط ٤ ، ١٩٨٧ م ، ترجمة ظفر الإسلام خان .
- ٦٩- السجائر حلال أم حرام ، د . عبد الصبور شاهين ، الدار الذهبية .
- ٧٠- السواك في ميزان الصيدلة ، علي الرغبان - فراس رزوق - مجاهد كرماني ، دار فصلت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- ٧١- الشفاء بالحجة السوداء ، فرح عبد الحميد القداحي ، دار الإسراء (القاهرة) ، ١٩٨٩ م .
- ٧٢- الشمس والقمر بحسبان ، . . أحمد عبد الجواد ، دار هاشم الكتبي .
- ٧٣- الطب الإسلامي ، محيي الدين طالو العلبي ، ابن كثير ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- ٧٤- الطب المجرب ، خالد سيد علي ، مكتبة دار التراث (الكويت) ، ط ٥ ، ١٩٩٣ م .
- ٧٥- الطب النبوي ، ابن قيم الجوزية ، دار الحكمة .
- ٧٦- الطب النبوي في ضوء العلم الحديث ، د . غياث حسن الأحمد ، دار المعاجم ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .

- ٧٧- الطب النبوي والعلم الحديث ، د . محمد ناظم النسيمي ، الشركة المتحدة ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
- ٧٨- الطب محراب الإيمان ، د . خالص كنجو ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧١ م .
- ٧٩- الطقس ، أ . ج فور سدايك ، معهد الإنماء العربي (بيروت) ، ١٩٨١ م ، ترجمة نبيلة (هيلين) منسي .
- ٨٠- العلاج بالنبات ، وديع جبر ، دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
- ٨١- العلم في حياة الإنسان ، د . عبد الحلیم منتصر ، كتاب العربي ، ١٩٨٤ م .
- ٨٢- العلم في منظوره الجديد ، روبرت م . أغروس ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٣٤ ، ترجمة د . كمال خلایلي .
- ٨٣- العلم والدين مناهج ومفاهيم ، د . أحمد عروة ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ٨٤- العلم يدعو إلى الإيمان ، أكريسي موريسون ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٩٥٨ م ، ترجمة محمود صالح الفلكي .
- ٨٥- العلوم في القرآن ، د . محمد جميل الحبال - د . مقداد مرعي الجواري ، دار التفائس ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- ٨٦- الغذاء لا الدواء ، د . صبري القباني ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٩٦٦ م .
- ٨٧- الفيزياء المسلمية ، ياكوف بيريلمان ، دار مير (موسكو) ، ط ٥ ، ١٩٧٧ م ، ترجمة د . سليمان المنير .
- ٨٨- القرآن وعلم النفس ، د . عبد العلي الجسماني ، العربية للعلوم ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- ٨٩- القرار الممكن ، د . مأمون شقفة ، دار حسان ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م .
- ٩٠- الكوكب الوطن ، كيفن دبليوكيلي ، دار مير (موسكو) .
- ٩١- الكون وأحجار الفضاء ، محمد فتحي عوض ، دار الوثبة .

- ٩٢- الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم ، رجا عبد الحميد عرابي ، دار الخير ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
- ٩٣- الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ، دار مصر للطباعة ، ط ٢ .
- ٩٤- الله يتجلى في عصر العلم ، نخبة من العلماء الأمريكيين ، دار إحياء الكتب العربية ، ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان .
- ٩٥- الميلاتونين هل هو الدواء السحري ، د . حسان شمس باشا ، دار المنارة (السعودية) ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٩٦- النحلة تسبح الله ، محمد حسن الحمصي ، ط ١ ، ١٩٧١ م .
- ٩٧- النفس بين العلم والدين ، محيي الدين ميقري ، مطبعة عكرمة ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٩٨- الوافي في تخطيط القلب الكهربائي ، د . ضياء الدين الجماس - د . عبد الملك الكزيري ، مكتبة الرازي ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ٩٩- الوجيز في أمراض الكبد ، ليلي محمد أديب المؤيد العظم - نهى أحمد كامل ، جامعة دمشق ، ١٩٩٨ م .
- ١٠٠- بدائع السماء ، جبر الدهوكز ، ترجمة : د . عبد الرحيم بدر ، المكتبة العصرية (صيدا) ، ١٩٦٧ م .
- ١٠١- تشريح وفيزيولوجيا الإنسان ، فاسيلي تاتارينوف ، دار مير (موسكو) ، ١٩٨٣ م .
- ١٠٢- جهاز التنفس ، مجموعة من الأطباء ، جامعة دمشق ، ١٩٨٠ م .
- ١٠٣- حرب النجوم ، عاطف معتوق .
- ١٠٤- حركة الأرض ودورانها ، محمد علي الصابوني ، دار القلم ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ١٠٥- خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، محمد علي البار ، الدار السعودية للنشر ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م .

- ١٠٦- دراسات حول الطب الوقائي ، مجموعة من الأطباء ، مجلة الكتاب العربي (١٧) ، ١٩٨٧ م .
- ١٠٧- دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ، توفيق محمد عز الدين ، دار السلام (القاهرة) ط ١ ، ١٩٨٦ م .
- ١٠٨- دليل العائلة الطبي ، جان غوميز ، دار الحوار ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م .
- ١٠٩- دور الجراثيم في حياتك ، ليو شنيدر ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٨١ م ، ترجمة غسان مصري زادة .
- ١١٠- رحلة الإيمان في جسم الإنسان ، حامد أحمد حامد ، دار القلم ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ١١١- روائع الطب الإسلامي ، د . محمد نزار الدقر ، دار المعاجم ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- ١١٢- سبعون برهاناً علمياً ، ابن خليفة ، دار الإيمان ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م .
- ١١٣- شفاء التباريح والأدواء في حكم التشريع ونقل الأعضاء ، الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، مطبعة خالد بن الوليد ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .
- ١١٤- طببك معك ، د . صبري القباني ، دار العلم للملايين ، ط ٧ .
- ١١٥- طعامك سليماً وسقيماً ، د . ضياء الدين الجماس ، مركز نور الشام للكتاب ، ١٩٩٩ م .
- ١١٦- عظمة الرحمن في خلق الإنسان ، علي الشيخ علي ، جامعة دمشق ، ١٩٧٧ م .
- ١١٧- علم النفس الإسلامي ، محمد رمضان القذافي ، منشورات صحيفة الدعوة الإسلامية ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- ١١٨- غرائب مخلوقات الله ، لطفي وحيد ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٩٠ م .
- ١١٩- غريزة أم تقدير إلهي ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، ط ٦ ، ١٩٨٧ م .
- ١٢٠- فيه شفاء للناس العسل ، د . محمد نزار الدقر ، دار الكتب العربية .

- ١٢١- قصة العناصر ، ألبير دوكروك ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٨١ م ،
ترجمة وجيه السمان .
- ١٢٢- قصص وطرائف عن الفلزات ، س . فينيتسكي ، دار مير (موسكو) ،
١٩٨٤ م ، ترجمة : عيسى مسوح .
- ١٢٣- كتاب المعرفة الحيوان ، د . عبد المنعم عبيد ، شركة ترادكسيم .
- ١٢٤- كتاب المعرفة جسم الإنسان ، د . عبد المنعم عبيد ، شركة ترادكسيم .
- ١٢٥- كتاب المعرفة النبات ، د . عبد المنعم عبيد ، شركة ترادكسيم .
- ١٢٦- ما هي نظرية النسبية ، لاندوا ورومر ، دار مير (موسكو) ط ٤ ،
١٩٧٨ م .
- ١٢٧- ماذا في العلم والطب من جديد ، مجموعة من الأطباء ، كتاب العربي
(٢١) .
- ١٢٨- مبادئ البيولوجيا ، إرينا كروزينا ، دار مير (موسكو) ، ط ٢ ،
١٩٨٢ م .
- ١٢٩- مبادئ التشخيص في الطب الباطني ، مجموعة من الأطباء ، جامعة
دمشق ، ١٩٩٩ م .
- ١٣٠- مع الطب في القرآن الكريم ، د . عبد الحميد دياب - د . أحمد قرقوز ،
مؤسسة علوم القرآن ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .
- ١٣١- مع الله في السماء ، د . أحمد زكي ، دار الهلال (القاهرة) .
- ١٣٢- معالجة التدخين بين الأطباء والمشرعين ، د . ضياء الدين الجماس ،
دار ابن حيان .
- ١٣٣- معجزات الشفاء في الحبة السوداء والعسل والثوم والبصل ، أبو الفداء
محمد عزت محمد عرف ، دار تهامة .
- ١٣٤- معجزات في الطب للنبي العربي ﷺ ، د . محمد سعيد السيوطي ،
مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .
- ١٣٥- مقدمة في علم الخلية والجين ، هاني رزق ، جامعة دمشق ، ١٩٨٦ م .

- ١٣٦- من أسرار وإعجاز القرآن الكريم ، محمد أديب النابلسي ، مكتبة دار الصفا ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- ١٣٧- ممن علم الطب القرآني ، عدنان الشريف ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- ١٣٨- من علم الفلك القرآني ، عدنان الشريف ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ١٣٩- من علم النفس القرآني ، عدنان الشريف ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ١٤٠- موسوعة الشباب ، مجموعة من المؤلفين ، شركة ميدليفانت .
- ١٤١- موسوعة النباتات المفيدة ، فريد بابا عيسى ، مكتبة ابن النفيس ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، ترجمة محمد خير جمعة .
- ١٤٢- موسوعة بهجة المعرفة ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان .
- ١٤٣- موسوعة لايف الارض ، آرثر بيزر ، مؤسسة تايم ، ترجمة محمد جمال الدين الفندي .
- ١٤٤- موسوعة لايف البحر ، ليونارد إنجيل ، مؤسسة تايم ، ترجمة د . عزت خيري .
- ١٤٥- موسوعة لايف الكون ، دافيد يرجاميني ، مؤسسة تايم ، ١٩٧١ م ، ترجمة نزيه الحكيم .
- ١٤٦- موسوعة لايف جسم الإنسان ، آلان أ . نورس ، مؤسسة تايم ، ١٩٦٨ م .
- ١٤٧- مولد طفل ، روبرت لافون ، شركة ترادكسيم ، ١٩٧٧ م ، ترجمة محمد نصر .
- ١٤٨- نحل العسل في القرآن والطب ، د . محمد علي البني ، مركز الأهرام ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م .

- ١٤٩- وفي الصلاة صحة ووقاية ، د . فارس علوان ، دارس السلام (القاهرة) ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- ١٥٠- معجزة القرآن ، محمد متولي الشعراوي ، المختار الإسلامي ، مصر .
- ١٥١- التوحيد عبد المجيد الزنداني ، التراث الإسلامي ، مصر .
- ١٥٢- الإعجاز الطبي في القرآن ، السيد الجميلي ، دار ومكتبة الهلال ، مصر .
- ١٥٣- الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق .
- ١٥٤- النمر دواء ليس فيه داء ، محمد عبد الرحيم ، دار أسامة ، بيروت .
- ١٥٥- تنبيه العقول الإسلامية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية ، ترجمة : عبد الرحمن عيسى ، محمد نجيب المطيعي .
- ١٥٦- الإشارات العلمية في القرآن .
- ١٥٧- الإسلام والحقائق العلمية ، محمود القاسم ، دار الهجرة ، مصر .
- ١٥٨- القرآن وعلوم العصر الحديث ، إبراهيم فواز عراجي ، دار النهضة العربية ، مصر .
- ١٥٩- الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، دار الجيل المسلم ، مصر .
- ١٦٠- الطب محراب الإيمان ، خالص جلبي ، دار النفائس ، بيروت .
- ١٦١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر الطبري ، ط ١/٨٨ ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٦٢- زاد المسير في علم التفسير ، للحافظ ابن الجوزي ، ط ١/٨٧ ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٦٣- الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ، ط ١/٩٥ ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٦٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة الألوسي ، ط ١/٩٤ ، دار الفكر ، بيروت .

- ١٦٥- البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي ، ط ١/٩٢ ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٦٦- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، للإمام الرازي ، ط ١/٩٥ ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٦٧- إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي ، ط/ دار الحديث (د . د . ت) .
- ١٦٨- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للإمام ابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط ٢/٨٣ ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٦٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، للعلامة المناوي ، ط ١/٩٤ ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٧٠- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، للعلامة الشوكاني ، ط ١/٩٩ ، دار الكلم الطيب ، دمشق .
- ١٧١- الإيمان ، للإمام ابن تيمية ، تحقيق محمد الزبيدي ، ط ١/٩٣ ، دار الكتاب العربي .
- ١٧٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، للحافظ ابن قيم الجوزية ، ط ١/٩١ ، مكتبة السوادى ، جدة .
- ١٧٣- العقيدة الإسلامية وأسماها ، عبد الرحمن حنكة الميداني ، ط ٧/٩٤ ، دار القلم ، دمشق .
- ١٧٤- اشتقاق أسماء الله ، للإمام الزجاجي ، ط ٢/٨٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ١٧٥- تفسير أسماء الله الحسنى ، للإمام الزجاج ، ط ٥/٨٦ ، دار المأمون للتراث ، دمشق .
- ١٧٦- الآداب ، للإمام البيهقي ، ط ١/٨٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٧٧- الزهد الكبير ، للإمام البيهقي ، ط ١/٨٧ ، دار الجنان ، بيروت .
- ١٧٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، للحافظ ابن قيم الجوزية ، ط ١/٩٧ ، دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت .

- ١٧٩- الرسالة القشيرية ، للعلامة القشيري ، ط ١/ ٨٨ ، دار الخير ، دمشق .
- ١٨٠- الأذكار ، للإمام النووي ، ط ٧/ ٩٨ ، دار الهدى ، الرياض .
- ١٨١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، للحافظ ابن قيم الجوزية ، ط ٤/ ٩٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١٨٢- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، للعلامة الشعراني ، ط ١/ ٨٥ ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- ١٨٣- شرح الشفا للقاضي عياض ، شرحه الملاء علي القاري ، ط / دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ت) .
- ١٨٤- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للسقطلاني ، وبهامشه زاد المعاد لابن القيم ، ط ١/ ٩٣ ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٨٥- التوبة والإنابة ، للحافظ ابن القيم ، تحقيق الدكتور محمد عمر الحاجي وعبد الله بدران ، ط ١/ ٩٩ ، دار المكتبي ، دمشق .
- ١٨٦- أسماء الله الحسنى : للإمام النسائي ، تحقيق جمال نصر ، ط ١/ ٩٣ ، مكتبة التراث ، القاهرة .
- ١٨٧- أسماء الله الحسنى : الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام ، عبد العظيم فرج ، ط / مطابع أطلس ، الرياض ٢ (د . ت) .
- ١٨٨- أسماء الله الحسنى (مقام الأسماء في امتزاج الأسماء) الشيخ عبد الغني النابلسي ، تحقيق زينهم محمد عزب ، ط ١/ ٨٠ ، دار القلم للتراث .
- ١٨٩- أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ، حسين محمد الشافعي ، ط ١/ ٨٩ ، نهضة مصر .
- ١٩٠- أسماء الله الحسنى : معناها ، فضلها ، الدعاء بها ، الشيخ عبد الحميد كشك ، ط ١/ المختار الإسلامي ، القاهرة .
- ١٩١- أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها ، حسنين محمد مخلوف ، ط ١/ ٧٤ ، دار المعارف ، بيروت .

- ١٩٢- أسماء الله الحسنی وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، د . عمر سليمان الأشقر ، ط ١ / ٩٤ ، دار النفائس ، عمان .
- ١٩٣- شرح أسماء الله الحسنی ، للإمام الرازي ، تحقيق طه سعد ، ط ١ / ٢٠٠٠ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .
- ١٩٤- شرح أسماء الله الحسنی على منظومة الشيخ عبد الغني التابلسي ، لأحمد إبراهيم ملا محمد ، ط ١ / ٩٤ ، دمشق .
- ١٩٥- شرح أسماء الله الحسنی ، أبو القاسم عبد الكريم القشيري ، تحقيق أحمد الحلواني ، ط ٢ / ٨٦ .
- ١٩٦- مختار الصحاح ، الرازي ، دار العلوم ، تحقيق : د . مصطفى البغا .

* * *

محتوى الجزء الأول

٥	مقدمة الطبعة المعدلة والمنقحة
١١	مقدمة
١٧	تمهيد
٢٥	١- الملك
٤٧	٢- القدوس
٧١	٣- السلام
٩٥	٤- المؤمن
١١٧	٥- المهيمن
١٤٥	٦- العزيز
١٧٣	٧- الجبار
١٨٩	٨- المتكبر
٢٠٧	٩- الغفار
٢٢٩	١٠- القهار
٢٥١	١١- الوهاب
٢٧٥	١٢- الرزاق
٢٩٧	١٣- الفتاح
٣١٩	١٤- العليم

٣٤٣	١٥- القابض - الباسط
٣٦٣	١٦- المعز - المذل
٣٨١	١٧- الخالق
٤٠١	١٨- الباريء - المصور
٤١٧	١٩- اللطيف
٤٣٣	٢٠- العدل
٤٥٣	٢١- الحليم
٤٧٥	٢٢- الشكور
٤٩٧	٢٣- الكريم
٥٢١	٢٤- الحكيم
٥٤٧	٢٥- الحق
٥٧١	٢٦- الودود
٥٩٣	٢٧- التواب
٦١٥	٢٨- الهادي
٦٣٧	٢٩- الرحمن الرحيم
٦٥٧	٣٠- الكبير
٦٧٩	٣١- البديع
٦٩٧	٣٢- الصبور
٧١٧	محتوى الجزء الأول

محتوى الجزء الثاني

٥	٣٣- الله
٢٧	٣٤- النور
٤٥	٣٥- الحفيظ
٦٩	٣٦- الولي
٨٩	٣٧- المحصي
١٠١	٣٨- الخبير
١١٣	٣٩- مالك الملك
١٣١	٤٠- ذو الجلال والإكرام
١٤٩	٤١- الضار- النافع
١٦٥	٤٢- الرقيب
١٨١	٤٣- الخافض- الرافع
٢٠٣	٤٤- الحسيب
٢٢٥	٤٥- المقيت
٢٤٣	٤٦- الجليل
٢٥٩	٤٧- المجيب
٢٧٩	٤٨- الوكيل
٢٩٥	٤٩- الواسع
٣١٣	٥٠- الواحد

٣٣١	٥١- الحي
٣٥٣	٥٢- القيوم
٣٦٩	٥٣- الأول والآخر
٣٨٧	٥٤- الظاهر والباطن
٤٠٥	٥٥- السميع
٤٢٩	٥٦- البصير
٤٤٩	٥٧- الرؤوف
٤٦٧	٥٨- الغفور
٤٨٧	٥٩- المنتقم
٥٠٥	٦٠- العلي
٥٢٣	٦١- الصمد
٥٣٩	٦٢- العظيم
٥٥٩	٦٣- الحكم
٥٧٩	٦٤- الشهيد
٥٩٩	٦٥- الغني والمغني
٦٢٣	٦٦- العفو
٦٣٩	٦٧- الجامع
٦٥٧	٦٨- الواجد
٦٧٣	٦٩- المبدئ المعيد
٦٩٣	٧٠- الحميد
٧١٣	٧١- البر
٧٣١	محتوى الجزء الثاني

محتوى الجزء الثالث

٥	٧٢- الباعث
٢٧	٧٣- القادر والمقتدر
٤٥	٧٤- الماجد والمجيد
٦٩	٧٥- المحيي المميت
٩١	٧٦- المقدم المؤخر
١١٥	٧٧- المانع
١٣٧	٧٨- المقسط
١٦١	٧٩- الوالي
١٨١	٨٠- الباقي
٢٠١	٨١- الرشيد
٢١٩	٨٢- الوارث
٢٣٥	٨٣- القوي
٢٥٣	٨٤- المتين
٢٧٣	٨٥- الستار
٢٩٣	٨٦- الرب
٣١٣	٨٧- الحافظ
٣٣١	٨٨- الأكرم

٣٤٩	٨٩- المفضل
٣٧١	٩٠- عالم الغيب والشهادة
٣٩١	٩١- المدبر
٤٠٧	٩٢- الشافي
٤٢٥	٩٣- المسخر
٤٤٧	٩٤- المرید
٤٦٧	٩٥- هو الله
٤٨٧	٩٦- المصطفى
٥٠٥	٩٧- الديان
٥٢٣	٩٨- العالم
٥٤١	٩٩- المبين
٥٦١	١٠٠- مؤتي الحكمة
٥٧٩	محتوى الجزء الثالث
٥٨١	الفهارس العامة
٥٨٣	فهرس الآيات القرآنية
٦٤١	فهرس أطراف الأحاديث والآثار
٦٦٣	فهرس أطراف آثار وأقوال الصحابة
٦٦٧	فهرس الأعلام
٦٩١	فهرس القبائل والجماعات
٦٩٣	فهرس الأماكن والبقاع
٧٠٣	فهرس القوافي الشعرية
٧١١	فهرس المصادر والمراجع
٧٢٧	الفهرس العام